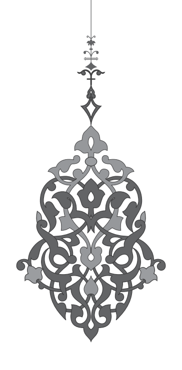


مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الخامس

حسن بن موسى الصفار

مسارات
في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الخامس

الطبعة الأولى: 1437هـ-2016م



أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمـدُ للّهِ ربِّ العَالمِين اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتمِ النَبِيين وتَمَام عِدّة المُرْسَلِين وعَلَـى آلـهِ الطَيِّبِيـن الطَاهِريـن وَصَحْبِـه المُنْتَجَبِين.

أول المسار

حالات الخصومة والصراع تمثّل أدق مقياس لاختبار مدى تجذّر القيم الإنسانية، والمبادئ الإيمانية، في نفس الإنسان؛ لأن الخصومة تستفزّ مشاعر الإنسان، فيندفع لمواجهة ما أثاره واستفزه، انتقامًا لذاته ودفاعاً عن مصالحه.

وكلما كان مخزون الغضب أعمق في نفس الإنسان كانت ردّات فعله في الخصومة أعنف وأقسى. كما أن لنوعية الفكر والثقافة التي يحملها تأثيرًا على شكل إدارته للخصومة والصراع.

وحين يكون الإيمان بالمبادئ والقيم متمكنًا في النفس، فإنه يحدّ من الاندفاع في الخصومة والعداوة، ويضبط ردّات الفعل الدفاعية والانتقامية، لتكون تحت سقف الالتزام بالحدود الشرعية، والمعايير الأخلاقية.

وكذلك حين تكون ثقافة الإنسان سليمة راقية، فإنها ترتقي بأساليب وأشكال إدارته للمواجهة مع خصومه وأعدائه.

لذلك تركّز النصوص الدينية على أهمية الالتزام القيمي، والانضباط الأخلاقي، في حالات الخصومة والصراع، وتعدّه مقياسًا لصدق الإيمان، ومعيارًا لحقيقة التدين.

وهنا يصاب الإنسـان بالدهشـة والذهول، وهو يتابع ما يجري على سـاحة الأمة الإسـلامية من حروب وصراعات داخلية، بلغت أقصى درجات الوحشية والفظاعة، وفاقت مشـاهدها أسـوأ ما نقله التاريخ من مآسـي الحروب.

كيف يحصل هذا بين أبناء أمة يفترض فيها أنها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١١٠] لاعتناقها خير الأديان وأسـمى المبادئ؟

وممـا يزيـد فظاعـة المشـهد، وبشـاعة مـا يجـري، أن تحـدث هـذه المجـازر والممارسـات الارهابية باسـم الإسلام، وتتبناها جهات ترفع راية الدين، وقد نشرت إحـدى هذه الجهـات رؤيتها ومشـروعها التنظيري لمـا تقوم به تحـت عنوان (إدارة التوحـش).

وفـي الحقيقـة فإن مـا يجري ليس بمعـزل عن مجمـل واقع الأمة، بل هـو نتيجة وإفـراز لهذا الواقع. فهناك اسـتبداد سياسـي يمارس البطش والقهـر، وخطاب ديني ينضـح بالكراهيـة والتحريض، وثقافة محملة بالعنصريـة والقبلية، وأزمات اقتصادية وصلت إلى حدّ المجاعة في بعض البلدان، ودفعت مجاميع من أبناء الأمة للمغامرة بحياتهم وسط أمواج البحار بحثًا عن مهجر تتوفر لهم فيه لقمة العيش وكرامة الحياة.

في ظل هذا الواقع المأزوم يكون من الطبيعي حدوث مثل هذا الانفجار الرهيب، والـذي لن تهـدأ براكينه إلا بمراجعة شـاملة للواقع السياسـي والثقافي والاجتماعي الذي تعيشـه شـعوب الأمة، ومن ثم اعتماد نظام جديد لإدارة الحيـاة، ينبثق من فهم سـليم للديـن، ويعتمد شـرعة حقوق الإنسـان، ويسـتند إلـى إرادة الشـعوب، وقيام الحكم الرشـيد الذي يحقق مفهوم المواطنة.

ويبـدو أن شـعوب الأمة قـد أصبحت أقرب إلـى هذا الحل مـن أي وقت مضى، حيـث اسـتنفذت الحلـول الترقيعيـة أغراضهـا، وفقـدت مختلـف الأيديولوجيـات بريقها، وأصبحت تجارب الأمم والشـعوب المتقدمة شاخصة أمام أنظار أبناء الأمة.

وعلـى الخطـاب الديني أن يدرك هذه الحقيقة، وأن يكيّـف أداءه لتوفير متطلبات هـذه المرحلـة، ولعل من أهمهـا رفد الجمهـور بمنابع الأمل والتفاؤل، لأن مشـاعر اليـأس والإحبـاط يمكـن أن تشـكّل وقـوداً لتوجهات العنـف والدمـار، وعائقًا أمام مسـاعي التحـرك والنهوض، ولأن حركـة التاريخ تؤكد أن التحـول والتغيير في حياة الأمـم والمجتمعـات قد تمر بمرحلة مخاض عسـير، كما يؤكد القـرآن الكريم ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْـرِ يُسْـرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْـرِ يُسْرًا﴾[سـورة الشـرح، الآيتان: ٥-٦].

ومـن متطلبـات هذه المرحلة بث الوعي الديني التنويـري الذي يحقق المصالحة والموائمـة بين الديـن وتطورات الحيـاة المعاصرة، انطلاقاً من جـدارة الدين بهداية الإنسـان فـي مختلـف العصـور، وأن تطبيقـه لا يعنـي التراجـع عـن مكاسـب العلم والتطور، ولا يعني العودة إلى أنماط الحياة في العصور السـالفة.

كما يجب أن يسـتحضر هذا الخطاب المضمون الإنسـاني في المفاهيم والتعاليم الدينيـة، هـذا المضمون المغيّب في المسـاحة الأوسـع من الخطـاب الديني، حيث يقـدم الدين كمشـروع لتحسـين أوضاع الإنسـان في الآخـرة، مقابـل خنوعه ورضاه بسـوء معيشـته في الدنيا، تحت شـعار أن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، والآخرة جنة المؤمن وسـجن الكافر!

والجانـب الأهم على هـذا الصعيد إبراز قيمة التسـامح، واحترام حرية الإنسـان وكرامتـه وحقوقـه، فإن مقصـد الشـرائع الإلهية إقامة العـدل في حياة النـاس. يقول تعالـى: ﴿لَقَدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَـاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَـابَ وَالْمِيـزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْـطِ﴾[سـورة الحديد، الآية: ٢٥].

وبيـن يدي القـارئ الكريم: الجزء الخامس من كتاب (مسـارات في ثقافة التنمية والإصلاح) وهو يمثل تجربتي المتواضعة، في السـعي لإنتاج خطاب ديني يستجيب لتحديـات المرحلـة الحاضرة، أرجو أن يكون فيـه ما يفيد إخوانـي الخطباء والدعاة

والمبلغيـن، وأن لا يبخلـوا عليَّ بملاحظاتهم ونقدهم البنَّاء، ولا ينسـوني من صالح دعواتهـم.

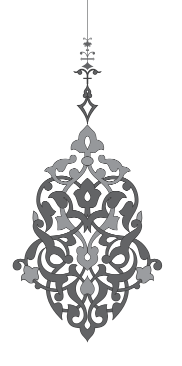
أسـأل الله لي وللجميع التوفيق والصلاح والمغفرة والرضوان.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

3 شعبان 1437هـ

10 مايو 2016م



خُطَبُ الجُمُعَة

الخطبة الأولى

عاشوراء تماسك المجتمع وإحياء القيم

عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال لأصحابه: «اتقوا الله وكونوا إخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[١].

هناك وصايا كثيرة أكد فيها أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم العمل بها، وفي هذه الرواية تأكيد أمرين:

الأول: توثيق العلاقات الأخوية الودية بين المؤمنين. بأن يكون هناك تحابّ وتواصل وتراحم فيما بينهم، وهذا لا يعني أن يكون مجتمع المؤمنين مجتمعًا مثاليًّا يخلو من الاختلاف في الرأي أو التضارب في المصلحة، فهم بشر كغيرهم، لكن ديننا الحنيف وأئمته يؤكدون أن يبقى اختلاف الرأي وتضارب المصالح، إن وجد، تحت سقف التراحم والتواصل، واستمرار العلاقات الودية داخل مجتمع المؤمنين.

الثاني: أن يكون لهذا التواصل مضمون رسالي. بأن يكون هناك إحياء لذكر أهل البيت عليهم السلام: «وتذاكروا أمرنا وأحيوه» وفي رواية أخرى: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا»[٢] كما عن الإمام الرضا عليه السلام. فما هو أمرهم؟

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٢، ص ١٧٥، حديث ١.

(٢) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٧٥، حديث٦٩.

ليس لأهل البيت ﰈ أمر شخصي أو مصلحة عائلية، فيطلبون من شيعتهم أن يهتموا بها. أمر أهل البيت ﰈ هو أمر الدين، ومصلحة الأمة، كما صرحوا ﰈ بذلك. فهذا سيّد الشهداء الإمام الحسين ﰇ يعلن بصراحة تامّة عن الأمر الذي دعاه للخروج: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1]. فأمرهم ﰈ هو تعاليم الدين ومصلحة الأمة، وحين يأمر الإمام ﰇ شيعته أن يحيوا أمرهم، فهي وصية لتبادل الاهتمامات النافعة فيما بينهم، والدفاع عن قيم الدين، وتعزيز مصالح الأمة.

عطاء المناسبات الدينية:

هذه النصوص هي الأرضية التأسيسية لإحياء مناسبات أهل البيت ﰈ التي يقوم بها الشيعة. قد لا يكون عندنا نصّ لإحياء كلّ مناسبة على حدة، لكن الهدف المنشود الذي ينادي به أهل البيت ﰈ لإحياء أمرهم هو الاهتمام بقضية الإسلام وقضية الأمة، وذلك عبر التلاقي والتداول لهذه القضايا الهامة.

هذه التوجيهات هي التي دفعت شيعة أهل البيت ﰈ لإحياء ذكر أئمتهم؛ لأنه مظهر لتطبيق تلك التوجيهات. فإحياء موسم عاشوراء مثلًا يتيح لمجتمعاتنا أفضل الفرص في الجانبين المذكورين سلفًا: تأكيد التواصل الاجتماعي، وتعزيز القيم والمبادئ الدينية، إضافة إلى المزايا الهامة التالية:

١. **تعزيز الجهد الأهلي**: إحياء عاشوراء نشاط أهلي تطوعي صرف، ليس للحكومات دخل فيه. حتى المجتمعات التي تحكمها قيادات دينية شيعية كإيران، فإن إحياء هذا الموسم يبقى جهدًا أهليًا. وهذه قيمة ينبغي أن نعززها في مجتمعاتنا.

٢. **تكريس التواصل بين الناس**. فكل حارة تجد فيها مأتمًا أو أكثر يلتقي فيه

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٣٢٩.

الناس لإحياء هذه المناسبة، وفيه تسودهم أجواء روحية وفكرية موحّدة. ونحن نلحظ هذا الأمر جليًّا فيمن يقيم خارج البلاد. حيث يلتقي أناسًا من إخوانه المؤمنين لا يعرفهم، ولكن لرغبة في إحياء هذه المناسبة فإنه يبحث عمّن يقيمها ويلتقيهم، ويتداخل معهم، وتكون فرصة لبداية علاقات جديدة. وهذه فائدة مهمة ينبغي تنميتها، والاهتمام بها، ولا يمكن الاستعاضة بما تبثه القنوات الفضائية من المآتم والحسينيات، مهما كان مستوى المادة التي تبث. فالمسألة لا تنحصر في الجانب الفكري فقط، بل هناك أغراض ومقاصد اجتماعية ونفسية وروحية لا تتحقق إلا باجتماع الإنسان المؤمن مع بقية إخوانه المؤمنين.

٣. **تفعيل الخطاب المنبري الذي يحمل عنوان قضية الإسلام ومصالح الأمة.**

٤. **تعزيز المشاركة الفاعلة**. إذْ على كل شخص أن يطالب نفسه بالبذل في هذه المجالس، سواء كان بجهد بدني أو فكري أو عطاء مالي، وألّا يقنع بأن يكون مستهلكًا فقط.

علينا كشيعة للحسين نهتم بإحياء ذكره وتخليد رسالته وموقفه، أن نجعل من هذا الموسم العاشورائي منطلقًا لنا لتأكيد أهمية وحدة المجتمع وغرس القيم والمبادئ فيه. لهذا فكلنا معنيٌّ بهذا الموسم السنوي، وليست الأدوار مناطة بأحدٍ دون آخر.

الخطبة الثانية

صمود غزة والموقف العربي الهجين

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال، آية: ٦٠].

في مواجهة العدوان لا بُدّ من الردع والمقاومة. فالدفاع عن النفس حقٌّ مشروع أقرّته كلّ الأديان والشرائع والمواثيق الدولية؛ لأن العدو إن لم يجد أمامه رادعًا فإنه سيتمادى في غيّه وعدوانه.

تواجه الأمة الإسلامية في هذا العصر أسوأ عدوان وظلم من قبل الصهاينة المعتدين. هؤلاء الذين احتلوا فلسطين وشرّدوا أهلها، وصاروا يمارسون هيمنتهم على المنطقة كلها، والعالم كله يدرك أن هذا عدوان سافر، بما في ذلك الأمم المتحدة التي تصفه بالاحتلال، وتقرّ للفلسطينيين بأن لهم الحقّ بإقامة دولتهم المستقلة، عن طريق التفاوض والدبلوماسية مع إسرائيل، وأن يأخذوا حقّهم بموافقة إسرائيل وبرضاها! وكيف لإسرائيل أن ترضى؟ كيف لقوة ظالمة معتدية أن تكفَّ عن عدوانها؟!

خيار المقاومة:

لقد جرّب العرب هذا الخيار. سنوات وهم يلهثون خلف التفاوض والحلّ الدبلوماسي، لكنه لم ينتج إلا تكريس الاحتلال، وإلغاء أيّ احتمال لإقامة دولة فلسطينية، عبر تقطيع أوصال فلسطين بالاستيطان لخلق أمر واقع، وضمان تفوق

إسرائيل عسكري في المنطقة، كما تعلن عن ذلك أمريكا والغرب. ويعني ذلك أن كلّ العرب والمسلمين في المنطقة يجب أن يكونوا تحت الهيمنة الإسرائيلية، وهذا ما تمارسه إسرائيل بالفعل، حيث احتلّت فلسطين والجولان وسيناء، وغور الأردن، ولم تخرج من سيناء والأردن إلا بشروط مُذلّة للمصريين والأردنيين. واحتلت جنوب لبنان، بل وصلت إلى قلب بيروت.

إنها تمارس الغطرسة، وتنفذ إرادتها في العالم العربي والإسلامي، وكأنَّ المنطقة مفتوحة لها تعبث فيها كيف تشاء. فحينما أراد العراق بناء المفاعل النووي قررت إسرائيل أن تقصف المفاعل النووي في بغداد وبالفعل قامت بذلك، وحينما تحدثوا عن وجود منشأة نووية في سورية دمّروها، وحينما ادّعوا وجود مصنع باسم اليرموك في السودان يصنع الأسلحة لمساعدة فلسطين، قصفوه، وحينما كان في تونس بعض القيادات الفلسطينية «أبو جهاد» أرسلوا فرقة الكماندوز إلى قلب تونس وقتلوه، وأخيرًا سربوا فيلمًا عن العملية. كل ذلك يحصل أمام مرأى ومسمع من العالم! وهم يهددون الآن إيران، هذه الدولة القوية الكبيرة في المنطقة، لامتلاكها برنامجًا نوويًا؛ لأن إسرائيل تجد لنفسها الحق في تهديدها، بالرغم من أن إسرائيل لديها أخطر برنامج نووي في المنطقة.

أمام هذا التغطرس والعدوان السافر، ماذا على العرب والمسلمين سيما الفلسطينيين واللبنانيين أن يفعلوا؟ هل نفعت تلك المفاوضات؟ إنه لا خيار أمام العرب والمسلمين سوى الحلّ القرآني، حيث يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّـهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، من دون الردع والمقاومة لن تتغير الأمور، ولن تتعطف إسرائيل على الفلسطينيين والعرب بإعطائهم بعض حقوقهم، وهذا ما أثبتته مواجهة المقاومة في لبنان لإسرائيل، حيث اضطرت إسرائيل للانسحاب من دون مفاوضات، ومن دون شروط، وأصبحت تحسب حساباً للبنان. هل تلقّت إسرائيل أوامرها حيال ذلك من مجلس الأمن؟ كلا، وإنما لأن هناك مقاومة.

وحين لعب المجاهدون في غزة نفس الدور، ورأت إسرائيل نفسها أمام شعب مقاوم قوي صامد، قررت الانسحاب من غزة. وها هي اليوم تعلن عن قبول هدنة مع حماس.

متى كانت إسرائيل تفكر في هدنة وهي في موقع قوة؟! لكن المقاومة اليوم غيرت المعادلة، فالشعب في فلسطين يقود مقاومة صامدة بطولية ضد العدوان الإسرائيلي، حيث وصلت صواريخهم إلى تل أبيب، وعرض التلفزيون مشهداً لرئيس الوزراء نتنياهو وهو يخرج مهرولًا من مكتبه نحو الملجأ!

لا تفهم إسرائيل غير هذه اللغة، ولا يمكن التفاهم معها بغير هذه اللغة. صحيح أن هناك خسائر وتضحيات، ففي صباح اليوم الجمعة كانت عشرات الغارات على غزة، سقط على إثرها شهداء وجرحى، وأصيب فيها النساء والأطفال، هذه تضحيات وخسائر وآلام، لكن هذا هو الطريق للخلاص من عدوان إسرائيل.

حقّ تسليح المقاومة:

نحن كشعوب عربية وإسلامية نتضامن مع الفلسطينيين وأهالي غزة، ومطلوب من قيادات الدول العربية والإسلامية دور أكبر، يتمثل في تسليح الشعب الفلسطيني.

للأسف الشديد، أصبح إمداد الفلسطينيين بالسلاح تهمة تتبرأ منها الدول العربية، وتخشى الإقرار بحق تسليح الفلسطينيين! لماذا لا يحق للفلسطينيين حمل السلاح؟ أليس من حقهم الدفاع عن أنفسهم؟ وحينما تقصف إسرائيل مصنع اليرموك في الخرطوم لأنهم يصنعون أسلحة للفلسطينيين ـ حسب زعمها ـ فهل هو أمر مشروع؟ والأدهى من ذلك ما تراه وتسمعه من شماتة البعض على دولة السودان لفتحها مجالًا لإسرائيل لاختراقها.

إن هذا موقف ذلّ وهوان. كم نسمع عن صفقات جديدة للأسلحة مع دول أوروبا المختلفة وبالمليارات، ولكن لماذا؟! أين هذه الأسلحة عن دعم المقاومة في غزة، هذه المليارات التي تنفق على الأسلحة لو خصصنا مليارًا واحدًا للفلسطينيين لتغيّرت

المعادلة، إنهم بحاجة إلى السلاح، وهذا حقّ مشروع لهم.

نسأل الله البركة والتأييد لمن يدعم المقاومين الفلسطينيين بالسلاح، ويقف بصفهم. هذه هي العروبة، والموقف البطولي المشرف، وهو الموقف الذي ينبغي أن يقوم به الجميع. حين نسمع أمريكا والدول الغربية يعلنون بكل وقاحة عن مسؤولية حماس تجاه التصعيد في غزة، وتعطي لإسرائيل الحقّ فيما تمارسه من إجرام بحجة الدفاع عن النفس، فما ذاك إلا لتخاذلنا عن نصرة الفلسطينيين، وعدم اتخاذ المواقف الضاغطة والمعارضة لموقف الدول الغربية.

نسأل الله تعالى أن يكتب النصر لإخواننا في غزة ويمنحهم الثبات والصمود، ويشفي جرحاهم ويرحم شهداءهم. فإن الحقّ مع الفلسطينيين، والله معهم، والشعوب معهم، وحركة التاريخ كذلك مع الفلسطينيين.

الخطبة الأولى

الحسين عليه السلام ثورة مبدئية

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٦٢].

ينطلق الإنسان المؤمن في مواقفه وممارساته من التطلع لرضا الله سبحانه وتعالى، ويسعى لكي تكون كلّ أعماله وكل ممارساته متطابقة مع أوامر الله، وحينها يستحق الأجر والثواب، ويسبغ الله على عمله البركة والتوفيق. وهذا ما كان لثورة أبي عبدالله الحسين عليه السلام الذي نعيش هذه الأيام ذكرى عاشورائه المجيدة.

إنّ من أهم الأسباب لبقاء هذه الثورة المباركة أنها كانت مبدئية وإلهية في كل منطلقاتها وممارساتها. إنها لم تنطلق من أجل مصالح شخصية أو فئوية، ولا انبثق أيّ تصرف أو ممارسة ضمن الثورة من منطلق التشفي أو الانتقام أو الانفعال الذاتي، وإنما كانت تصرفات الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من الأصحاب تنطلق من حيث يرضى الله سبحانه، لذلك استحقت الخلود وأصبح الإمام وأصحابه الثائرون خالدين مخلدين في ضمير الأمة والتاريخ.

قد تستفيد الأمة والمجتمع من تحرك إنسان أو جهة ثائرة معادية للظلم والطغيان، أيًّا كان هذا الشخص، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ»[1]، وعنه صلى الله عليه وآله أيضًا: «ينصر الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة»[2]. قد

(١) البخاري، ج٣، ص ٧٣، حديث ٤٢٠٣.
(٢) بحار الأنوار، ج ٩٧ ص ٤٨، حديث ١٣.

يواجه إنسان الظلم فيثأر لنفسه ولمجتمعه، فتكون حركته مفيدة لمجمل واقع الأمة، للحدّ من سيطرة الظلم وردع الظالمين. لكن الثائر والمعارض لا يستحق التقديس إلا إذا كان مبدئيًا ملتزمًا قيم الدين، وهذا ما تحقق في ثورة أبي عبدالله الحسين عليه السلام. وأول أمر صرّح به أنه خارج لله تعالى طلبًا للإصلاح: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1]، وقال في موقع آخر: «رضا الله رضانا أهل البيت»[2]، انطلاقته من أجل الله تعالى، لذلك كان الحضور الإلهي ملازمًا له في كلّ تحركاته أثناء نهضته المباركة.

الاتصال الدائم بالله تعالى:

ونحن كأتباع له، حينما نقرأ أو نسمع سيرة الحسين عليه السلام يجب أن نتأمّل في مدى حضور الله تعالى عند الإمام الحسين في كل لحظة وكل حركة.

في وسط المعركة يحين وقت الصلاة، وبالرغم من قساوة تلك اللحظات وأخطارها، يطلب إيقاف الحرب حتى يؤدي الصلاة في وقتها. ولم يكن اهتمام الإمام بالصلاة المفروضة وحسب، بل كان عليه السلام يهتم حتى بأداء النوافل، فحينما زحف الجيش الأموي عصر اليوم التاسع من المحرم نحو مخيمه، طلب من أخيه العباس وأصحابه أن يذهبوا لمخاطبة ابن سعد لتأجيل المعركة، إلى صباح غد، لا لكي يكسب ساعات إضافية في الحياة، وإنما لكي يتودع من العبادة والمناجاة: «ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غداة، حتى نصلي لربنا الليلة، وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني أحبّ الصلاة له والدعاء وتلاوة القرآن». وبالفعل حينما أعطوا تلك الفرصة بات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة منشغلين بالعبادات، باتوا ولهم دويٌّ كدويّ النحل ما بين راكع وساجد وتالٍ للقرآن وداعٍ لله سبحانه وتعالى.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٣٢٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص٣٦٧.

وحتى في اللحظات الصعبة والحرجة كان لسان الحسين عليه السلام يلهج بذكر الله، وقلبه متصلٌ بالله تعالى. في صبيحة اليوم العاشر من المحرم دعا عليه السلام بهذا الدعاء الذي تنقله كتب السيرة: «اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدّة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت [فيه] العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمّن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة»[1].

وحينما يقع عليه السلام صريعًا على الأرض، ويستقبل الموت بعد أن أصابته سهام القوم وسيوفهم، ونالت من جسده الشريف ما نالت، فإنه لا ينشغل بنفسه، ولا تسيطر عليه آلام جسمه، وإنما يتجه إلى الله تعالى: «صبرًا على قضائك يا ربّ! لا إله سواك، يا غياث المستغيثين، ما لي ربٌّ سواك، ولا معبود غيرك، صبرًا على حكمك يا غياث من لا غياث له، يا دائمًا لا نفاد له، يا محيي الموتى، يا قائمًا على كل نفس بما كسبت، احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين»[2].

علينا أن نأخذ هذه الدروس من أبي عبدالله الحسين عليه السلام ومن حركته، بأن نتمسك بالقيم والمبادئ، وأن نحرص على اتصالنا بالله سبحانه وتعالى، في كل خطوة نخطوها، وفي كل حركة نتحركها. إن بإمكان المؤمن أن يجعل نومه عبادة، وأكله وشربه كذلك، إذا توجه لله سبحانه وتعالى، فضلًا عن سائر أعماله وأنشطته كما يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٢].

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ص ٦١٥.

غزة انتصار يغيّر المعادلات

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّـهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[سورة التوبة، الآية: ١٤].

الأصل في الإسلام هو السلم والسلام، أما القتال وسفك الدماء فهو شيء بغيض عند الله سبحانه وتعالى. لذلك فإن الله تعالى يأمر المسلمين بأن ينضووا تحت شعار السلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٠٨]، وإذا كان هناك مخالف لكم في الدين لكنه لا يقاتلكم فلا شأن لكم به: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّـهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾[سورة النساء، الآية: ٩٠]. إنما يحق للمؤمنين بل يجب عليهم أن يقاتلوا المعتدين: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّـهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٩٠].

أمام أيّ عدوان يجب أن يكون هناك ردع ومقاومة. قد يتصور البعض أن الله هو المتكفل بردّ عدوان الأعداء، لكن هذا ما ينفيه القرآن الكريم؛ لأن ردّ العدوان يجب أن يكون بأيدي المعتدى عليهم ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّـهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٤]، وليس بتدخل الملائكة والغيب نيابة عنهم، وانطلاقًا من هذا المبدأ كان رسول الله ﷺ والمسلمون يجاهدون الأعداء ويقاومونهم.

ما أشدّ انطباق هذه الآية الكريمة على إخواننا الفلسطينيين في غزة. الذين عانوا من الصهاينة خلال أكثر من ستة عقود من الزمن، وما كان لهم أن يضعوا حدًّا لهذا

العدوان إلا بالمقاومة والردع: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّـهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٤]. انتظر الفلسطينيون أن يستفيدوا من المجتمع الدولي بأن يضغط على الإسرائيليين، انتظروا أن يستفيدوا من التفاوض والمحاورات السلمية، ولكن ثبت لهم وللجميع أن ذلك غير مجدٍ، لماذا؟

لأن وجود الكيان الصهيوني في فلسطين إنما تمّ بإرادة دولية، من وعد بلفور من قبل بريطانيا، إلى تنفيذ هذا الوعد، وتسهيل تنفيذه أيام الانتداب البريطاني على الفلسطينيين. البريطانيون هم الذين سهّلوا لفلول الصهاينة أن يأتوا من مختلف أنحاء العالم، وهم الذين أعطوهم الفرصة لكي يكون وجودهم هو الوجود الأقوى في فلسطين، وأن يبقى الفلسطينيون تحت سيطرتهم، حتى إذا ما ظهرت القوة الأمريكية على العالم، احتضنت الإدارة الأمريكية هذا الوعد وهذا التوجه، وبدؤوا يقوون هذا الكيان بكل ما يستطيعون ويتمكنون. دعموهم بأحدث الصناعات والاكتشافات الحربية والعسكرية، ووفروا أموالًا طائلة تحت تصرفهم، بالإضافة إلى الدعم المعنوي والغطاء السياسي.

هذا كلّه جعل إسرائيل تسرف في القتل والعدوان. والإدارة الأمريكية بكل وقاحة تعلن التزامها أمن إسرائيل، وتدعم حقّ إسرائيل في الدفاع عن نفسها! لأنها تريد بقاء هذا الكيان حتى تكبح به نمو كيان الأمة الإسلامية والعربية، إضافة إلى أنهم يريدون أن يكون لهم رأس حربة ليسهل عليهم الهيمنة على هذه المنطقة والأمة.

لقد أوهموا العالم بأن إسرائيل قوة لا تقهر، وألّا جدوى من المقاومة، وروجوا أن إرادة العالم ترفض إلغاء إسرائيل، ولا تستطيع المقاومة محاربة العالم كله. وقد عملت حكومات الدول العربية والإسلامية على هذا الأساس. حتى استيراد الأسلحة من قبل العرب من أمريكا مشروط بأن يكون في حدود معينة بحيث لا يؤثر على التفوق العسكري لإسرائيل. وهم إنما يبيعون هذه الأسلحة للدول العربية والإسلامية للاستفادة من أموالهم الطائلة، ودعم اقتصاد أمريكا والغرب، وإلا فهم يعلمون أنهم

لن يستخدموا هذا السلاح في وجه إسرائيل.

تغير المعادلة:

استمرّ الحال على هذا الوضع، وقَبِلَ قِسْمٌ من الفلسطينيين بهذه المعادلة، لكن انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وبروز المقاومة في لبنان، ونمو الوعي عند أبناء الأمة في كل مكان، كمصر وتونس ومختلف الأماكن غيّر المعادلة. أيقن الفلسطينيون في غزة أنه لا خيار أمامهم إلا مقاومة الاحتلال، وهم يعلمون فرق القوة من حيث العدد والعدة والتسليح والتمويل، وأن إرادة العالم ضدهم، وأن العرب الذين حولهم يتآمرون عليهم. حينما قرروا وأرادوا وبدؤوا المقاومة تجلّى لهم الوعد الإلهي، وحققوا نصرًا. هذا الانتصار الذي أحرزه الفلسطينيون لا يعني أنهم حرروا فلسطين، فهي لا تزال تحت الاحتلال، وما أوقعه عليهم العدو خلال الأيام الثمانية من قصف وتدمير ورعب، ليس بهيّن، لكنه انتصار بمعنى تغيير المعادلة، وإثبات حقيقة أخرى غير التي يروج لها، وهي أن مقاومة إسرائيل أمر ممكن، وأن الصمود أمام العدوان أمر ممكن. صحيح أنه سالت دماء، لكنه الدم الذي ينتصر على السيف، واضطرت أمريكا والغرب أن يبذلوا جهودًا كبيرة للقبول بوقف إطلاق النار، ورأت إسرائيل نفسها مضطرة لذلك حينما وجدت صورايخ المقاومة تدكّ عروشها، وألّا أمان لهم وهم يحتلون هذه الأرض ويضطهدون أهلها. وهذا سيكون له تأثير كبير مهم:

المقاومة الفلسطينية وبشائر التحرير:

أولًا: داخل الشعب الفلسطيني. حيث تتعزز إرادة المقاومة في فلسطين حتى وسط الضفة الغربية، ووسط أتباع السلطة الذين سادهم تفكير آخر غير تفكير المقاومة. كل الفلسطينيين الآن رأوا كيف أن للمقاومة دورًا في زعزعة قوة إسرائيل، وبالتالي سيطورون قدرتهم في إنتاج السلاح والصواريخ، وكيفية تداولها وتهريبها.

ثانيًا: وسط الأمة العربية. سوف يتقوّى خيار المقاومة أيضًا، وسيخجل الذين كانوا يعارضون المقاومة ـ إذا تبقت في وجوههم قطرات من الحياء ـ وكما يقول الشاعر: من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلامُ. لكن إذا كانت هناك قطرات من الحياء في وجوه هؤلاء الساسة في العالم العربي، فإنه يُتأمل منهم أن يغيّروا موقفهم، ويعلنوا دعم المقاومة، ويوصلوا السلاح للمقاومة، فهم لا يحتاجون للأدوية والإسعافات فقط، بقدر ما يحتاجون للسلاح. السلاح الذي تسعى إسرائيل لمنعه عن غزة.

ثالثًا: السياسة المحلية. نعتقد وخاصة بعد ثورات الربيع العربي أن السياسة في المنطقة العربية ستكون أكثر جرأة ولو بدرجةٍ ما.

رابعًا: السياسة العالمية. الإدارة الأمريكية والغربية تعيشان المعاناة مع ضغط اللوبي الصهيوني داخل أمريكا، والتوجهات من قبل الصقور داخل هذه الإدارات لحماية إسرائيل، ولكن شيئًا فشيئًا ستضعف هذه الحالة، وستتغير المعادلة والمواقف، وقد أصبح هناك نوع من التغير، وإن كان لا يعلن بصراحة، لكن الأمريكيين والغربيين يتحدثون مع بعضهم أنه ليس من مصلحة إسرائيل أن تشنّ هجومًا على غزة، كما صرح بذلك رئيس وزراء بريطانيا.

خامسًا: الوسط الإسرائيلي. حيث أثبتت الأحداث أن الإسرائيلي لا يمتلك في داخله معنويات رفيعة، إنه يمتلك سلاحًا وقوة وقدرة، لكنها لا تنعكس على معنوياته. وهذا أمر طبيعي، فهم يعرفون أنفسهم ظالمين معتدين، وأنهم جاؤوا من آخر الدنيا ليطردوا الفلسطينيين من وطنهم وأراضيهم، يشعرون بهذا في أنفسهم، فنفوسهم ضعيفة، لكنهم يعربدون ويستقوون؛ لأن الساحة مفتوحة لهم. ستزداد هذه المعنويات في الانخفاض، وسيسيطر الرعب عليهم، وستشهد الأمة في المستقبل القريب تحولات وانتصارات قريبة إن شاء الله.

نبارك للشعب الفلسطيني هذا الانتصار، ونسأل الله تعالى أن يرحم الشهداء، ويشفي المرضى، ويجزي الخير لكل من دعم هذه المقاومة، ونأمل أن يتغير واقع الأمة ونرى فلسطين محررة في عصرنا إن شاء الله.

الخطبة الأولى

المنزل وأجواء التربية الصالحة

﴿وَاللَّـهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[سورة النحل، الآية: ٨٠]

تتمثل وظيفة المنزل بالنسبة للإنسان في أمرين أساسيين؛ توفير الراحة الجسدية، إضافة إلى الراحة النفسية، وهي الأهم. ذلك أن المنزل ليس مجرّد مساحة لراحة الجسم وحسب، وإن كانت تلك إحدى وظائفه، بالنظر إلى حاجة الإنسان إلى التمتع بالخصوصية والراحة بعد العناء والتعب في البحث عن الرزق. غير أنه بالإضافة إلى ذلك يمثل سكنًا لنفس الإنسان، حيث يشعر الفرد داخل بيته بالأمن والاستقرار، وهو بين أفراد عائلته التي تبادله العطف والحنان. إنّ من المؤسف جدًّا أن تتحول بعض المنازل إلى أماكن للراحة الجسمية وحسب، على غرار الفنادق، في انتقاص بالغ لدور المنزل والعائلة في حياة الفرد. بينما ينبغي أن تتوفر في المنزل أجواء الراحة النفسية أولًا، وليس الراحة الجسمية فقط، وذلك حتى يجد الإنسان في بيته مأوى نفسيًّا بالدرجة الأساس، وليس مساحة مادية للراحة فقط.

وقد أشارت النصوص الدينية الى أهمية الجانب المادي في المنزل ودوره في حياة الأفراد. فقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «من السعادة سعة المنزل»[1]، ومضمون ذلك أن من سعادة المرء أن يتوفر له المنزل الواسع بالقدر الذي يتناسب مع وضعه العائلي والاجتماعي. وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله في شأن نظافة المنزل أنه

(١) الكافي، ج ٦، ص٥٢٥، حديث ١.

قال: «لا تبيتوا القمامة في بيوتكم وأخرجوها نهارًا فإنها مقعد الشيطان»[1]، وليس جديدًا القول إنّ النظافة عامل أساس ومؤثّر جذري في حياة الفرد والعائلة، بحيث لا ينبغي أن تترك القمامة داخل المنزل لما فيها من أضرار على الصحة، وإنما جاء التعبير النبوي بلفظ الشيطان لما في ذلك من درجة بالغة من السوء.

إشباع العواطف:

غير أن الأهمّ مما سبق، هو ما تناولته النصوص الدينية من الدور النفسي المحوري للمنزل في حياة الأفراد والعائلة. فقد ورد في هذا السياق ثلاث طوائف من النصوص جلّها يصب في أهمية جعل المنزل منبعًا للحنان ومكانًا للاستقرار العاطفي والنفسي والروحي. وليس هناك أكثر مثالية من أن يؤوب الرجل إلى منزله بعد عناء العمل، ليجد أمامه متّسعًا للراحة النفسية التي تغمره وهو بين زوجته وأبنائه، والحال نفسه مع الزوجة والأبناء، فجميع أفراد الأسرة معنيون بتوفير أجواء العطف والمحبة والراحة النفسية في المنزل. إن الانسان المنشغل بتوفير الاحتياجات المادية للعائلة، ينبغي أن يفكر بموازاة ذلك في توفير ما يضفي البهجة والراحة النفسية ويسر قلوب أفراد العائلة، وينبغي أن يعلم الآباء أن توفير الطاقة العاطفية في العائلة، يضاهي في أهميته توفير الطاقة الكهربائية وسائر الخدمات الأخرى في المنزل. ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله بأهلِ بيت خيرًا أدخل عليهم بابًا من الرفق»[2]، ومعنى ذلك أن يكون جميع أفراد العائلة رفقًاء ببعضهم، يظهرون المحبة لبعضهم بعضًا، ويدخلون البهجة على قلوب بعضهم بعضًا.

إنّ من المؤسف أن يتحول المنزل إلى عامل انزعاج في حياة الأفراد، فينصرفون إلى البحث عن الراحة خارجه. وذلك نتيجة اضطراب العلاقة بين أفراد العائلة، فلا

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٥، ص٣١٨، حديث ٢.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ج٣، ص٥٣، حديث ٥٤٥٦.

يعود الفرد يشعر بالراحة في المنزل، بل الأنكأ عندما لا يذوق الفرد طعم الراحة إلا خارج البيت!. عندما يفتش الرجل عن الراحة مع أصدقائه، أو المرأة مع رفيقاتها، والحال نفسه مع الأبناء، فإنه مؤشّر على وجود خلل في شبكة العلاقة داخل الأسرة، بحيث انعدمت هنالك الراحة النفسية، وتلاشى الإغداق العاطفي بين أفراد العائلة.

الأجواء الروحية في المنزل:

لا بُدّ من القول أيضًا، أن الآباء مطالبون بإشباع الجانب الروحي في المنزل. وهنالك نصوص دينية عديدة تؤكّد هذا الجانب، ومن ذلك ما ورد عن استحباب أن يتخذ المرء لنفسه في منزله مصلى يؤدي فيه الصلاة النافلة ـ على اعتبار أفضلية الصلاة الواجبة في المسجد ـ ليتسالم جميع أفراد العائلة على اعتبار تلك الزاوية من المنزل مصلّى ومكانًا للعبادة، وليكون عندها ذلك المصلى جزءًا أساسيًّا من تصميم المنزل، فذلك ما يترك خلفه أثرًا تربويًّا روحيًّا على الجميع. ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «كان عليّ قد اتخذ بيتًا في داره، ليس بالكبير ولا بالصغير، فكان إذا أراد أن يصلي من آخر الليل، يذهب إلى ذلك البيت فيصلي»[1]، وقد كتب الإمام الصادق عليه السلام إلى أحد أصحابه: «إني أحبّ لك أن تتخذ في دارك مسجدًا في بعض بيوتك»[2].

وقد وردت تعاليم دينية كثيرة حول أهمية ذكر الله تعالى في المنزل. إنّ من الخطأ الاعتقاد بأن مكان العبادة هو المسجد فقط، وأن المنزل مجرّد مكان مخصص للأكل والنوم!، والصحيح أن ربّ العائلة مطالب بتوفير أجواء الذكر في منزله لينعم الجميع بالأجواء التي فيها ذكر الله تعالى. وجاء في هذا الصدد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحيّ والميت»[3]، وتلك

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٢٩٥، حديث ٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٤٤، حديث ٣٢.
(٣) صحيح مسلم، ص٣٩٣، حديث ٢١١.

مقارنة نبوية لافتة، بأن يفرق بين البيت الذي يذكر فيه اسم الله والآخر الذي لا يذكر فيه اسمه تعالى بالفرق بين الموت والحياة!. ويجري الحال نفسه مع تلاوة القرآن الكريم في المنزل، فما أروع أن يكون للأبوين برنامج لقراءة القرآن الكريم في المنزل، على مسمع من أفراد العائلة، فيتعود الجميع ذلك، حتى تصبح تلاوة القرآن جزءًا من حياتهم. وقد لفت نظري عند سؤال بعض الأصدقاء عن تلاوتهم القرآن الكريم في منازلهم، ليظهر أنهم لم يعتادوا على ذلك، وإنما يكتفون بتلاوة القرآن في المسجد باستثناء التلاوة في شهر رمضان المبارك. والحال أن المرء مدعو لأن يضع لنفسه برنامجًا يوميًّا، لتلاوة القرآن على مسمع ومرأى من أفراد أسرته. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن (...)، فإن البيت إذا كثرت فيه تلاوة القرآن كثر خيره واتّسع أهله وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا»[١]، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «البيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله فيه، تقلّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين»[٢].

التأهيل الاجتماعي:

أما الجانب الأخير فهو أن يصبح المنزل مكانًا للتأهيل الاجتماعي لأفراد العائلة. وذلك بأن يتعلم الأبناء أفضل السبل في التعامل مع محيطهم الاجتماعي، فلا تكون الأسرة منعزلة عن الناس، وإنما تكون السمة الأساس لدى أفراد العائلة هي التواصل الاجتماعي مع الأقرباء والأرحام والجيران وسائر أبناء المجتمع. إنّ انعدام التداخل مع الناس لا يساهم في تنمية الحسّ الاجتماعي لدى أفراد العائلة. من هنا نفهم الوصايا الدينية التي تشدّد على استقبال الضيوف في المنزل، من الجيران والأقرباء وسائر أبناء

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٠٠، حديث ٤.

(٢) بحار الأنوار، ج٩٠، ص١٦١.

المجتمع، ذلك ليتعزز الحسّ الاجتماعي عند أفراد الأسرة ويكون في أحسن حالاته. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «الضيف ينزل برزقه ويرتحل بذنوب أهل البيت»[١]، وقد كان معروفًا في السابق أن الضيف يقيم في منزل مضيفيه ليوم أو اثنين أو ثلاثة، وذلك لطبيعة الظروف في ذلك الوقت مع انعدام الفنادق، على خلاف ما هو قائم اليوم، حيث بات الضيف يأتي لوقت قصير جدًّا ويغادر سريعًا. وجاء عنه ﷺ أنه قال: «كلّ بيت لا يدخل فيه ضيف لا تدخله الملائكة»[٢]، ذلك أنّ مجيء الضيوف إلى المنزل، يعود بتأثير كبير على سائر أفراد الأسرة. وروي في السياق أن أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام رؤي ذات يوم حزينًا، فقيل له: مِمَّ حزنك؟ قال عليه السلام: «لسبع أتت لم يضف إلينا ضيف»[٣]. أي إنّ مجرد انقطاع الضيوف عن المجيء لأسبوع واحد لمنزله كان مدعاة لحزنه عليه السلام. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من آتاه الله مالًا فليصل به القرابة، وليحسن منه الضيافة»[٤].

من هنا ينبغي أن نجعل من منازلنا مأوى للعاطفة، وتربية الأحاسيس والمشاعر الخيّرة، إضافة إلى تعزيز حسّ التواصل الاجتماعي بين أفراد العائلة وبينها وبين المجتمع. فهذه الأمور بمجملها هي التي تساعد في بثّ الحياة في المنزل والنأي به عن أن يكون مجرّد مساحة للراحة الجسمية وحسب.

---

(١) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج٢، ص١١٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) بحار الأنوار، ج٤١، ص٢٨.
(٤) نهج البلاغة، خطبة ١٤٢.

الخطبة الثانية

إحياء عاشوراء عطاء يتجدد

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة الهود، الآية: ٤٩].

يواجه الأنبياء والمصلحون في حياتهم الكثير من المحن والشدائد، وفي بعض الأحيان قد يبدو الأفق مسدودًا أمام دعواتهم، حيث يتكالب عليهم الأعداء ويخذلهم القريبون، فيبدو وكأن الدعوة لا أفق لها، وأن الرسالة ستنتهي دون نجاح، لكن الله سبحانه يثبّت أنبياءه وأولياءه بأن المحن والشدائد ما هي إلا طريق لا بُدّ للرسالات والدعوات الإصلاحية أن تشقّه، أما النتيجة فهي انتصار دعوات الإصلاح على المدى الطويل.

قد تكون المسألة مسألة زمن وتحمّل للشدائد والمحن. حيث يمتحن الله أولياءه ليظهر معادنهم، ولكي تتبين سماتهم، ويكونوا نماذج وقدوات لمن خلفهم، ممن يسيرون في طريق الخير والصلاح.

وحينما نجد أن الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى لا تتحقق لهم الانتصارات سريعًا بل تنصبّ عليهم أمواج البلاء والمحن، فإنه يتوجب على من يسير على طريق الإصلاح ألّا يتوقع سرعة النجاح والانتصار. وهذا ما يعطي للإنسان وعيًا بأن الرسالة والإصلاح طريق تزدحم فيه المكاره كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «حفّت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»[1]، وعن الإمام الصادق ﵇: قال: «الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة وجهنم محفوفة

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث٢٨٢٢.

باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار»[١]. طريق الإصلاح وهو طريق للجنة فيه من الصعوبات ما فيه، وللحصول على النتائج المرضية، لا بُدّ من الصبر والتحمّل، كما يخاطب الله تعالى نبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة الهود، الآية: ٤٩]، ليس في الآخرة فقط، وإنما في الدنيا كذلك تكون العاقبة للمصلحين.

عاشوراء أنموذج النصر المستقبلي:

عشنا هذه الأيام موسم إحياء ذكرى أبي عبدالله الحسين عليه السلام. من كان يتصور حين ذاك في يوم عاشوراء، وبُعَيْدَ عاشوراء، أن الإمام الذي اجتمع القوم عليه وعلى عائلته، فذبحوه وأهله وأنصاره، وسبوا عياله وحرمه، وحرقوا خيمه، وجالوا بعائلته في البلدان، وأظهروا الشماتة بهم، من كان يتصور أن هذه الحركة والنهضة ستخلّد وتكون لها هذه الآثار العظيمة؟! لعلَّ كثيرين آنذاك كانوا يرون أنها حركة عقيمة حيث كانت سيطرة الأمويين على كل شيء، لكن الله تعالى يَعِدُ، ووعده الحقّ: ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة الهود، الآية: ٤٩]. وللإمام الحسين عليه السلام كلمة يذكرها أرباب السير والتاريخ أنه خاطب قومه حينما حمل على القوم يوم عاشوراء قائلًا: «صبرًا يا بني عمومتي، صبرًا يا أهل بيتي، لا رأيتم هوانًا بعد هذا اليوم أبدًا»[٢]. هذه المحن التي تواجهكم اليوم ستعقبها كرامات وانتصارات، وهذا ما نراه فعلًا، فأين بنو أمية الآن؟ أين من كان ظاهر النصر لهم؟ الآن كما قالت العقيلة زينب عليها السلام: «فانظر لمن الفلج يومئذٍ»[٣]. زينب عليها السلام تتوعد يزيد بأن زهوك بالنصر الظاهري لن يدوم، إنما النصر والفلاح لنا يوم غد.

حينما يحتفي العالم سنة بعد أخرى بعاشوراء، وفي كلّ عام تجد الرقعة تزداد زمنًا ومكانًا وعددًا، أليس هذا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة الهود، الآية: ٤٩]؟

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٢، ص٨٩، حديث٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص٣٦.

(٣) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١١٦.

وبحمد لله فقد أحيا الناس في بلادنا هذا الموسم على خير وجه، المواكب الكبيرة والمتعددة، والتنظيم المتميز لها، وما فيها من بذل وإطعام، والوعي الذي ساد المجتمع، والنشاط الفني المتنوع، هذه الصورة الرائعة التي عشناها أيام عاشوراء هي من ثمار وبركات دماء أبي عبدالله الحسين ﵇، ومن بركات صمود أبائنا وأجدادنا على إحياء هذه الذكرى حيث دفعوا الأثمان البالغة، وما زال المؤمنون يدفعون الأثمان لحفظ ذكرى هذه النهضة المباركة، حيث نسمع عمّا يواجهه الشيعة في باكستان من تفجير مواكبهم العزائية، وكذلك في العراق حيث زوار سيد الشهداء ﵇، لكن هذه الأثمان يدفعها المؤمنون بطيب نفس؛ لأنهم يقصدون وجه الله، ولأنهم يحققون وعدًا إلهيًّا في إظهار رسالة أبي عبدالله الحسين ﵇.

ومن الجميل أننا أصبحنا نجد تجاوبًا وتفهمًا يزداد سنة بعد أخرى من مختلف المجتمعات. فكثير من الناس من خارج أتباع أهل البيت كانوا لا يتفهمون إحياء هذه المناسبة، ويضعون كثيرًا من علامات الاستفهام حولها، ولكن الآن ومع الانفتاح والتواصل العالمي أصبح هناك تفهّم أكبر. في بلادنا بدأنا نسمع أصواتًا واعية جريئة تبدي تفهمها لإحياء هذه المناسبة. في الماضي كانت الصورة مشوشة مشوهة حتى من كان له وجهة نظر إيجابية قد لا يكون قادرًا على إبدائها، ولكننا وجدنا في هذا العام وبعض الأعوام السابقة تغطية بعض الصحف المحلية للمناسبة. ويفترض أن هذا الحراك الحسيني الشعبي يحظى بتغطية كاملة. فإذا كانت وسائل الإعلام تغطي المباريات أو سباق الهجن أو العرضة النجدية مثلًا، فلماذا لا تهتم بالتغطية الإعلامية لموسم عاشوراء وتفاعل الناس معه؟ إنه نشاط ذو بُعْدٍ ديني ثقافي اجتماعي، وهو نشاط ينجز بأعلى درجات الإتقان من حيث النظام والهدوء. الناس يجتمعون ألوفاً في بعض الأماكن، ثم يتفرقون بهدوء وانتظام. هذا يدلّ على روح راقية، وتربية سليمة، واحترام لأجواء هذه المناسبة عند هؤلاء الناس. أفلا تستحق أن تغطّى إعلاميًا كما يغطى أيّ نشاط شعبي؟ نعلم أنه ما تزال هناك عوائق، لكنا نأمل أن التغطيات الإعلامية

التي أجرتها بعض الصحف المحلية لهذا الموسم تشكل بداية طيبة.

مبادرات تستحق الإشادة:

كما أنه لا بُدّ لنا من أن نشير إلى بعض الكتاب من إخواننا أهل السنة الذين كتبوا كتابات جيّدة ونشروها في الصحف، والذين تضامنوا مع بعضنا بالاتصال، وأبدوا ارتياحهم وإعجابهم. وكثير منهم حينما يلتقون إخوانهم الشيعة يعزّونهم ويعظمون لهم الأجر، ويبدون تفهمًا لهذه المناسبة، وهذا أمر طيب ينبغي أن نشيد به وأن نشكر هذه المشاعر والعواطف الطيبة، وأن نتحمل مسؤوليتنا في تنمية هذه الحالة، وذلك بأن يكون الإحياء بطريقة مشرقة زاهية لا يترك مأخذًا عند الآخرين. بعض الناس يمتلكهم الحماس ويريدون أن يتصرفوا كيفما شاؤوا، ولا يهمّهم ما يقول الآخرون عنهم، وهذا خطأ، فالأئمة يقولون: «كونوا لنا زينًا، ولا تكونوا علينا شينًا»[(١)].

عليك أن تحسب حسابًا لنظرة الآخرين إليك، فكلما كانت نظرتهم إليك أفضل كان ذلك لصالح دينك ومجتمعك. هذا أمر ينبغي أن نأخذه في الاعتبار عند إقامة شعائرنا، وليست المسألة في أن نتنازل أو أن نترك شيئًا مما نعتقد أنه صحيح وسليم، أنت تعيش في محيط تريد أن يكون لك سمعة حسنة فيه، كما ورد: «رحم الله امرءً جَبّ الغيبة عن نفسه»[(٢)]، «رحم الله من استجرّ مودة الناس إلى نفسه وإلينا»[(٣)]، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام. يجب أن نأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار حتى ندخل السرور على أهل البيت عليهم السلام، والأهمّ من ذلك أن نجد انعكاسات هذه الأمور على نفوسنا وأخلاقنا، وأن نكون في كلّ عام أقرب للتماسك فيما بيننا.

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٨ ص٣١٠.

(٢) محمد رضا المظفر، المنطق، ص ٣٤٧.

(٣) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج١٤ ص٥٣٥.

الخطبة الأولى

الفطرة والوجدان يميزان الخير من الشّر

ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئًا، فإن صغيره كبير، وقليله كثير، ولا يقولنّ أحدكم إن أحدًا أولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك. إن للخير والشر أهلًا فما تركتموه منهما كفاكموه أهله»[1].

أعمال الإنسان في هذه الحياة بين لونين لا ثالث لهما: إما أن تكون ضمن قائمة الشر، أو قائمة الخير. وكل ما فيه منفعة للإنسان أو للآخرين فهو خير، وما يضرّه أو يضرّ الآخرين فهو شرّ. ومن فطرة الإنسان وعقله اللذين أودعهما الله تعالى فيه يستطيع أن يدرك ويميز بين الخير والشّر، يقول تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[سورة البلد، الآية: ١٠]، والنجدان كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «نجد الخير، ونجد الشّر»[2]. ويقول تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[سورة الشمس، الآيتان: ٧و٨]. هذه القدرة على التمييز بين الخير والشّر من أعظم الأمور التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، لذلك ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من لم يعرف الخير من الشّر فهو بمنزلة البهيمة»[3]. وكلما كانت فطرة الإنسان نقية سليمة كان أقدر على التمييز، وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الخير

---

(١) نهج البلاغة، حكمه ٤٢٢.

(٢) بحار الأنوار، ج٥، ص١٩٦.

(٣) الكافي، ج ٨، ص٢٤.

طمأنينة وإن الشّر ريبة»[١].

دور الوحي:

لأن الإنسان قد يغفل في بعض الأحيان، أو تلتبس عليه الأمور، أو تكون على عينه غشاوة، كان من لطف الله تعالى أن أنزل الوحي وبعث الرسل لهداية الإنسان، ولتشجيعه على فعل الخير. الإنسان ليس بحاجة أن يدرس أن الظلم شرّ والعدل خير مثلًا. إنه أمر يدركه بفطرته ووجدانه وعقله، لكنه ربما تغافل أو تناسى، فيحتاج إلى من يذكره ويرشده، وهذا هو دور الوحي. لذلك فإن القرآن الكريم يذّكر بفعل الخير ويشجّع عليه: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[سورة الحج، الآية: ٧٧]. تشجيع وحضّ على فعل الخير دائمًا أبدًا، فالخير ليس له وقت معيّن، ورد عن رسول الله ﷺ: «افعلوا الخير دهركم»[٢]، أي طول حياتكم، وعنه ﷺ: «تكلفوا فعل الخير وجاهدوا نفوسكم عليه»[٣]. وإن لم يكن بمقدورك القيام بعمل الخير، فحثّ غيرك وأعنه عليه، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا رأيتم خيرًا فأعينوا عليه»[٤].

الخير في التفاصيل والجزئيات:

قد يتصور البعض أن عمل الخير يكون في الأمور الكبيرة والبارزة كبناء مسجد أو حسينية أو المساهمة فيهما، ويتغافل عمّا يعتبره أمورًا ليست ذات قيمة في الخير، كتنظيف البيت أو المساعدة في ذلك مع الزوجة والعيال.

أو إزالة القاذورات التي في الطريق والحجارة التي تؤذي المارة. ورد عن رسول الله ﷺ: «إماطتك الأذى عن الطريق صدقة»[٥].

---

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج٢، ص١٣.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني، ج ١، ص٢٥٠، حديث ٧٢٠.

(٣) الخير والبركة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ص٦٠ عن: تنبيه الخواطر: ٢/ ١٢٠.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.

(٥) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص١٨٢، حديث ٣٠.

هكذا يربي الدين أتباعه على فعل الخير حتى في الجزئيات الصغيرة، بل على الإنسان أن يعود نفسه عليها؛ لأنها هي التي تهيئه للمبادرة لعمل ما هو أكبر من أعمال الخير. وهذا ما تؤكّده النّصوص، كما ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئًا، فإن صغيره كبير وقليله كثير».

المبادرة لفعل الخير وعدم التواكل فيه:

نعمة من الله تعالى أن يُعرض عليك فعل الخير، فلا تترد في عمله ما دمت قادرًا عليه، ولا توكله لغيرك فتخسر هذه النعمة. البعض حينما يُعرض عليه عمل خيري يقول: تركتم أهل المال والجاه وجئتم لي؟! يقول علي عليه السلام: «ولا يقولنّ أحدكم إن أحدًا أولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك. إن للخير والشر أهلًا فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله». قد يلحظ بعض الآباء هذه الحالة حينما يطلبون من أبنائهم شيئًا، تجد من طُلب منه الأمر، يُحيل أباه على أخيه، والأخ على الآخر وهكذا. إن هذا خير فلماذا تعطيه لغيرك وأنت محتاج إليه، وتفوّت فرصة ثمينة على نفسك؟ لو أعطتك الدولة مثلًا أرضًا كمنحة، فهل ستقول لهم: فلان أحقّ منّي وأحوج فهبوها له؟ أنت تنتظر هذه الفرصة ولن تضيعها.

أعمال الخير هي أهمّ وأكبر لكن أكثر الناس لا يعلمون. سوف يأتي يوم أنت أحوج ما تكون فيه إلى قيمة هذا العمل الخيري. في الآخرة، كما ينقل بعض العرفاء، يأتي الإنسان يوم القيامة ويرى شخصًا يعرفه، ينعم بقصرٍ كبير، فتصيبه الحسرة، ويتمنى أن عنده قصرًا مثله، فيسأل: من أين له هذا؟ فيقال له: هذا من عمل الخير الذي دعيت له فحولته عليه، قام به وحصل على هذا القصر. وهنا تكون الندامة.

من فطرة الإنسان قدرته على التمييز بين الخير والشّر، لكن عليه أن يربي نفسه ويعودها حبّ الخير، واجتناب الشر. وأن يكون مبادرًا لفعل الخير، وأن يعطي نفسه أولوية لفعله لا أن يوكله لغيره وهو قادر عليه.

الخطبة الثانية

الصراعات السياسية بين العصبيات والتعقل

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «لا يعرف الرأي إلا عند الغضب»[1].

يحتاج الإنسان للرجوع إلى عقله في إدارة شؤون حياته، سيما في إدارة حالات الخلاف والنزاع التي قد يواجهها مع المحيطين له من قريب أو بعيد. طبيعة الحياة البشرية أنها تفرز شيئًا من الخلافات بين الناس، كاختلاف الآراء، وتضارب المصالح. لهذا نحن بحاجة إلى أن نبحث عن الطريق الأنسب لإدارة خلافاتنا، فإدارة الخلافات لها مرجعيتان:

أولًا: مرجعية العاطفة. وهي أن يعود الإنسان إلى غرائزه ومشاعره مع أي شخص يختلف معه، وهنا تكون الانفعالات هي سيدة الموقف.

ثانيًا: مرجعية العقل. وهي أن يرجع الإنسان لاستشارة عقله في فكّ النزاعات وإدارتها.

فأيّ المرجعيتين أفضل؟

النصوص الدينية توجّه الإنسان للعودة إلى عقله متى ما وقع في خلاف ونزاع مع آخرين، وألّا يلجأ لعواطفه ومشاعره في إدارة هذه المشكلة. لأن العواطف في مثل هذه الظروف تقود للانفعالات، ومن طبيعة الانفعالات أنها تحجب نور العقل،

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسن عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، ص٣٣٦.

وتعطّل دوره، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «الغضب يفسد الألباب ويبعد من الصواب»[١]. ومتى ما عطّل الإنسان عقله وقع في فخّ تعقيد المشكلة وتفاقمها بدل حلّها وتذليلها؛ لأن الانفعال يدفع لأقوال وتصرفات في غير محلّها، فتكون سببًا في تصعيد المشكلة. ورد عن علي عليه السلام: «الغضب يثير كوامن الحقد»[٢]. وعنه عليه السلام: «الغضب شرٌّ إن أطلقته دمّر»[٣].

ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا عليّ، لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكر»[٤]. وهنا يأتي النص الذي ورد عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «لا يُعرف الرأي إلا عند الغضب». أي إنّ التجلّي الأبرز للعقل هو في حالة الغضب والنزاع. هل إذا وقع بينك وبين آخر نزاع ستفكر أم تلجأ لعواطفك؟ عدم التفكير صفة الجهال الذين يتسرّعون في أحكامهم وقراراتهم ويقومون بتصرفات انفعالية غير مدروسة، لذلك ورد عن علي عليه السلام: «من طبائع الجهال التسرّع إلى الغضب في كلّ حال»[٥]. يغضب الإنسان من طفله فيسرع إلى عقابه قبل أن يفكر في السبب الذي دفع الطفل لفعله وكيف يمكن علاجه، وهكذا الحال مع بقية من حوله، بينما مرجعية العقل هي التي تقوده إلى الطريق الأصحّ والأسلم لإدارة نزاعاته مع الآخرين، وتفهم الأمر الذي قد يزعجه.

كيف ندير خلافاتنا الاجتماعية؟

هذا على الصعيد الفردي، فما هو حال الصعيد الاجتماعي؟ بعض المجتمعات

---

(١) عبدالواحد بن محمد التميمي الآمدي. غرر الحكم ودرر الكلم، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، (بيروت: دار الهادي)، ص٥١، حكمة ١٥٤٤.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٦٨.

(٣) نفس المصدر، ص٤٦.

(٤) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص١٤.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٧٤، حكمة ١٢٤.

تدير صراعاتها بشكل منظم، بمرجعية العقل، وبعضها تسيطر عليها الانفعالات والعواطف. نرى كيف أن المجتمعات المتقدمة لديهم نزاعات اقتصادية وفكرية وسياسية وغيرها، لكنهم يعرفون كيف ينظمون أمورهم إذا اختلفوا، فيرجعون للقانون والنظام، حيث قادتهم عقولهم إلى وضعها. لكن مجتمعاتنا ـ مع الأسف ـ ما تزال بعد على الحالة السابقة، حيث تسود الانفعالات في كل نزاع، والأخبار التي نشاهدها ونسمعها كل يوم من قتل ونزاع على أتفه الأمور شاهدة على ذلك.

بينما تسمع أخبار الدول المتقدمة كأوروبا وأمريكا واليابان يتحدثون عن اكتشافات جديدة، وتجارب ناجحة وقوانين معينة، وتعاون على خدمة المصالح، وكأنه ليس لديهم أو بينهم مشاكل! إن مشاكلهم أكثر مما عندنا وأهمّ، لكنهم يتخذون الطرق المناسبة لحلّها وإدارتها، لذلك قَلَّ أن تتفجر في أوساطهم الاضطرابات والنزاعات؛ لأنهم عند الغضب يعودون للعقل والرأي، هذه طريقة العقلاء، لكن الجهّال من طبيعتهم التسرّع إلى الغضب في كل حال.

في مجتمعاتنا ما تزال حاكمية العواطف والانفعالات هي سيّدة الموقف في كلّ نزاع. وما تزال تعشش في نفوسنا العصبيات الدينية والقومية والفئوية، ولا يهمّنا مصالح الدين والأمة بل حتى مصالحنا الشخصية! فكيف لعاقل ومتديّن مثلًا أن يفجّر نفسه في أوساط الناس الأبرياء ظنًّا منه وإيهامًا من قادته أن هذا من الدين ولأجل الدين؟!

ما تزال مجتمعاتنا تستخدم العنف والشدّة لحلّ خلافاتها، خلافًا لطريقة العقلاء الذين يبحثون عن الطرق المناسبة لحلّ مشاكلهم. ومن مصاديق ذلك عزوف كثيرين في مجتمعاتنا عن الحوار وتبادل الرأي، وبالتالي تبقى حياتنا رهن الخلافات والنزاعات.

انتكاسات الثورات العربية:

انظر ما يحدث في مصر، بعد أن انتعشت الآمال عند المصريين والأمة العربية

بأن هناك تجربة رائدة لبناء حكم سياسي رشيد، وإذا بنا نرى ـ مع الأسف ـ ما يحصل هذه الأيام فيها وفي الدول المجاورة كليبيا وتونس، والأحداث التي ما تزال مستمرة في العراق، من نزاع وصراع يصل إلى الاقتتال!!، فأين العقل؟ متى نصل إلى مرحلة نحكّم فيها عقولنا؟ هل من مصلحة أوطاننا أن يبقى الناس يعيشون هذه الأوضاع المضطربة؟ أم أن هذه الحالة من التشنّج هي من طبائع المرحلة الانتقالية؟ فوراءنا تاريخ استبدادي طويل، وبالتالي فآثار الاستبداد والجهل في صفوفنا موجودة ونحتاج زمنًا للخلاص منها؟

نأمل أن نتخطّى هذه المرحلة ونمضي إلى مرحلة أفضل، تلجأ فيها القوى المختلفة للاحتكام للعقل والقانون. لكن ما يقلق الإنسان أن تكون الحالة التي تجري الآن هي استمرار لحالة التخبط التي كانت تعيشها شعوب الأمة بسبب الحكومات الاستبدادية، ولا شك أنّ الأعداء من مصلحتهم أن تعيش الأمة هذه الحالة من الفوضى النابعة في الأصل من أسباب داخلية حيث لا يصح أن نلقي بالمسؤولية على الآخرين، بل يجب أن نتهم أنفسنا وثقافتنا السائدة.

كلنا أمل ورجاء أن تستطيع هذه الشعوب تحقيق الآمال المعقودة على حركاتها، وأن تصل إلى مستوى من التفاهم والاستقرار، وأن تختار النظام السياسي المناسب الذي يُشكّل أنموذجًا لبقية الشعوب والأوطان.

الخطبة الأولى

الهدية تزرع المحبة

ورد عن رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا فإن الهدية تذهب بالضغائن»[1].

ليس شيء يسعد الإنسان، ويزيده ثقة بنفسه، أكثر من شعوره باهتمام من حوله به، ومساندتهم له. وفي المقابل ليس هناك شيء يؤذي الإنسان ويزعجه أكثر من إحساسه بإهمال من حوله له، إذ ينتابه شعور بالدونية، وأنه لا قيمة له عندهم، إضافة إلى ما يكتنفه من ألم وشعور بالوحدة والوحشة أمام تحدّيات الحياة ومشاكلها.

هذه الحالة يعيشها الإنسان في مختلف أطوار حياته مع تفاوت درجاتها. فمرحلة الطفولة يحتاج أن يشعر بعناية أمه وأهله، فيبكي في بعض الأحيان لا لجوع أو لعطش، وإنما لشعوره بالحاجة إلى العطف والحنان، وبمجرد أن يُحتضن ويُقبَّل يهدأ روعه ويسكن. وإذا رأى الطفل والدته منشغلة عنه يحاول أن يلفت نظرها إليه بمختلف الوسائل والأساليب.

هذا الشعور لا يقتصر على مرحلة الطفولة والصغر فحسب، بل إنه يزداد ويشتدّ إذا كبر الإنسان وأصبح هرمًا ضعيفًا. فكبير السنّ قد لا يحتاج شيئًا ماديًّا، لكنه يحتاج إلى أشياء معنوية تشعره بقيمته، واهتمام من حوله، لكي لا يتأذّى نفسيًا.

الإنسان في حالة مرضه ينتابه هذا الشعور أيضًا، فقد لا يستطيع من حوله تقديم

(١) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٤٤، حديث١.

العلاج له، لكن وجودهم حوله واهتمامهم به يرفع من معنوياته، مما يساعده في التغلب على مرضه، جاء عن مولى للإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: مرض بعض مواليه فخرجنا إليه نعوده ونحن عدة من موالي جعفر فاستقبلنا جعفر عليه السلام في بعض الطريق فقال: لنا أين تريدون؟ فقلنا: نريد فلانا نعوده، فقال لنا: قفوا! فوقفنا، فقال: مع أحدكم تفاحة أو سفرجلة أو أترجة أو لعقة من طيب أو قطعة من عود بخور؟ فقلنا ما معنا شيء من هذا، فقال: أما تعلمون أن المريض يستريح إلى كلّ ما أدخل به عليه؟»[1].

وهكذا حينما يرزأ الإنسان ويبلى بفقد عزيز فهل يريد من الناس أن يعطونه مالًا أو مشربًا أو مأكلًا؟ كلا، ولكنه يريد منهم الاهتمام والالتفاف حوله. لذلك فإن الإسلام يحث الإنسان أن يهتم بمن حوله وخاصة في أوقات ضعفهم ومحنهم، حتى يبادلوه نفس الشعور في وقت حاجته لهم.

ومن الصور التي تشير إليها النصوص الدينية لإشعار الآخرين بالاهتمام، مسألة الهدية. أنْ تقدّم لشخص ما شيئًا يدخل عليه السرور والبهجة، وتشعره باهتمامك به. وقد وردت نصوص كثيرة تشجع على التهادي كالرواية التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «تهادوا تحابوا فإن الهدية تذهب بالضغائن». فالهدية تنتج المحبة، بل تفك حالة الاحتقان والبغض إن كان موجودًا «فإن الهدية تذهب بالضغائن». قد تكون بينك وبين شخص ما قريبًا كان أو بعيدًا تشاحن واختلاف، وبهدية تقدمها له تزيل هذه المشكلة والضغن، وهذا أمر يؤكّد عليه علماء النفس والاجتماع. على الإنسان ألّا يغفل هذا الجانب عمّن هم قريبون منه. خلاف حدث بينك وبين زوجتك، وخرجت من منزلك، فعد لها بهدية تزيل هذا الاحتقان والخلاف، ولا تعد لفتح الملف السابق من جديد. وهكذا الحال مع الوالدين والأولاد، وكلّ من حولك، جاء في الرواية عن

---

(١) الكافي، ج٣، ص١١٨، حديث٣.

رسول الله ﷺ: «جبلت النفوس على حبّ من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»[١]. وهناك رواية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور»[٢].

وجاء عن الإمام الرضا عن آبائه عن رسول الله ﷺ: «نعم الشيء الهدية مفتاح الحوائج»[٣]. قد تُهدي شخصًا شيئًا ما، ثم تحتاجه يومًا فتكون مفتاحًا لحلّ قضيتك. وفي رواية جميلة مفادها أن الهدية قد تكون أكثر نفعاً من الصدقة، كما جاء عن علي عليه السلام: «لأنْ أهدي لأخي المسلم هدية تنفعه أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمثلها»[٤].

لهذا ينبغي للإنسان أن يستفيد من هذه الوسيلة لتأكيد حالة المودة بينه وبين الآخرين، وليشعرهم باهتمامه، وليزيل أيّ ترسّبات أو أيّ حساسيات حادثة.

قبول الهدية ورمزيتها:

في المقابل ينبغي للإنسان المُهدى إليه أن يتقبل الهدية. ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله ﷺ: «من تكرمة الرجل لأخيه أن يقبل تحفته وأن يتحفه بما عنده ولا يتكلّف له شيئًا»[٥].

وهنا نقطة مهمة وهي رمزية الهدية. من الجيّد أن تقدم هدية لصاحب مناسبة سعيدة كالزواج مثلًا، أو لشفاء من مرض، أو لقدوم مولود جديد. ولكن ينبغي مراعاة الجانب المادي، فليس من الصحيح أن يُتكلف في الهدية، بل هو منهي عنه كما في النص السابق: «ولا يتكلّف شيئًا». لكننا نجد في مجتمعاتنا أن الهدية أصبحت ثقلاً وعبئاً، وفي بعض الأحيان تكون هناك مزايدة، فإذا حصل شخص على هدية قيمتها مئة

(١) كنز العمال، ج١٦، ص١١٥، حديث ٤٤١٠٢.
(٢) وسائل الشيعة، ج٢١، ص٥١٤، حديث٢٧٧٢٨.
(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢، ص ٧٩، حديث ٣٤٢.
(٤) الكافي، ج٥، ص١٤٤، حديث١٢.
(٥) الكافي، ج٦، ص٢٧٦، حديث١.

ريال ردّها في مناسبة أخرى بضعف القيمة. وهذا غير صحيح؛ لأنه قد يسبب حرجاً لكثيرين.

ثم إنّ قبول الهدية ينبغي أن يكون من أيّ شخص كان؛ غنيًا أو فقيرًا، ولا ينبغي رفضها ترفّعًا، أو شفقة، فردّ الهدية إهانة لمن يقدمها. جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أن زوجته أم المؤمنين عائشة قالت: أهدت إليَّ امرأة مسكينة، فلم أقبلها رحمة لها. فذكرت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «ألا قبلتيها منها وكافيتيها منها فلا ترى أنك حقّرتيها. يا عائشة! تواضعي، فإن الله يحب المتواضعين ويبغض المستكبرين»[1]. وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ولو أهدي إليَّ ذراع لقبلت»[2].

موظفو الدولة وقبول الهدية:

هناك حالة استثنائية في الإهداء أو في قبول الهدية، تتمثل في عمال الدولة وموظفيها. فالإهداء لهم أمر مشكل، ولا ينبغي لهم أن يقبلوا الهدايا، وخاصة بالنسبة للمراجعين؛ لأن الهدية قد تأخذ منحى الرشوة والمحسوبيات. ومع الأسف الشديد، أصبحت هذه الحالة منتشرة، حتى تعوّد الموظفون هذا الأمر.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هدايا العمّال (موظفي الدولة) حرام كلها»[3]. وورد في السيرة النبوية أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ استعمل عاملًا، فجاءه العاملُ حين فرغ من عملِه، فقال: يا رسولَ اللهِ، هذا لكم وهذا أُهديَ لي. فقال له: (أفلا قعدتَ في بيتِ أبيكَ وأمكَ، فنظرتَ أيُهدى لك أم لا). ثم قام رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عشيةً بعد الصلاةِ، فتشهَّد وأثنى على اللهِ بما هو أهلُه، ثم قال: (أمّا بعد، فما بالُ العاملِ نستعملُهُ، فيأتينا فيقول: هذا من عملِكم، وهذا أُهديَ لي، أفلا قعدَ

---

(١) كنز العمال، ج٥، ص ٨٢١، حديث ١٤٤٨٢.

(٢) صحيح البخاري، ص٣٩٠، حديث ٥١٧٨.

(٣) كنز العمال، ج٦، ص١١٢، حديث ١٥٠٦٨.

في بيتِ أبيهِ وأمهِ فنظر: هل يُهدى لهُ أم لا، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدهِ، لا يغلُّ أحدُكم منها شيئًا إلا جاء به يومَ القيامةِ يحملهُ على عُنقهِ»[١]. هذا الأمر تجده مطبقًا في الدول الغربية، فإن أيّ شخص يوظف في الدولة، سيما إذا كان ذا منصب كبير، يُعمل له ذمّة مالية، ترصد من خلالها ممتلكاته لينظر في التغير غير الطبيعي في حسابه، ويُساءل عنه، فإذا ما ثبت عليه رشوة أو قضايا غير قانونية عوقب عليها. أما في بلداننا فقد يصل المسؤول الوظيفة فقيرًا، وبعد فترة تجد ممتلكاته في ازدياد، بيوت وقصور وسيارات وأرصدة مالية، وليس هناك من يسأله من أين لك هذا؟! هذا فساد واضح. ولهذا تسعى الآن هيئة مكافحة الفساد على إقرار نظام الذمم المالية لموظفي الدولة سيما أصحاب المناصب العليا.

التهادي بين الناس يكرّس حالة المودة بينهم، فينبغي الحثّ عليه، بشرط ألّا يكون هناك أيّ تكلّف، وأن تقبل هذه الهدية من أيّ شخص كان، ويستثنى من ذلك موظفو الدولة. ولا تقتصر الهدية على الأشياء المادية بل حتى المعنوية كالحكمة والموعظة والإرشاد وهي الأهمّ. ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة يزيده الله تعالى بها هدى أو يرده عن ردى»[٢].

(١) صحيح البخاري، ص ٢٤٠، حديث٦٦٣٦.
(٢) كنز العمال، ج١٠، ص١٧٢، حديث ٢٨٨٩٢.

الأحكام الشرعية هل تصادم العقل؟

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٤٢].

ثمة تساؤل دارج ومطروح على طاولة النقاش، بشأن ما إذا كان هنالك من تضاد وتصادم بين الأحكام الشرعية والعقل؟. وللإجابة عن هذا السؤال يمكن القول؛ إن العقل يمثل هبة الخالق تعالى للإنسان، من أجل أن يدير به أمور حياته، وعلى المقلب الآخر، أنزل الله تعالى الرسالات والشرائع السماوية، من أجل إصلاح حياة الإنسان. وما دام العقل هبة من عند الله، والتشريع أيضا آتٍ من قبل الله، فلا يتصور أن يقع التضاد بينهما، فالشرع في واقعه لا يتصادم مع العقل، والعقل ـ السّوي ـ لا يصطدم مع الشرع. واستطرادًا، يمكن أن يكون هناك تشريع لا يدرك الإنسان كامل أبعاده في مرحلة من المراحل، غير أن غياب الإدراك والإحاطة الكاملة بالتشريع، لا تعني بالضرورة مصادمة ذلك التشريع للعقل والتناقض معه.

من ناحية أخرى، بعض التشريعات الدينية قد لا تكون ناتجة من نصّ ديني قطعي الدلالة، وإنما تمثل اجتهادات قابلة للمراجعة.

من هنا نفهم التوجيه القرآني الدّاعي إلى الاحتكام للعقل باعتباره مرجعية أساس. وغالبًا ما نجد ذلك ضمن سياقين؛ سياق الحديث عن الطبيعة والكون، حيث نجد الآيات الكريمة تأمر الإنسان بالعودة إلى عقله، لفهم مختلف سنن الحياة عن طريق العقل، والسياق الثاني، يأتي في الحثّ على التعقل ضمن تناول القرآن الكريم بعض

التشريعات، ومن ذلك ما ورد في سياق الآية حول أحكام المرأة المطلقة والمتوفى عنها زوجها في قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، التي تختتم بقوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، مما يدلّ على أن التشريعات تأتي في غاية الانسجام مع العقل وأبعد ما تكون عن التناقض معه.

وهناك جملة من النصوص الدينية تؤكّد مواكبة العقل للشرع، وانسجام الشرع مع الفطرة والعقل. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُنْ مع الحقّ حيث كان، وميّز ما اشتبه عليك بعقلك، فإن حجة الله عليك، وديعة الله فيك وبركاته عندك»[١]. وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «العقل رسول الحقّ»[٢]، وجاء عنه عليه السلام في كلمة أخرى «العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج»[٣]، كما ورد فيما أوصى به الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: «يا هشام، إنّ لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء، وأما الباطنة فالعقول»[٤]. ومضمون ذلك أن العقل يمثل حجة بالغة على الإنسان.

إن من التحدّيات الكبيرة التي يواجهها الفكر والفقه الإسلامي، تكمن في مدى التوافق أو التصادم بين الأحكام التشريعية والعقل. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الفكر والفقه الاسلامي، إنما يمثل في جوهره نتاجًا وفهما بشريًا، مستنبطًا من النصوص الدينية، فإن هذا الفهم البشري يبقى قابلًا للصواب والخطأ، وبذلك لا يمكن القول أنّ كلّ حكم شرعي يراه الفقيه فهو يمثل واقع الشرع حتمًا، بل هو مجرّد رأي يحتمل الصواب كما يحتمل الخطأ، وغاية ما هناك أن الفقيه ما دام اجتهد في الوصول إلى الحكم، فهو معذور حتى لو أخطأ، وعلى ذلك ورد في الحديث: ««إذا اجتهد فأصاب

---

(١) كشف الخفاء، ج٢، ص١٣٥، حديث٢٠٢٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٨، حكمة ١٣٩٨.

(٣) فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج٥، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، (بيروت: مؤسسة الوفاء)، ص٤٢٥.

(٤) الكافي، ج١، ص١٦.

فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ له أجر»[1]. ولو نحّينا الحديث هنا عن النصوص الشرعية الثابتة القطعية، فإن الفكر والفقه الإسلامي، بما هما نتاج اجتهادات بشرية، ربما وجدنا فيهما ما يتصادم مع العقل والعلم!. هنا لا يصح أن نقبل برأي فقهي أو فكري مصادم للعقل، لمجرد أن فقيهًا أو أكثر قد قال بذلك الرأي، إذ ربما يكون هناك خلل في منهجية استنباط ذلك الحكم.

أنموذج صارخ

وقد رأينا مؤخرًا أحد النماذج الصارخة وذلك في انعقاد الدورة ٢١ لمجمع الفقه الإسلامي المنعقدة بمقرّ رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الثامن من ديسمبر ٢٠١٢، المجمع الذي يضم فقهاء من مختلف الدول الإسلامية، ناقش المجتمعون فيه عددًا من المسائل الفقهية، غير أن بعض ما خلصوا إليه كان مثيرًا ومصادمًا للعقل وحقائق العلم، سيّما حيال مسألة المدة الأقصى لحمل المرأة وبقاء الجنين في بطن أمه، ومع أن المسألة في جوهرها تمثل مسألة علمية طبية يمكن أن يقول فيها الأطباء القول الفصل، غير أن بعض المذاهب الإسلامية، أو ما يعرف بجمهور أهل السنة، لا يزالون يأخذون بالآراء الفقهية التي ترى أن أقصى مدة للحمل قد تمتدّ إلى خمس سنوات، ومقتضى ذلك أن لو طلّق إنسان زوجته أو مات عنها، ثم وضعت الزوجة مولودًا بعد خمس سنين من موته أو طلاقه لها، وادّعت أنها حملت من زوجها المتوفى أو المطلّق، فإن ادّعاءها مقبول عند فقهاء المجمع الفقهي الإسلامي!، لأنّ فقهاء السلف قد قالوا بذلك الرأي، وعليه رأى المجتمعون ـ باستثناء قلة منهم ـ أنفسهم ملزمين الأخذ برأي من سبقهم بمئات السنين!. وقد علقت صحيفة الحياة في تغطيتها للاجتماع في عددها ليوم ١١ ديسمبر ٢٠١٢ تحت عنوان (حمل زوجة ابن عجلان يثير جدلًا بين الفقهاء والأطباء!) أنّ المسألة مرتبطة برأي لإمام المذهب المالكي،

(١) محمد بن علي الشوكاني. الفتح الرباني، ج٦، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد)، ص٣٠٩٠.

الذي قال إنّ زوجة جارهم ابن عجلان، وهي امرأة مؤمنة صالحة، حملت بابنها مدة أربع سنوات، وما دام لا يوجد نصّ في أقصى مدة الحمل، وقد رأى مالك نفسه أن الحمل امتدّ لأربع سنين، فقد اعتقد بأن أقصى مدة لحمل المرأة هي أربع سنوات!. وتضيف الصحيفة أن بعض قضاة المملكة سبق وأن حكموا بأن مدة الحمل قد تطول لأكثر من أربع سنين، وتقول الصحيفة إنه ثبت عند الشيخ بكر أبو زيد عندما كان قاضيًا في المدينة المنورة حمل امرأة بابنها مدة أربعة أعوام، إضافة إلى أن المفتي السابق للمملكة الشيخ عبد العزيز بن باز حين كان يشغل منصب القضاء ثبت عنده حمل امرأة بابنها لسبعة أعوام!

ينبغي القول هنا أنه ليس جميع الفقهاء المشاركين في اجتماع مجمع الفقه الإسلامي كانوا موافقين على الرأي القائل باستمرار مدة حمل المرأة لأكثر من تسعة أشهر. فقد رفض بعض العلماء فرضية استمرار الحمل مدة أربع أو خمس سنوات، واعتبروا رأي الإمام مالك آنف الذكر مقصورًا عليه هو، وأنه جاء في حدود فهمه وظروف عصره، ولا يمكن أن يؤخذ به في هذا العصر. وممن عارض رأي الامام مالك الشيخ يوسف القرضاوي وعلماء آخرون، وقال الشيخ القرضاوي إنّ مدة الحمل هي فقط تسعة أشهر، معلّقًا أنه وبالرغم من كبر سكان العالم لم نَرَ حملًا استمرّ لأكثر من تسعة أشهر، مستغربًا؛ كيف يكون الحمل لسنتين أو ثلاث أو أربع سنوات، مؤكّداً أن هذا كلام غريب جدًّا لا يقبله القرآن ولا الواقع. وكان من جملة المعترضين الدكتور عبد الله باسلامة، الذي استغرب طرح هذا الموضوع الذي قال إنّهم قدّموا بشأنه أبحاثًا علمية، وناقشته دراسات، وتم تدريسه للطلاب. وقال طبيب آخر، هو البروفيسور سمير عباس، إنه خلال عمله الذي تجاوز أربعين عامًا في طب النساء والولادة لم يشاهد ولم يسمع عمّا يُسمّى بالسّبات، هذا الشيء العجيب الموجود عند العرب وحدهم دون العالم كلّه (حيث يزعم البعض أنّ الجنين وهو في بطن أمه قد يدخل في سُبات ربما طال لأربع أو خمس أو سبع سنين قبل أن يرى النور)!

مواجهة هذا التحدّي

حقيقة الأمر، إنّ وجود الآراء الفقهية المتعارضة مع العقل لا يكاد يخلو منها مذهب إسلامي. ومن ذلك ما كان سائدًا إلى بضعة قرون خلت، من إفتاء بعض علماء الإمامية الكبار بوجوب رمي أموال الخمس خلال زمن الغيبة في البحر أو دفنها في الصحراء، معلّلين بأن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام متى ما ظهر فسيعرف الطريق إلى تلك الأموال تلقائيًّا!. فهل يعقل بأن ترمي الأموال والحقوق الشرعية في البحر، لمجرّد أنّ فقيهًا قد قال بذلك، فأين ذهبت عقول هؤلاء الناس!

نحن مدعوون بشدّة لأن نجعل للعقل دورًا محوريًا في فهم الأفكار والآراء والأحكام. ومن غير المبرر اللجوء إلى تبني الآراء المصادمة للعقل. إن ديننا الاسلامي يؤكّد بشدة دور العقل أكثر من أيّ شيء آخر، وقد نزلت في هذا الصدد سلسلة من الآيات الكريمة، ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وغير ذلك من الآيات الموجهة للناس، فكيف يقبل المسلمون أشياء لا يقبلها العقل السوي، لا لشيءٍ إلا لأنّ هناك رواية ما وردت في هذه المسألة!، ومن قال أنه ينبغي لنا الأخذ بكلّ رواية على عواهنها، مع ما يمكن أن يعتورها من الملابسات في النقل والفهم؟، ومن قال إننا ملزمون بكلّ رأي فقهي مهما بلغ صاحبه في العلم شأوًا، أوليس الفقيه إنسانًا معرّضًا للخطأ!

إنّ الفكر والفقه الإسلامي باتا يقفان اليوم أمام معضلة التعارض مع العقل. وينبغي أن تكون هناك معالجة جادّة لهذه القضية، وإلّا فإن سمعة الإسلام ستكون شوهاء أمام العالم، ناهيك عن اهتزاز الثقة في الدين عند الأجيال الجديدة المتعلمة من أبناء الأمة، عندما يكتشفون أن جملة من الآراء الفقهية قامت على الجهل والوهم، ما قد يدفعهم إلى اتخاذ ردود فعل سلبية تجاه الدين.

الخطبة الأولى

اشراك الأطفال في عالم الكبار

«إن الحسن بن علي عليهما السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه كلما دخل علي عليه السلام وجد عندها علمًا بالتنزيل فيسألها عن ذلك فقالت: من ولدك الحسن»[1].

حينما نقرأ في سيرة الإمام الحسن بن علي المجتبى سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأحد سيدي شباب أهل الجنة، نجد فيما نقله التاريخ وأوردته كتب الحديث من مصادر المسلمين سنة وشيعة، أن هناك علاقة كبيرة مميزة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين سبطيه الحسنين عليهما السلام. هذه العلاقة نقرؤها في بعدين:

البعد الأول: إغداق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المحبة والعطف على سبطيه.

حيث كان صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من ذلك ويظهره أمام الأمة، ولم يكن مجرّد تصرف داخل بيته فقط، كما نجده عند كثير من الآباء والأمهات. فكثير من الآباء لا يظهرون مشاعرهم وعطفهم على أولادهم خارج البيت، بل على العكس، قد يبالغ بعض الناس في إبراز علاقة الفتور مع عائلته أمام الناس وكأنه من المعيب أن يتعامل بالشفقة والعطف مع أبنائه أمام الناس! رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على العكس من ذلك، كان يغدق الحنان والعطف على سبطيه داخل البيت وخارجه، بل ربما كان يبرز ذلك خارج البيت أكثر، وفي ذلك

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣٨، حديث ١١.

رسالة مزدوجة:

الشق الأول منها، أن إغداق العطف والحنان على الأبناء والأطفال لا يشكل خفة في الشخصية أو ابتذالًا، بل يبرز الحالة الوجدانية للأب والأم على الأبناء، وقد أراد رسول الله ﷺ بهذه الطريقة أن يوحي إلى المسلمين أن أغدقوا العطف والحنان على أبنائكم أمام الناس؛ لأن ذلك يُعزّز شخصية الطفل، ويزيده ثقة بنفسه، لشعوره أنه مورد اهتمام واحترام، بخلاف زجره أمام الناس، الأمر الذي لا يراعيه كثير من الآباء، حيث يشعر الابن بزجره أمام الناس بالدونية، ويزرع في نفسه عقدة الحقارة، ويشعره بالامتهان.

أما الشق الثاني، فهو توجيه الأمة لحبّ وتقدير أهل بيته وتبيين مكانتهم وفضلهم. عن ابن عباس قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن على عاتقه فقال رجل: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: ونعم الراكب هو»[١].

البعد الثاني: إشراك الأبناء في الشأن العام.

كان رسول الله ﷺ حريصًا على إبراز سبطيه الصغيرين في السنّ للأمة، كما حدث في إحضاره لهما في قضية المباهلة، وقبوله البيعة منهما، وما ورد في السيرة أنه سجل شهادتيهما على كتاب المعاهدة بينه وبين قبيلة ثقيف، وإحضاره لهما في الجوّ العام للأمة، الذي استفاضت به الروايات، كما نقل أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله ﷺ وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي ويحفظه، فيأتي أمه فاطمة الزهراء عليها السلام فيلقي إليها ما حفظه، وكلما دخل علي عليه السلام عليها وجد عندها علمًا بالتنزيل فيسألها عن ذلك فتقول: من ولدك الحسن.

كان رسول الله ﷺ يهتم بإحضار سبطيه الصغيرين إلى المسجد. روى أبو بكرة قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن ابن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس

---

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، ج ٢، ص١٢.

مرة وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيد ولعلّ الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين[١]. وروى عبدالله بن عبدالرحمن بن الزبير قال: أحدثكم بأشبه أهله به وأحبّهم إليه الحسن بن علي رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل[٢].

العلاقة بين جيل الكبار وجيل الصغار:

نريد أن نتأمّل في هذه المواقف وندرسها من الناحية التربوية، ذلك ان إحضار رسول الله ﷺ لسبطيه في المسجد وإشراكهما في الشأن العام رغم صغر سنّهما، يلامس جانب العلاقة بين جيل الكبار وجيل الصغار. حيث كنا نشهد في الماضي شيئًا من التداخل بين الجيلين، فكان الصغار غير بعيدين عن أجواء الكبار، لكن الأمر الآن يبدو غير ذلك، فما هي الأسباب والآثار؟

من المعروف أن الصغار بحكم سنهم اهتماماتهم اللعب واللهو، وهذا حقّ طبيعي، من حقّ الطفل أن يلعب، بل ينبغي للعائلة أن تتيح له ذلك، فهذا يصقل شخصيته وينمّي قدراته، ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان له صبي فليتصاب له»[٣]، بينما جيل الكبار يكون مشغولًا باهتمامات الحياة ولديه خبرة وتجربة.

من هنا فإن انفتاح جيل الصغار على جيل الكبار له فائدتان:

الأولى: لكي يعرف الأطفال أن اللعب ليس هو كل شيء في الحياة، ويعلموا أن هناك اهتمامات أخرى.

الثانية: أن يتعرفوا على اهتمامات الحياة من خلال معايشتهم وقربهم لجيل الكبار.

نحن نعيش الآن مشكلة الفصل التام تقريباً بين الجيلين. قلّ أن يكون هناك حضور

(١) صحيح البخاري. ج٣، ص١٧٠.
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة. ج٢، ص٦٢.
(٣) كنز العمال، ج١٦، ص٤٥٧، حديث ٤٥٤١٣.

للأطفال في أجواء ومجالس الكبار، وفي هذا خطأ تربوي كبير. فلماذا حصلت هذه الحالة؟

من الأسباب الرئيسة توفر وسائل اللهو واللعب بشكل مكثف للأطفال وفي كل الأوقات. وكذلك انشغال الكبار عن الصغار، أو عدم تحمل الكبار لطبيعة الصغار. تصرفات الصغار فيها نوع من الإزعاج للكبار، ويحتاج صرف وقت وجهد من قبل الكبار لاحتواء هؤلاء الصغار. والمشكلة أن الغالب لا يتحمل هذا الدور، وهذا ما يسبب التباعد. كثير من الآباء عند استقباله للضيوف يعزل نفسه عن أبنائه خشية أن يسببوا له إزعاجًا وحرجًا لضيوفه، وهذا خطأ. صحيح أن من حق الصغار أن يلعبوا مع بعضهم، ولكن ليس بالشكل الذي يفصلهم عن مجالسنا فنحرمهم مما ينفعهم. ولو تذكر كل واحد منا حضوره في مجالس الكبار فسوف يجد أن هناك انطباعات وخبرات أخذها من تلك المجالس.

وجود الصغار في مجالس الكبار ينفع في تعزيز القيم المفيدة، ونقل الخبرات والتجارب، بخلاف الفصل الذي نراه حاليًا ففيه الكثير من الثغرات والنواقص التربوية.

حضور الأطفال في المساجد:

من هنا ينبغي أن يهتم الكبار بإحضار أبنائهم في المجالس العامة. فوجود الطفل في أماكن اجتماع الناس ينمي شخصيته سيما في مكان كالمسجد، لكننا إذا تصفحنا المساجد فقلما نجد أطفالًا بصحبة آبائهم! كثير من الآباء يتعذر بخشيته أن يكون أبناؤه مصدر إزعاج للمصلين، أو يقوموا بتصرفات لا تليق بقدسية المسجد. وهذا خلاف ما نجده في السنة النبوية، إذ كان رسول الله ﷺ يصلي ويسمع بكاء طفل فيختصر في صلاته.

هناك رواية تشير إلى كراهية تمكين الأطفال في المساجد. باعتبار أن المسجد للعبادة ولا يصلح للصغار، لكن بعض العلماء التفتوا إلى أن الرواية ضعيفة من جهة،

ومن جهة ثانية أن المراد بالأطفال هم الذين لا يتحفظون في النجاسة. ولهذا يعلق السيد الشيرازي (رحمه الله) في موسوعته الفقهية على هذه المسألة قائلاً: «والظاهر أن المراد الأطفال الذين هم مظنة التنجيس والأذية ونحوهما، لا الأطفال للصلاة، فقد صح دخول الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وأمامة وغيرهم مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وعناية الرسول صلى الله عليه وآله بهم، بل الإطلاقات منصرفة عن ذلك»[1]. ويعلق السيد السيستاني على هذه المسألة في العروة الوثقى بقوله: إذا لم يؤمن تنجيسهم المسجد، وإزعاجهم فيه، وإلا فلا بأس به ولربما يكون راجحًا[2].

من هنا ينبغي إحضار الأبناء في الأماكن العامة، وعلى جيل الكبار أن يبذلوا جهدًا لذلك. والخطاب غير مقتصر على الرجال فحسب، بل على الأمهات أن يتحملن هذا الدور أيضًا، فقد بدأت حالة الفصل بين الجيلين تبدو واضحة عندهن. ولا يخفى أن وجود الأطفال مع بعضهم دائماً قد ينمي عندهم بعض السلبيات لجهلهم وعدم وجود موجه لهم.

هذا ما ينبغي أن نستفيده من علاقة رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسنين عليهما السلام وإحضاره لهما في الشأن العام، وأن نأخذ درسًا في صحبة الأولاد ليستفيدوا من الخبرة والتجربة، وينفتحوا على اهتمامات أخرى غير تلك التي يعيشونها بحكم طفولتهم.

---

(١) السيد محمد الحسيني الشيرازي. الفقه، كتاب الصلاة، ج١٩، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، (بيروت: دار العلوم للتحقيق والنشر)، ص٢٨٥.

(٢) العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي مع تعليقة السيد علي السيستاني. ج٢، كتاب الصلاة هامش ص٨٨. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، (قم: مكتب آية الله السيد علي السيستاني).

الخطبة الثانية

ثروات الحكام والأغنياء وحالات الفقر في الأمة

عن علي بن زيد بن جذعان، قال: «خرج الحسن بن علي من ماله مرتين وقاسم الله ثلاث مرات حتى إنه كان يعطي من ماله نعلًا ويمسك نعلًا»[1]

يمثّل العطاء المالي الجزيل للأثرياء والموسرين رافدًا مهمًّا من روافد سدّ الحاجة ومعالجة الفقر في مختلف المجتمعات الانسانية. ويرتبط هذا الأمر إلى حدٍّ كبير بمقدار سخاء المعطين الى جانب التوفيق الإلهي، فهناك من يوفقهم الله تعالى للبذل والعطاء. إلا أن العطاء يمكن أن يأتي على لونين؛ فهناك عطاء مالي ضئيل بالكاد يلبّي قدرًا ضئيلًا من الحاجة الماسة في المجتمع، وهناك في المقابل عطاء جزيل، ينفق من خلاله الإنسان قسمًا كبيرًا من ماله وثروته، فيسدّ بذلك قدرًا ملحوظًا من الحاجات الأساسية في محيطه الاجتماعي.

ولعلّ أول ما ينبغي أن يضع الإنسان في اعتباره، هو أن مصدر الثروة الأول والأخير هو الله سبحانه وتعالى. وهو القادر على أن يعطي أضعاف ما أعطى، وأن يُبدل الإنسان بخير مما أنفق في أوجه الخير. أضف إلى ذلك، إمكانية أن يفقد المرء كلّ أمواله وأن تتبدد ثروته في أيّ وقت من الأوقات، ولطالما عايش الناس مثل هذه الحالات التي يفقد فيها تجار كبار وأغنياء ثرواتهم كاملة، نتيجة ابتلاءات غير متوقعة، من الأمراض

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٤٩.

الجسدية، أو المشاكل العائلية أحيانًا، أو نتيجة التعرض لكوارث وهزّات اقتصادية، أو نزاعات عسكرية أحيانًا أخرى. غير أنّ هناك مع ذلك إمكانية قائمة في أن يعود المرء للوقوف على قدميه مجدّدًا مهما بلغت شدة الانكسارات المالية التي يمكن أن يصادفها، وما أكثر التجارب والعبر في هذا المجال.

إن جميع الأموال المبذولة في أوجه الخير، تبقى قابلة للتعويض من الله تعالى. إذ سرعان ما سيعوّضه الله سبحانه ويعطيه خيرًا مما أنفق، كما ورد في الآية الكريمة ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. من هنا ينبغي للإنسان أن يتصرف بروحية المنفق السخي من ماله وثروته، كلما وجد أمامه موارد للإنفاق، وأن يؤمن إيمانًا مطلقًا بحتمية التعويض الإلهي.

تحت خط الفقر

ولعلّ من المهم هنا الإشارة إلى أن قطاعًا واسعًا من المجتمعات العربية والإسلامية يرزح تحت مستوى من الفقر والعوز الكبيرين. إذ تشير الإحصاءات إلى أن هناك ٤٠ مليون عربي يعانون من نقص التغذية، ولقد شاهدت مصادفة ضمن أحد برامج التلفزيون، «منازل» لعائلات في إحدى قرى العراق زارها مراسل أخباري، فأظهر مشاهد يندى لها الجبين من مستويات العيش المتدني، التي لا تليق بالحيوانات فضلًا عن البشر، فعلاوة على الفقر المدقع يشتكي سكان تلك القرى من الأمراض وانعدام أبسط الخدمات، أين؟ في العراق الذي حباه الله بمختلف الخيرات، من آبار النفط والأنهار والأراضي الخصبة والآثار التاريخية المهمة للاستثمار السياحي. وفي المملكة، تنقل الصحف الرسمية بين الفينة والأخرى تقارير من مختلف مناطق البلاد عن بعض القرى والأحياء المعدمة، التي لا يمكن أن يخطر على بال أحدٍ أنها جزء من بلد يحظى بهذه الثروة النفطية الهائلة!

ومما يزيد الطين بلة، قلة المؤسسات الخيرية الأهلية، التي من المفترض أن

تساهم في مدّ يد العون للفقراء والمعوزين. وندرة المؤسسات الأهلية في مختلف القطاعات الاجتماعية والعلمية والصحية. على النقيض مما هو عليه الحال في الدول المتقدمة، التي تفيض بكمٍّ هائل من منظمات المجتمع المدني، والمؤسسات المهتمة بإجراء البحوث وعمل الدراسات، والتوصل للاكتشافات، وحماية البيئة، ومساعدة المحتاجين. ولعلّ أحد أبرز أسباب قلّة المؤسسات الأهلية في مجتمعاتنا، هو ضعف الإنفاق ومنح التبرعات للصالح العام، ناهيك عن تعقيد القوانين وغياب التخطيط.

حكام سرقوا ثروات شعوبهم

إنّ هناك فئتين رئيستين تتحملان المسؤولية حيال مشكلة الفقر وشحّ الإنفاق؛ هما فئتا الحكام والأثرياء. وتتحمل الفئة الأولى المسؤولية الأكبر لجهة إقرارهم السياسات التنموية الخاطئة التي ينخرها الفساد من جهة، ومن جهة أخرى بسبب استباحتهم أموال الشعوب وسرقتها والتلاعب بها، ولا يعلم إلا الله حجم الأموال الطائلة التي يستحوذ عليها هؤلاء بكلّ شراهة طوال عقود من تربعهم على عرش السلطة، مع كلّ ما تنوء تحته شعوبهم من نير الفقر والتخلف والحاجات الملحة على كلّ المستويات. وقد قدّرت التقارير ثروة الزعيم الليبي المخلوع معمر القذافي بأنها تتراوح بين ٧٥ و ٨٠ مليار دولار، راكمها طوال فترة حكمه التي ناهزت ٤٢ سنة. وكذلك الحال مع الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، الذي قدّرت ثروته هو الآخر بنحو ٧٠ مليار دولار. والحال نفسه مع الرئيس اليمني المخلوع عبد الله علي صالح الذي كُشف عن امتلاكه ٣٠ مليار دولار، راكمها على مدى ثلاثين عامًا من حكمه!.

من هنا يأتي السؤال عن الغرض من مراكمة الحكام لكلّ هذه الأموال الطائلة!. في وقت ترزح فيه قطاعات كبيرة من شعوبهم تحت خط الفقر!، أوليس لدى هؤلاء الحاكمين عقول يفكرون بها، أفلا يعتبرون بمن سبقهم من الطواغيت، أو يظنون أنهم سيعمّرون الدهر كلّه، وما عسى تنفعهم ثرواتهم المكدّسة في الحسابات البنكية،

والقصور المشيدة والعقارات المتناثرة في كلّ مكان والطائرات الخاصة واليخوت باهظة الثمن والسيارات الفارهة إنْ غادروا الحياة!، ما عسى تنفعهم ثرواتهم وقد تركوا من خلفهم أوطانًا تئنّ من مظاهر الفقر المؤلمة. أوليس الأنفع لهم، بل الواجب عليهم، أن ينفقوا هذه الأموال الطائلة في مصالح أوطانهم وإسعاد شعوبهم.

رئيس الباراغوي أنموذج مثالي

ومن أجمل ما قرأت مؤخّرًا، قصة رئيس جمهورية الباراغوي خوسيه موخيكا الذي درج على التبرع بـ ٩٠٪ من مرتبه الشهري لصالح الأعمال الخيرية. إذ يبلغ راتب الرئيس الشهري ١١٥٠٠ دولار يعطي منها ١٠٠٠٠ دولار للفقراء فيما يبقي لنفسه وأسرته ١٥٠٠ دولار فقط، وليحصل بذلك على لقب أفقر رئيس دولة في العالم وأكثرهم سخاءً، فالسيد موخيكا ورغم انتخابه رئيسًا للبلاد ظلّ يعيش مع عائلته في المنزل القديم نفسه الذي يقطنه منذ ٢٨ عامًا. فإن كان خطباء المنابر يتناولون قصصًا عن الزهد والسخاء من حياة الأئمة والصالحين الذين عاشوا قبل أكثر من ألف عام، فها نحن مع الرئيس البارغواني بإزاء نموذج حيّ من عالمنا المعاصر. في مقابل ذلك، وفي مفارقة فاضحة، افتتح في تونس في وقت سابق معرض لبيع مقتنيات شخصية مأخوذة من قصر الرئيس المخلوع زين العابدين بن علي، تتمثل في المجوهرات وحقائب اليد والأحذية والملابس والساعات اليدوية والأغطية التي تقدر قيمتها الدنيا بنحو ١٠ ملايين يورو. من هنا فالحكام هم أول من يتحمل المسؤولية عن انتشار الفقر في البلاد العربية والاسلامية.

أثرياء الأمة، أين دورهم؟

كما تأتي فئة الأثرياء باعتبارها الفئة الرئيسة الأخرى التي تتحمل المسؤولية حيال مشكلة الفقر في الواقع العربي والاسلامي. فطالما وجدنا أثرياء بالكاد يتبرعون للأعمال الخيرية بالمقدار الذي يرفع عنهم العتب وحسب، مع امتلاكهم الخير الكثير

من الأموال والأراضي والعقارات، أوليس الأجدر أن يخصص هؤلاء من أموالهم وعقاراتهم قسمًا لخدمة الفقراء والمعوزين في مجتمعهم، وماذا عسى يفعل هؤلاء بكل هذه الثروة الهائلة، أوليس الأنفع لهم ولمجتمعهم أن يتبرعوا بشيءٍ من هذه الثروات للأعمال الخيرية وخدمة المحتاجين، وبناء دور العبادة وسكن الفقراء. هنا قد يتحجج بعضهم مكتفيًا بأنه قد تبرع ببناء مسجد أو مسجدين، في حين ينبغي في الوقت عينه أن يلقي الأثرياء بنظرهم صوب آلاف الفقراء الذين هم في أمسّ الحاجة لأدنى المساعدات الإنسانية من المأكل والملبس والمأوى. وما عسى ينقص من مال الثري فيما لو خصّص ـ في الحدّ الأدنى ـ جزءًا من أعماله العقارية مثلًا لتقديمها بأسعار خاصة للفقراء وذوي الدخل المحدود.

ينبغي الإشارة إلى أن هناك من الأثرياء من هم من أهل الخير والعطاء السخي. غير أننا لا نريد أن تكتفي مجتمعاتنا بأفراد يُعدّون على أصابع اليد الواحدة، وإنما نريد من كلّ أثريائنا أن ينحوا في تفكيرهم على النحو الذي درج عليه الأئمة والصالحون، فلا يكفي أن يهتم الثري برعاية مأتم ويطعم المؤمنين خلال المناسبات الدينية وحسب، فهذا أمر يليق بأيّ إنسانٍ عادي، وإنما المطلوب من الأثرياء أن يقتدوا بسيرة الإمام الحسن عليه السلام، الذي أخرج من ماله مرتين، وقاسم الله أمواله ثلاث مرات. وما عساك تخسر أيّها الثري لو قاسمت الله أموالك، فإن كان لديك ٢٠٠ مليون أنفقت منها ١٠٠ مليون في سبيل الله، عندها لن تكفيك المئة مليون الباقية وحسب، وإنما سيبارك لك الله فيها، ويعوضك بخير منها. والحال نفسه ينطبق بحذافيره على من يملكون ثروات أكثر أو أقلّ من ذلك بكثير، فالجميع ينبغي أن يحرص على الإنفاق من أمواله في أوجه الخير، إذ في نهاية المطاف إما سترحل الأموال عن الإنسان أو يرحل هو عنها!.

الإمام الحسن القدوة

من المهم جدًّا أن نأخذ العبر والدروس من حياة الإمام الحسن ونحن نعيش

ذكرى وفاته عليه السلام. والكلام هنا ليس محصورًا بالأثرياء فقط، فكلّ إنسان مدعو للعطاء في سبيل الله وفقًا لإمكاناته ووضعه، وذلك خير له في الدنيا والآخرة. ومما ورد عن الإمام الحسن عليه السلام في هذا الصدد أن جاءه رجل قائلًا: يا بن رسول الله، إني أخاف من الموت، فقال عليه السلام: ذاك لأنك أخّرت مالك، ولو قدّمته لسّرك أن تلحق به[1]. إنّ الانسان المنفق الذي قدّم ماله ورتب وضعه في الآخرة، لا يخاف من الموت كثيرًا، بخلاف من ترك أمواله خلفه فهو أخوف ما يخاف أن يفارقها.

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص٢٢٧.

الخطبة الأولى

احترام خصوصيات الآخرين وأسرارهم

ورد عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: «إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك»[1].

لكل إنسان في حياته خصوصيات لا يحب أن يطّلع الآخرون عليها، وذلك حقّ من حقوقه، حيث نصّت القوانين والمواثيق الحقوقية على عدم جواز انتهاك شخصية الإنسان في خصوصياته، كما أن التعاليم الدينية أيضًا أعطت الإنسان هذا الحقّ وجعلت لخصوصياته حرمة، فلا يجوز لأحدٍ أن يكشف شيئًا مما يراه الآخرون سرًّا من أسرارهم وخصوصية من خصوصياتهم، سواء كان ذلك على مستوى وضعهم المادي أو كلامهم ومواقفهم وما يرتبط بأيّ شأنٍ من شؤونهم الخاصة.

الحديث هنا عن الحقّ الشخصي، فإذا كان للإنسان سرٌّ لا يريد أن ينشره بين الناس فهذا حقّه وله حرمته ولا يحقّ التعدّي عليه، وقد عالجت التعاليم الدينية هذا الأمر في أبعاد:

الأول: أن الإنسان يتحمل مسؤولية أسراره وخصوصياته.

وذلك بأن يكتم ما لا يريد نشره، كما يقول الشاعر:

إذا المرء أفشى سـرّه بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمقُ
إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه ... فصدر الذي يستودع السرّ أضيق

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، ج ٣، ص ١٣٢.

البعض يفشي سرّه لشخص ما، ويريد منه التكتم عليه، ولكن قد يكون هذا سببًا لإفشاء السرّ غالبًا، فإذا كان صاحب الشيء لم يحتمل كتمانه، فكيف بالآخر؟ وقديمًا قيل: كلّ سرٍّ جاوز الاثنين شاع. وأمير المؤمنين عليه السلام يقول: «المرء أحفظ لسرّه»[1]، ويقول: «صدر العاقل صندوق سرّه»[2] وعنه عليه السلام: «كلما كثر خزّان الأسرار كثر ضياعها»[3].

لا بُدّ أن يكون الإنسان رزينًا وقادرًا على كتمان سرّه، وإن احتاج الأمر إلى مِرَان. الإمام جعفر الصادق عليه السلام يوصي قائلًا: «لا تطلع صديقًا من سرّك إلا على ما لو اطّلع عليه عدوك لم يضرّك»[4].

الثاني: على من يطّلع على أسرار الآخرين أن يكتمها.

حياة الإنسان مرتبطة بالآخرين، فمتى ما اطّلع على أسرارهم لسبب ما فعليه أن يكتمها. وقد جاء في التعاليم الدينية تحذير من إفشاء ما يخصّ الآخرين، سواء علمت به عن طريق إخبار الشخص نفسه، أو بسبيل آخر، ومن الواجب على كلّ إنسان أن يحترم خصوصيات الآخرين، وإفشاؤه لها يُعَدّ خيانة، كما ورد عن الحسن البصري: «إن من الخيانة أن تحدث بسرِّ أخيك».

على الطبيب مثلًا أن يحفظ أسرار مرضاه، ولا يحقّ له الحديث عن خصوصياتهم إلا في الدائرة التي يسمح بها المريض، أو لها ارتباط بمصلحته.

وفي العلاقة الزوجية حيث يطّلع كلا الزوجين على خصوصيات الآخر، فالعلاقة بينهما مفتوحة كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[سورة النساء، الآية: ٢١]، فلا يحقّ لأيٍّ منهما أن يفشي أسرار الآخر، سواء كانت العلاقة الزوجية قائمة

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٣٠.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٦.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٩٦.
(٤) بحار الأنوار، ج٧١، ص١٧٧، حديث ١٥.

بينهما أو انتهت بسبب الطلاق أو الوفاة، وخلاف ذلك يُعَدّ خيانة، كما روي عن رسول الله ﷺ: «إن من أشرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرّها»(١).

ومن المجالات التي تحدثت عنها النصوص الدينية ما يرتبط بالميت، فالمغسّل قد يطّلع على بعض الخصوصيات في جسد الميت، عليه كتمانها، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من غسّل ميتًا فأدّى فيه الأمانة ولم يفشِ عليه ما يكون منه عند ذلك، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»(٢).

والسفر أيضًا مجال للاطّلاع على أسرار المرافقين وخصائصهم. لهذا على رفيق السفر أن يتحفظ على خصوصيات من يسافر معهم، وليس من الصحيح أن يعود بلده وينشر ما اطّلع عليه من الآخرين بين الناس، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ليس من المروءة أن يحدث الرجل بما يلقى في السفر من خير أو شرّ»(٣).

وكذلك من وثق بك وكشف لك شيئًا من خصوصياته فعليك أن تتحمل الأمانة وتصونها، ورد عن النبي ﷺ: «إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة»(٤). أي إن التفاتته دليل على حذره من سماع الآخرين لحديثه. فعليك أن تراعي حذره وتحفظ سرّه.

بهذا يظهر أن الإسلام عالج أدقّ تفاصيل العلاقة بين أبناء البشر، حتى تكون العلاقة بينهم علاقة ودّ وانسجام، وصون واحترام. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن عبد الله بن سنان قال: قلت له عليه السلام: عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ قال: «نعم». فقلت: أعني

---

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ج٤، ص١٥٧.
(٢) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج٦، ص١٢٠.
(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج٢، ص٢٧٤.
(٤) سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستاني، ج٢، ص٤٤٩.

سفليه؟ قال ﷺ: «ليس حيث تذهب إنما هو إذاعة سرّه»[١].

لهذا على كلّ إنسان أن يحفظ أسرار الآخرين، ومن القبيح أن يكون همّ الإنسان هو البحث والتنقيب عن أسرار الناس، وليعلم أنه كما لغيره سرّ لا يريد كشفه، فله هو أيضًا أسرار لا يريد كشفها، ومتى ما كشف سرّ غيره انكشف سرّه هو أيضًا، كما ورد عن أمير المؤمنين ﷺ: «من بحث عن أسرار غيره أظهر الله أسراره»[٢].

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج١، ص٣٧٥، حديث ١١.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٤٣٦.

التعددية والتوافق الوطني

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

[سورة المائدة، الآية: ٤٨].

يتباين أبناء البشر على نحو جذري في ميولهم العقلية ونزعاتهم النفسية. فعلى النقيض من التطابق الكبير في التركيب العضوي لأجسامهم، الذي تكوّن بمقتضاه علم الطب البشري، شاءت قدرة الله وحكمته أن يمنح الإنسان العقل والإرادة، ليستخدم عقله بالطريقة التي يريدها، فكان الناس مختلفين في آرائهم وأفكارهم، وكذلك في مشاعرهم وأحاسيسهم النفسية.

الاختلاف امتحان وتنافس

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق، ما إذا كان الله سبحانه قادرًا على توحيد أداء أبناء البشر العقلي والنفسي كما وحّد الأداء العضوي لأجسامهم؟

بلى، فالله تعالى على كلّ شيءٍ قدير، غير أنه سبحانه أعطى الإنسان خصوصية في هذه الحياة، بحيث جعله في ميدان ابتلاء وامتحان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[سورة المائدة، الآية: ٤٨]، وهذا الابتلاء والامتحان لن يتحقق في حال كان البشر قالبًا واحدًا، مجبورين على السير في خط

واحد، والتفكير بنمط محدّد لا يخرجون عنه، لتقودهم أحاسيسهم في نهاية المطاف إلى ذات النتيجة!

وإلى جانب الابتلاء، شاءت القدرة الإلهية أن توجد حالة التنافس بين أبناء البشر. فقد جاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[سورة المائدة، الآية: ٤٨]، وبذلك يفتح سبحانه الباب واسعًا أمام التنافس بين البشر، على مستوى العقول والإرادات والنفوس، وذلك ما يقتضي بطبيعة الحال أن يكون الأفق مفتوحًا أمام البشر، والحرية متاحة، وهذا عين ما تشير إليه النصوص الدينية، حيث جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[سورة الإنسان، الآية: ٣]، وجاء في آية أخرى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[سورة البلد، الآية: ١٠]، وبذلك يتيح تعالى للبشر حرية الاختيار، دونما فرض أو إجبار منه تعالى. ويصبح الاختلاف بين الناس في الآراء والأفكار والنزعات النفسية أمرًا قائمًا بين بني البشر، لا يختصّ بعصر دون عصر، ولا ببيئة دون أخرى، وقد جاء فصل الخطاب منه تعالى حين قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[سورة هود، الآية: ١١٨]، حيث يشير سبحانه إلى استمرار وبقاء حالة الاختلاف قائمة بين البشر إلى آخر الدنيا.

إنّ وجود الاختلاف بين البشر لا يعني بأيّ حالٍ انعدام القدرة على التعايش، واندلاع النزاعات والاحتراب فيما بينهم. ذلك أن بقاء حالة الاختلاف هي نفسها تمثل مورد الامتحان والابتلاء، لذلك قال ربنا تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[سورة الفرقان، الآية: ٢٠]، وكأنه تعالى يخاطب البشر بشأن ما إذا كانوا قادرين على الصبر على بعضهم بعضًا رغم الاختلاف القائم فيما بينهم. حقيقة الأمر، لقد تجاوزت البشرية حالة الأحادية الفكرية، وفرض الرأي الواحد، بعد عهود مديدة من إخضاع الناس بالإكراه، وإن كانوا في دواخلهم غير راضين بذلك.

الحرية الفردية والمشاركة في الشأن العام

ويقع الاختلاف بين البشر ضمن مجالين؛ شخصي وآخر مشترك. والمجال

الشخصي مرتبط على نحو مباشر بحياة الفرد نفسه، فيما يرتبط الآخر بالمجال العام المشترك بين الفرد والمحيط الاجتماعي الذي يتواجد ضمنه.

على الصعيد الفردي، بلغت البشرية في عصرنا الراهن مستوى من النضج والإدراك، إلى حدّ الاعتراف بحقّ سائر أفراد البشر في الاختلاف أحدهم عن الآخر، فيما يرتبط بشؤونه الخاصة، على مستوى الافكار والآراء أو المعتقدات والعبادات، فلا أحد يملك الحقّ في أن يمليَ على الآخرين ما ينبغي أو لا ينبغي أن يؤمنوا به من قناعات أو ممارسات فردية تخصّهم، وبذلك انتزع الإنسان حريته الفردية الكاملة فيما يتعلق بشؤونه الخاصة المحضة، في تأييد ضمني وتساوق تامٍّ مع الشرائع السماوية، حيث يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، بما يقطع الطريق على أيّ محاولة لإجبار الآخرين على اعتناق رأي أو عقيدة مهما بلغت حقانيتها.

غير أنه في مقابل ذلك، تبقى هناك مساحة وشأن مشترك بين الجميع، قد تطال الكيفية التي ينبغي إدارة الشؤون العامة بموجبها، سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا. هذه الشؤون بأجمعها ليست خاصّة بأحدٍ بعينه، وإنما هي شأنٌ يُعني به الجميع، فإن كان لدى طرف رأي بشأن إدارة البلاد على نحو معيِّن، أو السير بخطة اقتصادية في اتجاه بعينه، فما العمل إذا كان مواطنه الآخر يرى رأيًا مغايرًا؟

وللإجابة عن هذا السؤال، يمكن القول إنّ الأسلوب الأقدم في هذا الصدد هو الاحتكام للقوة، بأن يفرض القوي رأيه على الضعيف، غير أن البشرية توصلت إلى أساليب حضارية للفصل بين المختلفين على نحو سلمي، من خلال الاحتكام إلى صناديق الاقتراع، للوقوف على رأي الأكثرية في المجتمع، فإن توافق غالبية الناس على مرجعية أو اتخاذ نهج أو سنّ قانون، كان لهم ذلك، حتى يعيش الناس متوافقين على إدارة شؤونهم المشتركة، وإلا فإن البديل هو الغرق في النزاعات والاحتراب.

وتكمن إحدى أبرز المشكلات في منطقتنا العربية في غياب التوافق على إدارة

الشؤون العامة المشتركة. لذلك غالباً ما يتكرر ذات المشهد، بأن يقفز إلى الواجهة طرف سياسي أو فئة أو طائفة دينية، فلا يكفيها أن تقبض بيدها على مقاليد الأمور، وإنما تجهد علاوة على ذلك في فرض رؤاها السياسية والدينية والاجتماعية قسرًا على الفئات الأخرى، ولربما حدث ذلك على يد حزب أو قبيلة أو حتى شخص واحد، شاءت الأقدار أن يقفز إلى سدّة الحكم، ليسوس الناس بعدها بما يراه هو وحده، تبعاً لميوله ومزاجه، على غرار ما كان يفعل معمر القذافي وصدام حسين وغيرهما من الطغاة والمستبدّين. وهذا سبيل لخلق الأرضية للاحتراب والفوضى على قاعدة غياب المرجعية والتوافق العام.

مخاض عسير لولادة توافق وطني

إنّ ما تشهده الأمة العربية من أحداث دراماتيكية متتابعة منذ الربيع العربي، هي في مجملها مخاض عسير، يبتغي التوصل إلى نوع من التوافق الوطني المشترك في نهاية المطاف. فبعد أن عاشت شعوب المنطقة ردحاً من الزمن تحت سيف الاستبداد والقمع السياسي، بدأت بعض المجتمعات التي جرت عليها الثورات والتحولات السياسية في تلمّس طريقها نحو تحقيق التوافق الوطني، من خلال كتابة دساتير جديدة تواكب حركة الزمن، وعقد انتخابات عامة حرّة للوصول إلى هيئات تمثيلية للشعب، والاحتكام من ثم إلى رأي الأغلبية الشعبية كما هو الحال في البلدان المتحضرة.

غير أن هذا التحول السياسي الهائل، لا يتوقع له أن يتحقق بين عشية وضحاها، خاصة بعد أن قضت الشعوب قرونًا مديدة تحت الاستبداد، حتى ارتضع الناس ونشؤوا على ثقافة الاستبداد، في البيت والمدرسة وعلى المستوى الديني فضلًا عن السياسي. من هنا فمن غير المتوقع أن يتجاوز الناس سريعًا هذه التركة الثقيلة للاستبداد.

ضمن هذا السياق يمكن فهم ما يجري اليوم في دول المنطقة التي شهدت الثورات والانتفاضات من اختلافات وتباينات حادة في وجهات النظر تجاه طبيعة

وتفاصيل وشكل المرحلة المقبلة، ونأمل أن تتمكن الشعوب من الانتقال إلى مرحلة التوافق الوطني، وأن تضع لها مرجعية دستورية موحّدة، والتوصل إلى حلول تجنبها الاضطرابات والتدخلات الخارجية.

كما ينبغي القول إن مرحلة التحولات الكبيرة التي تشهدها المنطقة العربية تمثل فرصة لتحقيق الإجماع الوطني في الدول التي لم تعصف بها الاضطرابات. وذلك بأن تبادر هذه الدول إلى تحقيق توافق وطني، ووضع دستور تصوت عليه جميع فئات الشعب، دونما انتظار إلى أن يصل إليها الطوفان الذي بات يغرق البلدان الأخرى. خاصة وقد رأينا بأمّ العين كيف أن للثورات والاضطرابات أضراراً وخسائرَ فادحة، فلماذا تتلكأ هذه الدول في تطوير أنظمتها السياسية، على النحو الذي تحقق فيه توافقا عامًّا وإجماعًا وطنيًّا على شرعية نظم الحكم.

المجتمع والتأقلم مع التعددية

وبمنأى عن الوضع السياسي، شعوبنا مدعوة على المستوى الاجتماعي إلى التأقلم مع التعددية والتعايش مع الرأي الآخر. سيما وقد وجدنا كيف يرفض البعض رفضًا قاطعًا مجرّد طرح الآراء المخالفة لآرائهم في الوسط العام!، فأمثال هؤلاء مقتنعون كلّ الاقتناع أن رأيهم هو الحقّ، وأنه الممثل الوحيد للدين والعقيدة الصحيحة، وبذلك فلا حقّ لأيِّ طرف آخر أن يطرح رأيًا مغايرًا، ولو في بعض الجوانب والتفاصيل.

لقد مضى زمن الهيمنة والمغالبة وإلغاء الرأي الآخر، إذا اقتنع أي كان بأن رأيه هو الحقّ والصواب، فلا مجال أمامه سوى أن يجادل دونه بالحجة والدليل والبرهان، كما يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾[سورة البقرة، الآية: ١١١]، ناهيك عن أنه ليس من الضروري في نهاية المطاف أن يقتنع الآخرون بهذا الرأي، وهل هناك أعظم حجة من رسول الله ﷺ في تبليغ رسالته لبني قومه، إلا أنه مع ذلك بقي اليهود على دينهم والنصارى على دينهم في عهده ﷺ. ومعنى ذلك أنه إذا امتلك طرف، حججًا وأدلة

يراها براهين دامغة تؤيّد وجهة نظره، فلا يعني ذلك بأيِّ حالٍ أن يكون الآخرون مجبرين على النزول عند رأيه، فلدى هؤلاء الآخرين أيضًا أدلتهم التي يركنون إليها، والمخالفة تمامًا لأدلة الطرف الأول بغض النظر عن أحقّية هذا الطرف أو ذلك.

لا سبيل في العصر الراهن إلى إلغاء الآخرين، كما كان يجري في عهود الهيمنة الدينية السابقة. فلقد تغيّر الزمن، وبات الناس منفتحين على مختلف الآراء ووجهات النظر الأخرى، وصارت بأيديهم سبل التعبير عن الرأي، فليس بيد أحدٍ اليوم أن يسمح أو لا يسمح بطرح الآراء الأخرى، فهذه مسألة تجاوزها الزمن بمراحل، إذ يكفي اليوم أن يكون بيد أيِّ أحدٍ جهاز حاسب آلي صغير، أو هاتف محمول، ليوصل رأيه بضغطة زر وفي لحظة واحدة إلى ملايين الناس. إنّ ما ينبغي أن يشقّ طريقه في الساحة هو فسح المجال أمام النقاش الهادئ مع مختلف الآراء، والبحث الجادّ، والأخذ والردّ بالحجة والمنطق، أما الرفض المطلق، أو المنع من التعبير عن الرأي، فما عاد الزمن يسمح بذلك.

من هنا، فلا مجال أمام مجتمعاتنا وشعوبنا إلا أن تقبل بالتعددية على كلّ المستويات، الفكرية والسياسية والاجتماعية. على أن يتبع ذلك إقرار بالتعايش والاحترام المتبادل، حتى نستطيع تجاوز انشغالنا بالخلافات والنزاعات، وأن نفرغ إلى إدارة شؤوننا العامة بروح الفريق الواحد، الذي يسعى لحفظ المصالح المشتركة.

الخطبة الأولى

زيارة الحسين الغاية والمضمون

جاء بسند معتبر عن حنّان بن سدير قال: «قال لي أبو عبدالله جعفر الصادق عليه السلام: زوروه - يعني الحسين بن علي - ولا تجفوه فإنه سيّد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة»[1].

هناك كثافة في الروايات التي تحث على زيارة الإمام الحسين عليه السلام والتي لا تجد مثيلًا لها في الدعوة إلى زيارة مراقد بقية الأئمة عليهم السلام، بل حتى في الدعوة إلى زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله. وهناك خصوصية ملحوظة في الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام في النصوص والروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، مما يطرح تساؤلًا كبيرًا، سيما ونحن نعلم أنه لا أحد من أهل البيت أو أتباعهم يعتقد بأفضلية الإمام الحسين عليه السلام على جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبيه علي، وأمه فاطمة، وأخيه الحسن، وقد ورد عنه عليه السلام ـ أي الحسين ـ أنه قال: « أبي خير مني، وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة»[2]. لكن المسألة لا ترتبط بأفضلية الشخص، بل ترتبط بنوعية الدور الذي قام به الإمام الحسين، حيث قام بدور مميز هو المواجهة والرفض للاستبداد والطغيان. هذا الدور النوعي الذي قام به الحسين دعاه إليه الظرف الذي عاشه وعاصره، وإلا فكلّ واحد من الأئمة مستعد للقيام بنفس الدور وقد أراد أهل البيت عليهم السلام ربط الأمة وأتباعهم بهذا الدور.

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٤، ص ٤٣١، حديث ٦.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢، ص٩٤.

الامة في ظل الاستبداد:

وقعت الأمة تحت حكم الاستبداد والجور، وكانت هناك ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: الخنوع والخضوع للأمر الواقع.

وقد تجاوز أتباع هذا الاتجاه مستوى الخضوع العملي إلى الرضا النفسي والقبول الفكري بواقع الاستبداد والظلم. وهذا ما يتضح من النصوص والآراء الفقهية القائلة بقبول ولاية المتغلّب الذي يسيطر على الأمة بالقوة. وقد نقلوا عن أحد الفقهاء قوله: «ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمّي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا، برًا كان أو فاجرًا»[١]. بل ينقل ابن تيمية في كتابه منهاج السنة: فكثير من أتباع بني أمية أو أكثرهم كانوا يعتقدون أن الإمام لا حساب عليه ولا عذاب، وأن الله لا يؤاخذهم على ما يطيعون فيه الإمام، بل تجب عليهم طاعة الإمام في كل شيء والله أمرهم بذلك، وكلامهم في ذلك معروف كثير.

وقد أراد يزيد بن عبد الملك أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز فجاء إليه جماعة من شيوخهم فحلفوا له بالله الذي لا إله إلا هو أنه إذا ولى الله على الناس إمامًا تقبل منه الحسنات وتجاوز عنه السيئات. ولهذا تجد في كلام كثير من كبارهم الأمر بطاعة ولي الأمر مطلقًا، وأن من أطاعه فقد أطاع الله[٢].

الاتجاه الثاني: الثورة والصدام. لرفض للظلم والاستبداد، وإعلان التمرد على السلطات، وهذا نجده في اتجاه الخوارج، وفي اتجاه الزيدية، وبعض الثوار من العلويين. كانوا يتبنون مواجهة النظام الظالم بالسلاح والقوة. ومن المعلوم أن التمرد والكفاح المسلح له مضاعفات، فقد ينجح وقد لا ينجح، وغالبًا ما لم يكن ينجح، وإذا

(١) أبي يعلي محمد بن الحسين الفرّاء الحنبلي، الأحكام السلطانية، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، (مكتب الإعلام الإسلامي)، ص٢٣.

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية، ج٣، ص٢٦٢.

نجح كما نجحت ثورة العباسيين فإن البديل لم يكن أفضل من الحكم الذي سبقه.

الاتجاه الثالث: دراسة الواقع لتبنّي الخيار الأنسب. وهو الاتجاه الذي قاده أئمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، حيث الأخذ بعين الاعتبار واقع الأمة ومصالحها، وأنه ليس في كل وقت يمكن القيام بعمل مسلح، وليس أي شخص أو جهة يوثق بها حتى تقوم بتبديل النظام بالقوة.

هذا الاتجاه يحتاج إلى تعزيز الوعي السياسي في أبناء الأمة، بحيث تنمو عندهم حالة الرفض للاستبداد في نفوسهم وفي عقولهم، وإذا كان الظرف لا يسمح والمصلحة لا تناسب أن يكون هناك مواجهة فلا أقلّ أن تبقى نفوس الناس في دائرة الممانعة والرفض للاستبداد والطغيان. فمنهج أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ليس مع أولئك الذين قالوا بولاية المتغلب، بحيث يرى الناس أن هذا الحكم يمثل الدين، لكنهم يأخذون بعين الاعتبار مراعاة الواقع ومصلحة الأمة. فسلكوا هذا الطريق وهو تبيين حكم الإسلام، وإثارة الوعي السياسي في نفوس أبناء الأمة، فلا قبول نفسي بواقع الظلم والاستبداد، ولا تهور وطيش في مواجهة بغير شروطها وظروفها المناسبة.

الحسين الرمز:

سلك أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ من أجل تعزيز هذا النهج عددًا من الوسائل، كان من أهمها ربط الناس بالإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾. من أجل أن يعرف الإنسان أنه إذا فرض عليه الواقع أن يعيش تحت هذا الظلم ألا يقبل بذلك الأمر نفسيًا. وبهذا نفهم الخصوصية للإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ في إحياء ذكراه، حيث جاءت النصوص الكثيرة حول زيارة الحسين ﴿عليه السلام﴾ والبكاء عليه. ومن تلك الأحاديث ما يوصي به الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ شيعته بقوله: «زوروه ولا تجفوه فإنه سيد الشهداء». ويبين السبب لذلك وهو الدور النوعي الذي قام به إلى حد الشهادة والتضحية وتحمل كل تلك الآلام والمصائب. والروايات كثيرة حول زيارة الإمام الحسين وإذا كانت ليست كلها صحيحة السند، فإن الصحيح منها

ليست بقليلة. والزيارة الواردة في أول شهر رجب تبين الهدف من الزيارة: «لبيك داعي الله إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري»[١].

فإذا أراد الواحد منّا أن يبكي الحسين، وأن يزور الحسين، فعليه أن يستحضر نهج الحسين عليه السلام، ويرتبط بالدور الذي قام به، فلا يخنع للباطل، ولا يقبل به نفسيًّا وفكريًّا. وإذا كانت الظروف تفرض نوعًا من القبول الظاهري والمهادنة، فإنه يجب أن نحذر من القبول النفسي والفكري. هذا ما تؤكّده الروايات، التي تبيّن أهمية معرفة الإمام الحسين عليه السلام فمن زار الحسين «عارفًا بحقه»[٢]، أي عارفًا بقضيته والأمر الذي ثار من أجله.

بالأمس كانت مناسبة الأربعين ورأينا كيف احتشد المؤمنون وزحفوا بالملايين نحو قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام وأحيوا المناسبة في كل مكان. إن هذا يمثل استجابة للروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وينبغي أن تكون هذه الزيارات سبيلًا لتحقيق المقصد والتوجه الذي أكّده أهل البيت في فضل زيارة الحسين عليه السلام وهدفها. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بسند معتبر أنه قال: «من زار قبر الحسين بن علي عليه السلام عارفًا بحقه كتبه الله في عليين»[٣]. والإنسان الذي يزور يستحضر صفات الحسين عليه السلام وسلوكه، ولهذا يقول في زيارته: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله حتى أتاك اليقين»[٤]. وهذا كلّه من أجل الاقتداء.

---

(١) المصباح، الكفعمي، ص٤٩٢.

(٢) الكافي، ج ٤، ص٥٨٠، حديث ١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ١، ص٤٨.

(٤) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص٧٢٠.

الثروة الهائلة وتخلف التنمية

﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾
[سورة النمل، الآية: ٤٠].

إنّ الله سبحانه ليس بحاجة إلى شكر عباده. وحينما يؤكّد سبحانه الشكر له إنما من أجل مصلحة عباده أنفسهم؛ لأن شكر النعمة يعني معرفة قدرها، وحسن التعامل معها، فيكون ذلك لمصلحة العبد وليس الرب. يقول تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[سورة النمل،الآية: ٤٠].

مراتب شكر النعمة:

الأولى: معرفة قيمة النعمة وأن مصدرها هو الله سبحانه وتعالى، المتفضل على الإنسان بنعمه. فهذه المرتبة ترتبط بالإدراك والمعرفة.

الثانية: التعبير عن هذا الإدراك بما يكرسه في النفس، بالشكر اللفظي لله تعالى.

الثالثة: وهي الأهمّ، الشكر العملي. أن يكون التعامل مع النعمة تعاملًا صحيحًا كما يقول تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[سورة سبأ، الآية: ١٣].

شكر النعمة يعني حسن التصرف فيها، فلا تهدر وتُضيع، ولا تنفق في معصية الله تعالى، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «أقلّ ما يجب للمنعم أن لا يُعصى بنعمته»[١].

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١١٧، حكمة ٤٦٥.

حسن التصرف في النعمة ينمّي النعمة. حين يكون عند الإنسان ثروة ويحسن التصرف فيها تتضاعف وتزيد، وهذا ما تشير له الآية المباركة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[سورة ابراهيم، الآية: ٧].

هذا الأمر لا ينحصر في الإنسان الفرد، بل هو كذلك على صعيد الشعوب والأوطان.

هناك بلدان فيها ثروات كثيرة، لكن شعوبها لم تستفد من ثرواتها بل كانت وبالًا عليها، وذلك لوجود سياسات ظالمة تكفر بالنعم، تتعامل مع الثروة بالفساد وبعدم التوازن في الإنفاق، وهذا هو الكفر بالنعمة الذي تشير له الآية الكريمة: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[سورة ابراهيم، الآية: ٧]. أما كانت للعراق ثروات هائلة طائلة؟ فيه البترول والماء والكفاءة البشرية، ولكن ماذا فعل النظام الجائر الذي حكم العراق؟ لقد حوّل نعمة العراق إلى نقمة، وما يزال الشعب هناك يعاني تركة النظام الزائل. وليبيا ألم يكن فيها نعم؟ بلد صغير وشعب قليل، والنفط فيه وافر كثير، ولكن ماذا استفادت ليبيا وشعبها من تلك الثروة؟

ونحن في هذا الوطن نواجه نفس التحدّي، فإن الكفر درجات والظلم درجات والفساد كذلك، وكل درجة من درجات الفساد فإنها تهديد بنفس الدرجة بعذاب الله تعالى. قرأنا وسمعنا الإعلان عن موازنة البلد بأرقام فكلية. حيث كان الدخل المتوقع للعام المقبل ٨٢٩ مليار ريال بما يعادل ٢٢١ مليار دولار وهو رقم كبير، وما رصد للإنفاق للعام المقبل ٨٢٠ مليار ريال والفائض ٩ مليار ريال.

كيف نؤدي الشكر؟

لا شك أن هذا ناتج لنعمة الله تعالى علينا وعلى بلادنا، لكن الامتحان هل نشكر هذه النعمة كحكومة وشعب؟ المشكلة ليست في الشكر اللفظي، وإنما في الشكر العملي. وهو يأتي ضمن الأمور التالية:

أولًا: إنفاق هذه الثروات على بناء الإنسان ومستقبل البلد. وذلك بأن تتحول هذه الثروة إلى علم وصناعة وتنوع في موارد الدخل، هذا النفط ليس أبدي الوجود، وإذا زال فماذا يبقى عندنا؟ هذه الثروة يجب أن نحولها إلى تنمية وقدرات وإمكانات.

ثانيًا: الاهتمام بالبنية التحتية.

ثالثًا: تلبية حاجات الناس، وخاصة الشرائح الضعيفة في المجتمع.

وهنا يجب أن نطرح تساؤلًا على أنفسنا؛ في مقابل هذا الرقم الكبير لهذه الثروة ماذا يعني بالمقابل الأرقام الأخرى التي نقرؤها وتؤشر على بؤس المجتمع وتخلفه؟ هل أن هذه الحالة تعتبر شكراً للنعمة أم درجة من درجات الكفر بالنعمة؟

قبل أيام، أعلن وزير العمل في المملكة أن عدد العاطلين عن العمل يبلغ مليوني شخص. وماذا يعني العاطل عن العمل؟ يعني أنه لا تتوفر له حاجيات حياته، وهذه حالة خطرة إذ إنه سيشعر بعدم الرضا بما هو عليه، وقد يسلك ما يضرّ به ويضرّ بمجتمعه. وهناك حديث عن حالات الفقر، كالتقارير التي تشير إليها المؤسسات المختصة، ماذا يعني وجود العدد الهائل من الفقراء؟ ماذا يعني وجود هذه الأزمة في السكن؟ ونحن نقرأ أن أقل التقارير تشير إلى أن ٦٠٪ من المواطنين لا يملكون سكنًا. ألشحٍّ في الأراضي؟ أم أن هناك أيدٍ تلعب بثروات البلاد؟ حتى الوزارات الرسمية أصبحت تشكو شح الأراضي، كما أعلنت مؤخرًا وزارة التربية عن حاجتها لـ ٢٠٠ قطعة أرض لبناء مدارس! هذه تقارير يرعب منها الإنسان، وهي ليست ادّعاءً من أفراد، بل مثبتة من مؤسسات رسمية تعلن عنها.

جريدة المدينة تنقل عن الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد أنها خاطبت وزارة الصحة عن مستشفى حائل العام الذي أنشأ سنة ١٣٧٢هـ أي قبل ستين عاماً، هذا المستشفى يشكو من تكدّس النفايات خارجه وعدم نقلها أولًا بأول. كما يشكو من اتساخ جميع

ممرات ومناور المستشفى الخارجية، وتراكم أدوات ومعدات قديمة، ووجود طفح لمياه الصرف الصحي الذي يربط بين المطبخ وأجنحة المستشفى، مما قد يتسبب في نقل الأمراض. إضافة إلى أن الصيانة لا تقل سوءًا، فأجهزة التكييف متعطلة تمامًا، وتم الاستعاضة عنها بوحدات تكييف منفصلة وهو ما قد يسبب انتقال الميكروبات والجراثيم، كما لوحظ ضيق قسم العناية المركزة، حتى مستلزمات المرضى لا تلقى العناية المطلوبة، فشراشف المستشفى مضى على استعمالها ٤ أيام دون تغيير، وهناك عطل في المعدات المستخدمة في نقل البطانيات مما أدى إلى تكدسها في غرفة الغسيل منذ ثلاثة أشهر، فضلًا عن النقص الحادّ في الكادر الطبي، وأجهزة تحليل هرمونات الدم، وأجهزة تخطيط قلب الجنين[١].

هذا المستشفى ليس في أدغال أفريقيا ولا في بلد فقير، ولعلّ بعض الناس في بعض مناطق المملكة يشكون أكثر، لماذا يكون هذا الوضع في بلد ثري وله هذه الميزانية الضخمة؟ هل هذا شكر النعمة؟ إننا مطالبون على المستوى الوطني بأن نفكر ونتأمل في هذا الأمر، فإن التحذير الإلهي للناس صريح التحذير: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، ليس عذاب الآخرة فقط وإنما هو عذاب الدنيا، وقد رأينا في البلدان الأخرى ما حصل حينما تفشى الفساد وحينما لم تكن هناك مراعاة لمعاناة الناس. لذلك نحن وكل الواعين قلوبنا على وطننا، ومن هذا المنطلق ننصح ونحذر من كفر النعم؛ لأن في ذلك عذاباً شديداً من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

---

(١) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الجمعة ١ صفر ١٤٣٤هـ الموافق ١٤ ديسمبر ٢٠١٢م، العدد ١٦٢٤٤.

الخطبة الأولى

الشخصية المتشنجة والفهم الخطأ للدين

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[سورة القلم، الآية: ٤]

اليوم الثامن والعشرون من شهر صفر هو ذكرى وفاة رسول الله ﷺ، وهو يوم الفاجعة التي لم تفجع الأمة بأعظم منها، فبها انقطع الوحي من السماء إلى الأرض، وبها فقدت البشرية من على وجه الأرض أحبّ الخلق إلى الله عزّ وجلّ.

حينما نعيش هذه الذكرى فإن علينا أن نعيش في رحاب سيرة رسول الله ﷺ. وحينما نقرأ سيرة رسول الله ﷺ نجد أن الله تعالى يركز على صفة مهمة وأساس من أعظم صفاته، وهي أخلاقه يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[سورة القلم، الآية: ٤]. والحديث عن أخلاق رسول الله ﷺ يهمّنا لأمرين:

الأول: أن نعرف شيئًا من عظمة رسول الله ﷺ؛ لأن عظيم خلقه تجلٍّ لعظيم شخصيته.

الثاني: حتى يكون الرسول قدوة وأسوة لنا في حياتنا وسلوكنا.

وما أحوج المسلمين للاستضاءة بسيرة رسول الله ﷺ، بأن تكون حاضرة معهم في كلّ وقت؛ في دروسهم، وأعمالهم، ووسائل إعلامهم، فهي أفضل علاج للأزمات الأخلاقية التي تعيشها الأمة.

رسول الله ﷺ مثل النموذج الأرقى والأروع في تاريخ البشرية من حيث الأخلاق، ولهذا يشيد الله تعالى بعظيم هذه الصفة فيه ويخاطبه قائلًا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية: ٤].

أما الإمام عليّ عليه السلام فيصف أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «كان دائم البِشْر سهل الخلق، ليِّن الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مزّاح ولا مدّاح يتغافل عمّا لا يشتهي»[(١)].

وكان صلى الله عليه وآله يحثّ أمّته على الاهتمام بحسن الخلق ويقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». ويروي الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن جدّه صلى الله عليه وآله أنه قال: «عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإيّاكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة»[(٢)]. وعنه صلى الله عليه وآله: «أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم خلقا»[(٣)]. وعنه صلى الله عليه وآله: «الإسلام حسن الخلق»[(٤)]. وإذا كان المؤمن يرغب في عظيم ثواب الله تعالى يوم القيامة فيهتم بالعبادات المختلفة، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله يوجه المؤمن إلى أنه بإمكانه أن ينال الثواب الأكبر من الله عن طريق آخر وهو حسن الخلق، ورد عنه صلى الله عليه وآله: «إن العبد ليبلغ عظيم بحسن خلقه درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة»[(٥)]. وقد يقلق الإنسان على شيءٍ من حجّه أو صومه أو صلاته خوفًا من عدم أدائها بالطريقة الصحيحة، وهذا مطلوب من حيث الإتقان، ولكن هل حرصه على معاملة الناس كحرصه على هذه العبادات؟ حينما نقرأ النصوص نجدها تؤكد أن الإنسان ينبغي أن يكون أحرص على حسن الخلق وحسن التعامل مع الآخرين، ولهذا ورد عنه صلى الله عليه وآله: «سوء الخلق ذنب لا يغفر»[(٦)].

من مظاهر سوء الخلق ممارسة التديّن بتشنج وتوتر. ويظهر ذلك في علاقة الإنسان مع المختلفين معه في الدين أو المذهب، أو حتى مرجع التقليد! لماذا نجعل من

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ٢٨٤.
(٢) بحار الأنوار، ج١٠، ص٣٦٩، حديث ١٩.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٤١.
(٤) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٣، ص١٧، حديث ٥٢٢٥.
(٥) المعجم الكبير، الطبراني، ج١، ص٢٦٠.
(٦) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج ١، ص٢٧١.

هذه الأمور مصدرًا لتوتر العلاقات بيننا وبين الآخرين؟ الإنسان المؤمن ليس إنسانًا متشنجًا، فالإيمان لا ينتج شخصية متوترة متشنجة، ومن يكون كذلك ففي شخصيته خلل. إننا نجد القرآن الكريم يصف المؤمن بطمأنينة قلبه يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّـهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[سورة الرعد، الآية: ٢٨]. شخصية المؤمن هي تلك الهادئة المستقرة الوادعة، أما المتشنج الذي يكره هذا، ويحقد على ذاك، ويتضارب مع شخص ما لأنه يختلف معه في شيء من أمور الدين، معتقدًا أن ذلك من حبّ الدين والحرص عليه، والواقع هو غير ذلك، فهذا إساءة للدين. الإنسان المتشنّج يفسد دينه في داخل نفسه، ويشوّه سمعة دينه ومذهبه ومدرسته عند الآخرين.

قد يكون رأيك صحيحًا، وقد يكون رأي الآخر صحيحًا، وربما كان رأيه خطأ لا خلاف فيه، ولكن ذلك لا يستلزم التشنج والتوتر.

إذا قرأنا سيرة رسول الله ﷺ وهو قمة الدين فهل سنزايد على تديّنه، أو على تديّن الأئمة، وقد كانوا مرنين مع الناس، ولم يكونوا متشنجين متوترين، حتى نكون بهذا القدر من التوتر والتشدد؟ ورد عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أن نصارى نجران لما وفدوا على رسول الله... وحضرت صلواتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس وصلوا، فقال أصحاب رسول الله: يا رسول الله هذا في مسجدك؟ فقال: دعوهم»[1].

هكذا كانت رحابة الصدر وسعة النفس عند رسول الله ﷺ، بينما نتعامل مع بعضنا بفتاوى التكفير وتراشق الاتهامات لأدنى اختلاف بيننا. ونتساءل: هل يجوز لنا أن نبارك للمسيحيين في عيد رأس السنة؟ ونشغل الخطب والمنابر بهذا الأمر! لماذا هذا التشنج؟

هذه مناسبة إن كانت دينية وهي ميلاد نبي الله عيسى المسيح فهي أمر طيّب، ولا بأس أن يبارك الناس لبعضهم بولادة نبي من أولي العزم، وإن كانت بداية العام عندهم، فما المشكلة وهي عرف اجتماعي عندهم؟

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢١، ص٣٤٠، حديث ٦.

جاء بعض العجم في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وهم يحملون بعض الحلويات ويبدو عليهم الفرح، فسألهم عن ذلك؟ قالوا: هذا يوم النوروز، يوم السنة الجديدة للفرس، فقال عليه السلام: «نوروزنا كلّ يوم»[١] أو «نيرزونا كل يوم»[٢]. وعن أنس بن مالك قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ، مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ»، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ، لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ»[٣]. لم يتشنّج رسول الله ﷺ لهذا الأمر، ولم يقبل من قومه أن يؤذوا الرجل.

الشخصية المتديّنة ينبغي أن تتحلى بسعة الأفق للمختلفين معها في الدين والمذهب. قد تجد داخل المذهب من يخالفك في أمرٍ ما، عقدي أو تاريخي أو ما شابه، كما نسمع عن الاختلاف في موضوع الشعائر، وعلى أمور غاية ما يقال عنها أنها مستحبة، والاختلاف في هذه الأمور أمر طبيعي لا يستوجب هتك الحرمات والتشهير بالآخرين، والنيل منهم، والتشكيك في معتقداتهم. يخبرني أحد الفضلاء أنه سجّل برنامجًا في إحدى الفضائيات وكان له رأي حول بعض الشعائر، فأوقفت تلك القناة بث الحلقات؛ لأنه يحمل هذا الرأي! هل هذا دين وعقيدة؟ هذه شخصية متشنجة متوترة، والدين يربي الشخصية الهادئة الوقورة المتزنة المطمئنة بذكر الله عزّ وجلّ.

لهذا نحن بحاجة ماسّة لقراءة سيرة رسول الله ﷺ الذي مثّل قمة الأخلاق، وذلك للاقتداء به. إذا كنا نريد أن نكون متدينين حقًّا، فالتديّن الحقّ ليس بالتشنج والتوتر، بل بحسن الخلق وسعة الصدر، هذا هو التديّن الذي يأمر به رسول الله ﷺ والذي مارسه في حياته.

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٦، ص٣٩٥.
(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٣، ص٣٠٠.
(٣) صحيح مسلم، كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَاب وُجُوبِ غَسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ، حديث ٤٣٤.

الخطبة الثانية

إثارة العقول ومواجهة الخرافات

وورد عن أنس بن مالك أنه قال: «أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى أبلغوا في الثناء عليه في خلال الخير. فقال رسول الله ﷺ: «كيف عقل الرجل؟» قالوا: يا رسول الله، نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله! قال ﷺ: «إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غدًا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم»[1].

وورد عنه ﷺ: «إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله فإنما يجازى بعقله»[2].

أهم منحة منحها الله تعالى للإنسان هي نعمة العقل. فهو نور يستضيء به الإنسان في دروب الحياة، وأمره الله أن يستفيد من هذا النور، فهذه الحياة وهذا الكون خلقه الله على أساس نظام وتدبير ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[سورة القمر، الآية: ٤٩]، ليس عبثًا ولا صدفة، لهذا على الإنسان أن يجزل الشكر لهذه النعمة العظيمة بالاستخدام الحسن لعقله، حتى يدير شؤون حياته، ويتعامل مع مختلف الظروف فيها. ويستطيع الإنسان أن يثق بعقله لإدارة شؤون حياته، لكن العقل يدرك أن هناك مساحات غيبية لا

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص١٥٨، حديث ١٤٤.

(٢) الكافي، ج١، ص١٢، حديث ٩.

يستطيع اقتحامها، فما هو الحلّ؟

الإيمان بالغيب واستغلال الخرافيين:

بعض الناس أمام هذه المساحات الغيبية يعتمدون على الأوهام والظنون، لكن الله تعالى يرشد الناس للاهتداء بعقولهم حتى في هذه المساحات الغيبية: العقل يرشدكم إلى أن تعرفوا الحقائق عن طريق الفطرة كالإيمان بالله تعالى، وعن طريق الوحي الذي يبلغه الرسول والأئمة ﷺ، ما كشفه الوحي لكم من أمور الغيب آمنوا به، وما لم يكشفه الوحي فله بحث آخر. لذلك يأخذ الإنسان ويعمل بما ثبت نقله عن طريق الوحي، وما لم يكن ثابتًا فهو صنفان: هناك ما اتضح خطؤه ومخالفته للعقل كحديث أو رواية أو كلام يدور بين الناس، فلا يطالب الإنسان بالأخذ به ما دام لم يثبت بسند صحيح. أما إذا كان السند ضعيفًا وفيه مخالفة للعقل فهو مرفوض قطعًا. وأما إذا لم يكن فيه مخالفة للعقل فهو في دائرة الاحتمال، فيوكل علمه إلى الله وإلى من يبلغ عن الله تعالى. فليس مطلوباً منك أن تؤمن بشيء لا ترى في عقلك دليلًا عليه أو قبولًا له.

مشكلة البشر في مختلف العصور أنهم في مساحات كبيرة يعتمدون على الأوهام والظنون والخرافات، وهذا ما ينهى عنه الوحي يقول تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١١٦]، والخرص بمعنى التخمين والاحتمال. ويقول تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[سورة يونس، الآية: ٣٦]. لا ينبغي للإنسان أن يسير خلف الأوهام والظنون وإنما ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٦]، لا تقبل شيئاً إلا بدلالة وعلم، ولكن المجتمعات غالبًا ما تكون أسيرة الأساطير والخرافات.

والخرافة مأخوذة من الخرف والتخريف عند كبر السن وهو ما يسمى بالزهايمر، الخرافة تعني أكاذيب وأوهام، وكان العرب في الجاهلية حسبما ورد في كتب اللغة عندهم شيء يسمى حديث الخرافة وهو كما يقولون ما يستملح من الكذب، أي

أكاذيب لكنهم يستلطفونها. وكان الأجداد والجدات في مجتمعنا سابقاً يقولون للأطفال خرّافة، أي أسطورة، وهم يعلمون أنها ليست صحيحة، ولكن يستملحونها. وهذا مقبول في هذا الحدّ، ولكن أن يُبنى عليها مواقف وأحكام فهذا خطأ ولا يقبله الإسلام.

الإسلام ثورة على الخرافة:

الأديان جاءت لتستثير العقول كما يقول علي ﷷ عن هدف بعثة الأنبياء: «وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ»[1]. الخرافات والأساطير تتراكم على عقول الناس، ويجيء النبي ليكنس هذه الخرافات، ويستنهض العقل، حتى يفكر الناس بعقولهم.

حينما جاء رسول الله ﷺ كان المجتمع الجاهلي مرتعًا للخرافات، وأبرزها عبادة الأصنام، ومن الخرافات التي كانوا يعتمدونها في حياتهم هو إشعال الحريق إذا تأخّر عنهم المطر بدل الصلاة! والحريق لا علاقة له بالمطر. ومنها عندما يموت شخص سيما إذا كان زعيمًا يحفرون بجانب قبره حفرة ويضعون فيها جملًا، فإذا ما بُعث يكون جمله بجانبه فلا يحشر راجلًا! ومن خرافاتهم إذا أصيب أحدهم بحالة نفسية يعلقون في عنقه عظم حيوان، ويعلقون في أعناق الأطفال ناب حيوان عن الحسد والجنّ والعفاريت. وإذا ضاع أحدهم يلبس ثوبه مقلوبًا حتى يهتدي طريقه!

حينما جاء رسول الله ﷺ حارب كلّ هذه الخرافات، واستثار عقولهم: لماذا تقبلون هذا الكلام الذي لا دليل عليه؟ وقيل أنه ﷺ حينما كان في صغره في سن الرابعة وكان في حضانة حليمة السعدية، أراد أن يذهب مع إخوانه من الرضاعة في أحد الأيام للعب، فنادته حليمة، فعلقت في عنقه خيطًا فيه جزع يمانية فنزعها ثم قال ﷺ: «مهلًا يا أمّاه، فإن معي من يحفظني»[2].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.

(٢) بحار الأنوار، ج١٥، ص٣٩٢.

وقد تستفيد بعض الزعامات أحيانًا من الخرافة؛ لأنّ الناس يستجيبون للقضايا العاطفية، فيأتون لهم بالأطياف والقصص، بينما كان رسول الله ﷺ على الضدّ من ذلك تمامًا، وهذا يتمثل جليًا في الحادثة المعروفة، لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ حزن النبي ﷺ وصادف في ذات اليوم أن انكسفت الشمس، فأشاع الناس أن الكسوف كان بسبب موت إبراهيم ـ ولو قيل ذلك لزعيم آخر ربما أنس بهذا واستفاد من الحادثة في تعظيم شأنه ومكانته ـ لكن نبيّ الحقّ لا يقبل الجهل والخرافات، فصعد رسول الله ﷺ المنبر «فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس، إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره مطيعان له لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا انكسفتا أو واحدة منهما فصلوا، ثم نزل فصلى بالناس صلاة الكسوف»[١].

العقلانية منهج الدين:

المشكلة أن الأديان باعتبار وجود الجانب الغيبي ضمن معتقداتها تكون في معظم الأحيان مرتعًا للخرافات عن طريق المنتسبين لها، فبعضهم يدخل أساطير وخرافات يمررها على الناس باسم الدين. نحن حينما نقرأ في الأحاديث عن أهمية العقل، وأهمية الرجوع له في كل شيء نكتشف أهمية إعمال العقل، واهتمام الدين به، فعلي عليه السلام يقول: «العقل يهدي وينجي»[٢]. ويقول عليه السلام: «لا يستعان على الدهر إلا بالعقل»[٣]. عادة ما إذا كان هناك شيء غير واضح للناس يفسّرونه بتفسير خرافي، بينما على الإنسان أن يعمل عقله، وألّا يسير على الخرافات، لكن هذه الأمور موجودة حتى في المجتمعات المتقدمة، ولعلّكم سمعتم قبل أيام الحديث

(١) الكافي، ج ٣، ص٤٦٣.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٨، حكمة ١٤٢١.
(٣) بحار الأنوار، ج ٧٥ ص٧، حديث ٥٩.

عن نهاية العالم ٢٢ يناير[١]، حيث تأسست شركات وعملت حقائب لنهاية العالم، وهناك من يتاجر بهذه الأمور.

في مجتمعنا مرّت كثير من الأمور نضحك عليها الآن، كبار السن يذكرون (العذرة) وقت الزواج، وهي طبخ الرز بطريقة معينة تسمى (البرنجوش)، قدر عن الزوج وآخر عن الزوجة ينثر في المزارع أو يوضع في الأماكن المظلمة أو تحت السرير ليلة الزفاف، فمن أين هذا الأمر؟ ولو اعترض أحد في ذلك الوقت يخوّف بأمور وخيمة.

ومن الخرافات التي كانت في مجتمعنا إذا ولدت البنت ولاحظوا أن شيئًا من الدم عليها، وهذا أمر طبيعي أن يصاحب المولود شيء من دم المشيمة، لكنهم إذا كانت بنتًا فإنه في ليلة زواجها يقيمون عليها حرسًا حتى لا يقاربها زوجها إلى أن يطلع الفجر، معتقدين بأن عدم فعلهم هذا الأمر يشكل خطرًا على الفتاة! حتى إنّ بعض العرسان كان يتحايل على الأمر بأن يتفق مع بعض أصحابه ليؤذن مبكراً قبل الوقت حتى يذهب الحراس. من أين أتى هذا الأمر هل أخبر به الدين؟، هل تحدث عنه العلم؟

دائمًا في المجتمعات تكون مثل هذه الحالات، ويخوّف الناس بالعواقب الوخيمة حتى لا يخالفوا الفكرة الخرافية. ونحن أتباع دين العقل ونبينا ﷺ يقول: «إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له»[٢]. ويقول ﷺ: «استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه تندموا»[٣]. فما بالنا لا نأخذ بها؟ كيف نقبل شيئًا لا نعرف أصله وسنده ودليله؟ وليس كلّ شيء في الكتب صحيح، وكما أوصى الإمام علي عليه السلام: «كونوا نقّاد

---

(١) في عام ١٩٤٥ قام فريق من العلماء بجامعة شيكاغو الأمريكية والذين قاموا بتطوير الأسلحة النووية الأولي، بإنشاء ما يسمي بمشروع (ساعة يوم القيامة) حيث جعلوا لحظة منتصف الليل هى لحظة نهاية العالم عن طريق انفجار نووى ضخم يطيح بالبشرية من على كوكب الأرض. وأعلن علماء الذرة يوم الخميس ٢٢ يناير سيكون نهاية العالم على هذا الكوكب حسب ما يرمز له في ساعة يوم القيامة.

(٢) تحف العقول، ص٥٤.

(٣) بحار الأنوار، ج١، ص٩٦، حديث ٤١.

كلام»[١]. ورسول الله ﷺ يقول: «ما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله»[٢]، وورد عن أنس بن مالك أنه قال: أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى أبلغوا في الثناء عليه في خلال الخير. فقال رسول الله ﷺ: «كيف عقل الرجل؟» قالوا: يا رسول الله، نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله! قال ﷺ: «إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غدًا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم»[٣]. وورد عنه ﷺ: «إذا بلغكم عن رجل حسن حال فانظروا في حسن عقله فإنما يجازى بعقله»[٤].

ينبغي أن نعرض الأمور على عقولنا، رسول الله ﷺ نعمة علينا، فهو من أنقذ الناس من الجهل والخرافات، ودعاهم للاسترشاد بعقولهم وجاهد وتحمّل الأذى من أجل أن يرجع الناس إلى عقولهم.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢، ص٩٦، حديث ٣٩.
(٢) كنز العمال، ج١٥، ص٩١٦، حديث ٤٣٥٨١.
(٣) تحف العقول، ص٥٤.
(٤) الكافي، ج١، ص١٢.

الخطبة الأولى

حين يهمل الإنسان نفسه

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا تترك الاجتهاد في إصلاح نفسك فإنه لا يعينك عليها إلا الجدّ»[1].

يدرك الإنسان حاجة جسمه إلى الرعاية والاهتمام، لذلك فإنه يتعهّده بالنظافة، كما أنه يدرك حاجة هذا الجسم للرعاية الصحية، فيتعهده بالاستشفاء متى ما داهمه مرض، بل حتى قبل ذلك وقايةً. وهو لا يغفل ـ عادة ـ الاهتمام بسائر ممتلكاته؛ لأنه يدرك أنه إذا أهملها أصابها الخراب. فالسيارة التي تُقلّ الإنسان تحتاج إلى صيانة، وإذا أهملها فقد يصيبها العطل والخلل، وكذلك منزله إذا لم يتعهّده بالنظافة والصيانة فإن الفساد والخراب قد يتسلل إلى نواحيه، وإذا كان لديه حقل ولم يهتم بزرعه وحرثه فإنه يفقد نضارته وقدرته على الإثمار.

هذه الأمور يلتفت إليها الإنسان ويهتم بها، لكنه قد يغفل عن الاهتمام بإصلاح نفسه، هذه الروح التي تمثل البعد الأساس لشخصية الإنسان التي تُجلي حقيقة وجوده في هذه الحياة، لا بُدّ من الاهتمام بها، شأنها شأن الاهتمام بالجسم، وإذا ما ترك الشوائب والأوساخ تتراكم عليها تسلل إليها المرض والوباء، وحينها قد يخسر الإنسان نفسه ويقع في الشقاء.

وهنا يأتي دور التوجيهات الدينية التي توجه الإنسان إلى الاهتمام بما يغفل عنه

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٥٢٦.

غالبًا. فالإنسان لا يحتاج لمن يذكّره بضرورة شرب الماء عند العطش، أو أكل الطعام عند الجوع، أو النوم عند النعاس، هذه أمور تفرض نفسها عليه، لكنه يغفل عن حاجاته الروحية والمعنوية، لهذا فإن النصوص الدينية تؤكّد هذا الجانب.

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «لا تترك الاجتهاد في إصلاح نفسك فإنه لا يعينك عليها إلا الجدّ»، يوجّه الإنسان إلى أن يجتهد في إصلاح نفسه، ولا سبيل لذلك إلا بالسعي والمثابرة. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضًا: «من أهمل نفسه أضاع أمره»[١]. أو «أفسد أمره»[٢] ويقول عليه السلام: «من ذمّ نفسه أصلحها، من مدح نفسه فقد ذبحها»[٣]. ويقول أيضًا: «أعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه»[٤]. وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لا تدع النفس وهواها فإن هواها [في] رداها، وترك النفس وما تهوى أذاها، وكفّ النفس عما تهوى دواها»[٥].

إذا توفرت لدى الإنسان الإرادة لإصلاح نفسه فعليه أن يتعهّد ثلاثة جوانب مهمة:

الجانب الفكري

لا بُدّ للإنسان من التأمل في أفكاره وقناعاته، وتفحّص سلامتها وصحتها. أحيانًا يسترسل الإنسان في أفكار معينة ورثها من بيئته، دون أن يكلّف نفسه عناء دراستها ومراجعتها، للتأكد من مدى صوابيتها. وهذا خلاف ما يأمر به القرآن الكريم، وتأمر به النصوص من حث الإنسان على التفكر والنظر في معتقداته وأفكاره. فإن وجدها صحيحة تمسك بها، وإن وجدها خطأ فعليه أن يستبدل بها ما هو صحيح. ورد عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أنه قال: «عجب لمن يتفكّر في مأكوله كيف لا يتفكّر في

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٤٥١.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٣٤، حكمة٣٩١.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص٤٢٥.
(٤) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ١٣، ص٢٧٠.
(٥) الكافي، ج ٢، ص ٣٣٦، حديث ٤.

معقوله! فيجنّب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه؟»[1].

قد يجذبك منتج حين ترى عرضًا دعائيًا له، ولكن حين التأمل قد تجده غير مفيد لك فتتركه. الأفكار هكذا، قد تُغريك صبغتها ومظهرها، لكن حين التأمل قد تجد فيها خللاً وثغرات فكيف تقبلها؟ قد يخوّف الإنسان بما يدخله البعض من خرافات على الدين من أن عدم التصديق بهذا الأمر قد يضرّك ويصيبك بلعنة، ولكن على الإنسان المؤمن أن يكون حذرًا أمام هذه الأباطيل ويعمل عقله ويأخذ ما يتوافق معه ومع مبادئ الدين.

المشاعر والأحاسيس

ينبغي للإنسان أن يتفحص مشاعره النفسية إضافة إلى تفحصه لأفكاره. أن يتفحص حبّه وبغضه للآخرين، غبطته وحسده، طيبه وحقده. هل الحبّ هذا في مكانه؟ هل البغض هذا له مبرر؟ هكذا ينبغي أن يسأل الإنسان نفسه ويقوّم مشاعره وأحاسيسه تجاه الأشخاص والأفكار والمعتقدات.

الجانب السلوكي

أن يتفكّر الإنسان في سلوكه مع القريبين منه فضلًا عن البعيدين. كيف يكون التعامل مع الزوجة، والأولاد، والوالدين، والجيران، والأصدقاء وكلّ من له علاقة بالإنسان؟ هل العلاقة سوية أم لا؟ وما هو السبيل لتحسينها؟ فهذا جانب لا ينبغي تركه من دون تفحّص ورعاية.

برنامج الإصلاح

برنامج إصلاح النفس يكون عبر الأمور التالية:

---

(١) بحار الأنوار، ج ١، ص٢١٨، حديث ٤٣.

أولًا: محاسبة النفس

كما ورد عن رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»[١]. وفي حديث آخر عنه ﷺ: «يا أبا ذرّ! حاسب نفسك قبل أن تحاسب، فإنه أهون لحسابك غدًا»[٢]. ونصوص كثيرة تأمر الإنسان بأن يحاسب نفسه دائماً. ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسنًا استزاد الله، وإن عمل سيئًا استغفر الله منه وتاب إليه»[٣].

ثانيًا: العرض على القيم

هناك منظومة قيم يؤمن بها الإنسان، فعليه أن يعرض نفسه عليها، وليس فقط أن يعرض الآخرين على القيم. فبعض الناس يؤمن بالعدالة، فيطلب من مديره أن يعدل معه، ويطلب من الدولة والقانون أن ينصفاه، ولكن لا ينظر في نفسه إن كان يعدل مع من هم تحت رعايته كزوجته وأولاده وموظفيه أم لا؟. يطالب بالحرية وعدم التضييق على الناس، لكنه في إطار تعامله مع من حوله لا يمنح لهم الحرية التي يستحقونها! ورد عن أبي ذرّ: «اعرضوا أعمالكم على كتاب الله تعالى»[٤]. كما ورد في الأثر أن على الإنسان أن يعرض نفسه على كتاب الله الكريم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا هُوَ فِيه فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ»[٥].

ثالثًا: استحضار سير الصالحين

حتى يقارن نفسه مع سير الصالحين. في بعض الأحيان يحضر الإنسان مجالس دينية ويسمع أخلاق النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام فلا يزيد عن إبداء الإعجاب بهؤلاء

(١) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص٧٣، حديث ٢٦.
(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٦، ص٩٨، حديث ٧.
(٣) الكافي، ج ٢، ص ٤٥٣، حديث ٢.
(٤) الكافي، ج٢، ص٤٥٨.
(٥) آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه، لابن الجوزي.

الأئمة والعظماء، لكن المسألة ليست الإعجاب بهم، وإنما لتحفّز نفسك على الاقتداء، يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٢١]، ويقول تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[سورة الأنعام، الآية: ٩٠].

رابعًا: إرادة التوبة والتغيير

حينما يحاسب الإنسان نفسه ويعرض نفسه على القيم، ويستحضر سير الأولياء، ومن ثم يرى في نفسه الثغرات والخلل فهل هو مستعدّ للتغير؟ هنا لا بُدّ للإنسان من تفحّص قوة الإرادة لديه، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أرجى الناس صلاحًا من إذا وقف على مساويه سارع إلى التحوّل عنها»[1]. لا بُدّ من المسارعة حتى لا يعطي الإنسان فرصة لأهوائه وشهواته وشيطانه أن يسيطروا عليه.

نحن بحاجة ماسّة إلى تعاهد أنفسنا كما نتعاهد أجسامنا وملابسنا ومساكننا وسياراتنا، فالنفس أولى بالتهذيب والتزكية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[سورة الشمس، الآيتان: ٩ و١٠].

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٠٧، حكمة ١٢٦.

استمرار الأزمات أو البحث عن حلول؟

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[سورة النساء، الآية: ٣٥].

قد تتعرض أيّ علاقة بين أبناء البشر إلى شيءٍ من الاهتزاز، وقد يذبّ فيها بعض النزاعات والاختلافات. حتى العلاقات القريبة الوثيقة ليست بمنأى عن هذا الخطر، كالعلاقة بين الزوجين وبين الوالدين وأولادهم والجيران، وهكذا، إنه احتمال يصعب إلغاؤه؛ لأن البشر ما داموا يمتلكون رغبات ولهم مصالح وإرادة وحرية في التفكير واتخاذ القرار، فإن ذلك قد يحدث بينهم نوعًا من الخلاف، بسبب اختلاف وجهات النظر وتضارب المصالح وتعارض الرغبات، وهذا أمر طبيعي.

الأديان لا تدّعي أنها تغيّر طبيعة البشر وتحدث فيهم حالة مثالية، بحيث لا يتنازعون ولا يختلفون، وإنما تسعى لتقليل الاختلافات ومحاصرتها. أما إلغاء الخلافات فلا يتحقق ما دامت العصمة ليست موجودة في أبناء البشر.

الوقاية من تفشي النزاعات:

والسؤال هنا كيف يمكن تقليل الاختلافات؟

هناك أمران يساعدان على ذلك:

الأول: معرفة الحدود والحقوق المتبادلة. قسم كبير من الاختلافات ينشأ عن الجهل، إذ يرى كلّ طرف أن هذا الشيء من حقّه، أو ذاك الشيء من صلاحياته، وهو ليس كذلك. إن وجود المعرفة عند الناس بالحدود والحقوق المتبادلة، يقلّل إلى حدٍّ كبير من حالات النزاع والخصومة، لهذا فإن الإسلام يؤكد أنه في مجال التعاملات ينبغي أن يكون هناك وضوح وتحديد، لدرجة أنه يبطل العملية التجارية المتبادلة إذا كان أحد الأطراف على جهل أو مغرّر به. ويحث على تدوين المعاملات والاتفاقيات لضمان الحقوق واستمرار العلاقة المتبادلة. قد تؤسّس شركة بينك وبين صديق حميم، وترى أنه لا داعيَ لتوثيق ذلك مع وجود الثقة بينكما، لكن قد يدخل الشيطان يومًا ويفسد هذه العلاقة بأيّ وسيلة.

الثاني: تعزيز القيم والمبادئ. في بعض الأحيان ليست المسألة مسألة جهل، وإنما حالة من العدوان، وذلك لعدم التزام القيم والمبادئ، فهو يعرف أن ذلك ليس من حقّه ولا من صلاحياته، لكنه يكابر ويجور، سيمّا إذا أمن العقاب، ولم يكن هناك نظام يردعه.

هذان أمران من شأنهما تقليل حالة النزاع والخلاف، وقد يحصل مع تحققهما نزاع، فما الحلّ؟ هناك أمران:

كيف نتجاوز الصراعات:

الأول: التعقل وعدم المكابرة. البعض من الناس يندفع مع حالة النزاع، ولا يقبل الصلح إذْ يعتبر ذلك هزيمة له، وهذا غالبًا ما ينبع من حالة التعصّب والجهل. تحت شعار: إمّا أنا أو هو! النزاع يفقد الإنسان شيئًا كثيرًا من راحة أعصابه وجهده ويسبب له مشاكل، وقد يدخل في خلاف ومعركة ظنًا منه أن النتائج لصالحه، فيكابر ولا يقبل النقاش والصلح، ولعلّ النتائج

تأتي عليه لا له، وقديمًا قيل:

دخول المرء في الشبكات سهل ولكنّ التفكر في الخروجِ

الإنسان يحتاج إلى تعقل وتأمل، حتى يستطيع البحث عن حلول وتسويات لأيّ نزاع وصراع. وهذا ما نجده في المجتمعات المتقدمة، يفتشون عن مخارج لحلّ نزاعاتهم، أما في المجتمعات التي تسودها حالة التعصب فإنهم لا يبحثون عن منطقة وسطى، (إما أنا أو هم)، وبالتالي قد يخسرون جميعاً. لهذا فإن النصوص الدينية تؤكّد للإنسان أن يتجنب أيّ نزاع، يقول تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾[سورة النساء، الآية: ١٢٨]. العاقل إذا وجد نفسه بين خيارين إما الاستمرار في النزاع أو التفتيش عن حل، فإنه يختار الأمر الثاني؛ لأنه هو الأفضل، يقول تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ﴾[سورة الأنفال، الآية: ٦١]. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَ لَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ و لِلَّهِ فِيهِ رِضًا فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ وَ رَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَ أَمْناً لِبِلَادِكَ»[١].

الثاني: إرادة الحلّ. على الإنسان العاقل أن يفتش عن حلول لأزماته لا أن يفاقمها، في الآية الكريمة التي جاءت في سياق النزاع العائلي، إلا أنها تصلح لأن تكون دستورًا لكل حالة نزاع، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّـهُ بَيْنَهُمَا﴾[سورة النساء، الآية: ٣٥]، أمر بالوساطة للصلح، وأن يجتمع الحكمان وعندهم الرغبة للإصلاح وليس العناد والمكابرة، حتى يوفق الله بينهما.

إنّ ساحتنا العربية في حاجة ماسّة إلى هذه الروح، وهي إرادة حلّ الخلافات والنزعات. ما نراه الآن في ساحتنا العربية والإسلامية، سواء بين الفئات المختلفة،

---

(١) نهج البلاغة، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشتر، كتاب ٥٣.

وبين الحكومات وشعوبها، كلّ طرف يصرّ على رأيه! لماذا لا يكون هناك تفتيش عن حلّ؟ بعض الأحيان الحكومة تدعو للحوار ولكن المعارضة ترفضه، وفي بلاد أخرى المعارضة تدعو للحوار والحكومة ترفضه! وبالتالي استمرار المشاكل في بلاد المسلمين لمصلحة مَنْ؟ لماذا هذه المكابرة؟ لماذا تكابر الحكومات إذا رأت مطالبة الناس بحقوقهم؟ لماذا تركب رأسها وتمارس القمع على الناس؟ من قال إن هذا الطريق يحلّ المشكلة؟ حكومات كثيرة جربت ذلك وكانت النتيجة تفاقم المشكلة.

وفي بعض الأحيان قد تكون الحكومة تدعو للحوار والبحث عن حلّ، لكن المعارضة تتصور نفسها قادرة على الحسم، وأنها ليست بحاجة للمفاوضة والتحاور، وبالتالي يكون هناك دمار للبلد والوطن.

نحن في ساحتنا العربية بحاجة إلى إرادة الحلّ، لقد عانت أوطاننا كثيرًا من الأزمات والصراعات وسفك الدماء، إلى متى تستمر هذه الدوامة في بلاد العرب والمسلمين؟ أليس هناك تعقّل يُفضي بالبحث عن حلول منصفة، وإن كان على مدى زمن معيّن؟ ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾[سورة النساء، الآية: ٣٥] الإرادة من الطرفين وليس من طرف واحد، وإلا فلن يكون هناك وصول لحلّ.

الخطبة الأولى

الخطاب المذهبي ولغة الاستفزاز

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[سورة الإسراء، الآية: ٥٣].

في مختلف شؤون الحياة قد يجد الإنسان نفسه أمام عدة خيارات، ويفترض أن يختار أنسبها له، وأقربها إلى تحقيق رغباته ومصالحه. فعند مائدة الطعام يجد نفسه أمام ألوان مختلفة من المأكولات فيختار الأنسب لذوقه وصحته، وهكذا في مجال الشراب واللباس والسكن والزواج.

وفي مجال التخاطب مع الناس يكون أيضاً أمام خيارات متعددة، وعليه أن يستعرضها، ويختار الأفضل منها. يريد أن يعبّر عن شيء في نفسه، عن فكرة ما أو موقف، فما هو السبيل الأنسب لذلك؟ هناك تعبير سيء، وهناك حسن، وهناك أحسن. وعليه أن يختار التعبير الأحسن، فذلك يساعده على إيصال فكرته إلى نفوسهم، ويساعده على جذبهم إلى جانبه. لذلك ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من عذُب لسانه كثر إخوانه»[1]، من يكون لسانه عذبًا بكلامه الجميل يكثر محبّوه وإخوانه، بعكس من يختار العبارات السيئة، فهو ينفّر الناس منه حتى لو كانت فكرته صائبة.

لهذا يأمر الله عز وجل رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله بإبلاغ الناس هذه الرسالة: بأن يختاروا أفضل العبارات وأجملها في تخاطبهم مع بعضهم بعضًا يقول تعالى: ﴿وَقُل

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٤٢٤.

لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة الإسراء، الآية: ٥٣]، ذلك لأن العبارة السيئة تعطي فرصة للخلاف والنزاع: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[سورة الإسراء، الآية: ٥٣]، يفسد بينهم عن طريق سوء الخطاب.

لهذا نجد من فنون اللغة العربية التي يتحدث عنها الأدب العربي فن حسن التخلص، وحسن الجواب، وسرعة البديهة، تلك الأدبيات التي يعبّر الإنسان من خلالها عن فكرته من دون أن يسيء إلى أحد. سئل العباس بن عبد المطلب، عمّ رسول الله ﷺ: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ طبعًا من حيث السنّ فالعباس أكبر، فالجواب لا بُدّ أن يكون أنا، ولكن هذا فيه إيحاء يخالف الأدب مع مقام رسول الله ﷺ، فأجاب: هو أكبر منّي وأنا ولدت قبله[1].

وقالوا إن هارون الرشيد سأل يومًا وزيره الفضل بن الربيع عن حزمة خيزران في البيت قال: ما هذا؟ والمسؤول يعلم أن أمّ هارون الرشيد اسمها خيزران، فهل يقول له هذا خيزران يعني هذه أمك؟! لهذا كان جوابه: هذه عروق الرماح، ولم يذكر الاسم.

وقيل أيضًا إنّ أحد الخلفاء سأل ولده وفي يده مسواك: ما جمع هذا؟ والجمع بالطبع مساويك، ولكن مفردة مساويك قد توحي إلى مساوئ المخاطب، فقال الولد: جمعها ضدّ محاسنك، يا أمير المؤمنين.

ومن النماذج التي تبيّن سوء عدم اختيار اللفظ الحسن أن شخصًا سأل أحدهم: هل كان؟ أي إن الشيء الفلاني هل صار؟ فقال المجيب: لا أطال الله بقاءك. فانزعج السائل وقال: ويحك! هلّا قلت: لا، وأطال الله بقاءك.

هكذا ينبغي أن يتربى الإنسان على اختيار الكلمة الأجمل.

لفت نظري تقرير في جريدة الحياة الصادرة أمس الخميس (٢٤/ ١/ ٢٠١٣م الموافق ١٢/ ٣/ ١٤٣٤هـ) بعنوان (الألمان يُطهّرون لغتهم من الكلمات المسيئة)،

---

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ٣، ص٣٢٠ (مناقب العباس بن عبد المطلب).

ومما جاء فيه: أن في ألمانيا من سنة ١٩٩٠ تشكلت لجنة خاصة من ٤ علماء ومجموعة من الصحفيين، غرضها التمحيص في الكلمات غير المرغوب فيها التي تتداولها الصحف ووسائل الإعلام، وقد أعلنوا عن عنوان لهم لمن يرى كلمة غير محبّذة ليراسلهم عنها. وبعد اجتماع اللجنة تصدر تقريرها نهاية العام للإعلام حتى لا يستخدموا الكلمات التي تم رصدها والتي تثير مشاعر بعض الناس.

مقياس لغة التخاطب:

في القرآن الكريم آيات كثيرة ترشدنا إلى حسن التخاطب مع الآخرين، وخاصة في إطار المسألة الدينية، لك دين، وغيرك له دين، لك مذهب وإلى جانبك مذاهب أخرى، فبأيّ لغة تتخاطب مع هؤلاء؟ هل للإسلام رأي في هذا الموضوع أم هو باختيارك؟ بعض الأحيان يصدر الخطاب من شخص معقّد تجاه الآخرين، أو يعيش في بيئة متعصبة متشددة، أو أنه غير ملتفت، فيعتبر كلامه نوعًا من الشجاعة في عرض دينه ومذهبه!

هل الأمر متروك للأهواء والأمزجة أم عندنا مقاييس دينية نعتمد عليها؟

إن لم يكن لدينا ضوابط دينية في لغة التخاطب مع الآخر، فلينطلق كلّ منا من وجهة نظره وتقييمه للأمور، أما مع وجود آيات محكمة واضحة في كتاب الله حول هذه الضوابط، فعلينا التزامها، كقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة الإسراء، الآية: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[سورة البقرة، الآية: ٨٣]. قد يقول قائل هذه للتخاطب بين المؤمنين، لكن الأمر ليس كذلك، فهي آية جاءت في سياق الحديث عن الكفار وأنهم يسيئون لرسول الله ﷺ، وبعد ذلك تأتي هذه الآية وكأنها تقول رغم ما تسمعون من إساءات ضد هذه الشخصية العظيمة يأتي أمر الله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة الإسراء، الآية: ٥٣]. ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[سورة العنكبوت، الآية: ٤٦].

هنا لا بُدّ أن تكون لدينا أخلاق رفيعة سامية عند ممارسة التحاور الديني، والروايات من أهل البيت عليهم السلام كثيرة تصل إلى آلاف الروايات، تؤكد لشيعتهم المداراة والتقية وحسن المعاشرة والمخالطة وحسن التخاطب مع الآخرين، وهي روايات كثير منها صحيحة السند ومعتبرة، ومتواترة في المعنى بحيث تفيد الصحة والاطمئنان، ويكفينا ما ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد سمع قومًا من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفين، فقال: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكن لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم لكان أصوب في القول وأبلغ في العذر وقلتم مكان سبكم إيّاهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقّ من جهله ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به»[1]. هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام وليس قول أحدٍ آخر يمكن أن يُتّهم بالمداهنة أو تمييع العقيدة. وفي مصادر نهج البلاغة أن حجر وعمر بن حمق الخزاعي وهما من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كانا يسبّان أهل الشام فدعاهما الإمام علي عليه السلام ونهاهما، فقالا: يا أمير المؤمنين، أولسنا على الحقّ؟ قال: «بلى». قالا: أليسوا على الباطل؟ قال: «بلى». قالا: فَلِمَ تنهانا عن سبّهم؟ قال: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين»[2].

المسألة ليست مسألة حقّ أو باطل، بل هي مسألة تدخل ضمن أخلاق التخاطب مع الآخرين. جاء في ترجمة السفير الثالث للإمام الحجة عجل الله فرجه، وهو أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي، أنه قد بلغه أن بوّابًا له على الباب الأول قد لعن معاوية وشتمه، فأمر بطرده وصرفه عن خدمته، فبقي مدة طويلة يُسأل في أمره فلا والله ما ردّه في خدمته[3].

المسألة ليست أن معاوية يستحق الشتم أو لا يستحق، ولكن هل هو مناسب في هذا الوقت والمكان أم لا؟

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ٢٠٦.
(٢) مصادر نهج البلاغة، ج٣، ص ١٠٣.
(٣) بحار الأنوار، ج٥١، ص٣٥٧.

هذا ما تؤكّده النصوص عن أهل البيت ﵈ وفي طليعتهم أمير المؤمنين ﵇ الذي يقول: «أتحبّون أن يُكذَّبَ الله ورسوله؟ حدثوا الناس بما يعرفون وأمسكوا عما ينكرون»[1].

ربّ كلمة يقولها صاحبها فتسبب ردة فعل من المنحى والمنهج الذي يتبعه، يقول الإمام الصادق ﵇: «رحم الله عبدًا استجرّ مودة الناس إلى نفسه وإلينا، بأن يظهر لهم ما يعرفون ويكف عنهم ما ينكرون»[2].

ما أحوجنا إلى هذه الأخلاق في تخاطبنا مع الآخرين، أن ندعو بالتي هي أحسن، لا أن نستفزّ الآخرين بخطابنا كما هو شغل البعض تجاه الأطراف الأخرى، هذه ليست من منهج أهل البيت ﵈، هذه عقد نفسية وسوء فهم، أما الإنسان المؤمن فيكون هدفه إيصال رسالة دينه للآخرين، واستقطاب الآخرين لفكره ومنهجه ودينه، وهذا بالتأكيد لا يكون إلا باختيار التي هي أحسن من لغة التخاطب والتعبير.

(١) بحار الأنوار، ج ٢ ص٧٧، حديث ٦٠.
(٢) كتاب الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، ص٤٢.

الانتخابات الإسرائيلية والواقع السياسي العربي

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[سورة الحج، الآية: ٤٦].

يدعو القرآن الكريم الإنسان لاستخدام عقله في التفكر والتأمل فيما يراه أمامه من وقائع الحياة، ومن الأحداث التي تجري في المجتمعات المختلفة، ليأخذ من ذلك الدروس والعبر. وعدم ممارسته لهذا الدور يعني أنه جمّد عقله ولم يستخدمه، فيكون كمن يسير بلا بصر؛ لأن الإنسان إذا كان يحتاج إلى البصر حتى يرى الأشياء المحسوسة ويهتدي الطريق، فإنه يحتاج إلى البصيرة، وهي تَفتُّحِ العقلِ وإعماله، حتى يرى الأمور المعنوية ويرى كيف تدار شؤون الحياة.

جرت خلال الأسبوع المنصرم الانتخابات الإسرائيلية[1]. هذه الانتخابات ينبغي أن تستدعي أبناء الشعوب العربية والإسلامية لأن يقفوا ويتأملوا مليًّا فيها، ليقارنوا بين وضعهم في بلدانهم وبين وضع هؤلاء في ظلّ كيانهم المصطنع. إسرائيل دولة مصطنعة، وهي حديثة التأسيس من سنة ١٩٤٨م وتوسّعت سنة ٦٧ وليس لها دستور مكتوب للآن، وليس لها حدود معترف بها، وشعبها يتكون من شتات، من مختلف البلدان والبيئات، هناك من قدموا من روسيا، وشرق وغرب أوروبا، وشمال أفريقيا، وهناك من

(١) الانتخابات التاسعة عشرة للكنيست، أجريت يوم ٢٢ يناير/ كانون الثاني ٢٠١٣م.

كانوا داخل فلسطين المحتلة، وتوجد عندهم اتجاهات مختلفة في أوساطهم.

فاليهود ليسوا ضمن اتجاه عقدي وفكري واحد، ولا ضمن اتجاه سياسي واحد، ويعيشون في محيط معادٍ لهم بسبب عدوانيتهم واحتلالهم لأراضي العرب والمسلمين، وهم في حالة حرب دائمة مع محيطهم. لكن مع كل ذلك أجادوا إدارة أمورهم وشؤونهم. وذلك لوجود نظام ومجتمع سياسي عندهم، واحتكامهم لصناديق الاقتراع، وهذه خلاصة واقعهم، بكلّ ما للكلمة من معنى، فمن حقّ أيّ شخص إعلان رأيه السياسي، وأهم مظهر لذلك تشكيل الأحزاب، فبإمكان أيّ جماعة أن يشكلوا حزبًا سياسياً ويعلنوا ذلك.

في إسرائيل مجتمع سياسي:

هذه الانتخابات شارك فيها ٣٢ حزبًا، وبعضها أحزاب جديدة. كان في طليعة تلك الأحزاب، الحزب الذي شكل مفاجأة في الانتخابات تحت عنوان (هناك مستقبل) بقيادة (يائير لبيد)، وهو شاب كان يعمل في الإعلام مذيعًا، أعلن تشكيل حزبه قبل ٧ أشهر، وتقبل الجمهور طرحه، وأصبح في المرتبة الثانية في انتخابات الكنيست، حيث حصل على ١٩ مقعدًا وهو الآن مرشح لوزارة الخارجية، ومن ثم قد يصبح رئيسًا للوزراء، ونتن ياهو مضطر للتحالف والتعاون معه، ويستجيب لبعض شروطه. هذا الجو يخلقه المجتمع السياسي والحرية السياسية؛ لأن لكل واحد هناك الحقّ في أن يكون له رأي في الشأن العام، والترشّح في الانتخابات، التي تجري في ظروف من الثقة والرضا والقبول، والتنافس المفتوح بينهم.

لماذا يعيش الإسرائيليون هذا الواقع وهم مجتمع ناشئ، ونحن المسلمين نعيش منذ آلاف السنين وهذا حالنا؟

لأن لهم حياة سياسية مستقرة، ونحن لا نزال نعيش حياة الاضطراب السياسي؛ لأننا لا نعيش كمجتمعات سياسية، فالسياسة في أغلب بلداننا العربية والإسلامية

حكر على فئة، وبقية الناس لا رأي لهم ولا شأن، فكيف يكون هناك استقرار سياسي في ظلّ الاستبداد وإقصاء رأي الشعب، ومصادرة الطاقات والكفاءات وتجاهلها؟ إن هذا الحال يفضي إلى أن تصبح الدولة وكأنها شيء مفروض على الناس، وليس عن قناعتهم واختيارهم. إسرائيل/ الكيان المصطنع يعيش وضعًا مستقراً منظمًا، رغم رفض دول الجوار له، بينما تبقى حياة العرب والمسلمين نهبًا لهذه الاضطرابات والمشاكل والفتن ـ التي ستستمر ـ تعصف ببلداننا ما لم تصل هذه البلدان والشعوب إلى حالة المشاركة الشعبية، فتكون الحكومة قائمة باختيار الناس عبر صناديق الاقتراع، كما هو الحال في الدول المستقرة سياسيًا.

البعض يقول إننا مختلفون فنحن أعراق وقوميات ومذاهب. نعم، واليهود كذلك مختلفون ولديهم توجهات ومذاهب مختلفة، لدرجة أن لدى بعض الإسرائيليين توجّهًا يجرّم قيام دولة إسرائيل ولهم زعامتهم، ولكن لهم حقوقهم كمواطنين ويمارسون حياتهم الطبيعية. هناك لا أحد عندهم فوق القانون، فرئيس الوزراء قد يحاكم إذا وجّه له اتهام، وقد يضطر للاستقالة لوجود شبهة حوله، وهكذا مختلف الوزراء.

هذا النظام والقانون هو الكفيل باستقرار حياتهم السياسية، أما أوطاننا فستبقى تعيش هذا الضعف والاهتزاز، حتى الانتخابات في بلداننا ليس فيها من الثقة ما يكفي لإرضاء الناس؛ لأن هناك خللاً وفساداً، وقلّ أن تنتهي انتخابات في بلادنا العربية والإسلامية لا يكون فيها اتهامات وإعلان عدم الثقة.

متى ستتجاوز شعوبنا هذه الحالة؟

لن يكون ذلك إلا بوجود حالة سياسية تضمن للجميع حقّ المشاركة في صنع نظام الدولة وإدارتها.

الخطبة الأولى

الحماس المفرط لنشر الأفكار

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾

[سورة الشورى، الآية: ٤٨].

حين تكون للإنسان بضاعة يريد تسويقها فإنه يسلك مختلف السبل لإقناع الناس باقتناء بضاعته. وقد تنوعت في هذا العصر وسائل الدعاية والإعلان لمختلف البضائع والمنتجات؛ لما للتسويق الدعائي من أهمية كبيرة لترويج البضائع. وأهمّ شيءٍ في الإعلان هو إبراز مزايا المنتج حتى يقنع الناس بشرائه، وهذا أمر مشروع ومألوف، ولكن لا يحقّ لأيّ تاجر أن يُرغم الناس على شراء بضاعته، أو يحرجهم ويضايقهم لشرائها. في بعض البلدان السياحية يعمد الباعة للإلحاح على الزبائن للشراء إلى حدٍّ إيذاء السياح، والناس يشكّون أنه لو كانت البضاعة سوية وممتازة لما احتاج بائعها إلى هذا الإلحاح، أو أن هناك مصلحة جانبية تدفعه لممارسة هذا الضغط.

التسويق والترويج الذي يتخذه التاجر لبيع بضاعته، قد يستخدمه المفكر أو صاحب الرأي لتسويق فكرة وثقافة ما. ولكل صاحب فكرة أو رأي الحقّ في الترويج لما يراه، ولكن لا يحق له أن يفرض هذا الرأي والمعتقد على الآخرين، مهما كان معتقدًا بصحة رأيه، ومهما كانت الفكرة صحيحة في ذاتها، وهل هناك أجلى وأوضح من الإيمان بالله تعالى؟ وهل هناك دعوات أحقّ من دعوات الأنبياء الذين بعثهم الله لهداية خلقه؟ ولكن مع أن هذه الدعوة حقّ، وأن الله تعالى قد أرسل الأنبياء بها، لكن

الله تعالى لم يجز لهم أن يمارسوا الإكراه على الناس لقبول الدعوة: يقول تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٥٦]، لا يمكن أن تجبر الناس على الإيمان بفكرة ما، ولماذا تجبر الناس؟ لأنك تعتقد أنها حقّ! المسألة ليست هنا، المسألة أن يقتنع الطرف الآخر بأن دعوتك حقّ، وهذا لا يكون بالإجبار، والله تعالى لا يريد إيمانًا بالإجبار، ولو أراد ذلك لكان أمرًا ميسورًا له تعالى، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية: ٩٩].

مهمة الأنبياء عرض الفكرة والرسالة بالطريقة السليمة الواضحة، والبلاغ المبين المقنع، ويبقى الأمر متروكًا للناس، فالأنبياء لا يملكون وصاية على الناس، يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾[سورة الإسراء، الآية: ٥٤]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[سورة العنكبوت، الآية: ١٨]، ويقول تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[سورة الشورى، الآية: ٤٨].

هذا هو المنهج في عرض الأفكار والآراء والمعتقدات، ولكن في بعض الأحيان قد يتحمّس بعض الناس لأفكارهم وخاصة الدينية، فكثيرًا ما يُبتلى الوسط الديني بهذه المشكلة. قد تكون عند شخص فكرة أو معتقد ما، إما اجتهادًا أو تقليدًا، وقد يكون مصدر الفكرة معتمداً، ولكن لا يمكن فرضها على الآخرين وإجبارهم على الاقتناع بها، فهم كذلك إما مجتهدون أو مقلّدون، وبالتالي لا يحقّ لك فرض فكرتك عليهم.

الشباب والحماس الفكري

عادة ما يستخدم الشباب اليافع المتحمس للترويج للأفكار والمعتقدات الدينية، وقد يُدفعون للتشدّد والتطرّف في الدعوة لبعض الآراء والمعتقدات، وهذا منهج ليس سليمًا. في كثير من الأحيان الشباب يكونون وقودًا لمعارك وصراعات دينية. فمتى ما اعتنق الشاب رأيًا أو منهجًا في الوسط الديني، وضع كلّ جهده للترويج والدعوة له، فإذا كان الأسلوب حسنًا مشروعًا فلا بأس، ولكن أن يكون تشدّد وتحمّس أكثر من

اللازم، فهذا ما ينبغي أن يناقش.

نحن نعلم أن الآراء الدينية أكثرها اجتهادية، وهي ظنية وليست قطعية. القطعيات والضروريات في الدين تصل إلى ٥٪ على أكثر التقادير، وهي متفق عليها في المذاهب، فالمساحة الأوسع هي المساحة الاجتهادية التي تختلف فيها الأفكار، فهل من الصحيح أن يُمارس التطرف لتبليغ فكرة مختلف عليها؟! وقد يأتي على الإنسان وقت يدرك فيه خطأ الفكرة التي كان يعتقد بها ويروج لها. وكم من صراعات مرّت على الناس في الوسط الديني، يتشدّد كلّ طرف فيه لفكرة ويتنازعون من أجلها، ثم بعد زمن يتجاوزون تلك الأفكار، ويضحكون على أنفسهم كيف استهلكوا جهدهم في النزاع من أجلها. وكما قال أديب المهجر إيليا أبو ماضي:

رُبَّ فكرٍ بان في لوحة نفسي وتجلّى ... خِلتُه منّي ولكن لم يقم حتى تولّى

مثل طيف بان في بئرٍ قليلًا واضمحلا ... كيف وافى ولماذا فرّ مني؟ لست أدري!

التقيت شخصيًا بعض الأشخاص الذين كانوا صقورًا في قيادة الصراعات التي مرّت بها الساحة الشيعية، فكانوا يقولون: كنّا شبابًا ودُفعنا ضدّ فلان من المراجع، وضدّ الفئة الفلانية، والآن اكتشفنا أنه لم يكن داعٍ لتلك الصراعات! هذه التجارب التي مرّ بها الآخرون ينبغي أن نستفيد منها، خاصةً الشباب الذين يقبلون على الدين بحماس، فلا ينبغي أن يُستغلّ حماسهم فيكونون وقودًا لهذه الصراعات، فإنهم سيندمون عليها كما ندم غيرهم.

قد يؤذي الإنسان نفسه بحماسه الزائد عن الحدّ لبعض الآراء والأشخاص، قبل أن يؤذي غيره. يشفق الإنسان بعض الأحيان على أشخاص كهؤلاء، وهو يراهم يرهقون أنفسهم على أمرٍ لا يستلزم منهم كلّ ذلك. حتى لو كانت الفكرة صحيحة، لكن الله تعالى لا يكلف المرء ما لا طاقة له به، وليس هذا ما هو مطلوب منه، لهذا يخاطب الله تعالى نبينا محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة الشعراء، الآية: ٣]، ويقول تعالى: ﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن

يَخْشَىٰ﴾[سورة طه، الآيات: ١ و٢ و٣]، فإذا لم يطلب الله تعالى ذلك من أنبيائه فكيف يطلبه منا؟

التشدد في الترويج للأفكار

إنّ الحماس الشديد لبعض الآراء والأشخاص، قد يدفع الإنسان للتعدّي على الآخرين، وإذا كان الهدف من الحماس لنشر الفكرة التي يعتقد بصوابها هو طلب رضا الله وهداية الناس، فهل من يؤذي الناس ينال ثواب الله تعالى؟ لا يطاع الله من حيث يعصى، هذا يعرّضك لسخط الله تعالى؛ لأنك تعتدي على حرمات الآخرين.

ومن ناحية أخرى، فإن التشدّد والتطرف في نشر الفكرة يسيء لها؛ لأن الناس إنما يقبلون على فكرة ما لأمرين: لاقتناعهم بها، ولحكمة ولباقة عارض الفكرة، ولهذا يخاطب الله نبيه المصطفى ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩]، عرض الفكرة ينبغي ألا يكون بالأسلوب الخشن، فهو يشوّه الفكرة، وينفّر الناس ممن يعرضها. وقد وردت نصوص دينية تحذر الإنسان المؤمن من أن يدخل صراعات مع الناس من أجل أفكاره، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يخاصم إلا من قد ضاق بما في صدره»[١]، وفي رواية أخرى: «لا يخاصم إلا رجل ليس له ورع»[٢].

تتعجب من بعض الناس الذين ينتهكون حرمات الآخرين باسم الدين؟ وهو خلاف الورع كما يقول الإمام. يروي علي بن يقطين عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنه قال له: «مُرْ أصحابك أن يكفّوا من ألسنتهم، ويدعوا الخصومة في الدين، ويجتهدوا في عبادة الله عزّ وجلّ»[٣]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إيّاكم والخصومة في الدين،

---

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص٤٦١، حديث ٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٥٨، حديث ٢٣.

(٣) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج١٦، ص٢٠١، حديث ٢١٣٥٠.

فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عزّ وجلّ، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجيز الكذب»[١]. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: «ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض، إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أفضل صلاة من بعض، وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض، وهي الدرجات»[٢].

علينا أن ننشر هذا الوعي في أوساط الناس وخاصة في أوساط الشباب، حتى لا يكونون ضحايا ووقودًا لصراعات جانبية.

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٥٠٣.

(٢) الكافي، ج٢، ص٤٥، حديث ٤.

شبابنا وعالمية الإبداع

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّـهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[سورة التوبة، الآية: ١٠٥].

أن يتمنى الإنسان لنفسه المكاسب وأن يتطلع للنجاحات فتلك نزعة إنسانية فطر الله تعالى البشر عليها. لكن التمنيات والتطلعات لا تتحقق تلقائيًا في الحياة، كما هو الحال في جنة الخلد. فالروايات تشير إلى أن المؤمن في الجنة لا يحتاج إلا أن يتمنى لتلبى له حاجته، وقد جاء في كتاب الله الكريم ما يفيد هذا المعنى يقول تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[سورة فصلت، الآية: ٣١] أي تتمنون، هذا الأمر يكون في الجنة، وما كان له ذلك إلا بعمل كان قد أسداه في الدنيا، أما التمني في هذه الحياة الدنيا فلا يكفي وحده لتحقق المطلوب بل لا بدّ من عمل.

وهذا الأمر كما ينطبق على الفرد الذي يتمنى أن تكون له دار وسيارة مثلًا، ينطبق على المستوى الجماعي، فالمجتمعات التي تتمنى أن تكون لها شخصية مميزة في محيطها. هذا التمني لو دام مئات السنين لن يحقق شيئًا يقول تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ﴾[سورة النجم، الآية: ٢٤]، وهو سؤال استنكاري، بمعنى هل تعتقد أن الشيء يتحقق لك بالأمنيات؟ بعض المتدينين يعتبر أن تدينه سبيل لتحقيق أمانيه حين يطلبها من الله تعالى فبيده كل شيء، هذا صحيح، لكن الله تعالى لم يخلق الدنيا على هذا الأساس، فللدنيا قوانينها وسننها والله يريد من عباده السعي فيها بالعمل لا بالأمنيات، يقول تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[سورة النجم، الآية: ٣٩]، لذلك يؤكّد القرآن

الكريم أهميّة العمل. تقول الآية الكريمة: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّـهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[سورة التوبة، الآية: ١٠٥]، وهناك عشرات بل مئات الآيات تحفّز الإنسان على العمل حتى ينجز تطلعاته في هذه الحياة.

العمل ومواجهة التحدّيات

من الطبيعي أن الإنسان حينما يسعى يجد أمامه بعض العوائق والتحدّيات، فماذا يعمل أمامها؟

هناك من يسعى فتواجهه بعض الصعوبات فيتراجع، وهذا لا يفهم معادلة الحياة. وهناك من يعيش حالة الغبن حين لا يتحقق هدفه، إذ يشعر بالألم، وهذا أيضًا لا يفهم معادلة الحياة. وهناك من يقبل على العمل الذي يريده بكلّ ثقة ومهما واجه من التحدّيات والصعاب فإنه يتحداها؛ لأنه يعي أن الله أودع فيه طاقات بإمكانها مواجهة التحديات وهذا هو من يفهم معادلة الحياة.

هناك ثقافات تسود في بعض المجتمعات تخلق صورًا سوداء أمام الناس، من قبيل إمكاناتنا قليلة ومحدودة فلا نستطيع عمل شيء، والناس ضدنا، والعوائق أمامنا كثيرة، وهناك من يتآمرون علينا!

الواقع أنه ليس هناك من يتآمر بل هذه الثقافة بحدّ ذاتها تآمر على النفس، وكلّ التبريرات أوهام في غالبها. الحياة مجال مفتوح، غاية ما هناك أنها تحتاج إصرارًا ومثابرة، من جدّ وجد. وكما ورد في الأثر: «ما رام امرؤ شيئًا إلا وصل إليه أو دونه». نحن بحاجة إلى هذه الثقافة التي تحضّ على العمل حتى يتحقق المطلوب.

وإذا أراد الإنسان أن يتأكد من جدوائية الصبر والمثابرة لتحقيق الأهداف المطلوبة فليتأمل في واقع من حوله، وليستعرض سيرة الناجحين المنجزين من أفراد ومجتمعات، ليرى كيف أنهم وصلوا لتحقيق أهدافهم بعزمهم وإرادتهم.

تكريم الإنجاز والإبداع

في الليلة قبل الماضية، ليلة الخميس، ٢٥ ربيع الأول شهدنا في القطيف حفلًا كبيرًا رائعًا لتكريم كوكبة من أبناء هذه المنطقة الذين حققوا إنجازات علمية في مجالات مختلفة، واُعترف بكفاءتهم على المستوى العالمي. وقد حصلوا من قبل على تكريم في بعض بلدان العالم، وكان عدد المكرمين في الحفل ١٣ فارسًا. حينما تقرأ سيرة هؤلاء تجد أنهم بذلوا جهدًا وواجهوا الصعوبات، وفي الأخير وصلوا إلى الإنجاز بتوفيق الله تعالى لهم وبجهودهم. هؤلاء حجة علينا جميعًا وقدوات لشبابنا، فكلّ شابٍّ من أبناء المجتمع يمكنه أن يكون فارسًا مثل هؤلاء الفرسان، ويمكنه أن يفكر في أن يكرّم على المستوى العالمي والمحلي، إذا سار في نفس الطريق الذي سار عليه هؤلاء المبدعون، الذين نتمنى لهم مزيد التوفيق في خدمة مجتمعهم ووطنهم، وإثراء المعرفة.

ولا بُدَّ أن نشير للجنة التكريم الأهلية بالقطيف ودورها المبذول في تشجيع الكفاءات والمبدعين من أبناء هذه المنطقة وإبرازها. وقد سبق لها أن أقامت ٥ مهرجانات وآخرها ليلة الخميس الماضية. هذه اللجنة أنجزت حفلًا مهيبًا يحقّ لنا أن نفخر به؛ أولًا هي التفاتة لتكريم هؤلاء المبدعين من أبناء المجتمع، وثانيًا روعة الحفل التي أبرزت قدرة العمل الأهلي على مواجهة التحدّيات والصعوبات حتى ينجز مثل هذا الحفل الرائع.

وقد حضر الحفل ضيوف من مختلف المناطق في الوطن من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والخبر، والأحساء، وأيضًا من دول مجلس التعاون الخليجي من سلطنة عمان، والبحرين، والكويت، وقطر. جاؤوا لكي يشاركوا القطيف فرحتها وتكريمها لهؤلاء المبدعين. وكلهم كانوا منبهرين من التنظيم وحسن الاستقبال.

لقد أثبت هؤلاء الأخوة في لجنة التكريم جدارتهم وإخلاصهم لمجتمعهم جزاهم

الله خيرًا، وقد أبرزوا الوجه المشرق لهذا المجتمع المعطاء، وأكّدوا مكانته في محيطه.

ما حصل من إنجاز رائع ينبغي أن يُثّبت في نفوسنا أهمية العمل والسعي والفاعلية، وما تزال أمامنا مجالات مختلفة، هذا الحفل والجهود التي تبذلها لجنة التواصل الوطني وهي لجنة أهلية تقوم بدور مهم على هذا الصعيد هي الجواب على تلك الاساءات والأقاويل التي تُشوّه صورة مجتمعنا. ينبغي أن نجتهد أكثر في عملنا الأهلي والمؤسساتي، فمجتمعنا يستحق منّا كلّ خير، فلنبرز صورته الناصعة بتعاوننا وتآلفنا.

الخطبة الأولى

النشاط إنجازات واستمتاع بالحياة

جاء في دعاء الإمام زين العابدين في مكارم الأخلاق: «وامنن علينا بالنشاط وأعذنا من الفشل والكسل»[1].

من وظائف الأدعية المأثورة المروية عن النبي ﷺ وعن آله الطاهرين عليهم السلام أنها توجّه الإنسان إلى التطلعات السامية. فحينما يدعو الإنسان ويطلب من الخالق شيئًا فذلك يعني أن يتوجه بنفسه نحو ذلك الشيء؛ لأنه يعرف قيمته. وبمقتضى ذلك ينبغي أن يكون الإنسان ساعيًا لتحقيق ما يدعو الله أن يمنحه إيّاه.

يقول الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في دعاء له: «وامنن علينا بالنشاط وأعذنا من الفشل والكسل». هنا يزرع الإمام في قلوب قرّاء هذا الدعاء التطلع إلى حالة النشاط، ومعنى ذلك أن نتوجه لإدراك قيمة النشاط، وأن نفكر كيف نهيئ أنفسنا للعمل والاجتهاد، ونقلع عن الكسل والخمول. فإنما يستفيد الإنسان ويستمتع بحياته ووجوده إذا كان نشطًا فاعلًا، بخلاف ما إذا كان خاملًا كسولًا. ونحن ندرك كيف أن الإنسان حينما يكدح ويأوي إلى فراشه يشعر بلذة النوم أكثر منه لو كان في حالة تراخٍ، وكذلك يشعر بلذة الأكل والشرب إذا كان جائعًا أو عطشانًا.

يستفيد الإنسان من نشاطه وحيويته لتحقيق أمور عدة، من أهمها:

---

(١) الإمام زين العابدين، الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق.

الأول: السير في طريق الهدف من الوجود

إنما أوجد الله الإنسان في هذه الحياة حتى يعمرها، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[سورة هود، الآية: ٦١]، أي طلب منكم عمارتها. فالإنسان النشط العامل هو من يصنع هذه الحياة، ولذلك نجد النصوص الدينية تقرّر الثواب الكبير على الأعمال التي فيها خدمة للحياة، ورد عن رسول الله ﷺ: «خمسة في قبورهم، وثوابهم يجري إلى ديوانهم ـ أي سجلاتهم ـ من غرس نخلة، ومن حفر بئرًا، ومن بنى لله مسجدًا ومن كتب مصحفًا ومن خلّف ابنًا صالحًا»[١].

الثاني: شعور الإنسان بقيمته في هذه الحياة

العامل النشط يشعر أن له دورًا في هذه الحياة، بينما الخامل الكسول يحرم من هذه المشاعر الإيجابية الطيبة التي لها أثر في صحته وارتياحه النفسي، ولعلّ هذا ما يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «من قصّر في العمل ابتلي بالهمِّ»[٢]. الكسول يعيش همًّا؛ لأنه لا يشعر بدور في الحياة، ولهذا أعدّت أبحاث حول مرحلة التقاعد وكبر السن، فإن الخمول الذي قد يصاحب المتقاعد يؤذيه نفسيًّا، ويؤثر على صحته؛ لأنّ ذلك يعني له أن دوره في الحياة انتهى، لهذا ينصح المتقاعد بأن يمارس عملًا اجتماعيًّا أو اقتصاديًّا ينفع به نفسه ومجتمعه.

الثالث: تنمية القوة والقدرة

جسمك بالحركة يكون أصحّ، وعقلك بالنشاط يكون أنضج، ومكانتك بالفاعلية تكون أعلى في المجتمع. لذلك على الإنسان أن يسعى للتوفر على هذه الصفة دائمًا وأبدًا، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من يعمل يزدد قوة، ومن يقصّر في العمل يزدد

---

(١) بحار الأنوار، ج ١٠١، ص٩٧، حديث ٥٩.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٢٧.

فترة»[١]. وهذا يتضح فيما لو تأمّل الإنسان نفسه حينما يستيقظ من نومه، إذ يجد أن أعضاءه تكون في حالة استرخاء وخمول لمرور وقت عليها لم تتحرك، ثم بعد فترة يستعيد حيويته. وهو أمر نلحظه حتى في الجمادات كالسيارة مثلًا إذا تركت فترة بدون استخدام. لهذا يُنصح الإنسان بملء وقت فراغه بما يفيده، كما يقول علي عليه السلام: «في كلّ وقت عمل»[٢]، لا تجعل لك وقت فراغ، اشغل كلّ وقتك بما ينفعك وينفع الآخرين.

الخمول ينتج المرض

يشير الطب الحديث إلى أن أهم أسباب أمراض العصر طبيعة الحياة التي بدأت تميل إلى الدعة. سابقًا كان العمل يتطلب كثيرًا من الحركة فيحرق الإنسان سعرات حرارية كثيرة، أما الآن فالأعمال أكثرها تنجز بالوسائل الحديثة التي تقلّ فيها الحركة، حتى الانتقال من مكان لآخر يكون عبر المواصلات الحديثة وإن قربت المسافة. هناك دراسة دولية تتابع حالة النشاط لدى الشعوب. كان آخر تقرير فيها يتحدث عن قائمة حملت عشرين رقمًا لأكثر الشعوب كسلًا، وقد احتلت السعودية الرقم ٣، والكويت رقم ٧، والإمارات ٩، والعراق ١٤.

في السعودية أكثر من ٦٨,٣ من البالغين لا يمارسون الحدّ الأدنى من النشاط الذي يحمي صحتهم. في الكويت ٦٤٪ والإمارات ٦٢٪. بعض الناس ينظرون إلى الجانب الجمالي والرشاقة، بينما الأمر أكبر من ذلك فهو يتعلق بالصحة.

الخبراء يقدّرون أنه في كلّ عام أكثر من ٥ مليون حالة وفاة تكون بسبب الخمول؛ لأن قلة النشاط البدني هو من مسببات أمراض القلب والسكر وسرطان الثدي والقولون. لهذا ينظر المختصون إلى الخمول بأنه وباء، وعلى الحكومات أن تضع خططًا لممارسة النشاط والحيوية في حياة المواطنين. الخبراء يقولون إن على الإنسان

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٦٩، حكمة ١٥٩١ - ١٥٩٤.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٣٥٤.

أن يمارس الرياضة على الأقل ٥ أيام في الأسبوع، بما يعادل نصف ساعة يوميًا، فيما تشير الإحصاءات إلى تجاوز انتشار السمنة في السعودية ٤٠٪ لدى البالغين. ومن أهمّ أسباب ذلك عدم ممارسة الرياضة والنشاط العضلي.

كما يؤكد الخبراء أن المشي العادي يحرق ما بين ١٤٨ إلى ٦٩٠ سعرة حرارية في الساعة، وذلك حسب تفاوت المشي. لكن بعض الناس يتكاسلون حتى عن المشي اليسير، عندما يذهبون للمساجد وللحسينيات والمحلات يريدون أقرب موقف حتى لا يمشوا خطوات للمحل المقصود، وربما عطّل غيره وأغلق عليه باب كراجه حتى لا يمشي أبعد! ولا يقتصر الأمر على ممارسة الرياضة البدنية فحسب.

الأعمال المنزلية أيضاً تساعد في زيادة نشاط الجسم وفاعليته، لكن كثيرًا من الرجال لا يقومون بشيء منها. العمل في المنزل يحرق ما بين ١٤٨ إلى ٣٨٨ سعرة حرارية في الساعة. وقد كان النبي ﷺ يعمل في بيته وهو القائل: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[1]. وإذا عمل الأب في البيت كرّس الحالة في باقي أفراد العائلة.

من جهة أخرى، على الحكومات أن تشجع ممارسة الرياضة بأن تُهيئ الأماكن العامة لممارسة النشاط، وهذا ما تقوم به كثير من الحكومات، من توفير ممشى وحدائق ووسائل الرياضة في الأماكن العامة.

العبادات مظهر نشاط

من الناحية الدينية، فإنّ الدين ببرامجه العبادية يشجع الإنسان على النشاط الجسمي، والصلاة لها آثار صحية على الإنسان، ولهذا ورد التأكيد على صلاة النافلة، الصلاة اليومية الواجبة ١٧ ركعة، والمستحب من النوافل اليومية ٣٤ ركعة. والمجموع ٥١ ركعة، فإضافة إلى التواصل والانفتاح على الله تعالى فإن فيها فائدة صحية من خلال الحركة التي يقوم بها الإنسان. لكنّ الكثير منا يتكاسل عن النافلة

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج٢٠، ص ١٧١، حديث ٢٥٣٣٧.

حتى في وقت الفراغ وانتظار الإمام للصلاة، فيجلس بدل الاستفادة من أداء صلاة النافلة، بينما الروايات تؤكد استحباب قضاء النافلة إذا فاتت لسبب أو لآخر، وذلك من أجل أن يكون الإنسان دائم الحركة والنشاط.

لذلك هذا الدعاء الشريف يجب أن ننظر إليه كمحفز لحالة النشاط: «اللهم امنن علينا بالنشاط وأعذنا من الفشل والكسل».

7

الفتن الطائفية خطر على الأمة والوطن

﴿اتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[سورة الأنفال، الآية: ٢٥].

الحالة الاجتماعية للإنسان تفرض الارتباط والتداخل للمصالح بين أبناء المجتمع. فأيّ عمل أو ممارسة تقوم بها شريحة من المجتمع فإنها تنعكس على واقع المجتمع كله وخاصة في المجال السلبي. إن ظهور وباء في شريحة من المجتمع يهدّد صحة المجتمع كله بالخطر، لذلك فإن المجتمعات تعزل وتحاصر المصابين حتى لا ينتشر الوباء في الآخرين. وكذلك إذا كانت هناك ممارسات سيئة بدأتها مجموعة من المجتمع فإن تصرفاتهم مؤهلة للانتشار، وعلى المجتمع مواجهتها حتى لا تسبب الضرر للجميع، لهذا شرع الله فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن أهم تجلّيات تأثر المجتمع بتصرفات أبنائه ما يرتبط بالعلاقات داخل المجتمع وبين المجتمع والمجتمعات المحيطة به.

فإذا انبرت طائفة أو شريحة من المجتمع لحالة نزاع فإن على المجتمع أن يعرف أن هذا النزاع لن تقتصر أضراره على القائمين به، وإنما ستعمّ المجتمع كلّه، والآية الكريمة صريحة في هذا الشأن يقول تعالى: ﴿اتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[سورة الأنفال، الآية: ٢٥]، أغلب المفسرين يشيرون إلى أن المقصود بالفتنة هنا هي الفتن الاجتماعية والنزاعات، حيث تنتشر وتؤثر على المجتمع كله.

من هنا أوجب الإسلام السعي للصلح والمصالحة وخاطب المؤمنين بعدم

السكوت والتفرج على أيّ حالة نزاع أو خلاف: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّـهِ﴾[سورة الحجرات، الآية: ٩]، هكذا يحمّل الدين المجتمع كلّه مسؤولية أيّ ظاهرة تحدث في داخل المجتمع.

ومن أهمّ الفتن التي تواجهها الأمة في هذا العصر هي الفتن الطائفية. الأمة متنوعة دينيًّا وفكريًّا، وهذا التنوع قديم في تاريخها، لكننا في هذا العصر نشهد إذكاء للفتن الطائفية، هذا الإذكاء له ثلاثة أسباب، نشير إليها على نحو الإيجاز:

منابع الفتن الطائفية

الأول: الأنظمة السياسية التي تميّز بين مواطنيها

حينما تكون هناك سياسة تمييز بين المواطنين فإنها تهيئ أرضية النزاع والخلاف. فئة تشعر بالاستعلاء فلا تبالي بما يجري على الفئة الأخرى، وفئة مهضومة قد تفكّر بالانتقام، على ما تعيشه من جور، بوسائل مشروعة أو غير مشروعة؛ لأنّ التحكم في ردود الأفعال صعب.

الثاني: تيارات التشدد والتطرف

نتفهّم تعصب كلّ جماعة لمذهبهم وآرائهم في القضايا العقدية والفكرية فهو أمر مشروع، لكن التشدّد والتطرف تجاه الآخر باستفزازه بالخطاب والتعدّي على حقوقه والتحريض عليه أمر غير مشروع، وهو المسؤول عن تفجير النزاعات.

الثالث: تشجيع الأجانب لهذه النزاعات

فالقوى التي لا تريد لهذه الأمة النهوض، من مصلحتهم أن يشجعوا هذه الخلافات، ولا نستطيع أن نضع اللائمة عليهم، فنحن من نفتح لهم الأبواب ونمكنهم، وهم يجيدون استغلال هذه الفرص. ومعروف في العالم أن المخابرات البريطانية هي

المتخصصة في إثارة الفتن المذهبية في العالم الإسلامي، فترة طويلة كانوا يحكمون هذه المنطقة بشكل مباشر، وعندهم دراسات وتجارب، وبالتالي أصبحوا ذوي خبرة في هذه المسائل ومرجعًا لغيرهم من الدول كأمريكا. البريطانيون متخصصون في إذكاء الفتن الطائفية، لذلك هم يدعمون أيّ توجّه يثير الفتن بين المسلمين، وأيّ نوع من هذا التوجه قد تجد وراءه يدًا بريطانية.

هذه ثلاثة أسباب رئيسة، ومواجهتها مسؤولية الجميع، فالفتنة إن حلّت أصابت الجميع، ولا يمكن القول إن جماعة تحترب مع أخرى فليذهبوا للجحيم ويسلم البقية، كلا، فالأمر لن يبقى في حدود المحتربين فقط.

استفزاز المشاعر والعواطف

ثم إن المسألة الطائفية ليست مسألة منطق وأخذ وردّ، بل فيها إثارة مشاعر وأحاسيس لطائفة ما وليس لأفراد فقط. فالرسام الدنماركي الذي أساء لرسول الله ﷺ شخص واحد، لكن المسلمين كانت لهم هبة ضد الدنمارك وحكومتها والغرب ككل. والفيلم المسيء لرسول الله ﷺ الذي صدر أو حُكي عن إنتاجه في الأيام الماضية في أمريكا، رغم تبرؤ الإدارة الأمريكية من العمل والفاتيكان، وكثير من المسيحيين، لكنه صنع هبة لدى المسلمين على السفارات والمصالح الغربية. ما ذنب بقية الغرب إذا كان من قام بالعمل المشين مجموعة محدودة؟ الجواب: لأن المسألة فيها استفزاز للمشاعر، والعواطف الدينية، ولهذا يخرج الأمر عن السيطرة، والبلاء يعمّ الجميع، وهذا مصداق الآية الكريمة: ﴿اتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[سورة الأنفال، الآية: ٢٥]. لذا على العقلاء في كلّ مكان ألّا يسكتوا على الفتن الطائفية، سواء كانت من وسطهم أو من خارج محيطهم.

في الأسبوع الماضي كانت حوادث مؤلمة في باكستان، تفجيرات طالت أناسًا أبرياء ولم تكن الأولى. الشيعة في باكستان يمثلون ٢٠٪ من عدد السكان الذي يبلغ

١٨٠ مليون نسمة. وقد كان الباكستانيون في الماضي يتعايشون مع بعضهم، ولم تكن عندهم جرائم تصل إلى التفجيرات والأعمال البشعة كالتي نراها في الأيام والسنوات الأخيرة. ووفقًا للتقرير الصادر عن منظمة هيومن رايتس المدافعة عن حقوق الإنسان فإن ٤٠٠ شيعي قتلوا في عام ٢٠١٢ وتزايدت أعمال العنف في هذا العام، لحدّ الآن، ونحن في بدايته، أكثر من ١٦٥ شيعيًّا قتلوا في مثل هذه الأعمال. والحادث الذي وقع خلال الأسبوع المنصرم راح ضحيته أكثر من ٨٠ شخصًا ومئات الجرحى الذين أصيبوا نتيجة تفجير شاحنة صهريج احتوت طنًّا من المتفجرات وفجرت عن بُعد في سوق محلية في منطقة هزاراتون التي يقطنها الشيعة. هذا الاعتداء تبنته جهة تدعى (عسكر جنجوي) معادية للشيعة، التي تأسّست في منتصف تسعينيات القرن الماضي، وتوعّدوا بالاستمرار في مثل هذه الأعمال!

لماذا تغيب أصوات الإدانة والتجريم؟

هذا عمل لا يصح السكوت عنه، فأين اتحاد علماء المسلمين الذين عوّدونا أن يصدروا بيانات على حوادث أقلّ من هذه؟ لماذا تسكت رابطة العالم الإسلامي؟ خطباء الجمعة والعلماء لماذا يسكتون؟ ألأنها تستهدف شيعة؟ إذا سارت وتيرة هذه الأعمال فهي ستطال الجميع، وهي إساءة للإسلام، وفتح لأبواب الفتن والحروب وتدمير لبلاد المسلمين. لذلك نطالب كلّ العلماء من أهل السنة بأن يكون لهم موقفٌ واضحٌ. نعم، منظمة التعاون الإسلامي بادرت لاتخاذ موقف رافض لهذه الأعمال، ورئيسها قدم التعازي لأهالي الضحايا، وأدان العمل، لكن هذه المنظمة سياسية رسمية، ونحن نريد مواقف صريحة من الجهات الدينية من العالم الإسلامي، من الأزهر واتحاد المسلمين وسائر المؤسسات الدينية، فهي فتنة تصيب الجميع.

في المقابل أيضًا على الشيعة ألّا يسكتوا عن تيار التطرف الذي برز في أوساطهم، والذي يعمل على استفزاز مشاعر الآخر والنيل من رموز الآخر؛ لأنّ هذا هو الذي

يصب الزيت على نار الفتنة، ويعطي التبرير لمثل هذه الأعمال، وقبل ذلك لأنه مخالف لهدي أئمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾.

الإساءة للمقدسات ليست حرية تعبير

البعض يطرح فكرة فيها مغالطة واضحة: بأن الأمر حرية تعبير عن الرأي. وهذا خطأ كبير في التفكير؛ لأن عقلاء العالم كلهم اتفقوا على أن الحرية لا تعني العدوان على الآخر. يأتي شخص يصفع الناس في الشارع أو يشتمهم ويقول أنا حرّ! الإساءة للمقدسات والمعتقدات لا يدخل في باب حرية الرأي، أن تؤمن بفكرة فهذا لك، ولكن أن تحولها إلى خطاب استفزازي وخطاب للكراهية فغير مقبول، أنت أمام جماهير وعواطف فماذا تتوقع منهم؟ هذا يدخل في باب المنكر الذي لا ينبغي السكوت عليه، والسكوت عليه يعني أن تعمّ الفتنة الجميع، وهذا ما يحذر القرآن الكريم منه: ﴿اتَّقُوا فِتْنَةً﴾[سورة الأنفال، الآية: ٢٥]، نحن لماذا نعترض على رسام دنماركي وهو يعتقد بذلك؟ عقيدته نعم، ولكن ليس من حقّه أن يعتديَ على الآخرين. وكذلك الحال بالنسبة لمنتجي الفيلم المسيء لرسول الله ﷺ، نحن لا نقبل منهم هذا الكلام والعمل، ولا نقبله من أنفسنا ولا من الآخرين. نحن نبارك التزام المؤمن مذهبه عن قناعة، وألّا يتنازل عن شيءٍ يؤمن به، لكننا ضدّ ممارسة ذلك عن طريق التحريض على الكراهية، واستفزاز المشاعر وجرح الأحاسيس، هذا أمر يرفضه العقل، والشرع لا يأمر بما يخالف العقل ومصالح الناس.

من هنا يجب أن يتحمّل كلّ العقلاء المسؤولية. وقد شهدت بلادنا في الأيام الماضية إعلان جماعة في تبوك عن إقامة ندوة ضد الرافضة حسب تعبيرهم. هذا الأمر لم يزعج المواطنين الشيعة فحسب، بل إن شريحة من الواعين من أهل السنة من الكتاب والمثقفين أعلنوا معارضتهم ومخالفتهم لهذا الأمر، ونأمل أن يكون هناك ردع لمثل هذه التوجّهات.

في الأحساء أيضًا كانت هناك مشكلة، حيث تتعمد معلمة في الثانوية جرح مشاعر تلميذاتها الشيعيات بالتهكم على معتقداتهم. مثل هذه التصرفات على العقلاء أن يتفقوا على وضع حدٍّ لها، وإلا فإنّ الأضرار قد تتسع. نحن لا نريد لبلادنا أن يحصل فيها ما يحصل في البلاد الأخرى، لا سمح الله.

هذا يتطلب منا التوافق على منهج يحترم الجميع، ولا يسمح بالتعدّي على مشاعر وأحاسيس الآخرين بالنيل من مقدّساتهم ورموزهم ومعتقداتهم.

الخطبة الأولى

معرض الكتاب والقيمة العليا للمعرفة

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[سورة طه، الآية: ١١٤].

يطمح الإنسان إلى زيادة ثروته وممتلكاته، ويعمل من أجل ذلك، كما يطمح إلى أن تكون صحته وعافيته الجسمية في أحسن وضع.

هذا الطموح والتطلع موجود عند كلّ أبناء البشر، لكن ما يغفل عنه كثير من الناس التطلع إلى زيادة العلم والمعرفة والسعي من أجل ذلك. رسول الله ﷺ، وهو أعلم بني البشر كما نعتقد؛ لأنه متصل بالوحي ولأنه أفضل الخلق، وما أعطاه الله له من العلم والمعرفة لا يقاس به أيّ علم وعطاء معرفي، مع ذلك فإن الله يأمر هذا النبي الأعلى معرفة وعلمًا بأن يطلب منه زيادة العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[سورة طه، الآية: ١١٤]. هذا تكريس لهذا التطلع حتى يتجه سائر الناس لكسب المزيد من العلم دائماً؛ لأنّ العلم لا حَدّ ولا نهاية له، يقول تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]، كما أنه غير مرتبط بفترة زمنية من عمر الإنسان، حتى الدراسة الأكاديمية التي كانت محدودة بزمن معيّن، تجاوزت الأزمنة وأصبح بإمكان الإنسان أن يستمر في تحصيل العلم الأكاديمي في مختلف سنين عمره، والنصوص الدينية تؤكد هذه الحقيقة كما ورد في الأثر: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد». كما أن العلم ليس له حدود جغرافية، لذلك ورد عنه ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين»[١].

(١) بحار الأنوار، ج ١، ص١٧٧، حديث ٥٥.

العلم قيمة الإنسان

بالعلم والمعرفة يشعر الإنسان بقيمته في هذا الحياة، ويدرك الدور المناط به فيها. وبمقدار ما يكون علمه ووعيه، يكون تفاعله مع الكون والحياة. لذلك في كلّ مجال هناك من يعلم وهناك من لا يعلم، ولا يستوي الاثنان، كما يقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سورة الزمر، الآية: ٩]، والعلم هنا غير محصور في مجال معيّن. ورد عن رسول الله ﷺ: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علمًا، وأقلّ الناس قيمة أقلّهم علمًا»[١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «يتفاضل الناس بالعلوم والعقول لا بالأموال والأصول»[٢].

وهكذا وردت النصوص الكثيرة التي توجّه الإنسان لكسب العلم والمعرفة أكثر من أيّ كسب آخر، حتى العبادات مع ما لها من قيمة في الدين، فإن النصوص تشير إلى أن كسب المعرفة أفضل من العبادة المستحبة. فلو خُيِّر الإنسان بين رحلة للحج أو العمرة المستحبة، أو رحلة معرفية علمية، فإن الأخرى أكثر فضلًا وثوابًا. روى الصدوق بسنده عن ابن عمير عن أحد الأئمة عليهم السلام: «بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجًّا من بعض، وبعضكم أكثر صدقة من بعض. وبعضكم أكثر صيامًا من بعض، وأفضلكم أكثركم معرفة»[٣]. وروايات كثيرة في هذا السياق تؤكد أهمية العلم والمعرفة.

الكتاب مصدر أساس للمعرفة

يُعَدّ الكتاب من أهمّ وسائل كسب العلم والمعرفة. ويتميز بأنه أيسر من سائر الوسائل؛ لأن الكتاب يمكن أن تتلمذ عليه في أيّ وقت وأيّ حال، من هنا كانت للكتاب

---

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٤، ص٣٩٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٤٤٦، حكمة ٨.

(٣) صفات الشيعة، الشيخ الصدوق، ص١٥.

قيمته واعتباره، حتى إنّ الله تعالى أقسم به، حيث جاءت سورة كاملة في القرآن الكريم باسم القلم، أقسم الله تعالى فيها بأدوات المعرفة بالحروف، والقلم، وبالكتاب: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[سورة القلم، الآية: ١]، ما يسطرون، أي الكتب والأشياء المكتوبة.

ومن المظاهر الحضارية المعرفية التي أصبحت الأمم تتفاخر بها وتتنافس عليها، ظاهرة معارض الكتاب. لأن المعرض يوفر للناس فرصة للوصول إلى الكتاب، وأحدث ما أنتجه الكتّاب والباحثون. وجود معرض للكتاب تشارك فيه مختلف الدور والمؤلفين يتيح للناس الوصول إلى الجديد من الكتب. كما أن معرض الكتاب يُعزّز قيمة الكتاب في نفوس الناس، ويلفت أنظارهم إلى أهمية هذه الأداة المعرفية، وهو وسيلة تحفيز وتشجيع للعلم وحركته في كلّ مجتمع، وعلى المستوى العالمي، ولذلك أصبحت معارض الكتاب معالم للحراك الثقافي في المجتمعات.

معرض الرياض

وقد أصبح لدينا بحمد الله معرض دولي يقام سنويًّا في الرياض، بعد أن كنّا نعاني الكثير من العقبات التي تحدّ من مشاركة كثير من دور النشر، ووصول بعض الكتب بسبب حواجز الرقابة. لكن مع مرور الوقت، ومع هذا الانفتاح الذي فرض نفسه على العالم، ونالت بلادنا جزءًا منه، أصبح معرض الكتاب في بلادنا أفضل بكثير من السابق، وإن كان بعدُ لم يصل إلى تلك الدرجة التي نأملها من إزالة كلّ الحواجز. رغم وجود متشددين يرفعون عقيرتهم في كلّ عام، ويحذّرون من كل كتاب وفكر إلا ما يوافق آراءهم وتوجّهاتهم، لكن ما عادت الظروف تسمح لهم بممارسة الهيمنة التي كانوا يمارسونها سابقًا. لذلك أصبح المعرض الآن أكثر انفتاحًا وحرّية من الماضي، وسيفتتح خلال هذا الأسبوع يوم الثلاثاء المقبل.

هذا المعرض الذي تشارك فيه دور نشر من مختلف البلدان، فيه أكثر من ٩٥٧ دار نشر وهيئة ومؤسسة، سيعرضون مطبوعاتهم من أكثر من ٣٠ دولة عربية وأجنبية، وكما

نشر في وسائل الإعلام يتضمن أكثر من ٢٥٠ ألف عنوان لكتاب ورقي، وأكثر من مليون كتاب إلكتروني. وعلى هامش المعرض ستكون هناك فعاليات ثقافية وأدبية. كان زوّار المعرض في الماضي يبلغون حوالي مليوني شخص في أيامه العشرة. وإذ نبدي فرحنا وإشادتنا بهذا المعرض فإني أهيب بكلّ من يتمكن من المواطنين للمشاركة في المعرض، من أجل أن تتعزز قيمة الكتاب، ومن أجل أن تتعزز أهمية هذا النشاط الثقافي في بلادنا.

قد لا يتوفر فيه كلّ ما نريد من الكتب، ولكن فيما هو موجود الخير والبركة. كما أهيب بالعوائل لزيارة المعرض متى ما سنحت الفرصة، حتى يتعوّد الأطفال ويكتسبون حبّ الكتاب واقتنائه. أن يسافر الإنسان مع عائلته ويتجول معهم في المعرض هذا له أثر تربوي في نفوس الأطفال. وكذلك على اللجان الأهلية كالجمعيات والأندية أن تُنظم رحلات لزيارة المعرض، وأن تخصص بعض سياراتها وحافلاتها للناس الذين يرغبون في المشاركة. هذا أمر مفيد للمجتمع ولتعزيز الثقافة.

وقت للقراءة

على كلٍّ منّا أن يخصص ميزانية للكتب، كما يخصص للملابس والغذاء. والأهمّ من ذلك أن يخصص وقتًا لقراءة الكتاب، فاقتناء الكتاب ليس هدفًا بحدّ ذاته. نحن نرى كبار القادة مع عظيم انشغالاتهم وأدوارهم لكنهم يخصصون وقتًا للمطالعة. وقد صدر هذا العام كتاب جديد لقائد له مقامه ومسؤوليته بعنوان: أنا والكتاب، وهو للسيد الخامنئي. يتحدث فيه عن تجربته مع الكتاب، ويقول بأنه لمدة قليلة انشغل عن المطالعة فأحسّ بتوبيخ داخل نفسه، وعاد سريعًا لتخصيص وقتٍ للمطالعة.

يتعلل البعض من قلة القراءة أو عدمها بضيق الوقت أو بالاكتفاء، كما قال ذلك الرجل حين سئل هل اشتريت شيئًا من هذه الكتب التي تملأ الرفوف؟ قال: «لا، لا حاجة لي، فإني أعرف كلّ ما فيها! قيل له: كيف؟ قال: هذه الكتب تريد أن تجعل مني

إنساناً صالحاً، وأنا ولله الحمد كذلك.

ينبغي أن يشعر الإنسان بأنه يحتاج للعلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[سورة طه، الآية: ١١٤]. المرجع الأعلى السيد السيستاني كما يخبر أحد القريبين منه يقول: إنه يطلب دائمًا آخر الكتب التي تطبع، ليس في مجال التراث الديني فهي متوفرة ومعروفة، لكنه يطلب آخر الكتب السياسية والثقافية ويهتم بها. وكان السيد الشيرازي رحمه الله حريصًا جدًا على المطالعة. وكان يعتبر الكتاب الجديد الذي نوصله إليه أو يوصله أيّ زائر أفضل هدية تصله، وقد كنا نلحظ صعوبة في أن تُوصل إليه كتابًا جديدًا، حيث يكون قد سبقك لقراءته؛ لكثرة متابعته المستمرة لكل جديد في عالم الكتب.

علينا أن نهتم بمطالعة الكتب، وأن نخصّص جزءًا من وقتنا للمطالعة، وأن نربي أبناءنا على الاهتمام بالقراءة، وأن نحتفي بمعرض الكتاب ليكون محفزًا للحركة العلمية والفكرية.

الخطبة الثانية

معاناة الأسرى الفلسطينيين والصمت الدولي

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب له أنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن: لن تقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع»[1].

لا تنتظم حياة مجتمع بشري إلا بوجود نظام وقانون؛ لأن في نفوس أبناء البشر نوازع قد تدفع بعضهم للاعتداء على بعض، فلا بُدَّ من قانون يضع الحدود ويمنع الاعتداء. فمن دون النظام والقانون تصبح حياة الناس كحياة من في الغاب؛ لأن نوازع الشرّ قد تدفع من يمتلك قوة لاستخدام قوته ضدّ من هو أضعف منه. وأيّ قانون لن تكون له قيمة إلا إذا كان مفعوله ساريًا على الجميع، أما القانون الذي تتطاول عليه فئة من الناس فإنه يفقد قيمته ومعناه؛ لأنه يعتبر مخترقًا من قبل هؤلاء المحصنين، وهذا الخرق قابل للتوسّع، وهذا ما تعاني منه البلدان التي يستشري فيها الفساد والمحسوبيات.

قد تضع الدولة قانونًا ضدّ المخدرات وانتشارها وتهريبها، ولكن إذا كان هناك من له حصانة واستطاع تهريب المخدرات وتداولها فإن القانون سيفسد. وقد تضع الدولة قانونًا ضدّ الاعتداء على الأراضي العامة والخاصة، لكن مع وجود من هم فوق القانون وقيامهم بتشبيك الأراضي، وملايين الأمتار يعبثون بها بالبيع والتوريث، فهذا

(١) بحار الأنوار، ج ٣٣، ص٦٠٨.

القانون لن تكون له قيمة في حماية الناس.

إذا لم يسرِ القانون على الجميع فإن تطبيقه ينحسر شيئًا فشيئًا. من هنا فإن أهمّ شيء يجب أن يتوفر لأيّ قانون أن يكون ساري المفعول على جميع الناس في ذلك المجتمع.

دول فوق القانون الدولي

على المستوى العالمي وبعد أن عانت البشرية عصورًا من الحروب والنزاعات توصلت في واقعها الحديث إلى إقامة مؤسسات دولية ووضع مواثيق وقوانين لحماية حقوق الإنسان، وحماية حرية الشعوب حتى لا تعتدي دولة على أخرى، وتشكلت الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، ووقعت اتفاقيات لحقوق الإنسان والقوانين والتشريعات الدولية، لكن هذه القوانين على أهميتها تفقد قيمتها متى كان هناك من له حصانة وأمن من التبعات. هذه القوانين جاءت لتمنع الظلم على مستوى العالم، وهذا لن يتحقق إلا إذا كان القانون ساريًا على جميع الدول والفئات، أما إذا كانت هناك دول أو فئات محصنة، ولا يطبق عليها النظام فهذا لن يجدي. فلماذا تكون هناك جهات فوق القانون كما هو الحال بالنسبة للدول الكبرى صاحبة حق الفيتو في مجلس الأمن؟ من الذي يحاسب أمريكا على ما ارتكبته من قتل وتشريد لأهالي العراق وباكستان وأفغانستان، وفي أكثر من بلد؟

أخيرًا أعلن الأمريكيون عن أرقام القتلى من خلال استخدامهم لطائرات من دون طيّار، وكانت هذه الأرقام تشير إلى ٤٧٠٠ شخص قتلهم الأمريكيون عبر هذه الوسيلة في أمكنة مختلفة من العالم! وهناك أبرياء أصيبوا، واحتجت الحكومات ـ ربما لتطييب خاطر شعوبها على هذه الهجمات، لكن الأمريكيين سائرون في طريقهم، يستهدفون كل من يتوقعون أنه يشكل خطرًا على أمنهم، هم من يحكمون وهم من ينفذون! القاضي نفسه الذي يحكم وينفذ!

والمثال الأجلى على من هم فوق القانون الدولي، هذا الكيان الإسرائيلي المصطنع، دولة معفية من كل القوانين الدولية، مهما تفعل فليس عليها محاسبة وليس هناك ردع، وكأنها ولد أو بنت مدللة للمجتمع الدولي. انتهكت حقوق الإنسان في فلسطين ودمّرت أراضيها، وارتكبت أبشع جرائم الإبادة والمجازر الجماعية، الكلّ في العالم يعلم أن إسرائيل لديها مشروع نووي ورؤوس نووية، وهي لم توقع على اتفاقية حضر الانتشار النووي، وليست عضوًا في الوكالة الذرية في العالم. مع ذلك لا أحد يتحدث عن برامجها النووية، لا أحد يطالبها بأن توقع على الاتفاق، ولا أحد يجبرها على تفتيش مراكزها النووية، أما حينما تفكر جمهورية إيران الإسلامية في تطوير برنامجها النووي ترى الدنيا تقوم ولا تقعد، وتوضع العقوبات والتشريعات، أين هو القانون الدولي؟ ولماذا هذا القانون يطبق في مكان ما ظلمًا وعدوانا ويغفل عن أماكن أخرى؟

مآسي الشعب الفلسطيني

تقارير تصدر كل عام عن حقوق الإنسان، جراء ما يحصل من تعذيب وتنكيل في السجون، ولكن ما ذا عن إسرائيل وما يجري في سجونها ضدّ الفلسطينيين؟ في الأسبوع الماضي شيّع الفلسطينيون ضحية جديدة من ضحايا العدوان الإسرائيلي (عرفات جريدات) الذي اعتُقل لمدة ستة أيام، وبعدها سلموا جثته لذويه، وعليها آثار التعذيب، والعالم يتفرج! ليس هناك إجراء رادع!

يرزح في السجون الإسرائيلية أكثر من ٥٤١٧ أسيرًا في ١٧ سجنًا.

وفيهم ١٢ أسيرة مضى على إحداهن أكثر من ١١ عامًا.

وفي هؤلاء السجناء والأسرى ١٨٩ طفلًا دون ١٨ سنة، وفيهم ٢٥ طفلًا دون السادسة من العمر.

وفيهم ١٢ نائب فلسطيني وثلاثة وزراء وعدد من الكفاءات والأكاديميين.

٢٣ أسيراً مضى عليهم أكثر من ٢٥ سنة في السجن.

٧٠ أسيراً أمضوا أكثر من ٢٠ سنة في السجن.

١٤٠٠ أسيراً يعانون من أمراض مختلفة. عشرات الأسرى الفلسطينيين يعانون من أمراض خطيرة وخبيثة ومزمنة كأمراض القلب والسرطان والشلل النصفي.

١٨ أسيراً مقعداً غير قادر على الحركة.

وأكثر من ٢٠٣ قتلوا تحت التعذيب في السجون، حتى الجثث لم تسلم، فهناك ٣٠جثة معتقلة عند الإسرائيليين منذ ٣٠ عامًا لم تسلم إلى أهاليها.

الآن عدد من السجناء يضربون عن الطعام وأحدهم وهو سامر العيساوي مضى عليه أكثر من ٢٢٠ يومًا وهو مضرب عن الطعام في السجن. والعالم يتفرج ويسمع فأين القانون الدولي؟

إنّ الأمة العربية والإسلامية مسؤولة عن هذا الواقع. كما رأينا في لبنان وفلسطين حينما أسروا إسرائيليين، ورأينا أن أسر واحد منهم يكفي لأن يشغل العالم كله، وتقام له الدنيا ولا تقعد! أما نحن فمن يتحدث عن أسرانا الفلسطينيين؟ لماذا لا تكون هذه الأمور على رأس القائمة مع كلّ لقاء بأصحاب القرار الغربيين؟ إننا نراهن على عون الله تعالى للشعب الفلسطيني، وعلى حركة الشعب الفلسطيني نفسه. الإسرائيليون يخافون ثورة ثالثة للشعب الفلسطيني الذي ما عاد يعوّل على المجتمع الدولي وتعاطف الدول المجاورة. علينا ألّا ننسى الأسرى الفلسطينيين كما ندعو لغيرهم في كلّ بقاع العالم.

الخطبة الأولى

حرمات الناس أعظم من حرمة الكعبة

ورد عن النبي محمد ﷺ أنه قال وهو يطوف بالكعبة: «ما أطيبك وأطيب ريحك! ما أعظمك وأعظم حرمتك ـ يعني الكعبة ـ والذي نفس محمدٍ بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرًا»[1].

في كلّ دين من الأديان هناك أشياء مقدسة من ذوات أو أزمنة أو أمكنة. واحترام تلك المقدسات هي معيار للالتزام بذلك الدين، وتعظيم شأنه والانتماء إليه، لذلك يهتم أتباع الأديان باحترام مقدساتهم، وبالدفاع عنها، ولو استلزم ذلك بذل أموالهم أو أنفسهم.

وفي الإسلام هناك مقدسات أجمع المسلمون على تعظيمها وتقديسها، كنبي الأمة محمد ﷺ، والقرآن الكريم، والكعبة المشرفة، وسائر المقدسات. هذه المقدسات أمر الله تعالى بتعظيمها، وأوجب احترامها، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، ويقول تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾، والحرمة ما لا يجوز انتهاكه، وهي اسم من المهابة، والحرمات جمع حرمة وهو ما يجب احترامه.

ولا شك أن في طليعة ما أجمع المسلمون على تقديسه الكعبة المشرفة، حيث

---

(١) كنز العمال. ج١، ص٩٢، حديث٤٠٠.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾، هو بيت ليس كبيوت الناس الخاصة، بل هو عام لجميع الناس، وضع لمصلحتهم جميعًا. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾، ويقول تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾. الكعبة قبلة المسلمين في كل صلاة يصلونها، ولتعظيمها فإن الإسلام حرم استقبالها واستدبارها عند التخلي، وذلك تركيزًا لمكانتها، وأوجب الطواف حولها في الحج والعمرة، وجعل النظر إليها عبادة. والمسلمون يبذلون وجودهم في الدفاع عن الكعبة ضدّ أيّ إساءة تستهدفها. هذا ما يتفق عليه المسلمون جميعًا.

النصوص الدينية تلفت نظر الإنسان المسلم إلى أن هذه الحرمة للكعبة ليست حرمة ذاتية، وإنما جاءت حرمتها امتثالًا لأمر الله تعالى، فهو شاء لها الاحترام وأمرنا بتعظيمها، وإلا فهي حجارة مثلها مثل أيّ حجر، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته القاصعة: «أَ لَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ (صلوات الله عليه) إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَ لَا تَنْفَعُ وَ لَا تُبْصِرُ وَ لَا تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً؟»[1].

فظاعة انتهاك حرمات الآخرين

إذًا، حرمة هذا البناء جاءت من قبل الله تعالى؛ لأنّ الله أعطاها هذا الشأن، وهو أمر بتعظيمها. المسلم يعظم الكعبة امتثالًا لأمر الله تعالى، وبناءً عليه، فإن الله الذي أمرك باحترام الكعبة، وتستجيب أنت لهذا الأمر، هو نفسه الذي أمرك باحترام أخيك المؤمن. كما أنه لا يقبل منك الإساءة للكعبة ولا ترضى أنت ذلك من نفسك، كذلك لا يقبل الله منك أن تسيء إلى أخيك المسلم، ولا أن ترضى بالإساءة إليه.

ولأن الناس في علاقاتهم البشرية قد يتساهلون في الاعتداء على حقوق بعضهم

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

بعضًا فإن النصوص تقول للإنسان المسلم إنك إذا اعتديت على حرمة أخيك المسلم فذلك أشدّ وأعظم عند الله من إساءتك للكعبة المشرفة، وعلى المسلم أن يتأمل هذا الأمر، كيف أن هذه الكعبة المقدسة العظيمة، تكون الإساءة للمسلم أشدّ عند الله من الإساءة لها! هذه نصوص وردت من المعصومين ﷺ، روايات يصحح بعضها بعضًا، وتنسجم مع القيم الإسلامية، هذا الحديث ورد عن النبي محمد ﷺ أنه قال وهو يطوف بالكعبة: «ما أطيبك وأطيب ريحك وما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد ﷺ بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمتك: ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرًا».

حقوق المسلم لا يصح أن تنتهك، وإذا انتهكت فعقاب ذلك أشدّ من انتهاك حق الكعبة. هل تقبل كمسلم أن تهين الكعبة أو توسخها، أو تعمل أيّ عمل يسيء لها؟ بالطبع لا، الأمر نفسه ينسحب على حقوق الأخ المسلم، ينبغي ألا تطاوعك نفسك على الاعتداء عليها. ورد عن الإمام جعفر الصادق ﷺ: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة»[١]، إذا كنت تهتم لامتثال أمر الله بتعظيم الكعبة، فلتهتم أكثر باحترام حرمة المؤمن. وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ أنه خاطب الكعبة قائلًا: «لقد شرفك الله وكرمك وعظمك والمؤمن أعظم حرمة منك»[٢]. وفي حديث آخر عنه ﷺ: «مرحبًا بالبيت ما أعظمك وأعظم حرمتك على الله؟! والله للمؤمن أعظم حرمة منك»[٣].

لاحظوا أن هذه النصوص تريد أن تزرع وترسخ في نفس المسلم احترام حقوق الآخرين، وعدم انتهاك أيّ حقّ من حقوقهم المادية والمعنوية، ومع الأسف الشديد مع كثرة هذه النصوص نرى واقع المسلمين اليوم كيف أصبحوا يتساهلون في سفك دماء بعضهم بعضًا، وهتك أعراض بعضهم بعضًا! من قبل من؟ من قبل أشخاص

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٢٧، حديث ٩٥.
(٢) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج١، ص١٣٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٤، ص٧١، حديث٣٩.

وفئات يدّعون الانتماء إلى الدين، ويرفعون رايته، وراية الجهاد في الإسلام، ومع ذلك يجيزون لأنفسهم القتل والعمليات الانتحارية في المساجد والأسواق وضد الأبرياء؛ نساء وأطفال، فأيّ دينٍ وأيّ جهادٍ هذا؟

التساهل في سفك الدماء وهتك الأعراض

في أمة هذا دينها وأحاديث نبيها كيف تسفك الدماء يوميًا في أكثر من بلد؟ والحرمة لا تقف عند دم المسلم وماله فقط، فالحقوق المعنوية كسمعة الإنسان المسلم، لا تقلّ شأنًا، فلا يجوز انتهاكها. لو أن إنسانًا كتب قصيدة يسخر فيها من الكعبة ويستهزئ منها، أليس هذا جرمًا وإثمًا يستفظع المسلمون منه ذلك؟ فإن من يكتب قصيدة يسخر من أخيه المسلم يكون فعله أشدّ إثمًا وأعظم ذنبًا ممن يكتب قصيدة يسخر فيها من الكعبة، كما هو مفاد الأحاديث الشريفة. ولا يحقّ للإنسان أن يبرر قوله وانتهاكه لحرمات المسلمين؛ لأنهم يختلفون معه في رأي فكري أو سياسي. الاختلاف وارد، وبإمكانك أن تتحدث عن خطأ الرأي والفكرة، أما أن تنتهك حرمة الإنسان وتسخر منه وتهزأ به، وتنسب له التهم المختلفة، وتعتبر نفسك مدافعًا عن الدين والعقيدة فهذا غير جائز. ما الفرق بين من يقوم بهذا ومن يفجّر نفسه في أوساط الأبرياء من المسلمين؟ بل إن هذا هو المقدمة لذاك. فهؤلاء إنما وصلوا لمرحلة القتل والتفجير بعد أن أَلِفوا فتاوى التكفير والتبديع والتفسيق، وتربوا على هذا المنهج، وحين اقتنعوا بأن هؤلاء كفار وفسقة، كانت النتيجة أن لا حرمة لهم في نظرهم. هؤلاء الذين يبدؤون بالتشكيك في أديان إخوانهم؛ لأنهم يختلفون معهم في رأي، ويقولون ما يقولون تجاههم، هل يعلمون أنهم يؤسّسون لمنهج تكفيري غدًا سيتصاعد ويصل إلى سفك الدماء؟

ثم إن اغتيال الشخصية ليس أقلّ من اغتيال الشخص. ورد عن رسول الله ﷺ: «من بهت مؤمنًا أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله تعالى يوم القيامة على تلٍّ

من نار حتى يخرج مما قاله فيه»[1]. فلا يغترّ أحدٌ بأنه قد امتلك قنوات تواصل يسب عبرها الناس، أو موقعًا على الفيس بوك وينتهك أعراض المؤمنين وحرماتهم المعنوية وشخصياتهم، على هؤلاء أن يتأملوا ويفكروا، فهناك قيامة وحساب. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله عزّ وجلّ من ولايته إلى ولاية الشيطان»[2].

البعض بحجة الدفاع عن ولاية الله وولاية الرسول وأهل بيته ينتهكون حقوق الناس! أيّ ولاية هذه؟ إنها ولاية الشيطان. ولاية الله وأهل البيت لا تجيز لك انتهاك حقوق الناس، والخوض في أعراض الآخرين؛ لأنهم يختلفون معك في هذا الرأي أو ذاك، هذا من ولاية الشيطان كما يقول الإمام الصادق عليه السلام.

من هنا على الإنسان أن يكون واعيًا حتى لا ينزلق في هذا المنزلق الخطير.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج١، ص٣٧، حديث٦٣.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص٢٥٤، حديث٣٦.

شعوب الثورات وآثار الاستبداد

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[سورة النساء، الآية: ٦].

تماما كما هو الحال مع الأفراد الذين يمكن أن يتميزوا بالرشد أو يفتقدونه، هناك مجتمعات راشدة وأخرى غير ذلك. هناك مجتمعات تُجيد التصرف وإدارة أمورها على نحو سليم، سيما في أوقات الأزمات، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ حسب وصف القرآن الكريم. وهناك في المقابل مجتمعات لا تُجيد التصرف، وتخفق في إدارة شؤونها، وبذلك يصحّ القول إنها غير راشدة.

إنّ التجارب الممتدة عامل أساس ومؤثر في خلق المجتمعات الراشدة، علاوة على المران والتدريب. فإذا لم تتح للمجتمعات الفرصة في خوض التجارب والتعبير عن نفسها، وإدارة شؤونها، فمن أين يا ترى تتحصل على قدر من الرشد يؤهلها لإدارة ذاتها ومعالجة اختلافاتها؟ سيما إذا ظلت ردحاً من الزمن خاضعة للوصاية من قوى أجنبية مستعمرة، أو سلطات مستبدّة، هذه القوى التي درجت على التعامل مع المجتمعات باعتبارها مجموعة من القصّر وفاقدي الأهلية، فصادروا الحريات ولم يتيحوا للناس أدنى فرصة للمشاركة في إدارة شؤونهم العامة، ليحققوا بذلك غرضهم في إبقاء المجتمعات ضعيفة مفتقدة لأدنى الخبرات العملية في إدارة شؤونها.

ولعلّ أكثر المراحل التي تنكشف فيها فداحة غياب الرشد ونضج التجربة في

المجتمعات، هي فترات الثورة والتحول السياسي الذي يعقب خروج الاستعمار أو سقوط الأنظمة المستبدة. فقد تثور الشعوب وتقدم التضحيات الجسيمة لتنجح في طرد الجيوش المستعمرة، أو إسقاط الأنظمة المستبدة، غير أن المرحلة التالية قد تمثل فترة انكشاف كبير لغياب الرشد السياسي، نتيجة افتقاد التجربة والتقاليد السياسية، والخضوع طويلًا لحقب من السيطرة والوصاية.

وكثيرًا ما تظهر آثار وتجليات مراحل الاستبداد، عندما تجد هذه الشعوب نفسها أمام تحوّل سياسي مصيري، وهذا هو تفسير ما يجري من أحداث مأساوية في بعض المجتمعات العربية التي نجحت في إسقاط أنظمة الاستبداد، هذه الشعوب التي لم تعرف الطريق يومًا لإدارة شؤونها، ولا تُجيد التعامل فيما بين مكوناتها وفئاتها المتنوعة، ليغدوا بذلك محتاجين إلى خوض الكثير من التجارب المؤلمة في طريق اكتمال حالة النضج الفكري والرشد السياسي. وذلك ما حصل سابقًا مع الشعوب التي نجحت في طرد الاستعمار، ووقعت بعدها في قبضة الاستبداد، نتيجة حرمان القوى الاستعمارية للشعوب من خوض وصناعة تجربتها السياسية.

ضمن هذا السياق يمكن فهم التوجه العالمي نحو فتح المجال واسعًا أمام الحريات العامة، وتشجيع قيام الأحزاب، وتشكيل النقابات، وإنشاء المؤسسات، وتكوين منظمات المجتمع المدني. إنّ الغرض من جميع ذلك أن يتعلم الناس المشاركة وكيفية إدارة شؤونهم العامة بأنفسهم، مما يجعلهم أكثر نضجًا وأقدر على مواجهة مختلف التحولات السياسية الكبرى في بلادهم.

نضوج الوعي الاجتماعي

إنّ النضج السياسي هو تحديدًا ما لا تودّ الأنظمة المستبدة رؤيته في شعوبها مطلقًا. لتبقى هذه المجتمعات مخيرة بين أنظمة الاستبداد وطوفان الفوضى والخراب!. وهذا عين ما تقوله الأنظمة العربية في أعقاب الخراب الذي حلّ ببلدان الربيع العربي بعد

ثورات عام ٢٠١١، فقد دأبت على تخويف شعوبها من ويلات الثورة والمصير المظلم الذي خيّم على الشعوب الثائرة، والغرض من كلّ ذلك هو استمرار الأنظمة المستبدة في تركيع شعوبها الساخطة.

إنّ ما تمرّ به شعوب المنطقة التي للتوّ خرجت من ربقة الاستبداد، إنما هي مرحلة طبيعية تمرّ بها الشعوب والمجتمعات التي تتجاوز حقب الاستعمار أو عصور الاستبداد، ريثما تصل لاحقًا إلى مرحلة من النضج وترسخ التقاليد السياسية، لتدير نفسها بنفسها. أما بشأن الفترة الانتقالية وحجم الخسائر إبان هذه المرحلة، فذلك عائد إلى مستوى النضج والوعي عند كلّ شعب على حدة، وعلى قدرة النخب الواعية فيه، على تجاوز مرحلة الانتقال السياسي والخروج بالحدّ الأدنى من الخسائر.

من هنا تنبع أهمية النشاط الأهلي في مختلف المجتمعات. إنّ على الناس في كلّ مجتمع أن يبادروا إلى إدارة الممكن من شؤونهم العامة. ومما يؤسف عليه أن قطاعات واسعة من مجتمعاتنا، تفتقد إلى المبادرة في إدارة شؤونها حتى لو تركت وشأنها، وكأنه كتب عليها انتظار من يأتي ليفرض عليها ما يتوجب عليها فعله في كل صغيرة وكبيرة. ومن ذلك على سبيل المثال؛ ما يرتبط بالشأن الديني الذي ترك إلى حدٍّ كبير لإدارة المجتمع نفسه، ومع ذلك لم نَرَ قيام مؤسسة أهلية ترعى الشأن الديني العام، بمشاركة وتعاون مختلف الفاعليات الدينية، من علماء وخطباء ومشرفين على الأماكن الدينية. والحال نفسه يتكرر مع إدارة الأوقاف وهي المتروكة برمّتها لجهة المجتمع، ومع ذلك لم يتبيّن الناس حتى الآن ملامح لحسن إدارة هذه الأوقاف ولا الاستفادة المناسبة منها. هاذان مجرّد مثالين لأوجه التحدّي في إظهار مستوى الرشد الاجتماعي، وكأن لسان حال الجميع يقول إما أن تأتي قوة تفرض على الجميع الانصياع إلى تدابير معينة، وإلا فلتترك الأمور على عواهنها!. ولا ينبغي أن ننسى أن أيّ مبادرة أهلية لا بُدّ وأن تواجه بقدر كبير أو قليل من تضارب المصالح ولوبي المطامع الخاصة، وهنا تحديدًا يظهر مستوى النضج في إدارة الاختلاف في المجتمع.

إنّ من الضروري أن يدرك المجتمع أنه مسؤول عن تدريب نفسه بنفسه على إدارة شؤونه العامة. عدا ذلك، فلا يستبعد أن يجد المجتمع نفسه في يوم من الأيام أمام فوضى عارمة لا يتبيّن في خضمها سبل إدارة شؤونه!. ولعلّ أشدّ ما يؤسف عليه في هذا الشأن، هو الضعف الشديد في إرادة التعاون وانعدام روحية العمل الجمعي.

من هنا ينبغي للواعين من أبناء المجتمع إيلاء الاهتمام المطلوب نحو إطلاق المبادرات العامة التي تساهم في سدّ هذه الثغرة، والمبادرة فورًا إلى رأب الصدع، والنأي عن سرد الكلام العام في المجالس والديوانيات وعوضًا عن ذلك، ليتجه المهتمون بمصلحة المجتمع إلى تقديم تجربة رائدة من خلال تشكيل مؤسسات ومجالس أهلية تدير هذه الشؤون وغيرها.

إنّ علينا أن نهتم بتأهيل مجتمعاتنا لإدارة شؤونها العامة. وفي الحدّ الأدنى تلك المجالات المتروك إدارتها للمجتمع. إنّ إحراز التقدم على هذا الصعيد دليل على الرشد المجتمعي الذي يمكن ملاحظته ضمن مظاهر الوعي والمعرفة، وحسن التصرف في اتخاذ المواقف، والإدارة السليمة للإمكانات المتاحة.

الخطبة الأولى

التكيف الاجتماعي واجتناب الخطأ

عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمّعة. تقولون إنْ أحسنَ الناسُ أحسنّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا»[1].

الإنسان كائن اجتماعي يتفاعل مع بيئته ومحيطه، فيتأثر ويؤثر. وفي كل مجتمع في دائرته الواسعة أو في دوائره الصغيرة هناك آراء تسود، وسلوكيات تصبح رائجة، والإنسان بسبب نزعته الاجتماعية يجد نفسه منجذبًا للأخذ بما يراه سائدًا في مجتمعه من آراء وسلوكيات.

ولكن من الواضح أنه ليس كلّ ما يسود في المجتمع هو شيء سليم وصحيح؛ لأن المجتمعات البشرية تظهر فيها أخطاء وسلبيات وثغرات، وهذا شيء لا يستطيع مجتمع مهما كانت درجة وعيه أن يكون محصناً تجاه رواج بعض الأفكار والسلوكيات الخطأ، فماذا يجب على الإنسان حيال هذا الأمر؟

نزعته الطبيعية للتكيف والتوافق الاجتماعي تدعوه للأخذ بما أخذ به الناس، وكما قيل: حشر مع الناس عيد. ولكن بما أن للإنسان عقلاً ووجداناً إضافة إلى ما يؤمن به من قيم دينية وإنسانية، فإن لهذا الثلاثي؛ العقل والوجدان والقيم، دوراً يجب أن يدفعه لكي يقوّم ما يسود في مجتمعه. فما يكون متوافقًا مع هذا الثلاثي أو لا يتنافى

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، ج ٣ ص٢٤٦، حديث٢٠٧٥.

معه، فيمكنه أن يأخذ به، ولكن في حال التصادم والتنافي هل ينحاز الإنسان إلى عقله ووجدانه وقيمه أم يتماهى تحت شعار حشر مع الناس عيد؟

أكثر الناس يتماهون مع السّائد في مجتمعهم تكيفاً واندماجًا، ويحذرون من مخالف المجتمع حتى لا تجرّهم هذه المخالفة لفقدان بعض المصالح، كما يبتلى بعض الناس بفقد الثقة في النفس، يعتقدون بشيء ثم يرون أن كل الناس تؤمن بخلاف ذلك فيذهبون إلى ما ذهب إليه الناس، كما هو المشهور عن جحا، حين قال للناس هزلاً إنّ المكان الفلاني يوزع الأكل بالمجان فلما رآهم ذهبوا جميعًا، شكك في نفسه وقال: هل يعقل أن كلّ هؤلاء على خطأ؟ وذهب معهم! بعض الأحيان يبرر الإنسان لنفسه بالتشكيك فيما يعتقد بسبب ضغط الواقع الخارجي في المجتمع.

المناعة تجاه الأخطاء السائدة:

التوجيهات الدينية تريد أن تعطي الإنسان حصانة تجاه هذه الحالة وتخاطبه: يا إنسان، أنت تعيش في المجتمع، فانظر إلى الآراء والسلوكيات السائدة فيه، ما رأيته صحيحًا فخذ به، وما رأيته خطأً فدعه. وهذا ما يشير إليه الحديث المروي عن رسول الله ﷺ عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمّعة! تقولون إنْ أحسن الناس أحسنّا»، وهذا جيّد أن تحسن كما يحسن الناس لكن الحالة الثانية: «وإن ظلموا ظلمنا»، هنا خطأ كبير وهو معنى الإمّعة؛ لأنك خالفت عقلك ووجدانك وقيمك. «ولكن وطّنوا أنفسكم»، قرروا مع أنفسكم، «إن أحسن الناس أن تحسنوا»، واكب ركب الإحسان في المجتمع وأحسن مثلهم وأكثر، «وإن أساؤوا فلا تظلموا»، لا تمشوا في الطريق الخطأ.

نصوص كثيرة جاءت لإعطاء هذه المناعة في الإنسان بألّا يخذل عقله أمام ضغط السائد في المجتمع، فكون هذا السلوك يفعله أكثر الناس لا يعني صحته، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. ويقول أمير المؤمنين ؑ:

«لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله»[١]. وورد عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال لرجل من أصحابه: «لا تكونن إمّعة. تقول: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس»[٢].

إذا رأيت الخطأ فتجاوزه، وعليك أن تكون مؤثرًا في مجتمعك، وأن تساعد مجتمعك على تجاوز الخطأ، هذا ما يوجه الدين الإنسان إليه. قد تكون حالة سائدة في مجتمع لزمن ما، ولربما كانت مناسبة لذلك الظرف، ومع تغيّر الزمان والظرف قد تكون الآن غير مناسبة، وهنا لا بد من جرأة للتغيير. كل مجتمع يحتاج إلى من تكون عندهم الجرأة والإرادة للتغيير إلى الأفضل، ورفض الأخطاء، وهؤلاء بلا شك سيدفعون الثمن بعتاب المجتمع لهم ولومهم وشتمهم ولربما وصل الأمر إلى الإيذاء الجسدي أو التصفية. ولهذا يشجع الحديث الشريف على التغيير إلى الأحسن عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن سَنَّ سُنَّةً حَسنةً فعمِلَ بِها، كانَ لَهُ أجرُها وَمِثْلُ أجرِ مَن عملَ بِها، لا يَنقُصُ مِن أجورِهِم شيئًا»[٣].

نماذج من التغيير الإيجابي في المجتمع:

ويمكننا أن نشير إلى بعض المبادرات في مجال التغيير الإيجابي لعادات وتقاليد اجتماعية، بدأها أفراد ثم التحق بهم آخرون لتصبح حالة جديدة في المجتمع، وهي على جزئيتها تصلح كنماذج:

- **وليمة الزواج**. كان من المعيب في الماضي أن يتزوج شخص ولا يعمل وليمة بهذه المناسبة، ويُرمى وأهله بالبخل وما شابه. لكن بعض الناس رأوا أن هذه الولائم خرجت عن المألوف، وأصبح بها كلفة، فبدؤوا يعملون حفلة مرطبات، وهي أقلّ كلفة. في بداية الأمر ربما لم يتقبلها المجتمع وعابها البعض، لكنها

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠١.

(٢) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق، ص٢٦٦، باب: معنى الإمّعة.

(٣) صحيح ابن ماجه، ج١ ص٨٧، حديث ١٦٩.

الآن أصبحت هي الرائجة، وإن بدأت تميل هي الأخرى للمبالغة في توفير أصناف الفواكه والحلويات والمرطبات.

- **مجالس العزاء (الفواتح).** اعتاد أكثر الناس أن يكون هناك ثلاثة أوقات لمجالس العزاء في حالة الوفيات واستقبال المعزين أو يكون صباحاً وعصراً، وهذا فيه إرهاق، سيما مع تغير الزمن وزيادة مشاغل الناس، فبدأ البعض بتغيير هذه العادة وجعلها عصرًا وليلًا فقط. في البداية عيب هذا الأمر، حتى إنّ بعض العوائل تكون في حالة انقسام في الرأي بين مؤيّد ومعارض، لكن الأمر شقّ طريقه والفضل لمن بدأ وتحمل الاعتراض.
- **اعتمار العمامة.** من المتداول أن علماء الشيعة يعتمرون العمامة، لكن بعض مناطقنا كالإحساء بسبب البيئة والظروف ما كانوا يعتمرون العمامة إلا وقت الصلاة للاستحباب الشرعي، أو في خارج البلاد، مراعاة للجوّ السائد في مجتمعهم. فجاء بعض المشايخ وحسبما أتذكر أن أول من بدأ الالتزام باعتمار العمامة في الإحساء هو فضيلة الشيخ توفيق العامر ـ فرّج الله عنه ـ على الرغم من حداثة سنه في ذلك الحين، قال: لماذا لا نعتمر العمامة في بلادنا ليكون حالة مألوفة طبيعية؟ ولما بدأ خالفه كثيرون، حتى إن بعض المجاميع العلمية نهوه عن الحضور في مدارسهم ما دام معتمرًا العمامة! وتحمل ذلك وأكثر، لكن بعد سنوات نرى أن معظم العلماء هناك بدؤوا يعتمرون العمامة وأصبحت طبيعية في أوساط العلماء والطلبة في الإحساء كما هو الحال في القطيف.

هذه نماذج نستشهد بها لوضوحها وليس لأهميتها، والغرض أصل الفكرة. على الإنسان ألّا يكون أسير عادات مجتمعه، وإذا رأى ما هو أفضل من الواقع فعليه أن يبادر للتغيير.

نماذج في التأثر السلبي:

وفي مقابل هذه النماذج للتأثير الإيجابي في مبادرة البعض لتغيير بعض العادات الخطأ بدل الخضوع لها، هناك حالة مقابلة لأشخاص يتخلون عن سلوكهم الإيجابي، استجابة لسلوك خطأ سائد.

في بعض الأحيان يدخل معلم سلك التعليم بحماس، ويريد نفع الطلاب، ولكن لاندماجه مع المعلمين الآخرين يرى سلوكيات تنطلق من حالة عدم الجدية عند البعض فيتماهى معهم! قد لا يعجبه تسيّب الطلاب وكثرة غيابهم، لكنه يجد زملاءه المعلمين يشجعون الطلاب على الغياب أيام بمبرر وفيات الأئمة عليهم السلام مثلاً، فيتجاوب هو الآخر معهم. هذه ظاهرة سيئة، وقد انتقلت حتى لمعلمين من أبناء الطائفة الأخرى في مدارسنا، بأن يُذكّر الطلاب بالوفاة حتى يغيبوا ويرتاح هو من التدريس! هذا يكشف عن عدم جدية وعن ضعف إخلاص في أداء هذا الدور المقدس. احترام الشعائر في مكانه، لكن لا ينبغي أن يكون بهذا الشكل المفرط المبالغ فيه على حساب مصلحة الطلاب.

بعض الموظفين يبدؤون وظائفهم ومناصبهم بجدٍّ وحماس وأمانة، وبعد حين تراه يأخذ هدايا ورشاوى كغيره! الإنسان ينبغي أن تكون عنده حصانة من نفسه، لا ينبغي أن يواكب الخطأ في المجتمع. بعض الطلاب المبتعثين مثلًا إذا أحيط بشباب صالحين صار مثلهم، وإذا ابتلي بخلافهم صار منهم، ومشى في الطريق الخطأ، وبرر لنفسه بأنه ليس وحده! وهكذا الحال مع من يخالف أنظمة المرور إذا لمته قال: كلّ الناس يعملون هكذا، وانظر من حولك!

هذا خطأ، ولا يجوز تجاوز وتجاهل النظام. وقد مرّ علينا أسبوع المرور هذه الأيام، والإحصاءات التي ذكرتها الصحف مرعبة، فمعدل الوفيات بسبب الحوادث ١٧ شخص يوميًا، أي شخص كل ٤٠ دقيقة، يموت يوميًا بسبب الحوادث. وعدد

المصابين أكثر من ١٦٠ ألف شخص سنويًّا. والخسائر المادية زادت على ١٣ ملياراً في السنة، وارتفع عدد ضحايا الحوادث أكثر من ٨٦ ألف شخص، متجاوزًا عدد ضحايا حروب الأرجنتين وحرب الصحراء الغربية وحرب الهند وباكستان والخليج والنيبال فعدد ضحاياها مجتمعة ٨٢ ألف شخص، ونحن في بلدنا وحدها خلال العشرين سنة أنهينا حياة ٨٦ ألف شخص! معظم الحوادث تقع بسبب أخطاء العنصر البشري فهي الأكثر، إضافة إلى سوء الشوارع، والظواهر السيئة كالتفحيط، هذه الأمور ينبغي أن نواجهها، فتعاليم الدين والعقل والقيم تطالبنا بذلك وعلينا أن نحتكم إليها، فنأخذ بما كان موافقًا للعقل ونرفض ما كان مخالفًا، وإن كان سائدًا ومنتشرًا.

البابا الجديد وتحديات المؤسسة الدينية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[سورة التوبة، الآية: ٣٤].

تعددت في القرآن الكريم الآيات التي تتحدث عن سلبيات الوسط الديني في الأديان الأخرى، كاليهود والنصارى. وكما هو المتوقع في آيات القرآن الكريم فإنها دقيقة لا تصدر أحكامًا كاسحة تعميمية في مثل هذه الموارد، فالله تعالى لا يقول كلهم بل يقول: (إن كثيرًا من الأحبار والرهبان)، أي إنّ منهم من لا تنطبق عليه هذه الحالة، وذلك حتى يتربى الإنسان المسلم على الإنصاف فلا يصدر أحكامًا شمولية وتعميمية على الآخرين.

والسؤال: لماذا هذا الحديث الموجّه للمسلمين عن علماء اليهود والنصارى؟

القرآن يقول إن هؤلاء علماء دين يستفيدون من موقعيتهم الدينية في تحصيل المكاسب المادية، يأكلون أموال الناس بالباطل، من دون مبرر شرعي، ومن دون القيام بواجبهم الديني تجاه الناس، بالرغم من أنهم يتسلّمون أموالًا من الناس ليقوموا بذلك الواجب، وهم بهذا تمامًا مثل الموظف الذي يأخذ أجرًا ولا يؤدي عمله ووظيفته. ومن صفات هؤلاء العلماء أنهم: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، كيف يكون ذلك وهم

علماء دين؟! هذا يكون بحجبهم الطريق الصحيح عن الناس، وإشغالهم الناس بنهج مختلق مزيّف، ليس هو الدين الحقيقي. أما لماذا يتحدث القرآن عن هؤلاء العلماء من اليهود والنصارى؟

لماذا يتحدث القرآن عن الأحبار والرهبان؟

هناك أمران:

الأول: حتى يفسّر للمسلمين الموقف المناوئ لهؤلاء العلماء تجاه الإسلام. إذ من المفترض أن هؤلاء العلماء يقبلون على الإسلام ويعتنقونه؛ لأنه دين حقّ، وأدلته واضحة، لكنهم لا يفعلون ذلك وإن علموا حقانية الإسلام، حتى لا يخسروا موقعيتهم بين الناس الذين يتبعونهم.

الثاني: لتحذير المسلمين من أن يحصل فيهم ما حصل في الأمم الأخرى. كما أن عالم الدين المسيحي واليهودي معرض للانحراف، فعالم الدين المسلم معرّض لذلك أيضًا. عالم الدين بشرٌ معرّض للخطأ والانحراف، وعلمه لا يبدل طبيعته البشرية ويحوله إلى ملاك.

القرآن الكريم يريد أن يفتح أنظار المسلمين على هذا الأمر، حتى لا يسيروا وراء علماء الدين كالعميان، فهؤلاء العلماء عرضة للخطأ والانحراف، والواجب أن يؤخذ منهم ما هو صحيح وما يوافق الدين والقيم. وقد جاءت نصوص كثيرة صريحة تحذر الناس من علماء السوء، ولو لم يكن هناك علماء سوء لما صدرت هذه الأحاديث. سئل رسول الله ﷺ: أيّ الناس شرٌّ؟ قال: «العلماء إذا فسدوا»[1]. وعنه ﷺ: «إن أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه»[2]. وعنه ﷺ: «ويلٌ لأمتي من علماء السوء»[3].

(١) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص٣٥.

(٢) الكافي، ج ١ص٤٤، حديث ١.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١٠ص١٩٧، حديث ٢٩٠٣٨.

وقد شاهدنا في تاريخ المسلمين كيف أن هناك علماء وقفوا مع الطغيان، وضلّلوا الناس، وقلّبوا الحقائق، واستغلوا مواقعهم لتحقيق المآرب الفاسدة، وكما حدث ذلك في الماضي يحدث مثله في الحاضر أيضًا. لهذا فالآيات التي تتحدث عن سوء علماء اليهود والنصارى تريد أن تنبّه المسلمين وتحذرهم مما قد يحصل في واقعهم من هذه الحالة.

في كلّ شريحة من الشرائح هناك نوع من الأخطاء والسلبيات قد تحصل في محيطها. في شريحة الأثرياء مثلاً، فالثراء أرضية لطغيان الإنسان، يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾، هل يعني ذلك أن كلّ غنيٍّ يطغى؟ كلّا، ولكن طبيعة الثروة قد تدفع لذلك، لهذا يأتي التحذير والتنبيه. كذلك الحكام الذين بيدهم السلطات، فالسلطة أرضية للظلم والاستبداد، ورد عن علي عليه السلام: «مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ»[1]، لا يعني ذلك أن كلّ من يحكم يستبد، لكن السلطة قد تكون أرضية للاستبداد ولا بُدّ من الحذر. وعلماء الدين يجدر بهم أن يكونوا أشدّ حذرًا، فثقة الناس بعالم الدين هي رصيده؛ لأن الناس يرون فيه القائد إلى الله سبحانه وتعالى وإلى القيم، فإذا أساء استغلال هذه الثقة، وبدل أن يقودهم للحق، يجيّر طاعتهم لمصالحه الشخصية أو الفئوية، فذلك هو الفساد والانحراف الكبير. هذا يعني أن على المسلمين وعلمائهم أن يفتحوا أعينهم على تجارب المؤسسات الدينية الأخرى.

الكنيسة ونظامها المؤسّسي:

في هذا الأسبوع في الكنيسة الكاثوليكية المسيحية انتخبوا لهم زعيماً جديد «البابا فرانسيس الأول» وهو البابا رقم ٢٦٦ بعد أن استقال البابا السابق (البابا بنديكتوس السادس عشر)، ولأول مرة يستقيل بابا منذ ٦٠٠ سنة، فهو رشح على أنه خليفة المسيح، والمتعارف أن يبقى حتى الموت، فكيف يستقيل؟ أثار ذلك الكثير من

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم ١٦٠.

الجدل في أوساطهم، والكنيسة الكاثوليكية يتبعها أكثر من مليار ومئتي مليون شخص في العالم. وهي مؤسسة تحت إشرافها أكثر من مليون ومئة ألف شخص في مختلف أنحاء العالم من بينهم و٤٠٠ ألف كاهن ومئة ألف عالم لاهوت بالإضافة إلى بقية العاملين. فهي من أضخم المؤسسات الدينية في العالم.

هل يهمّنا ما يجري عندهم أم لا؟

لا يمكننا القول بأن هذا شأنهم وحسب، نحن نعيش في عالم تنعكس فيه التأثيرات، ما يحصل في الكنيسة الكاثوليكية ينعكس بالتأكيد على واقع المسلمين والعالم كله. إذا كان رأس الكنيسة ينتهج سياسة التسامح والحوار مع الأديان الأخرى فهذا له تأثير إيجابي، مع الأسف البابا السابق المستقيل (بنديكتوس السادس عشر) كان له مواقف وتصريحات غير إيجابية تجاه الإسلام وتجاه النبي ﷺ.

ثم إن الكنيسة بقوتها الروحية يتوقع أن يكون لها دور في مقابل الظلامات في العالم، إذا كانت الكنيسة تدافع عن حقوق الشعوب فهذا يؤثر في واقع العالم، ثم إن هناك مشتركات بيننا وبينهم، في القضايا الروحية والأخلاقية، فالكنيسة تدافع ضد الانحلال الجنسي، وضد تشريع زواج المثليين، وضد تفكك الأسرة والعائلة. الكنيسة معنية بالوقوف أمام النزعة المادية التي تسود في العالم، وهذا ما نشترك معهم فيه أيضًا، وبالتالي ما يحدث عندهم في الكنيسة يهمنا.

وهناك أمر آخر وددت الإشارة إليه، وهو أن نقرأ تجربتهم لنستفيد من إيجابياتها، هم مؤسسة دينية ونحن المسلمين بمختلف مذاهبنا لدينا مؤسسات دينية، وهي تتشابه في مشاكلها وآلياتها وما يواجهها من تحديات، المعتقدات تختلف، لكن التحدّيات والمتطلبات والظروف متشابهة في كثير من الأحيان لدى المؤسسات الدينية، يمكننا أن نستفيد من تجاربهم ونتلافى السلبيات. هذا التنظيم الدقيق في إدارة المؤسسة الكنسية يسترعي الانتباه، ويدعونا للتفكير في تطوير أنظمة مؤسساتنا الدينية، بابا واحد

لكلّ الكاثوليكيين يكون بالانتخاب، والذين ينتخبونه مجلس كرادلة يضم ١١٥ رجل دين كاثوليكي يجتمعون من مختلف أنحاء العالم وينتخبون البابا بالأكثرية. كما أن اهتمام البابا رأس الكنيسة بأتباعه يلفت النظر، فهو يسافر إلى أيّ بلدٍ في العالم فيه ولو بضعة مئات من المسيحيين الكاثوليكيين، ويتفقد أوضاعهم، هناك جوانب تنظيمية يمكن لمؤسساتنا الدينية أن تستفيد منها. هناك تحدّيات تواجه المؤسسات الدينية في مختلف الأديان في هذا العصر، وتواجه مؤسستنا الدينية الإسلامية على الخصوص، كما أن أنظمة الحكم في بلاد المسلمين تواجه تحدّيًا وهي مدعوة للتغير والإصلاح، فإن المؤسسة الدينية كذلك هي الآن أمام تحدّيات:

تحدّيات أمام المؤسسة الدينية:

التحدّي الأول، الحاجة إلى الاستقلال التام عن التأثير السياسي. حتى لا تكون ذيلًا وتابعة للسياسة في أيّ بلدٍ من البلدان.

التحدّي الثاني، الاستقلال عن التأثير الشعبي في جوانبه السلبية، ففي بعض الأحيان قد لا تستجيب المؤسسة الدينية للضغوط السياسية، لكن تستجيب للضغوط الشعبية التي قد لا تكون مناسبة إذا كانت على حساب قيم الدين وتعاليمه. والحديث هنا عن المؤسسة الدينية بشكل عام في قسميها السّني والشّيعي.

التحدّي الثالث، الحاجة للتنظيم والمأسسة. حيث لا يمكن أن تبقى المؤسسات الدينية ضعيفة التأثير في هذا العصر، فالإدارة الفردية المبعثرة تضرّ بالمؤسسة الدينية، ولا تمكنها بالقيام بدورها على الوجه السليم.

التحدّي الرابع، الحاجة للشفافية لمواجهة الانحرافات والفساد الداخلي. ويقال بأن سبب استقالة الباب «بنديكتوس السادس عشر» هو عجزه عن مواجهة هذا الفساد داخل الكنيسة، وكلّ مؤسسة معرّضة لذلك. كما يطالب الناس في هذا العصر الحكومات بالشفافية، أيضًا يطالبون المؤسسات الدينية بذلك.

التحدّي الخامس، الحاجة إلى التجديد ومواكبة التغيرات العامة. نحن نعيش في عصر فيه متغيرات وتحدّيات، والتجديد مطلب مُلِحٌّ من متطلباته.

إننا نأمل أن يكون انتخاب هذا البابا الجديد دافعًا لتطوير مواقف الكنيسة إيجابيًّا تجاه الإسلام والمسلمين، فهناك تعبئة مضادة تجاه المسلين وخاصة في أوروبا، ونتمنى أن توجه هذه التعبئة بنشر التآلف وثقافة التسامح بين الأديان. ونتوقع من الكنيسة أن يكون لها دور في مواجهة الظلم الذي يقع على الشعب الفلسطيني وكلّ الشعوب المستضعفة.

وحين نؤكّد ضرورة قراءة تجربة الكنيسة المسيحية، والاستفادة من الإيجابيات في الجانب التنظيمي وتلافي السلبيات فإن ذلك ينسجم مع ما يؤكّده ديننا من أن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها.

الخطبة الأولى

حسن الاستماع والإصغاء للآخرين

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «وتعلّم حسن الاستماع كما تعلّم حسن القول ولا تقطع على أحدٍ حديثه»[1].

امتلاك النعمة شيء، ودرجة الاستفادة منها شيء آخر. قد يمتلك الإنسان نعمة من النعم فلا يحسن الاستفادة منها، أو تكون استفادته منها بدرجة منخفضة. لهذا يوجّه الدين الإنسان إلى الالتفات للنعم التي منحه الله إيّاها، وأن يحسن الاستفادة منها إلى أعلى درجة ممكنة. ومن أعظم النعم الإلهية نعمة السمع، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. ومن أهمّ وظائف هذه النعمة أن يسمع الإنسان ما عند الآخرين، ومن الطبيعي أن يستفيد الانسان من سمعه، ولكن الكلام في حسن الاستفادة، وفي بلوغ أقصى درجات الاستفادة، وهذا الأمر الذي تهدف إليه التعاليم الدينية للتوجيه. عليك أن تحسن الإصغاء للآخرين حينما يتحدثون، فهو أنفع لك.

لماذا لا يصغون للآخرين؟

لكن بعض الناس لا يدرّبون أنفسهم على حسن الاستماع والإنصات وذلك لأحد

(١) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج١ ص٢٣٣، حديث ١٨٧، وفي بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج١ ص٢٢٢، حديث ٥، عن الإمام الباقر (عليه السلام).

الأسباب التالية:

الأول: حينما يصاب الإنسان بنوع من الغرور والاستهانة بما لدى الآخرين، فلا يرى أن ما يقولونه شيء مهم يستحق الاستماع والإصغاء، فيعرض عن حديثهم ويتلاهى عنه، ولربما قاطعهم، أو تعامل معهم بما ينفرهم من الحديث معه، وهذا سوء تعامل مع نعمة السمع، وبالتالي خسران الاستفادة، فكما قيل: العلم كله في العالم كله، أنت لديك علم ومعرفة، ولكن قد تكون علمت شيئًا وغابت عنك أشياء، فلماذا لا تستمع إلى الآخرين، وتطّلع على ما لديهم وما عندهم؟

القرآن الكريم يمدح المؤمنين بأنهم الذين ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، والاستماع غير السّماع، فهو يعني قصد السمع والاهتمام بما يقال، ولكن ما كلّ ما يسمعه الإنسان يكون صحيحًا أو أنه الأفضل والأصوب، لذا لا بُدّ من إعمال العقل للتمييز بين ما هو حسن وما دون ذلك، وما هو أحسن، ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، يسمعون كلامًا كثيرًا لكنهم يستمعون الأحسن منه.

قد يجمعك لقاء بمن يخالفك في الدين، فلا تحتقره على أنه غير مسلم، إنه بشر ولديه عقل ووجدان وتفاعل مع الحياة، فلربما كان لديه ما هو مفيد، فـ «الحكمة ضالة المؤمن»[١]، وعندنا نصوص تأمر بأخذ الحكمة حتى من المشرك أو المنافق، فعن عليٍّ عليه السلام: «خذوا الحكمة ولو من المشركين»[٢]، ويقول عليه السلام: «الحكمة ضالة كلّ مؤمن فخذوها ولو من أفواه المنافقين»[٣].

وكذلك من يخالفك في المذهب، والرأي، ينبغي أن تصغي لحديثه، ولو كنت في معرض خيار بين أحد أمرين: أن تستمع لمخالف، أو لموالف، فاختر المخالف؛ لأن الموالف ـ الموافق ـ هو أنت، نسخة مكررة عنك، كأنك تنظر إلى نفسك في المرآة،

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم رقم ٨٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٢ ص٩٧، حديث ٤١.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٢٢.

لكن المخالف قد يطلعك على شيءٍ آخر لم تكن تعرفه، من ثم تفكر فيه، فلربما كان صحيحًا ولربما كان خاطئًا.

الثاني: حينما يكون الإنسان في موقعية عالية، ويرى أن الذين حوله أقلّ منه فهمًا وإدراكًا، فإنه يستهين بكلامهم. ولذلك نماذج واضحة:

حالات ونماذج:

- **الأب**. يرى نفسه سلطة عليا في المنزل، فما عسى أن يكون شأن الزوجة أو الأولاد عنده؟ قد يتجاهل حديثهم، أو لا يسمح لهم بالحديث. وقد كنّا نلاحظ في السابق مثلاً حين يكون المجلس ممتلئًا بالكبار ويريد الشاب أن يتكلم، فإن أباه ينهاه عن الحديث لوجود الكبار، وهذا خطأ، فحديثه إن كان فيه خلل سوف يجد من يوجهه إلى ما هو صحيح. بينما بعض الآباء الواعين على العكس من ذلك في الاهتمام بالحديث مع أبنائهم، وحين يتناقشون مع أبنائهم قد يحصلون على آراء ما كانوا يتوقعونها منهم. كما أن الحديث مع الأبناء ينمّي إدراكهم وأفكارهم وثقتهم بأنفسهم.

- **الحاكم**. حيث يرى بيده السلطة وأزمّة الأمور، فلا يرى أن هؤلاء المواطنين الضعفاء هم في مستوى من الرأي الذي يمكن أن يعتدّ به في الفكر والسياسة مثلًا، وحسب القول السائد: الشيوخ أبخص. وهذا فكر مغلوط، فلربما يكون هؤلاء الناس من الشعب لديهم رأيٌ سديد، ينهضون به بمجتمعهم، ونحن نجد كيف أن الدول المتحضرة تفخر بأنها تستمع لرأي مواطنيها. وقد كان الإمام علي عليه السلام يشجع مواطنيه أيام خلافته على طرح أرائهم أمامه، ويطمّنهم أنه لا ينزعج من نقدهم، بل يرحّب به، يقول عليه السلام: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ

الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ »[١].

- **الطبيب**. يرى في نفسه أنه أعلم وأخبر من المريض، لهذا لا يكلف نفسه الاستماع إلى المريض كثيرًا إما غطرسة، أو أنه ليس لديه وقت ليضيعه مع كلّ مريض. يصف الدواء وإذا ناقشه المريض، قال نفّذ ولا عليك. بينما الأطباء في الغرب يصرفون وقتًا مع المريض في شرح المرض له، وإعطائه نبذة عنه ولو عن طريق مكاتبهم وسكرتاريتهم. الإصغاء للمريض يفيد الطبيب في تشخيص المرض، وكشف بعض الجوانب التي قد لا تظهرها الفحوص والتحاليل، ويفيد المريض بإشعاره بالاهتمام والعناية.
- **المعلم**. بحاجة إلى أن يسمع من تلاميذه ويشجّعهم على المناقشة والحوار، فهذا يجعله مفضلًا لدى الطلاب. فالتعليم عبر التلقين أسلوب متخلف، وإثارة ذهن الطالب وتدريبه على التفكير هو المطلوب.
- **عالم الدين**. يحتاج إلى هذا الأمر أيضًا، فقد يلفت الإنسان العادي نظر العالم إلى جانب مهم، وخاصة في قضايا التشخيص والتطبيق للأحكام والقيم الدينية. عن الحسن بن الجهم قال: كنا عند الإمام علي بن موسى الرضا ﵇ وذكرنا أباه ـ الإمام موسى الكاظم ﵇ ـ فقال ﵇: «كان عقله لا يوازى به العقول. وربما شاور الأسود من سودانه ـ أي الغلام ـ فقيل له: تشاور مثل هذا؟ فأجاب ﵇: إن الله تعالى ربما فتح على لسانه»[٢].

وكم من خادم أو عامل تحدث مع صاحب العمل ولفت انتباهه إلى شيءٍ كان غائبًا عن ذهنه.

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ٢١٦ خطبها في صفين.
(٢) بحار الأنوار، ج٨٨ ص٢٥٤، حديث ٥.

فوائد الإصغاء والاستماع:

لهذا على الإنسان ألّا يتكبر على الآخرين، وأن يصغي لحديثهم، فهذا يعود عليه بمنافع، أهمها:

أولًا: الاستفادة منهم.

ثانيًا: الإصغاء للآخرين يعتبر مظهرًا من مظاهر الاحترام لهم. فحين تصغي لشخص أيًّا كان فإنك تشعره بقيمته واحترامه، بينما إذا لم تكن مباليًا بحديثه فإنك تشعره بالازدراء والتحقير. الصغير يحتاج من الكبير أن يصغي إليه، والكبير الطاعن في السنّ بحاجة كذلك إلى أن يسمعه الشاب ومن هم دون سنه، فكما يحتاج الطفل إلى مزيدٍ من الدلال والحبّ، فإن الكبير يحتاج إلى مزيدٍ من الاحترام والتقدير، والشباب عليهم أن يعرفوا أنهم في يومٍ ما سيكونون شيوخًا في هذه الحالة، لذلك على الإنسان أن يسمع للكبير فهو يرتاح لذلك، وهو ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، لا تُبْدِ التبرّم من كلام وتصرف الكبير. في بعض الأحيان لضعف الذاكرة قد يكرر القصة لأكثر من مرة، فلا تشعره بالضجر، ففي ذلك جرح لمشاعره.

ثالثًا: الإصغاء للآخرين يفيدهم في تنفيس الاحتقانات وإزالتها من نفوسهم. قد يتحدث لك شخص بمشكلة يراها كبيرة، لكن إصغاءك إليه، وإتاحتك الفرصة له لكي يبدي ما في نفسه يزيح عنه هَمّ المشكلة شيئًا ما، والعكس تمامًا لو واجهته بالصدّ وعدم الاهتمام فإن المشكلة تتكرس عنده وتزداد. هذا أمر ملحوظ على صعيد العائلة والأصحاب، وحتى مع عامة الناس، فإذا حدثك أيّ شخص عن مشكلة يواجهها فاستمع إليه، فأنت تساعده وتريحه

نفسيًا فلا تبخل عليه. الحكام إذا أتاحوا للناس فرصة الحديث والتعبير عن قضاياهم فإن ذلك في مصلحتهم ومصلحة الشعب والوطن. أما تكميم الأفواه فهو كبت، والكبت يولّد الانفجار.

من هنا جاء كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «وتعلّم حسن الاستماع»، حاول أن تفهم كلام الطرف الآخر، مهما كان ذلك الطرف، وكما ورد عن علي عليه السلام: «لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال »[١]، وقوله عليه السلام: «خذ الحكمة ممن أتاك بها، وانظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال»[٢]، البعض يتأهّب للردّ على شخص يراه خارج دائرته، لا لأن قوله غير صواب، فهو لم يسمعه، لكنه يتوقع منه أن يقول ما هو خطأ فلا يصغي له، وهذا خطأ كبير. استماعك له يتيح لك فرصة التفكر والحكم بعقلانية، حاول أن تجد بين ثنايا حديثه نقاطًا إيجابية. وقد تسمع فكرة من شخص لكنه لا يحسن التعبير عنها، فحاول أن تلتقطها وتصوغها بالشكل المناسب. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «عَوِّدْ أذنك حسن الاستماع»[٣]. حاول أن تتدرب على هذه الحالة، بعض الأحيان تدخل مجلسًا وكلّ شخص أو شخصين يتحدثون في جانب، أو إذا تحدث شخص قطعوا عليه كلامه. كان من صفات رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ما قطع على أحدٍ حديثه قطّ، وهناك رواية عن أنس قال: «أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ فَعَرَضَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله رَجُلٌ فَحَبَسَهُ بَعْدَ مَا أُقِيمَتْ الصَّلَاةُ »[٤] وفي رواية أخرى «أقيمت صلاة العشاء فقال رجل: لي حاجة، فقام النبي صلى الله عليه وآله يناجيه حتى نام القوم أو بعض القوم ثم صلوا »[٥].

هكذا يعطي رسول الله صلى الله عليه وآله للناس فرصة للتعبير عمّا بداخلهم، وهذا درس لنا.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٤٢٣، حكمة ٢٤٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٩٩، حكمة ١٥.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص٣٤١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأذان، حديث ٦٤٣.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب الدليل على أن نوم الجالس لا ينقض الوضوء، حديث ١٢٦.

إشغال الرأي العام وتكريس الانقسامات

﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[سورة الكهف، الآية:٢٢].

حينما يكون هناك انشغال بقضية ما على مستوى الرأي العام في المجتمع، عبر وسائل الإعلام ووسائل الاتصال الاجتماعي، فإن ذلك يحوّل القضية إلى أولوية في أذهان الناس، تشغلهم عمّا عداها، ويتمحور تفكيرهم حولها. فالقضايا الحقيقة التي ترتبط بواقع الناس وبمصيرهم، من الطبيعي بل من المطلوب أن يشتغل الناس بالتفكير والحديث حولها، وأن يكون لها الأولوية في وسائل الإعلام وحديث المجالس.

أحيانًا تكون هناك قضايا مفتعلة لا ترتبط بحياة الناس ومستقبلهم، لكنها تطرح وينشغل الناس بها، وعادة ما تكون الجهات السياسية هي التي تختلق مثل هذه القضايا وخاصة في أوقات الاستحقاقات. فحينما يعلو صوت المجتمع بالمطالبة بالحقوق وتحسين وضع البلاد فإن السلطات السياسية في كثير من البلدان تلجأ إلى افتعال قضايا جانبية.

أولًا: للتغطية على القضايا الحقيقية لإسكات الناس ولو لفترة، وإشغالهم بهذه القضية المطروحة.

ثانيًا: تزييف أولويات الناس، فتصبح القضايا الجانبية هي ذات القيمة والأهمية، ولا تعار القضايا الحقيقية التي ترتبط بمصير العباد والبلاد أيّ أهمية!

ثالثًا: لإيجاد اختلاف الناس وانقسامهم مما يصبّ في مصلحة العدو الذي يطبق قاعدة فرق تسد، لذلك يختلق للناس قضايا جانبية ينقسمون حولها، فتعيد هذه القضايا انقسام الناس وتخندقهم من جديد.

نوعية القضايا المفتعلة:

قد تثار قضية دينية معينة، ويختلف الناس فيها بين مؤيّد ومخالف، إلى درجة أن يعتقد البعض بأن هذه القضية هي أساس الدين، ولا يمكن التنازل عنها. ومع الأسف، فبعض الدينيين يساعد السياسيين على ذلك أو يصبحون أدوات بيد السياسيين، فيثيرون قضايا دينية ليست ذات قيمة في تفاصيلها. هذه القضايا إذا كان هناك شك في ثبوتها، فليؤمن من يؤمن، ومن لم يؤمن فشأنه، ليس هناك داعٍ للنزاع والتلهي بها عن القضايا الأساسية.

كان رسول الله ﷺ والأئمة ﵈ يوجهون الناس إلى الأمور الأساسية وينهونهم عن الانشغال بالقضايا الجانبية. ورد عن النبي ﷺ كما عن بعض الأصحاب قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ عَلَى وَجْنَتَيْهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ ؟ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَنْ لا تَنَازَعُوا فِيهِ»[1]. وفي الوقت الذي انشقّ فيه معاوية على أمير المؤمنين ﵇، وكان الإمام يريد أن يوجه الناس إلى مواجهة هذا البغي، قام له ذات مرة أحد أصحابه كما في خطبة ١٦٢ من نهج البلاغة وسأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فالتفت إليه أمير المؤمنين علي ﵇ قال: «يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ

---

(١) سنن الترمذي، ج٣، ص١٨٨، حديث ٢١٣٣.

وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً وَالْأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ ﷺ نَوْطاً فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ وَالْحَكَمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ»[١].

والآيات الكريمة التي تتحدث عن أصحاب الكهف وعددهم، ثلاثة أو خمسة أو سبعة، كان من الممكن أن يوحي الله إلى نبيه ويخبره بالعدد الصحيح، لكنه تعالى يريد أن يوجه الناس إلى عدم الانشغال بالأمور الهامشية الثانوية على حساب القضايا الأساس، ما الضير إن كانوا خمسة أو ثلاثة؟ عليكم من مغزى القصة: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾، ولنلاحظ الأمر الإلهي للنبي ﷺ بعدم المشاركة في هذا النزاع حول المسألة، يقول تعالى: ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾. لا تجعلوا الاختلاف في الجزئيات مجالًا للصراع والنزاع على حساب المصالح العامة للمجتمع والوطن والأمة.

وما يثار الآن في ساحة الأمة من فتن الطائفية، وإشعال للصراع المذهبي بين السنة والشيعة، ليس بعيداً عن هذا الاستهداف، للتشويش على المطالبات بالإصلاح الداخلي في البلاد العربية، ولمنع التوحّد تجاه العدوان الصهيوني، ولا نغفل أن القوى الكبرى تريد ترسيخ قوة الاحتلال الصهيوني. كما سمعنا خطاب الرئيس الأمريكي حيث أعلن بكل وضوح: «إسرائيل هى الدولة الأقوى في المنطقة وتحظى بدعم قوى لا يتزعزع من جانب الدولة الأقوى في العالم»[٢]. يريدون لشعوب المنطقة أن تخضع وتقبل بالواقع، ومن أهم أساليبهم الاصطفاف الطائفي الذي ينتج من تخويف السنة

---

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ١٦٢.

(٢) صرح بذلك في مؤتمر صحفي في القدس بتاريخ الخميس ١٠ جمادي الأول ١٤٣٤هـ ـ ٢١ مارس ٢٠١٣م، الوطن القطرية، الجمعة، ٢٢/ ٠٣/ ٢٠١٣م.

بالشيعة والعكس. إن إبراز أيّ خلاف سياسي وكأنه مذهبي يخدم الأعداء والاحتلال الإسرائيلي.

نرجو أن يرتفع مستوى الوعي عند الناس حتى تنتظم أمورهم. ولا غضاضة في الاختلاف السياسي، ولكن إذا تعدّى هذا الأمر حدوده فإن ذلك يبدد الجهود والطاقات ويؤخّر التنمية.

الخطبة الأولى

التحفيز نحو السلوك الإيجابي

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٦٠].

للإنسان شهوات تدفعه للشّر، ولكن في أعماقه نزوع إلى الخير، وهذه النزعات أعمق من دوافع الشر. وقد زود الله تعالى الإنسان بإرادة قوية يستطيع أن يكبح بها دوافع الشر، فمن المفترض أن يكون الإنسان أقرب إلى الخير منه إلى الشّر، كما أن إمكانات سلوك الخير أعظم بكثير من إمكانات مزالق الشّر. والنصوص الدينية التي تتحدث عن جنود العقل تكشف شيئًا من هذه الحقيقة، فجنود العقل أكثر وأقوى عند الإنسان من جنود الجهل والشر. لكن الظروف الخارجية لها الأثر الأكبر في توجهات الإنسان، فإذا عاش في بيئة تحفّزه للخير، وتشجعه عليه فإنه يكون أكثر استجابة للخير والصلاح، بينما إذا عاش في بيئة تحرض لديه الشهوات والأهواء وتشجعه على الانحراف والفساد فإنه معرّض للانزلاق والانحراف.

من هنا تأتي أهمية التحفيز لدوافع الخير في الأجواء التي يعيشها الإنسان. كلما توفرت للإنسان محفزات نحو الخير ازداد عطاءً في مجال الخير. لذلك يتحدث التربويون وخبراء الإدارة عن دور التحفيز في التربية والإدارة. في مجال التربية يتحدثون أن المربي إذا استخدم آليات التحفيز لأبنائه وطلابه، ولمن يريد توجيههم، فإن هذه المنهجية تؤتي ثمارًا طيبة. وكذلك في المجال الإداري حينما يدير الإنسان

مشروعًا، ولديه مجموعة من الموظفين، فالباحثون الإداريون يشيرون إلى دور التحفيز في صنع الإبداع والإتقان عند الموظفين.

وهناك حديث كثير في العلوم المعاصرة عن مفهوم التحفيز، ويعرّف بأنه: مؤثر خارجي يحرّك شعور الإنسان ويجعله يسلك سلوكًا معينًا لتحقيق الهدف المطلوب. في مجال الإدارة يقول الباحثون: أثبتت الأبحاث أن الموظفين يعملون بكفاءة تعادل فقط ٦٠٪ مما يستطيعون تقديمه للعمل. وعن طريق التقنيات التحفيزية الفعالة يمكن تعديل هذه الإحصائية وطرق باب الأربعين في المئة من الطاقة الكامنة في داخلهم.

مفهوم التحفيز في التوجيه الديني

لهذا نجد حضورًا لمفهوم التحفيز على الخير في التوجيهات الدينية؛ لأن الخالق جلّ وعلا يعلم دور التحفيز في دفع الإنسان نحو الخير. إن الله تعالى يقول: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾. وفي آية أخرى يعد الله تعالى بمضاعفة الأجر سبعمائة ضعف يقول تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾، وفي آيات أخرى هناك وعد مفتوح بمضاعفة الثواب دون حدود يقول تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. وماذا يعني عشر أمثالها؟ العلماء يقولون: هذا هو الحدّ الأدنى لمضاعفة الأجر والثواب، لكن المجال مفتوح إلى سبعمئة ضعف بل إلى أكثر من ذلك وبغير حساب محدد. وهذا كله من أجل أن يتحفز الإنسان لفعل الخير. والقرآن الكريم يشير إلى أن عمل الخير ليس فقط فيه ثواب كبير، وإنما يُذهب تبعات ما قد يقع فيه الإنسان من شرّ، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

نستفيد من ذلك أن الإنسان يجب أن يكون واثقًا بهذا التحفيز الإلهي، وكيف لا يثق الإنسان؟ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾، الله تعالى يفي بعهده وليس أوفى منه ﴿إِنَّ

اللَّـهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

من جهة أخرى علينا أن نستفيد من منهجية التحفيز في تعاملنا مع من حولنا. أنت تريد أن تربي أبناءك فحاول أن تحفزهم بدل الترهيب والقسوة. حفزهم بالمدح والثناء على كلّ عمل طيب، وكافأهم على أعمالهم الحسنة. وكذلك مع الزوجة والأصدقاء وكل من حولك. بعض الناس من طبيعتهم يميلون إلى الشدة والعنف، لكن الفكر الديني يؤكّد لنا سلوك منهجية التحفيز، صحيح أننا بحاجة للردع والعقوبة، لكنها يجب أن تكون بمقدار الضرورة وأن تكون استثناء، أما الأصل الذي يجب أن نراهن عليه فهو منهجية التحفيز، وقد تحتاج إلى زمن حتى تثمر. كذلك الحال بالنسبة للمعلم مع طلابه، فالتقارير تشير إلى أن المعلم الذي يستخدم هذه المنهجية مع طلابه يكون أنجح من المعلم الذي يستخدم الشدة والردع مع طلابه. وفي التعامل مع الموظفين والعمال والناس بشكل عام فإن الأمر مطلوب أيضًا. وعلينا ألّا نغفل جانب العمل التطوعي، ونحن نجد شكوى من عدم الإقبال على العمل التطوعي، فالتحفيز للعمل التطوعي فيه فوائد كثيرة، منها: إظهار دور المتعاونين مع الجمعيات الخيرية، والثناء على دورهم، وتقييمهم أمام المجتمع، ومكافأتهم معنويًا، فهذا يحفّز من يتعاون على المزيد، ويحفّز الآخرين على الانخراط في العمل الخيري.

الشيخ الفضلي عشق العلم وطهارة الأخلاق

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «العلماء أطهر الناس أخلاقًا وأقلهم في المطامع أعراقًا»[1].

حين يقبل الإنسان على العلم بصدق وإخلاص، فإنه يكون عاشقًا للعلوم والمعارف، وتصبح مقصده والطموح الذي يرنو إليه، والغاية التي لا يعدلها شيء آخر، فهو لا يرى شيئًا أهم من العلم. وتجده مستعدًّا للتنازل عن وقته وراحته ومصالحه من أجل أن يتوفر على العلم. ومن يعشق العلم ويصبح كلّ همّه وغايته فإن انعكاس العلم على سيرته وسلوكه يكون واضحًا جليًا. بالطبع هذا لا يصدق على كلّ عالم، وإنما على العلماء الحقيقيين الصادقين، لذا نرى أمير المؤمنين عليه السلام يقسّم طلبة العلم إلى أقسام يقول عليه السلام: «طلبة هذا العلم على ثلاثة أصناف، ألا فاعرفوهم بصفاتهم وأعيانهم» ـ لا يكون هناك خلط في الأوراق، فالمجتمع ينبغي أن يصنف علماءه وفق معايير لا بناءً على المحسوبيات والأهواء ـ «صنف منهم يتعلمون للمراء والجدل» ـ لاستعراض العضلات العلمية، ليناقش الآخرين ويظهر فضله ـ «وصنف منهم يتعلمون للاستطالة والختل»ـ أي حتى يتحصلوا على مناصب ومواقع وبروز ـ «وصنف منهم يتعلمون للفقه والعقل»[2].

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٤٨، حكمة ١٤٢٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٤٦.

ويتحدث الإمام مطولًا عن صفات كلّ صنف من هذه الأصناف.

في هذه الأيام فقدت منطقتنا والعالم الإسلامي أنموذجًا من العلماء الربانيين الصادقين، هو آية الله الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي (١٣٥٤ـ ١٤٣٤هـ/ ١٩٣٥ـ ٢٠١٣م). وقد كان رحمه الله أنموذجًا ومصداقًا للعالم الرباني؛ لما ظهر من عشقه للعلم والمعرفة طوال حياته الشريفة، ولانعكاس العلم على سلوكه كما يقول الحديث الشريف: «العلماء أطهر الناس أخلاقًا، وأقلّهم في المطامع أعراقًا»، لهذا فإن فقده خسارة ليس للمنطقة فحسب، بل في كلّ الحوزات العلمية والأوساط الدينية. ولنا أن نستعرض أهمّ الجوانب التي تميز بها:

الجدية والاستمرار في طلب العلم.

كثير من الناس يدرسون، ويحصلون على شهادة، ومن ثم ينالون وظيفة أو دورًا اجتماعيًّا، وبعدها تنقطع علاقتهم بالعلم والمعرفة، لكن الفقيد كانت علاقته بالعلم دائمة مستمرة، لم ينقطع عن البحث والإنتاج العلمي. من يقرأ كتبه العلمية يرى بوضوح أن كتابته ليست تكرارًا لبحوث سابقة، وإنما هي ممارسة للاجتهاد وتنقيح الآراء وإضافة الجديد. له آراء مبتكرة في مجال اللغة والفقه والأصول والمجالات المختلفة، أضافها إلى رصيد العلم والمعرفة في الأمة. وكمثال على جهده في البحث العلمي، حين كان مقيمًا في مدينة جدّة مدرساً في جامعة الملك عبد العزيز، كان من جملة إنجازاته القيام بدراسته الميدانية لحدود ومعالم المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة، تنقيحًا لموضوع يرتبط بمسائل فقهية في مناسك الحج والعمرة، فاستثمر الفقيد فرصة تواجده هناك وقام بدراسة الموضوع متنقلًا بسيارته المتواضعة، حاملًا فراشه معه، وينام متى ما جنَّ عليه الليل، يصور ويسجّل النقاط المهمة، فقدم بحثًا ميدانيًّا يتجاوز التنظير من خلال القراءة والمطالعة، وأصبح بحثه ودراسته مصدرًا معتمدًا لدى العلماء والفقهاء.

وحين نقرا في كتبه نجد غزارة البحث وسعة الاطّلاع حتى لو كان كتيبًا صغيراً، ففي بحث قيم له حول «الغناء» رجع فيه إلى أكثر من ستين مصدرًا، وكانت صفحات البحث تقرب من ١٧٠ صفحة فقط. وحينما كان يكتب في الاقتصاد الإسلامي ويدرس مبحث البنوك الربوية سمع أن هناك عالمًا في اليمن من المذهب الزيدي ألف كتابًا يتبنى رأيًا معينًا حول الربا، وبحث الشيخ عن الكتاب في مختلف المكتبات فلم يجده، فشدّ الرحال بنفسه لليمن وأخذ يبحث عن الكتاب حتى عثر عليه، وطار به فرحًا لولعه بالعلم واجتهاده في البحث.

وقد دأب رحمه الله على تتبع ما في المكتبات ودور النشر من جديد ليقتني آخر الإصدارات العلمية والمعرفية. كما أنه لم يترك الكتابة إلى آخر حياته، وبعد أن ابتلي بالمرض والجلطة التي سببت له شللًا نصفيًا، كان يبحث ويكتب بيده اليسرى، وحين عجز كان يملي على أولاده وهم يكتبون. مما يدلّ على عشقه المتواصل للعلم الذي كان همّه الأول في هذه الحياة.

فاعليته ونشاطه في مختلف الظروف

بعض العاملين قد يكون نشطًا في مرحلة محددة من عمره كمرحلة الشباب، أو في بلدٍ معيّن تساعد أجواؤه على الحركة والنشاط، أو ضمن ظرف مناسب تتاح فيه الفرصة، لكن الفقيد كان فاعلًا ومنتجًا أينما حلَّ وأقام، كان يعمل حسبما في وسعه وإمكانه. في العراق وحيث أقام في النجف الأشراف، كان له دور في تأسيس الحركة الإسلامية، وفي مواجهة الأفكار المناوئة للإسلام، وكانت له مساهمة بارزة في تطوير مناهج الحوزة العلمية، استفادت منها كلّ الحوزات، كالمناهج التي وضعها في علم المنطق والحديث والكلام والأصول، وكثير من كتبه الآن تدرس في الحوزات والجامعات الإسلامية. وحينما جاء إلى جدّة والأجواء فيها مختلفة عن النجف، لكنه أيضًا كان منتجًا ومتفاعلًا، وقد أسّس قسم اللغة العربية في جامعة الملك عبد

العزيز التي كان مدرسًا فيها، وكان عضوًا في هيئة تحرير أخبار الجامعة، وعضوًا دائمًا ومؤسسًا للجنة المخطوطات في الجامعة المركزية، وانضم إلى النادي الثقافي الأدبي بجدة، لم يمنعه اختلاف المذهب والمنقطة عن التفاعل في المحيط الجديد، وكوّن له صداقات من الأدباء والمثقفين وأستاذة الجامعات هناك، وما زالوا إلى الآن يذكرونه بخير، وقد كتب بعضهم عنه وعن علمه وأخلاقه وفضله.

هكذا ينبغي أن يكون العالم المنتمي لمدرسة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، يتفاعل مع الأجواء الاجتماعية التي يعيشها، ويحسن التعامل مع الجميع، وينفتح على الجميع، وتكون له فاعلية في كلّ الظروف حسب الفرص المتاحة. وفي لندن كان له دور في إنشاء الجامعة الإسلامية حيث درّس فيها عدة مناهج، وفي لبنان حينما أسّس الإمام شمس الدين الجامعة الإسلامية حرص على الاستفادة من الشيخ الفضلي وقد سمعت منه رحمه الله قوله: حينما أسست الجامعة كنت حريصًا بالدرجة الأولى على أن أستفيد من خبرة الشيخ الدكتور الفضلي في وضع مناهج الجامعة، وبالفعل استجاب لدعوته وذهب إلى لبنان، واستقر في الجامعة سنة كاملة للإسهام في إنشائها ومتابعة مناهجها. وحينما تقاعد عن التدريس في الجامعة بجدة (عام ١٤٠٩هـ) وجاء إلى المنطقة الشرقية وأقام في الدمام أيضًا كان له دور كبير في هذه المنقطة، في اتجاهين:

الاتجاه الأول: التثقيف الجماهيري

حيث شجّع على إقامة المواسم الثقافية، وكان يشارك فيها بالتخطيط والتوجيه وإلقاء المحاضرات، وخاصة في شهر رمضان المبارك، وكانت برامج جديدة على المجتمع، وتركت أثراً كبيرًا في جيل من الشباب وأوساط المثقفين والطلبة الجامعيين.

الاتجاه الثاني: رعاية وتشجيع الإنتاج الثقافي

كان يشجع كلّ باحث وكاتب، سواء كان ينتمي إلى سلك طلبة العلوم الدينية أو

الوسط الأكاديمي والثقافي، فما قصده باحث طالبًا منه الاستفادة، أو مستشيرًا له إلا وبذل وقته وجهده لمساعدته، وما قصده مؤلف لكتابة تقديم لكتابه إلا استجاب له، بهدف التشجيع والدعم والإشادة، لم يكن فئويًّا في تعامله مع الآخرين، كان يحتضن الجميع، ويمارس دور الأبوة للجميع، وهذا من طهارة نفسه رضوان الله عليه.

سموالأخلاق:

أما تواضعه فحدّث عنه ولا حرج، كان يُخجل من يلاقيه ومن يجالسه بتواضعه، لا يستعرض عضلاته العلمية، ويحسن الإنصات لمن يحادثه، فحين تطرح عليه فكرة أو موضوعًا ولو كان قليل الأهمية فإنه ينصت إليك، ويتفاعل معك، وإذا كان له رأي قدمه بكلّ لباقة وهدوء، لم يكن انفعاليًّا حتى مع بعض من أساء إليه، يذكر أحد تلامذته والمستفيدين من توجيهاته، وهو الاستاذ حسين منصور الشيخ الموقف التالي: أثناء مراجعتي لأحد كتبه وذلك لإعادة طباعته، وجدت أن دار النشر، وهي لبنانية، قد عمدت إلى حذف فقرات مهمة، تخدم فكرة الكتاب، وقد وجدت أن ذلك كان عن عمدٍ، فأشرت إلى ذلك في تقديمي للطبعة الجديدة، وحين عرضتها عليه، قال لي: لا تكتب هكذا، فهي دار إسلامية وتطبع الكتب، فلماذا نسيء إليها وإن كانت قد حذفت الفقرات عن عمد؟! قل إنّ هذه الفقرات حذفت من الطبعة السابقة ولا تُشر إلى دار النشر بسوء. وأصرّ على ذلك الأمر. وحادثة أخرى تعود لدار نشر إيرانية، وقد حذفت صفحات وليس مجرد فقرات، وطبعت الكتاب بطريقة فيها حذف مخلّ. ومع هذا حين جاءه شخص يستشيره في التعامل مع هذه الدار في طبع كتاب، لم يذكر له شيئًا مما جنته تلك الدار على كتابه، واكتفى بتوجيهه إلى أن يتابع بنفسه ويشرف على طباعة الكتاب قبل النشر. وهذا يدلّ على سمو أخلاقه.

كان رحمه الله قد ألّف كتابًا حول أهل البيت عليهم السلام يخاطب فيه الطرف الآخر بشكل تقريبي وحدوي، لكن بعض طلبته وتلامذته من المزايدين مذهبياً لم يعجبه ذلك،

فكتب كتابات مسيئة للشيخ، وقال عنه أنه تأثر بأفكار المذهب السني، وأنه تنازل عن بعض أفكار المذهب، ومیع المذهب، وتابع حملته في عدة مقالات. فأثار ذلك بعض تلامذته، لكن الشيخ هدأهم وطلب منهم عدم الانفعال، وقال: هذا لديه اشتباه يذهب بعد أيام وتتضح الأمور. وكان يقول: إننا لا ينبغي أن نشجع الخلافات الجانبية، إن كان أخطأ وتكلم عليَّ بسوء واتهمني، فالله يغفر له، وقد صفحت عنه، فلا تجعلوا منها قضية تعكر الصفو والألفة.

ما أحوجنا لهذه الأخلاق النبيلة في المجتمع بشكل عام، ومن طلبة العلوم الدينية بشكل خاص فهم الذين ينبغي أن يكونوا قدوة للناس في أخلاقهم وتواضعهم وتراحمهم.

ونحن نفتقد هذه الشخصية الكبيرة لا يفوتنا أن نضرع إلى الله تعالى بأن يتغمده بواسع الرحمة، وأن يرفع مقامه عنده، وأن يخلف علينا بالخلف الصالح، وأن يحفظ لنا علماءنا الربانيين أينما كانوا في مشارق الأرض ومغاربها.

الوفاء أشرف الأخلاق

الخطبة الأولى

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:
«أشرف الخلائق الوفاء»[1].

الوفاء في الأصل يعني الإتمام والإكمال. فإذا أتممت شيئًا أو أكملته قيل لك أوفيته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾، بمعنى إتمام الكيل وعدم الإنقاص منه. ومن الوفاء الوفاء بالعهد. حينما يكون عهد من الإنسان مع الله تعالى أو مع أحدٍ من خلقه، فإنجاز ذلك العهد والوعد من الوفاء، والوفاء بالعهد من صفات المؤمنين التي يحبّها الله ويمتدحها، يقول تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾. ومن الوفاء الوفاء بالعقود والاتفاقات المبرمة بين الإنسان وبين الآخرين، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.

وهناك معنى أخلاقي للوفاء يُراد به حفظ الجميل والإحسان لذوي الإحسان. حينما يُسدي لك أحدٌ جميلًا، ويصنع لك معروفًا، في وقتٍ من الأوقات، فإن حفظك لذلك الجميل، وشكرك لذلك الإحسان والمعروف، يُعتبر وفاءً، وهذا هو المعنى الذي نريد الحديث عنه.

إن هناك من يتنكّر للجميل والمعروف، أو يتعاطى معه وقتيًّا، فيبدي الاحترام والتقدير لمن يحسن إليه ما دام هو في حاجة لهذا الإحسان، فإذا ما انقضت حاجته، نسي ذلك المحسن وتنكر له، وهذا خلاف الوفاء. الإنسان الوفي هو الذي يبقى ذاكرًا

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص ١١٧.

للمعروف ومقدّرًا للجميل، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: «أشرف الخلائق الوفاء» يعني أن أشرف مكارم الأخلاق أن يكون الإنسان وفيًّا لمن يُحسن إليه.

وفي هذا السياق وردت نصوص تتحدث عن حرمة كفران معروف الآخرين كما يحرم الكفر بنعم الله تعالى.

الوفاء للوالدين:

ليس هناك جميل ولا معروف أعظم من معروف الوالدين وإحسانهما، فإنهما بعد الله تعالى مصدر وجود الإنسان، وسبب حياته، والوفي من الناس يعرف مقدار وفائه بمقدار برّه بوالديه. فحين يكون الإنسان صغيرًا فهو في موقع الضعف والحاجة لوالديه، فإذا تقدم بالوالدين العمر، وأصبحا في موقع الضعف، وأصبح هو في موقع القوة، فهل سيفي مع من أسبغا عليه برّهما ووقتهما وحياتهما ما لم يسبغ عليه أحدٌ مثل ذلك أو قريب منه؟

الله تعالى يأمر بالشكر للوالدين بعد الشكر له يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾، كما ستحاسب يوم القيامة عن شكرك أو عدم شكرك لله تعالى، كذلك ستحاسب عن شكرك أو عدم شكرك للوالدين. بعد عبادة الله تعالى ليس هناك واجب على الإنسان أعظم من حقّ الوالدين، يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. حتى أدنى كلمة تشعرهما بالانزعاج يأمرك الله تعالى بتجنبها.

فضل الوالدين عظيم، فأنّى لامرئ أن يوفّيَ حقّ والديه، لهذا يطلب منه الاجتهاد

في هذا الأمر. فقد روي أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي ﷺ هل أديت حقها؟ قال «لا ولا بزفرة واحدة»[١].

وشكا رجلٌ إلى رسول الله ﷺ سوء خلق أمه فقال: لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر؟ قال: إنها سيئة الخلق، قال: لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين؟ قال: إنها سيئة الخلق، قال: لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها؟ قال: لقد جازيتها؟ قال: ما فعلت، قال: حججت بها على عاتقي؟ قال: ما جزيتها ولو طلقة»[٢].

هكذا على الإنسان أن يتذكر دائمًا وأبدًا معروف والديه. مع الأسف الشديد، كم نرى في هذه الفترات من يتنكر لمعروف والديه، أو يلقي بدور رعايتهما على إخوانه، فلماذا تقصّر أنت وتتركهم يسبقونك إلى الخير؟

والبر بالوالدين لا يقتصر على وجودهما في الحياة، بل حتى بعد وفاتهما، حيث ينبغي أن يستمر بالدعاء لهما والتصدق عنهما وعمل الخير وإهداء ثوابه إليهما.

الوفاء مع الزوجة:

ومن مصاديق الوفاء الوفاء للحياة الزوجية. حينما يرتبط رجل وامرأة برباط الزوجية تكون بينهما حياة مشتركة مفتوحة يعبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾، ويصفها في آية أخرى بقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾. قد يحصل أن يموت أحد الزوجين أو يمرض أحدهما، فكيف يؤدي الصحيح منهما حقوق الآخر، وفاءً للعشرة التي بينهما؟ هل سيتعامل بالوفاء، ويقف مع الطرف الآخر في هذه المحنة، أم يتنكر له وينسى ما كان بينهما من معروف وعشرة؟ قد يتغيّر خلق أحد الزوجين بسبب كبر السن، وهذا لا يبرر التنكر لتلك العشرة السابقة، لا

---

(١) تفسير ابن كثير، ابن كثير، ج ٣، ص ٣٨.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، ج ٢، ص ٤٤٥.

يصحّ نسيان الجميل من كلا الزوجين. والأسوأ من ذلك أن يتصاعد الخلاف بين الزوجين إلى حدِّ التفكير في الانتقام، أو إنهاء الحياة الزوجية بطريقة عدائية، بينما يؤكّد القرآن الكريم أهمية أنْ يتم الفراق بين الزوجين بأسلوب مناسب، يقول تعالى: ﴿إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

الوفاء للمحسن:

قد تمرّ على الإنسان محنٌ وشدائد، فيسخّر الله تعالى إليه من يُسدي له معروفًا، فمن الواجب حفظ هذا المعروف.

تصاب بالعجب من بعض الأشخاص حين يخبرك بأنه سافر وأصابته شدة ومحنة وأن شخصًا ساعده ووقف بجانبه، فتسأله: هل ما زلت تتواصل معه؟ فيقول: زمن مضى ولا أدري ما حاله! هذا ضعف في الوفاء، الإنسان الوفيّ هو الذي لا ينسى من طوّقه بمعروف مهما كان ذلك المعروف. ولنا في سيرة رسول الله ﷺ أسوة حسنة من مكارم أخلاقه، كان يذكر معروف من أسدى إليه معروفًا ولو كان مشركًا أو كافرًا.

في غزوة بدر حذّر رسول الله ﷺ المسلمين أن يقتلوا بضعة أشخاص من المشركين، حتى ولو كانوا في صفوف العدو بالمقدار الممكن، وممن نهى عن قتلهم أبو البختري بن الهشام بن الحارث، حيث قال ﷺ: «من لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله»[١]. وإنما نهى ﷺ عن قتله؛ لأنه كان أكفّ القوم عنه بمكة[٢]. هو لم يحسن لرسول الله ﷺ لكن رسول الله ﷺ يحفظ له أنه لم يؤذه مع بقية مشركي قريش.

وحين استقبل النجاشي في الحبشة وفد المسلمين المهاجرين وأكرمهم، وكان على رأسهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام، بقي الرسول ﷺ يذكر له ذلك ولا ينساه، وحين جاء

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٣، ص ٣٤٨.

(٢) تاريخ الطبري، الطبري، ج ٢، ص ١٥١.

وفد النجاشي إلى المدينة بادر رسول الله ﷺ لخدمتهم بنفسه، فطلب منه الأصحاب أن يترك الأمر لهم لضيافتهم قائلين: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: «إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وإني أحب أن أكافيهم»[١]. وجاء في السيرة النبوية أن رجلاً أسود، وقيل امرأة، كان يقم ـ يكنس ـ المسجد فافتقده رسول الله ﷺ فسأل عنه، فقالوا: قد مات. فعاتب ﷺ أصحابه: «أفلا كنتم آذنتموني به دلوني على قبره أو قال على قبرها» فأتى قبرها فصل عليها[٢].

هذه هي الشيم والأخلاق الإنسانية الفاضلة، أن تذكر وتشكر كلّ من أحسن إليك من بداية حياتك، ولا ينبغي أن يمنعك كونهم مختلفين معك في الدين أو التوجّه، كما قرأنا في سيرة رسول الله ﷺ وكيف كان يتعامل مع الكفار والمشركين ممن أحسنوا إليه أو إلى أصحابه.

(١) البداية والنهاية، ج ٣، ص ٩٩.
(٢) صحيح البخاري، ج١، ص١١٧، حديث ٤٥٨، وورد في رقم ١٣٣٧.

الصراعات تدمير للأوطان

﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾[سورة الحشر، الآية:١٤]

إنما منح الله تعالى الإنسان القدرات والإمكانات في هذه الحياة من أجل البناء وإعمار الأرض. وكلّ مجتمع عليه أن يوظّف إمكاناته من أجل التنمية والبناء حتى يسعد المجتمع في حياته، وحتى يقدم الإنجازات التي تبني عليها الأجيال القادمة. هذا ما يأمر به الشرع ويهدي إليه العقل، لكن المشكلة أن بعض المجتمعات حينما يعشش فيها الجهل والتخلف، وحينما تسودهم العصبيات والأنانيات، ويغيب عن حياتهم العقل، فإنهم يوظّفون الإمكانات المتاحة لهم في سبيل الهدم والتخريب.

المجتمعات الغربية كانت تعيش هذه الحالة فيما سبق من القرون، وحينما استيقظ العقل عندهم، فكروا وأدركوا عبثية ما كانوا يعيشون فيه من صراعات ونزاعات، فقرروا أن يتجاوزوا تلك الحالة، وأن يتحاوروا فيما بينهم، وأن يتنازل كلّ طرف منهم للآخر، حتى يتفقوا على المشتركات، وعلى المصالح العامة خدمة لأوطانهم. تعاهدوا على نظام، وتوافقوا على دستور، وسلكوا منهجًا لإدارة شؤونهم عبر الديمقراطية، وعبر التداول السلمي للسلطة، وعبر حماية حقوق الإنسان، فتجاوزا قرون الصراعات والخلافات، وهنا بدأت نهضتهم، ومرحلة البناء عندهم، فأصبحوا يفكرون وينتجون بشكل تصاعدي. ولعلّكم سمعتم كيف أن الرئيس الأمريكي «أوباما» أعلن أنه في هذا

العام ٢٠١٣ سينصبّ الاهتمام العلمي في أمريكا على دراسة المخ من أجل علاج مرض الزهايمر وأمثاله، وأعلن ميزانية تقدر بـ ١٠٠ مليون دولار، لصالح الأبحاث العلمية لهذا الغرض، هذا من قبل الدولة، ولا شكّ أن الشركات والمؤسسات والجامعات سيكون لها دور في هذا المجال، إنهم في كلّ عام يشقّون طريقًا جديدًا في المجال العلمي والصناعي ويحققون مكاسب وإنجازات، لكن مجتمعات المسلمين ما تزال مشغولة بما كان الأوروبيون مشغولين به قبل قرن وقرنين من الزمن، ما زالت الصراعات تعشش في بلاد المسلمين وتنتج الدمار والخراب.

ماذا نفعل بأوطاننا؟

أهكذا نفعل ببلادنا؟ سورية هذا البلد العزيز العريق الذي يحتضن كثيرًا من تراث الإسلام والعرب ويحتفظ بمعالم وآثار تاريخية عزيزة على قلوب المسلمين، ماذا يحلّ بسورية الآن؟ القتل والدمار والتخريب، آلاف من أبنائه نزحوا من ديارهم وآلاف قتلوا، وفي كلّ يوم تسمع عن قتلى وتفجيرات، مئذنة أقدم جامع في حلب مضى عليها ما يقارب ١٠٠٠عام تتعرض للتدمير، والأهمّ من ذلك ما أصاب الإنسان من قتل وترويع وتهجير وانتهاك، لماذا نفعل ببلادنا هكذا؟

وماذا يحصل في العراق بعد عقود من الاستبداد والقهر؟ دخل العراق الآن في نفق الاضطرابات والنزاعات والفتن، في كل يوم يستهدف الأبرياء، أناس عزّل في سوق، في مقهى أو مطعم، في مسجد أو حسينية، ما ذنبهم؟ أيّ عقل هذا العقل وأيّ دين؟ صحيح ما يقوله تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾. مع الأعداء كالصهاينة، والهيمنة الأجنبية، لسنا بهذه الشدّة والغلظة التي نتعامل بها فيما بيننا! كم قتل من الأمريكان في احتلالهم للعراق وكم قتل من العراقيين؟ ما قتل من الأمريكان لا يتجاوز ٤٠٠٠ شخص وبضع مئات، ولكن ما قتل من العراقيين يقاس بمئات الألوف.

وكذلك ما يحصل في السودان والصومال وفي أكثر من بلد، لماذا هذا الحال في بلاد المسلمين؟ والأرضية مهيأة في بقية البلدان وكأن هناك مرحلة من الدمار والتخريب يراد لها أن تعمّ كلّ بلاد المسلمين، لا سمح الله.

كيف الخلاص؟

المسألة ترتبط بوعي الشعوب أولًا، وبدور النخبة السياسية في هذه الشعوب ثانيًا. النخبة السياسية من حاكمين ومعارضين، فالحكام الذين لا يستجيبون لتطلعات شعوبهم، ويضطرونهم لكي يسلكوا هذا الطريق، والقيادات المعارضة التي لا تستخدم العقل والحكمة، وتفسح المجال للعنف ودخول الأجانب في أوطانها، هذه النخبة السياسية من حكام ومعارضين يتحمّلون المسؤولية الكبرى عمّا يحدث في بلاد المسلمين. وإذا كان لنا أن نتفاءل بشيء، فينبغي أن نتفاءل لهذا التوجه الإيجابي الذي حصل في تركيا حيث كان الأكراد لعشرات السنين يحاربون الدولة التركية، والدولة تحاربهم، عنف متقابل من الطرفين، آلاف القتلى قتلوا ضمن مسيرة العنف كان حصيلتها أكثر من ٤٠ ألفًا، وأخيرًا بدأ ضوء يلوح تبشيراً بالحلّ التصالحي، الحكومة التركية الجديدة استجابت إلى بعض تطلعات الشعب الكردي. وماذا يريد الأكراد؟ يريدون أن يعيشوا هويتهم القومية في ثقافتهم، والاستمتاع بحقوقهم كمواطنين في بلادهم، لا يقلّون شأنًا عن غيرهم، ممن يشتركون معهم في أرض الوطن، الحكومة التركية بدأت الاستجابة وأقرّت خارطة طريق لحلّ المشكلة، والمعارضة الكردية رأت القبول خيرًا من الصدام مع الدولة. هذا التعقل من الطرفين لأيّ سبب من الأسباب هو الذي ساعد على صنع الحلّ للمشكلة. هذه تجربة رائدة نأمل أن تنجع وألّا تتعثر، وينبغي الاستفادة منها في كلّ مكان من بلاد المسلمين، فلا مصلحة للحكومات في أن تستمر في عنادها لتطلّعات شعوبها، وليس هناك مصلحة للشعوب أن تستمرّ المشكلة والاضطرابات في بلادهم. احتراف المعارضة أو الصدام مع الدولة ليس هو الحلّ، وإنما الحلّ في تلمّس الطريق ليهتدوا إلى مصلحة الوطن.

الخطبة الأولى

الاستخفاف بالصلاة

جاء بسندٍ حسن عن أبي بصير عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق ﷺ عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته، ولا يرد عليّ الحوض»[1].

الصلاة صلة بين العبد وربه، وهي مظهر لاستجابته لأمر الله سبحانه وتعالى، ومظهر لالتزامه بالدين، فالتارك للصلاة غير ملتزم بدينه، كما أنها فرصة الإنسان لأداء واجب الشكر للمولى عزّ وجلّ على نعمه عليه، ولإبراز خضوعه لربه.

لهذا جاءت النصوص الدينية التي تؤكّد أهمية الصلاة ومكانتها، فهي (عمود الدين)[2] كما ورد عن النبي ﷺ، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد»[3]. والصلاة هي أول ما يجب تعلّمه من الدين. كان رسول الله ﷺ أول ما يعلم من يدخل في الإسلام الصلاة. وهي أول ما يحاسب به الإنسان يوم القيامة، كما ورد في الحديث عن الإمام الباقر ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة، فإن قبلت قبل ما سواها»[4]. من هنا فإن من يترك الصلاة عمدًا يكون

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٩، ص ١٠٦، حديث ١٩٢.
(٢) تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٢٣٧، حديث ٩٣٦.
(٣) المعجم الأوسط، الطبراني، ج ٢، ص ٣٨٣.
(٤) الكافي، ج ٣، ص ٢٦٨، حديث ٤.

خارج إطار الدين، كما ورد عنه ﷺ: «ما بين الكفر والإيمان إلا ترك الصلاة»[١]. وإذا كان معظم المسلمين يؤدون هذه الشعيرة العظيمة إلا أن هناك مشكلة تناولتها النصوص والأحاديث وهي الاستخفاف بالصلاة.

قد يؤدي الإنسان صلاته ولكن يستخفّ بها، والاستخفاف بالصلاة ذنب عظيم حذّرت النصوص الدينية منه، ومن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه لا ينال الشفاعة المستخف بالصلاة، ولا يرد الحوض على رسول الله. فماذا يعني الاستخفاف بالصلاة؟

الاستخفاف بالصلاة مظاهر وتجلّيات:

- تأخير أداء الصلاة من دون عذر. لكل صلاة وقت بداية ونهاية، فصلاة الصبح من طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس، وصلاة الظهرين من الزوال إلى الغروب، وصلاة العشاءين من المغرب إلى منتصف الليل. الصلاة كتاب موقوت، والمسلم ينبغي أن يبادر لأدائها من أول وقتها، إلا أن يكون له عذر في التأخير، فيؤجّل أداء صلاته ضمن وقت الصلاة وليس خارجه. فمن كان يتساهل من دون عذر، ويتشاغل بأشياء أخرى ليست ضرورية من حيث التوقيت، فإن ذلك مظهر للاستخفاف بالصلاة.
- ليس كلّ عمل يبرر تأخير الصلاة لأجله، وكما قيل: لا تقل للصلاة عندي عمل بل قل للعمل عندي صلاة، أعطِ الصلاة أولوية.
- قد يكون الإنسان مستمرًّا في الحديث مع زملائه، فيدخل وقت الصلاة، ويستمر كأن لم يحدث شيء. أو يشاهد التلفاز، أو يقرأ كتابًا أو جريدة، ولا يؤدي الصلاة إلا بعد أن ينهي ذلك البرنامج.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٢١٧، حديث ٣٣.

- وقد يؤدي بعض المؤمنين أعمالًا دينية كقراءة دعاء، أو حتى تلاوة قرآن، أو زيارة مرقد ديني، أو مشاركة في موكب عزاء، فيحين وقت الصلاة ويستمر في عمله بحجة أن ما يعمله عمل ديني. هذا غير صحيح، ينبغي أن تكون الصلاة أولوية على كلّ عمل. مع الأسف الشديد حتى في العتبات المقدسة تلحظ هذا الأمر، الناس يصلون جماعة، وهو جالس يكمل قراءة الزيارة! الإمام الذي تزوره يريد منك أداء الصلاة في وقتها، لن ترضيه بالزيارة وأنت تؤخّر صلاتك.

لا شيء يكون له أولوية على الصلاة وقت دخولها إلا في موارد الضرورة. فعن عبد الله بن مسعود، قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة في أول وقتها»[١]. وورد عنه ﷺ: «الوقت الأول من الصلاة أفضل من الوقت الآخر، كفضل الآخرة على الدنيا»[٢]. وعن علي عليه السلام: «ليس عمل أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من الصلاة، فلا يشغلنكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا، فإن الله عزّ وجلّ ذمَّ أقوامًا وقال: ﴿الذين عن صلاتهم ساهون﴾. يعني أنهم غافلون، استهانوا بأوقاتها»[٣]. وعن الإمام علي الرضا عليه السلام: «إذا دخل الوقت عليك فصلّها فإنك لا تدري ما يكون»[٤].

الإنسان حينما يدخل على أبيه أو مديره أو أيّ شخص له مكانة عنده، فإنه يبادر بتحيته، ولو جلس واشتغل بأمر ما، ثم أدّى تحيته، عُدَّ ذلك استخفافًا بالشخص الموجود. وهكذا حينما يدخل وقت الصلاة فأنت مدعو للقاء الله تعالى فلا تنشغل عن الله بأيِّ شيءٍ آخر.

التثاقل في أداء الصلاة:

من مظاهر الاستخفاف بالصلاة أداؤها بتثاقل وكسل. كأنه يلقي عبئًا من عاتقه،

---

(١) المستدرك على الصحيحين، أول كتاب الصلاة، ج١، ص ٣٠٠، حديث ٢ (٦٧٥).
(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٧، ص ٣٦٠، حديث ١٩٢٦٤.
(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٤، ص ١١٣، حديث ١٩.
(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٩، حديث ٣.

كان رسول الله ﷺ يقول: «يا بلال أرحنا بالصلاة»[١]. وقد عبّر عنها بقرة العين، فقال: «وقرة عيني في الصلاة»[٢]. الإنسان ينبغي أن يقبل على الصلاة بشوق ونشاط. إن الله يصف المنافقين بأنهم يقومون للصلاة كسالى، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّـهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾. هذا من علامات النفاق، ورد عن علي ﷷ: «تكاسل المرء في الصلاة من ضعف الإيمان»[٣].

وقد يؤدي الصلاة في وقتها، لكنه لا يهتم بمعرفة أحكامها، ولا بكيفية أدائها الأداء الصحيح. ومن مظاهر ذلك العجلة في أدائها، وخاصة إذا كانت على حساب الطمأنينة، ورد عن الإمام الصادق ﷷ: «إذا قام العبد في الصلاة فخفف صلاته قال الله تبارك وتعالى لملائكته: أما ترون إلى عبدي كأنه يرى أن قضاء حوائجه بيد غيري، أما يعلم أن قضاء حوائجه بيدي؟!»[٤] كلّ حياتنا بيد الله، فلماذا نستعجل ونحيف على أحكام صلاتنا؟ ولنتأمل الرواية التالية عن الإمام الباقر ﷷ قال: «دخل رجلٌ مسجدًا فيه رسول الله ﷺ فخفف سجوده دونما ينبغي ودونما يكون السجود ودون ما يكون من السجود، فقال رسول الله ﷺ: نقرٌ كنقر الغراب لو مات على هذا مات على غير دين محمد»[٥]. أداء الصلاة ينبغي أن يكون بطمأنينة وإتقان، هذا ما تأمرنا به تعاليم الدين، لا شيء أهم من الصلاة حين يحين وقتها، وكلّنا نسمع ما ورد عن علي ﷷ أثناء حرب صفين كان مشتغلًا بالحرب، لكنه كان يراقب وقت الصلاة، بالرغم من أهمية الجهاد والمعركة، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الفعل ؟ قال: أنظر إلى

---

(١) مسند احمد، الإمام احمد بن حنبل، ج ٥، ص ٣٦٤، وفي سنن أبي داود، ج ٢، ص ٤٧٤: يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ١٤١، حديث ٨.

(٣) الصلاة في الكتاب والسنة، للشيخ محمّد الريشهري، ص ١٢١ عن كتاب: اثنا عشرية في المواعظ العددية، ص ٢٠.

(٤) الكافي، ج ٣، ص ٢٦٩

(٥) بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٣٤، حديث ٨.

الزوال حتى نصلي فقال له ابن عباس: وهل هذا وقت الصلاة؟ إن عندنا لشغلا بالقتال عن الصلاة، فقال ﷺ: على ما نقاتلهم؟ إنما نقاتلهم على الصلاة»[١].

ونختم بهذا الحديث الذي يُحذّر من الاستخفاف بالصلاة، عن أبي بصير قال: دخلت على أم حميدة، ـ أم الإمام الصادق ـ أعزّيها بأبي عبدالله الصادق عليه السلام فبكت، وبكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمد، لو رأيت أبا عبدالله عليه السلام عند الموت لرأيت عجبًا. فتح عينيه ثم قال: اجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة. قالت: فلم نترك أحدًا إلا جمعناه، قالت: فنظر إليهم، ثم قال: «إن شفاعتنا لا تنال مستخفًا بالصلاة»[٢].

هذه آخر وصية إمام لأقربائه. لذلك على كلّ مؤمن وخاصة كلّ موالٍ لأهل البيت عليهم السلام أن يهتم بأداء الصلاة في أول وقتها، كما ورد عن الصادق عليه السلام قال: «امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها»[٣]. هذا هو أهم مظهر من مظاهر الولاء والاتباع لأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٤، ص ٢٤٦.
(٢) بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٣٤، حديث ١٠.
(٣) بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٤٩، حديث ١.

شخصنة الأفكار خطأ منهجيّ

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال»[1].

يواجه الإنسان ألوانًا من الأفكار والآراء في مختلف مجالات الحياة. فما من مجال إلا وتتعدّد فيه الآراء والأفكار، ومن الطبيعي أن تتصادم الأفكار وتتابين وتختلف، فماذا يصنع الإنسان أمام هذا الاختلاف، وخاصة إذا كانت تلك الآراء من الأمور التي تهمّه وترتبط بها حياته الدينية أو الاجتماعية؟

إن الله تعالى قد منح الإنسان عقلًا يدرس به الأفكار والآراء، كما منحه جوارح يسمع ويرى ويحسّ، فيعرف من خلالها الأشياء المادية، فدور العقل أن يتعرف على القضايا المعرفية والمعنوية، وعلى الإنسان أن يستخدم هذا العقل في دراسة الأفكار وتمحيصها، وأخذ الصحيح منها. والقرآن الكريم كلّه دعوة لاستخدام العقل: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾، عشرات بل مئات الآيات التي تحثّ على استخدام العقل. فإذا استخدم الإنسان عقله، واتخذ منهجًا أو فكرة معينة، حتى لو كانت خطأً فإنه معذور عند الله تعالى، ما دام قد اجتهد واستخدم عقله. لهذا لا بُدّ من استخدام المنهجية السليمة في دارسة الأفكار.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم ص ٤٢٣، حكمة ٢٤٧.

المنهجية السليمة:

التزام الموضوعية من أهمّ ضوابط المنهجية السليمة في دراسة الأفكار والآراء. حين يدرس الإنسان فكرة تحت تأثير هوى معيّن، فدراسته لا تكون موضوعية. في الدراسات المختبرية يدرسون المادة بعيدًا عن التأثيرات الخارجية، كتحليل الدم مثلًا، الباحث في المختبر يريد العينة بعيدًا عن التأثيرات، لذلك قد يطلبون من صاحب العينة أن يكون صائمًا ساعات محددة من أجل أن تكون تلك العينة غير متأثرة بظروف آنية، وأنت حينما تختبر فكرة في عقلك عليك أن تفحصها بعيدًا عن التأثيرات المختلفة، ومن أبرز التأثيرات غير الموضوعية: شخصنة الآراء والأفكار. الشخصنة تعني الحكم على الفكرة من خلال الموقف من الشخص الذي تنسب إليه الفكرة، هل هو محلّ قبول أو رفض، لينعكس الموقف منه تاليًا على الموقف من الفكرة قبولًا أو رفضًا. الإنسان عليه في دارسة الآراء أن يبتعد عن الشخصنة وينظر في مضمون الفكرة، ويرى هل هذا المضمون صحيح أم خطأ، بغض النظر عن شخص القائل والموقف منه.

هذه مسألة يدفعنا إليها الوجدان؛ لأن الوجدان يدرك أن الإنسان قد يقع في الخطأ في أفكاره، وقد تكون هناك فكرة من إنسان لا نراه سليم التوجه، لكن فكرته تلك سليمة، فالفكرة غير صاحب الفكرة، والقول غير القائل، لكن بعض الناس لا يتمكنون من الفصل.

الفكرة ليست بالضرورة هي ذات المفكّر، بدليل أننا نجد أن إنسانًا يطرح فكرة وينادي بها ثم يتراجع عنها. النصوص الدينية تؤكّد لنا أن ننظر إلى الفكرة بذاتها، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾. وورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال»، افصل القول عن القائل ليكون بحثك ونقاشك موضوعيًا.

وفي رواية جميلة عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلمتان

غريبتان فاحتملوهما: كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها، وكلمة سفه من حكيم فاغفروها»[١]. هذا الحكيم ليس معصومًا ولكلّ جواد كبوة. وعنه ﷺ: «خذ الحكمة ولا يضرّك من أيّ وعاء خرجت»[٢]. وعن علي عليه السلام: «الحكمة ضالة كلّ مؤمن فخذوها ولو من أفواه المنافقين»[٣]. وفي نصٍّ آخر: «خذوا الحكمة ولو من أهل المشركين»[٤]. وهناك نصّ يرويه أهل البيت عليهم السلام عن عيسى بن مريم عليه السلام: «خذوا الحقّ من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحقّ، كونوا نقاد الكلام»[٥]، أي تعامل مع الكلام نفسه وليس مع قائله.

بين الموضوعية والشخصنة:

أمر مهم في دراسة الآراء والمواقف ويترتب عليه:

أولًا: ألّا تكون الثقة بشخص سببًا للاتباع الأعمى. لا يصحّ إعطاء شيك أبيض مفتوح لمن يُتبع لكل ما يقول، فهذا اتّباع أعمى.

ثانيًا: ألّا يكون الموقف من شخص دافعًا لرفض فكرته. بعض الناس يحارب فكرة لأن فلانًا قالها فقط، وليس لأنها خطأ.

ثالثًا: رفض الفكرة لا يعني الرفض المطلق لصاحبها ومحاربته. لا تحارب كلّ شيء فيه ومنه، فقد تكون عنده أمور صائبة، هذا التعميم والإسقاط خطأ.

رابعًا: عليك أن تنقد الفكرة لا أن تحارب قائلها. مشكلة البعض في مجتمعاتنا كأنه ينتظر فكرة تخالف فكرته من شخص ما حتى يعلن الحرب عليه. اختلفت

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٦٧.

(٢) العلم والحكمة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، ص ٢٤٥.

(٣) غرر الحكم، ص٢٩، حكمة ٦٦٢.

(٤) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج ١، ص ٢٣٠، حديث ١٧١.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٩، حديث ١٥٩.

معه في فكرة عقدية أو سياسية أو أيّ مجال، الاختلاف مقبول، ولكن أن تحاربه وتسقطه لا يصحّ. علينا أن ننتقد الفكرة ولكن نحترم المفكر، وأن ننتقد القول ولكن لا نسيء للقائل. علماء التربية يشيرون في مجال تربية الأطفال، بأن على الوالدين إذا رأيا من ابنهما تصرفًا سيئًا ألّا يخاطباه بلغة البغض والكراهية له شخصيًّا، أنا لا أحبّك، أنا أكرهك، بل قل له تصرفك هذا لا يعجبني. والطبيب مثال للإنسان الناصح، فهو حين يرى مرضًا عند إنسان يقوم بمحاربة المرض وليس الشخص نفسه. في بعض الأحيان من أجل الفكرة الخطأ نقتل صاحب الفكرة، وهذا غير صحيح. الدين يربّينا على أن تكون عندنا منهجية في معالجة الأفكار والآراء حينما تختلف مع بعضها. وما يسبب الشخصية هو التعصب والأنانية والحقد.

الواعي هو من يبحث عن الأفكار الناضجة النافعة، ويأخذها من أيِّ أحدٍ جاءت، لا أن يؤطّر الأفكار بأطر مختلفة، فيأخذ هذه وإن كانت خطأ، ويترك تلك وإن كانت صحيحة.

الخطبة الأولى

العجلة في إدارة العمل إرباك وأخطار

﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[سورة الأنبياء، الآية: ٣٧]

لأن الإنسان يعيش عالم المادة الحسّي، فإنه غالبًا ما يستجيب للنزعات المادية، التي تلبي توجهات الشهوة والرغبة. ومن تلك النوازع، الحرص الشديد على المنافع العاجلة.

حينما يرى الإنسان أن هناك مصلحة، فإنه يستعجلها ويسعى إليها. هذه العجلة قد تفوّت عليه مصلحة أهم وأكبر، كما يقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾، صفة العجلة والاستعجال قد تنمو وتترعرع في سلوك الإنسان حتى تصبح سمة عامة في سلوكه وحياته، وكأنه مخلوق من هذه الصفة. الآية الكريمة تقول: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وفي هذا التعبير نوع من الاستعارة، وهو أن الإنسان من شدّة اتصافه بهذه الصفة أصبح كأنه مخلوق منها. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ أي يتشبع بهذه الصفة ويكثر من ممارستها، حتى تصبح صفة دائمة له. بالطبع هي ليست حالة حتمية، إذ يستطيع الإنسان أن يتجاوزها، لكنه يحتاج للوعي والإرادة حتى يتحكم في هذه الصفة.

من هنا تأتي النصوص الدينية لتنبه الإنسان إلى ضرورة ضبط هذه الصفة في سلوكه وأعماله، وأن تحلّ محلها صفة التأني، ورد عن النبي ﷺ: «إنما أهلك الناس

العجلة، ولو أن الناس تثبتوا لم يهلك أحد»[١]. لو درّب الناس أنفسهم على التأني لتجنبوا الكثير من موارد الهلاك. وعنه ﷺ: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»[٢]. التأني صفة يحبذها الله، بينما العجلة صفة يريدها ويشجعها الشيطان، وعنه ﷺ: «من تأنى أصاب أو كاد، ومن عجل أخطأ أو كاد»[٣]. أي إنّ المتأني إن لم يصب فهو قريب من الصواب، ومن تعجل حتى لو لم يقع في الخطأ يكون على حافته. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مع التثبت تكون السلامة ومع العجلة تكون الندامة»[٤].

ويقول الشاعر العربي:

لا تعجلنّ فربما عجل الفتى فيما يضره
ولربما كره الفتى أمرًا عواقبه تسرّه

وقال آخر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلّل

بالطبع فإن العجلة ليست دائمًا مذمومة، هناك عجلة ممدوحة وهي ضمن عنوان المسارعة في الخير والمبادرة إليه، كما يصف الله تعالى المؤمنين الصالحين بأنهم: ﴿أُولَـٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[سورة المؤمنون، الآية: ٦١]، كما قيل: «خير البرّ عاجله»، وقد ورد عن علي عليه السلام: «التؤدة ممدوحة في كل شئ إلا في فرص الخير»[٥]، وورد أيضًا عن الصادق عليه السلام قال:«كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر، فإنك لا تدري ما يحدث »[٦]. وفي المقابل هناك عجلة مذمومة، وهي محلّ بحثنا، ولها تجليات:

(١) أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٢١٥، حديث١٠٠.
(٢) كنز العمال، ج ٣، ص ١٣٢، حديث٥٨٣٣.
(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٩٩، حديث٥٦٧٨.
(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ١٠٠.
(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٣، حكمة ٤١١.
(٦) الكافي، ج ٢، ص ١٤٢، حديث ٣.

أمثلة ونماذج:

١. إذا أراد الإنسان أن يتخذ قرارًا فعليه أن يدرس الأمر جيّدًا، فلا يستعجل القرار تحت رغبة معينة ويقع فيما يضره. ورد عن النبي ﷺ: «إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يكن رشدًا فأمضه، وإن يكن غيًّا فانته عنه»[١].

٢. بعض الناس نفسهم قصير، يمضي لأمرٍ ما، وبمجرد تأخر النتائج قليلًا ينهزم ويتراجع، يريد من النتائج أن تتحقق له فورًا، وهذا خلاف واقع الحياة، فكثير من الأمور تحتاج إلى صبر ووقت، وهذا إنما يتحلى به الناجحون، من يمتلكون نفسًا طويلًا لتحقيق آمالهم، يرسمون الهدف ويصبرون على تحقيقه، ويتحملون مواجهة الصعوبات لأجله. ورد عن عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى الأشتر النخعي: «إيّاك والعجلة بالأمور قبل أوانها»[٢].

٣. أداء العمل بشكل سريع مرتجل يؤدي في الغالب إلى الإرباك وعدم الإتقان، ربما يتحقق العمل ولكن قد تكون آثاره ومضاعفاته أكثر من فوائده. ونحن لا نتحدث عن استخدام الوسائل الحديثة التي ساعدت في تسريع إنجاز كثير من الأمور، ولكننا نتحدث عن التعجل في فعل الشيء الذي يقابله عدم الإتقان، ونريد أن نتحدث عن بعض المظاهر والسلوكيات التي توضح الأمر، وإن كانت أمور جزئية لكنها تحتاج تفحيص:

٤. هناك من يقود سيارته بسرعة جنونية وغير نظامية ليصل إلى مقصده بأسرع وقت ممكن أو في الوقت المحدد، وواضح جدًّا أن السرعة في السير تسبب الكثير من المشاكل والحوادث. جاء في إحصائية رسمية عن المملكة العربية

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٣٩.

(٢) نهج البلاغة، كتاب رقم ٥٣.

السعودية عام ٢٠١١م أن هناك عشرين حالة وفاة يوميًا بسبب حوادث السير، بما معدله في السنة ٧١٥٣ شخصًا يموتون بسبب السرعة في بلادنا، ٧٣٪ منهم من الشباب، أكثر من ٣٩ ألف مصاب بسبب حوادث السير، يشغلون أكثر من ٣٠٪ من أسرّة المستشفيات، أما عدد الحوادث فهي ٥٤٤١٧٩ حادث مروري وهذا ما هو مسجل فقط، وكلفت اقتصاد بلادنا ٢٠ مليار ريال. معدل الوفيات الناجمة من السرعة في المملكة من أعلى المعدلات إقليميًّا وعالميًّا.

لماذا كلّ هذه العجلة؟ يتجاوز الإشارات، ويخالف الأنظمة، ويزعج من أمامه، هل لشغل مهم أم لقضاء وقت فراغ مع الشلة؟ وأيًّا كان الغرض فهي عجلة مذمومة.

٥. ظاهرة التدافع في الدخول والخروج في الأماكن العامة. عند ركوب الطائرة مثلًا مع أن الطائرة ستقلع في نفس الوقت، وتأخذ كل الراكبين، ولكل راكب مقعد محدّد، فلماذا التدافع؟

قبل يومين كان حفل تخرج في جامعة الدمام وكُتب في الصحف عن تدافع طالبات في حفل التخرج، لتسلّم أجهزة الهواتف النقالة الخاصة، وحدثت حالات إغماء، لماذا في كل تجمع يحدث مثل هذا الشيء؟

٦. يذهب البعض لمراجعة معاملاتهم في الدوائر الحكومية أو الخاصة، ويريد الإنجاز فوراً وليس عنده أيّ خلفية عن الإجراءات والأنظمة.

٧. بعض الأزواج يتذمّرون من نسائهم إذا تأخروا في إعداد الوجبة مثلًا، أو أثناء انتظارهم لهنّ للذهاب لمكان ما. ويتناسى بأنها امرأة تحتاج أن ترتب أمورها وأمور أطفالها، والمشاكل جرّاء هذا الأمر بين الأزواج كثيرة.

الأضرار والمضاعفات:

لا بُدّ أن نعرف بأن للعجلة أضراراً كثيرة، من أهمها:

- تساهم في رفع ضغط الإنسان وتوتّر أعصابه، وهذا يصحبه كثير من المشاكل الصحية والنفسية. لماذا تضغط على أعصابك أمام أمر أنت لا تستطيع أن تصلحه كما لو كنت في ازدحام مروري؟ التكيف مع الوضع في مثل هذه الحالات أفضل.
- التسبب في حدوث النزاع والخلاف بين الناس. فالعجلة تبعد الإنسان عن مكارم الأخلاق التي يأمر بها الدين، أين الحلم والأناة والصبر والتثبت؟! على الإنسان أن يتذكر هذه القيم في مثل هذه المواقف، هذه جزئيات تتمثل فيها الأخلاق، ومن الجزئيات يصل الإنسان إلى الكمال.
- الخسائر المادية كما في قيادة السيارة.

علينا أن نتذكر أن التأني من الله والعجلة من الشيطان، لنضمن لأنفسنا سلامة النفس والصحة والأخلاق والدين.

الوعي والحكمة لمواجهة الاستفزازات

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّـهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّـهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾

[سورة الفتح، الآية:٢٦].

السيرة النبوية الشريفة مدرسة للأخلاق وإدارة الحياة وسياسة المجتمعات. وليت المسلمين أقبلوا على دراسة هذه السيرة فيما يرتبط بإدارة شؤون المجتمعات والممارسة السياسية، إذًا لكانت حياتهم أفضل بكثير مما هي عليه. السيرة النبوية لا ينبغي أن تقرأ للبركة والإعجاب فقط، ولا ينبغي أن تؤخذ منها الأحكام الفقهية والأمور الفردية فقط، هذه كلها مطلوبة ولكن مطلوب أيضًا أن نأخذ منها منهجًا لإدارة شؤوننا الاجتماعية. في السيرة النبوية تتجلى سياسة رسول الله ﷺ في الحرص على تجنب الصراعات والنزعات، مع الخارج وفي الداخل، حتى مع الأعداء كان رسول الله ﷺ يسعى لتجنب أيّ حرب أو صراع، ولم يخض حربًا إلا بالاضطرار، وللدفاع عن بيضة الإسلام وهذا تطبيق لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾، وهناك نصوص تنهى عن المبادرة للحرب: وكما ورد عن علي عليه السلام أنه قال لابنه الحسن عليه السلام: «لا تدعون إلى مبارزة وإن دعيت إليها فأجب فإن الداعي باغ والباغي مصروع»[1].

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم رقم ٢٣٣.

هذا مع الخارج، ومع الداخل فكان رسول الله ﷺ حريصًا على تجنب وجود نزاعات داخل المجتمع الإسلامي.

كان المنافقون يقومون بكثير من الأعمال الاستفزازية، لكن رسول الله ﷺ كان حكيمًا في سياسته، وهذه صورة واضحة في السيرة النبوية، بينما كان الطرف الآخر وهم المشركون واليهود والمنافقون يوجهون الاستفزاز للمسلمين، خاصة في المرحلة المكيّة وفي بداية المرحلة المدنية، وكانت هناك توصيات من الله تعالى بألّا تكون هناك استجابة للاستفزاز، يقول تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾، ولكن مقابل ذلك اضبطوا أعصابكم لا تجعلوهم يستفزونكم، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ . هذا هو التوجيه الإلهي، وهذه هي السياسة النبوية الحكيمة، ويقول تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّـهِ﴾، أي اصفحوا، ولا تستجيبوا لاستفزازاتهم، فهذا يساعد كثيرًا على ضبط الأعصاب، وعلى تفهم دوافع الطرف الآخر، ولماذا يمارس طريقة الاستفزاز معك؟ إنه يريد منك أن ترد وتتورط في معركة قد تكون أنت الخاسر فيها. إذا فهمت أن هذا هو الهدف وأن الطرف الآخر ينطلق من: ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ فسيساعدك هذا كثيرًا على ضبط أعصابك، والتفكر بتأنٍّ لكسب الجولة.

صلح الحديبية ودروس الحكمة:

الآية الكريمة: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ تتحدث عن صلح الحديبية. حيث جاء النبي ﷺ مع المسلمين لأداء العمرة بمكة بعد ستّ سنوات من بقائه في المدينة، ومن المعروف أن قريش التزمت أمام العرب بأن تفسح المجال لزائري الكعبة وخاصة في الأشهر الحرم، حتى لو كان طرفًا بينه وبين قريش نزاع. اختار رسول الله ﷺ شهر ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم فلا قتال فيه، لأداء

مناسك العمرة، وساق معه الهدي، وأعلن أنه لم يأتِ لقتال وإنما لزيارة بيت الله الحرام، لكن قريشًا لم تقبل إتاحة الفرصة لرسول الله ﷺ لدخول مكة وأداء العمرة، يقول تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وهي حالة التعصب والغرور والتعالي، حتى ينكر المتعصب حق الطرف الآخر حتى لا يبدو ضعيفاً أمامه، وكأن الطرف الآخر قد انتصر عليه وفرض إرادته، وهنا تكون العزة بالإثم، وحمية الجاهلية.

لو واجهت مثل هذه الحالة ماذا يجب أن يكون موقفك؟ بعض الأحيان قد تكون المواجهة مضرة لك، وهنا نستفيد من الموقف النبوي، يقول تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّـهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، والسكينة حالة نفسية تعني ضبط الأعصاب وعدم الاستجابة للاستفزازات، أنت يجب أن تواجه في الوقت الذي تريده، وبالوسيلة التي تريدها، والظرف المناسب، وإلا فإنك تخدم مصلحة العدو. الله تعالى يتحدث عن هذه الحالة: ﴿أَنزَلَ اللَّـهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ وهي التزام المبادئ، فللإنسان المؤمن مبادئ يتحرك من أجلها وبها، لا من أجل الانتقام لنفسه أو لجماعته، أولم يقل أمير المؤمنين عليه السلام: «فَصَبَرتُ وَفي الْعَيْنِ قَذىً، وَفي الحَلْقِ شَجاً»[1]؟. في بعض الأحيان مصلحة المبادئ قد تقتضي وتفرض على الإنسان ألّا يستجيب للاستفزازات، ولذلك وردت روايات كثيرة في هذا السياق. استطال رجل على عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام فأغضى عنه، كأنه لم يره ولم يسمعه، فقال له: إيّاك أعني. فقال عليه السلام: «وعنك أغضي»[2]. هذا استدراج لن أقع فيه. وجاء في وصية تروى عن الإمام الصادق عليه السلام لرجل سأله النصيحة قال له: «من قال لك إن قلت واحدة سمعت عشرًا فقل: إن قلت عشرًا لم تسمع واحدة»[3]. هكذا يكون

(١) نهج البلاغة، خطبة ٣، الخطبة المعروفة بالشقشقية.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٩، ص ١٢٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٢٦.

المؤمن متحكمًا في أعصابه وانفعالاته.

الانضباط في مواجهة الاستفزازات:

ونحن في هذا الظرف الذي تعيش فيه الأمة حالة من تأجيج الفتن الطائفية المذهبية، نرى حملات من التحريض والتعبئة، ونلحظ أن بعض الناس يندفعون ويستجيبون لهذه الاستفزازات، لكن المؤمنين الواعين عليهم أن يكونوا أقدر على التحكم بأعصابهم وانفعالاتهم، علينا أن نعيَ بأن في ذلك الطرف حمقى وموتورين، وإذا استجاب لهم حمقى ومعبؤون من هذا الطرف فمعنى ذلك أن الفتنة قد نجحت.

على الواعين من السنة والشيعة، أن يفهموا ويقدّروا الظرف الذي تعيشه الأمة والوطن، يراد لأوطاننا أن تتمزق، ولمجتمعاتنا أن تحترب مع بعضها، وذلك لمصلحة الكيان الصهيوني الذي يصدر كل يوم قرارات ببناء وحدات استيطانية جديدة، ويعتدي على المسجد الأقصى، وعلى بلدان المسلمين في أيّ مكان شاء؛ لأنه يستفيد من ضعفنا ومن احترابنا ومن مشاكلنا الداخلية. عدم الاستجابة للاستفزازات ليس ضعفًا وليس جبنًا، وإنما هو مراعاة للمصلحة العامة وتلافيًا للوقوع في فخ الفتن، وفي هذه المستنقعات الكريهة النتنة. هذا ما نوصي به أنفسنا وجميع الواعين، ونسأل الله السداد للجميع.

الخطبة الأولى

لا تبخل بالنصيحة والتذكير

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[سورة الذاريات، الآية: ٥٥]

في أعماق الإنسان فطرة نقيّة توجهه إلى الخير، وضمير يقظ يحذّره من الشر، وفوق ذلك لديه عقل يميز بين الخير والشر. هذه كلها مقومات وأسباب تدفع الإنسان إلى سلوك طريق الخير، وتردعه عن السير في طريق الشر، لكنه إلى جانب ذلك ينطوي على غرائز وشهوات، قد تميل به عن طريق الخير، وتنحرف به نحو الشّر والفساد، كما أن هناك شيطانًا يتربص بالإنسان فهو له عدو مبين، يغويه ويوقعه في المهالك. فيعيش الإنسان طيلة حياته مهما بلغت درجة إيمانه هذا الصراع المحتدم بين الخير والشر.

ومن توفيق الله تعالى للإنسان أن يبعث له من ينبّهه، فقد يغفل، أو يقع تحت ضغط الشهوة، وقد تلتبس عليه الأمور فلا يدري أين الخير وأين الشّر. حينئذٍ يُقيّض الله تعالى للإنسان من يكون مذكّرًا ناصحًا ينبهه من غفلته، ويرفع معنوياته أمام ضغط الشهوات والغرائز، يُبيّن له ما التبس عليه من الأمور. فوجود الواعظ نعمة من الله على الإنسان، لكن بشرط أن تتهيأ نفس الإنسان للموعظة والنصيحة، فبعض الناس تأخذهم العزة بالإثم، تصيبهم حالة الغرور والتعصب، فيرفض النصيحة والناصح، إما بمبرر عدم قبول التدخل في شؤونه، وأنه أعرف بنفسه من غيره، وهذه عصبية نابعة من الغرور. على الإنسان أن يهيأ نفسه لتقبل النصيحة، خذ ما يقال وتأمل فيه، وإلا انطبق عليك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّـهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٠٦]، نعمة

ساقها الله إليك أن بعث لك من يذكرك وينصحك.

ينشغل ذهن الإنسان أحيانًا بأمرٍ ما، فيذهب اتفاقًا إلى مسجد أو حسينية، أو يستمع إلى مذياع أو تلفاز، فيسمع كلامًا يلامس ما يفكر فيه.يتعجب البعض كيف حصل ذلك، هل يعلم المتحدث ما يدور في بالي؟! المتحدث لا يعلم، إنما هو توفيق من الله تعالى ساقه إليه. ومتى ما كان الإنسان يقظًا استفاد من هذه المنحة الإلهية. يقول علي ﵇: «نعم الهدية الموعظة»[١]. ويقول: «اسمعوا النصيحة ممن أهداها إليكم»[٢]. لست مجبرًا أن تأخذ بكلام الناصح، ولكن أعطِ نفسك فرصة أن تفكر فيما قاله لك، لا يحجب الغرور عنك ذلك، كما يقول علي ﵇: «بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة»[٣]. والغرة إما بمعنى الاغترار أو بمعنى التعصب. وهو ﵇ يرى أن قبول النصيحة توفيق عظيم: «من أكبر التوفيق الأخذ بالنصيحة»[٤].

إسداء النصيحة:

وكما أن على الإنسان أن يتقبل النصيحة ويتأمل فيها، عليه ألّا يبخل على غيره بالتذكير والنصح. بعض الناس يبخلون بنصح الآخرين وكأنهم يدفعون أموالًا طائلة! يمشي في طريق ويراه مغلقًا في آخره فيضطر للعودة، وهو في طريق العودة يرى شخصًا آخر يسلك نفس الطريق لكنه لا يكلف نفسه أن ينبّهه للأمر.

في القضايا المادية والمعنوية يبخل بعض الناس على غيرهم بالنصيحة والموعظة، مع أنهم لا يخسرون شيئًا بل يربحون؛ لأن الدال على الخير كفاعله. روي عن رسول الله ﷺ: «إن أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة، أمشاهم في أرضه بالنصيحة

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٤٩٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨٩.
(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم رقم ٢٨٢.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٧١، حكمة ٥٧.

لخلقه»[١]. وورد عن علي عليه السلام: «ابذل لصديقك نصحك»[٢]. وقال: «المؤمن غريزته النصح»[٣]، وقال: «النصيحة من أخلاق الكرام»[٤]. وكما يقول تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. في بعض الأحيان قد تقرأ كتابًا جميلًا فقل لمن تجلس معهم عن إعجابك بالكتاب وشوقهم إلى قراءته، حتى يستفيدوا. شجع على سماع محاضرة أعجبتك، على حضور صلاة الجماعة، على عمل الخير. قل كلمة معروف فإنك لن تخسر بل تربح، وكم من كلمة أحيت صاحبها بعد الموت، في بعض الأحيان يقول الإنسان كلمة حق وهو يعتقد أنها لا تفيد من يحدثه، ولكن فيما بعد يكتشف أنها أخذت دورها وأثرت في نفسه، أخبرني اليوم أحد الإخوان، قال: كنت في المحكمة وجاء رجل مغضبًا يريد تطليق زوجته، وحينما أعطي موعدًا لذلك غضب أكثر، حيث يريد إجراء الطلاق في نفس الوقت، فنصحته بأن فكر قليلًا ولعلّ التأخير خير لك. فغضب وانفعل عليّ، لكني لم أبالِ ومضيت في نصحي. بعد أسبوع جاء وقبّل رأسي، واعتذر لرفع صوته، وقال: بعد أن خرجت فكرت في كلامك ورتبت أموري وها أنا في علاقة طيبة مع زوجتي الآن.

طبيعة الإنسان طبيعة طيبة، حتى لو تظاهر بالرفض، لكنه قد يكون نوعًا من التعزز والتمنع الظاهري، وفي داخل نفسه قد تتفاعل النصيحة. يُحكى أن رجلًا جاء إلى منزله ولبس ملابس جديدة، يريد أن يذهب لأمر فيه معصية، فجاءه ابنه يطلب منه إيصاله مكانًا ما. قال الأب: أنا في عجلة من أمري. فأصرّ عليه الابن، فقال الأب: أين تريد؟ قال: الآن وقت الصلاة ولا أريد أن يفوتني من الصلاة شيء. لم يقبل الأب، لكن حين ركب سيارته، فكر في نفسه، وقال ابني الصغير مستعجل للذهاب للمسجد حتى لا تفوته ركعة من الصلاة! وأنا مستعجل حتى أذهب لمعصية الله! وعاد لبيته، قبل ابنه

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٠٨، حديث ٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٧٤، حكمة ٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٦، رقم ٢٠٨٥.

(٤) نفس المصدر، ص٦٨، رقم ٢١٤١.

وذهب معه للمسجد.

لذلك تقول الآية الكريمة: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. أصحاب الآراء السديدة في المجتمع لا ييأسوا من إسداء النصح، كنت أقول للإخوة الذين يبلغون أو يشتغلون بنصح الناس، ولا يرون تجاوبًا كبيرًا، أقول لهم: إن التبليغ والتذكر مثل المستشفيات والصيدليات والأطباء، فمهما كثر العدد لكن الأمراض تبقى ولا تنتهي، وإذا كنا لا نستطيع استئصال كل الأمراض، فهل نغلق المستشفيات؟ فعلينا ألّا نبخل على بعضنا بعضًا في النصيحة وأن نتهيأ لتقبلها.

مَنْ وراء تيار العنف والإرهاب؟

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه لما قتل الخوارج، قيل له: هلك القوم بأجمعهم، فقال: «كلاّ والله إنّهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، كلّما نجم منهم قرن قطع، حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين»[1].

عانى الإسلام منذ عهده الأول من ظهور تيار التطرف والتشدد. هذا التيار الذي يأخذ من الدين بعض عناوينه وشعائره ويتجاهل غايات الدين وأهدافه، يتشبث بتلك العناوين والمظاهر، ويفتك بقيم الدين، والأكثر من ذلك يمارس دور الوصاية على الدين، فيصبح الدين ما يفهمه هو، أما من يخالفه في ذلك الفهم فهو كافر مشرك ضالّ مبتدع! وما دام يكفر الآخرين ويرميهم بالشرك والابتداع، فإنه يتبنّى منهم موقف الإساءة والعدوان.

هذا التيار يريد أن يفرض نفسه على الناس بالقوة والعنف باسم الدين، وقد حذّر رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا التيار، وقد وردت النصوص في مختلف مصادر الحديث عند المسلمين تحذّر من هذا الاتجاه المتطرف، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم ـ أي التزامهم الظاهري بالدين

(١) نهج البلاغة، خطبة رقم ٦٠.

أوضح منكم ـ ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[١]. وفي حديث آخر عنه ﷺ: «يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم»[٢]. وفي صحيح مسلم عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: «قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز حلاقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه، هم شرّ الخلق والخليقة»[٣].

الامام علي عليه السلام في مواجهة التطرف:

هذا التيار حذّر منه رسول الله ﷺ، وعانى منه أمير المؤمنين عليه السلام، فقد زايدوا عليه في الدين! حتى إنهم طلبوا منه أن يقرَّ على نفسه بالكفر ثم يعلن التوبة! وقد كذبوه حتى قال في إحدى خطبه: « وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمُ اَللَّهُ تَعَالَى، فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَ عَلَى اَللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ؟ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ بِهِ؟»[٤]. وأحداث النهروان شاهدة على معاناة الإمام عليه السلام منهم. في تلك المعركة وصل عدد القتلى من المناوئين له عليه السلام أكثر من ٤٠٠٠. وقد سبق له عليه السلام أن أبان لأصحابه ذلك: «لا يفلت منهم عشرة»، وحينما قتلوا فرح أصحابه وقالوا: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم. لكنه عليه السلام أشار إلى أن هذه ظاهرة وليست مجرد أشخاص، فهي قد تتكرر في زمن و آخر، تيار يتوالد، يتوارث أفكاره وتوجهاته، فقال: «كلا والله، إنهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع».

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، ج٣، ص ٣٦٠، حديث ٥٠٥٨.
(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، ج٢، ص٤٣٩، حديث ٣٦١١.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة، ص ٥٣٧، حديث ١٠٦٧.
(٤) نهج البلاغة، من كلام له في ذم أهل العراق، خطبة رقم ٧٠.

أضرار التطرف على الإسلام والأمة:

لا تستطيع المجتمعات أن تتعايش مع المتطرفين. وفي هذا العصر، نجد أن هذا التيار قد أنتعش في أوساط الأمة وقد عشش في صفوف أبنائها، في بقع مختلفة، هؤلاء الذين يدّعون الدين، ويمارسون الوصاية على الدين، ويتهمون الناس في دينهم، ويمارسون العنف والإرهاب لكي يفرضوا أنفسهم على الناس بالقوة. لقد أصابت الدين والأمة من هذا التيار المصائب الفظيعة:

أولًا: تشويه سمعة الإسلام. حين ترتكب باسمه الفظائع كما حصل من تفجير في بوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية في أوساط أبرياء آمنين[1]! وما حصل في مناطق مختلفة في أوروبا؟ لقد تشوهت صورة الإسلام، وأصبح ينظر إليه على أنه دين عداء وأحقاد على البشر.

ثانيًا: هذا التيار أوجد اضطرابًا في الأمن في مختلف بلاد المسلمين؛ لأنهم يستبيحون الدماء، ويهتكون الأعراض، ويمارسون كل شيء باسم الدين، الإحصاءات تشير إلى أنه كان في الجزائر عشرات الآلاف من الضحايا في التسعينيات بسبب هذه الجماعات المتطرفة، وكذلك ما حصل في أفغانستان، وما يحصل في الصومال، وما يزال يتكرر في العراق أناس أبرياء يحيون ذكرى شهيد في حسينية فيأتي من يفجر نفسه وسط ذلك المكان لتحصل مجزرة فظيعة، وكذلك ما يحصل في سورية، والمشاهد التي عرضتها وسائل الإعلام أخيرًا يندى لها الجبين.

---

(١) تفجيرا ماراثون بوسطن ٢٠١٣ هما تفجيران متتاليان وقعا بعد ظهر يوم ١٥ أبريل ٢٠١٣ في مدينة بوسطن الأمريكية قرب خط نهاية ماراثون بوسطن ٢٠١٣، الذي شارك فيه أكثر من ٢٧ ألف شخص واحتشد عشرات الآلاف من المتفرجين على جانبي الشارع لمتابعة الماراثون. وقد انفجرت العبوتان بفاصل زمني قدره ١٢ ثانية فأسفر التفجيران عن مقتل ثلاثة أشخاص وإصابة ما لا يقل عن ١٨٣ آخرين من العدّائين والمتفرجين والمارة (ويكيبيديا).

كيف لإنسان أن يفعل بإنسان مثله ينتمي إلى أمته ووطنه أن يمثل بجسمه ويخرج قلبه ويلوكه؟! كل ذلك للاختلاف المذهبي أو السياسي، أيّ فظاعة هذه وأيّ وحشية؟ وفي مصر معاناة، وفي الجزائر معاناة، وفي ليبيا معاناة من هذا التيار المتشدد.

أرضية التطرف والعوامل المساعدة:

وهنا لا بُدّ للإشارة إلى أمور هامة:

أولًا: هناك أرضية لتيار العنف والإرهاب، وهي ثقافة التطرف والتكفير، لذلك لا يمكن مواجهة هذا التيار مع غض الطرف عن هذه الثقافة والأرضية، هذا خداع للنفس وللناس. مواجهة الإرهاب تبدأ من مواجهة الأرضية والثقافة التي أسستها. وعلى كل وسط ديني من مختلف المذاهب سنة أو شيعة أن يكون حذرًا، لا يصح لنا أن نسكت عن ظهور أصوات تشكك في أديان ومعتقدات الآخرين. إذا رأينا أحدًا صاحب رأي في الوسط الشيعي يكفر من يخالفه ويخرجه من المذهب، فعلينا أن نعلم أنها بداية أرضية التطرف والإرهاب، وإذا سُكت عنها لا يُدرى إلى أين تصل بمجتمعنا.

ثانيًا: الصراعات الإقليمية بين الدول الإسلامية والعربية، حيث تستخدم بعض الدول هذه الجماعات ضد دولة أخرى، تريد أن تنتقم منها، ولا تعلم أن هذا الأمر سينقلب عليها. رأينا في أفغانستان ماذا كانت النتيجة، ورأينا في سورية حينما كان هناك تشجيع لبعض أعمال الإرهاب في العراق بحجة مواجهة المحتل والاحتلال، الآن السوريون يدفعون الثمن؛ لأنهم غضوا الطرف أو أعانوا بعض تلك التوجهات الإرهابية. على الدول أن تتنبه لهذا الأمر، هذا الاستغلال لبعض هذه المجاميع المتطرفة في الصراعات الإقليمية ستكون آثاره مدمرة وخطيرة.

ثالثًا: لا يشك إنسان بأن هناك اختراقات واستغلالًا من قبل الأعداء والاستخبارات

الأجنبية، القوى المستكبرة تدعم هذه التوجهات، تستفيد منها، تركب موج هذه التوجهات، من أجل تشتيت شمل الأمة وصدها عن قضاياها الرئيسة، أليس مما يثير الاستغراب أن هذا التيار لا يمارس شدته وبطشه ضدّ الصهاينة؟! هل حصلت عمليات إرهابية ضد المستوطنين الصهاينة؟ أو ضد المصالح الإسرائيلية؟ وكأن هؤلاء في أمن من نشاطهم، أين قدرتكم وقوتكم التي تبدو خارقة في كثير من الأحيان في استهداف الناس والمناطق، لماذا الصهاينة في أمن منكم؟ لماذا المحتلون في أمن منكم؟ هذا بلاء كبير تعيشه الأمة في هذا العصر.

لهذا لا بُدّ من محاصرة ومواجهة تيار العنف والإرهاب حفظًا لأرواح الناس وحفظًا للدين الكريم من أن تشوهه أفعال هؤلاء الذين حادوا عن النهج القويم.

الخطبة الأولى

خصوصية عليّ في الأحاديث النبوية

جاء بسند صحيح عن أم المؤمنين أم سلمة أنها قالت: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ عليًّا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبّ الله، ومن أبغض عليًّا فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله»[1].

من الطبيعي أن يهتم المسلمون بمعرفة تقويم رسول الله ﷺ للأشخاص الذين كانوا حوله. لهذا اهتموا بجمع وحفظ هذه الروايات التي جاءت في حقّ الصحابة، أو في حقّ كل صحابي على حدة، وتبدو أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية:

الأولى: اعتقاد المسلمين بصدق رسول الله ﷺ وعصمته وموضوعيته. فحينما يقوّم شخصًا من الأشخاص الذين حوله لا بُدّ وأن يكون كلامه صحيحًا ودقيقًا، فهو معصوم لا ينطلق في تقويمه للأشخاص من وحي الأحاسيس والانفعالات أو الدوافع النَسبية أو القبلية.

الثانية: وجوب اتّباع ما يقوله النبي ﷺ حتى فيما يخص كلامه في تقويم الأشخاص، سيما إذا تضمن حديثه أمرًا أو نهيًا؛ لأن أمر الرسول ﷺ نافذ على المسلمين كما يقول تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، فحينما يتحدث الرسول ﷺ عن أحد من أصحابه بشيء، ويتضمن ذلك

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٣ ص٢٨٧، حديث ١٢٩٩.

الحديث أمرًا عمليًّا متوجهًا للمسلمين، فإنهم لا بُدّ أن يقبلوا ذلك الأمر.

الثالثة: تترتب على هذه النصوص درجة العلاقة والموقف من ذلك الشخص، خاصة وأنه من الواضح أن من كانوا حول رسول الله ﷺ حصل بينهم تفاوت في الآراء والمواقف بعد وفاة رسول الله ﷺ وهذا معروف تاريخيًّا. نحن كمسلمين كيف نتعامل مع هذه الشخصيات؟ ما موقفنا منها؟ ما درجة ارتباطنا بها؟ النصوص هي التي تبين لنا ذلك، ولهذا كان الاهتمام بهذه النصوص عند علماء الأمة وجمهورها.

امتياز أحاديث فضائل عليّ:

لا شك أن الروايات الواردة حول الأصحاب والأقوام كثيرة في كتب الأحاديث، وقد خصص جامعوها لها فصولًا تحت عنوان الفضائل أو الخصائص كما اهتم علماء الحديث بدراسة إسنادها لمعرفة مدى صحتها، وواضح جدًّا أن هناك أحاديث ونصوصًا وردت عن رسول الله ﷺ في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام خاصة. وهي نصوص تمتاز عن بقية النصوص التي وردت في حق صحابة آخرين أو في حق الصحابة بشكل عام.

هذه الخصوصية يمكن الحديث عنها في النقاط التالية:

الأولى: الإجماع على صحة عدد كبير من تلك النصوص. ما ورد من نصوص حول بعض الصحابة قد يختلف حولها، فقد تثبت عند السنة لكنها لا تثبت عند الشيعة، أما النصوص التي وردت في فضل عليّ عليه السلام فمعظمها مجمع عليه بين السنة والشيعة. هذه الأحاديث المتعددة التي أجمع عليّها السنة والشيعة هي ميزة لعليّ عليه السلام.

الثانية: الكمية. المراجعِ لكتب الأحاديث والروايات يدرك أن الأحاديث التي وردت عن رسولِ الله ﷺ في حق عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا توازيها أيّ كمية أخرى في حقّ أيّ صحابي آخر. وهذا ما تحدث عنه علماء المسلمين. فقد

جاء عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالب»[١] وقد أفرد الإمام أحمد كتابًا حول فضائل الإمام عليّ، كما ألّف الإمام النسائي كتابًا تحت عنوان: خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

الثالثة: النوعية. الأحاديث في عليّ عليه السلام تختلف عن الأحاديث الواردة في غيره من الصحابة بغض النظر عن صحة أو عدم صحة سندها. هذه الأحاديث الثابتة المجمع عليها من قبل المسلمين في حقّ عليّ عليه السلام تحمل لغة لم يرد مثلها من قبل رسول الله ﷺ في حقّ أيّ شخص آخر. دع عنك حديث الولاية والوراثة والإنذار والمنزلة، نريد هنا أن نركز على نموذج من هذه الأحاديث المتميزة، ومنها أن النبي ﷺ يربط بين الموقف من شخص عليّ وبين الإيمان والنفاق، فيعتبر أن الانشداد القلبي والارتباط به إيمان، وأنّ بغضه نفاق، وفي بعض الأحاديث أن بغضه كفر، وأن بغضه يترتب عليّه بغض الله سبحانه وتعالى.

لم يرد حديث صحيح في أحدٍ من الصحابة يحمل هذا المضمون. إخواننا أهل السنة نقلوا حديثًا عن الأنصار وأن: «حبّ الأنصار إيمان وبغضهم نفاق»، وهذا من حيث المجمل، لكن تخصيص هذا المضمون لشخص من الصحابة لم يرد إلا في حقّ عليّ عليه السلام. كالحديث المروي عن أم سلمة ـ والحديث سنده صحيح ـ تقول: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ عليًّا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبّ الله. ومن أبغض عليًّا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله». وقد ذكر الألباني هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة. وكذلك الحديث الذي نقله الحاكم في المستدرك، أن رجلًا قال لسلمان الفارسي: ما أشدّ حبّك لعليّ! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، ج٣، ص١١٦، حديث ١٧٠.

«من أحبّ عليًّا فقد أحبني، ومن أبغض عليًّا فقد أبغضني»[١]. وأيضًا ما أخرجه مسلم في صحيحة في (باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلاماته)، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﵇ أنه قال: «وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»[٢].

عليّ هو البوصلة والميزان:

هذه النصوص لها دلالة كبيرة جدًّا وهي ترتبط بمسألة الأتباع، حينما يتحدث النص عن حبّ عليّ فحبّه مقدمة لاتّباعه، والأمة مكلفة بحكم هذا النص أن تتبع عليّ بن أبي طالب ﵇. والموضوع لا ينحصر في الخلافة والحكم، فهو موضوع تاريخي، وإنما هو أبعد من ذلك، فمسألة الخلافة والحكم وقعت تحت رأيين بين المسلمين، ولكن الهدف الأسمى للحديث هو البعد الديني، من أين يأخذ المسلمون معالم دينهم وكيف يقيّمون المواقف؟ وكيف يقيّمون ما حدث في التاريخ؟ يجب أن يكون عليّ بن أبي طالب ﵇ هو المقياس، وهو البوصلة، وإذا كان هناك في الماضي صراعات سياسية فيفترض في الأمة الإسلامية وهي تعيش هذا العصر الحاضر أن تتجاوز تلك الآثار، وأن تتعاطى مع عليّ بن أبي طالب كما يأمر رسول الله ﷺ فيما ورد عنه في كتب السنة والشيعة. إضافة إلى أن شيعة عليّ ﵇ عليّهم أن يلتفتوا إلى هذه الحقيقة؛ وهي أن محبتهم لعليّ، مقياس صدقها هو مقدار الاتّباع لعليّ بن أبي طالب ﵇، ورد عن الإمام الصادق ﵇ أنه قال: «ما شيعة عليّ من عفّ بطنه وفرجه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه وخاف عقابه»[٣]. فالمقياس هو الاتّباع. ثبتنا الله على ولايته وبارك لنا في هذه المناسبة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٤١، حديث ٢٤٦.

(٢) صحيح مسلم، ص٥٥، حديث ١٣١.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٦٨، حديث ٢٦.

بناء الحكم الرشيد ومحاولات الإجهاض

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له، قال: «فما راعني إلاّ و النّاس كعرف الضّبع إليّ ينثالون عليّ من كلّ جانب حتّى لقد وطىء الحسنان، و شقّ عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، و مرقت أخرى، و قسط آخرون»[1].

وصول أمير المؤمنين عليه السلام للحكم كان فرصة عظيمة للأمة، من أجل إرساء تجربة رائدة للحكم الرشيد. الذي ينطلق من قيم الدين، ويترسم مصالح الأمة. وكان عليّ عليه السلام أجدر من يقوم بهذه المهمة؛ لأنّ عليًّا كان أعلم بكتاب الله وسنة رسوله. وهذا واضح من خلال النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله في حقّه، ومن خلال الوقائع التاريخية التي تشهد له بالتفوق، فالخلفاء كانوا يرجعون إليه في حلّ معضل الأمور، الخليفة الأول أبو بكر رجع إلى عليّ في كثير من المسائل، أما الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فحدّث ولا حرج، وقد أثر عنه قوله: «أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها»[2]. وفي نصّ آخر: «قضية ولا أبو حسن لها»[3]، وقوله: «لولا عليّ لهلك عمر»[4]، وهذا وارد في

(١) نهج البلاغة، ومن خطبة له عليه السلام المعروفة بالشِّقْشِقِيَّة، رقم (٣).

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٧، ص ٣٩٧.

(٣) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٦٧.

(٤) أحمد بن عبد الله الطبري، ذخائر العقبى، ص ٨٢.

مصادر الحديث والتاريخ الإسلامي.

أما النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ التي تشهد لعليّ بالأفضلية فمنها قوله ﷺ: «أعلمكم عليّ بن أبي طالب»[١]. وفي حديث آخر عنه ﷺ: «أقضاكم عليّ بن أبي طالب»[٢]. هذا من الجانب العلمي المعرفي. ومن جهة أخرى، عليّ كان في قمة النزاهة والعدالة، لا أحد يستطيع أن يشكك ويطعن في نزاهة عليّ بن أبي طالب، وهو الذي يقول: «فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً»[٣]. ويقول عليه السلام: «وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ، إِلَى مُصَفَّى هذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هذَا الْقَزِّ، وَلكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ـ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ بِالْـيَمَامَةِ مَنْ لاَطَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلاَ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ»[٤]. فهو رجل عارف بتعاليم الدين وقيمه وأحكامه، ونزيه صارم في تطبيق تلك القيم والتعاليم. من ناحية ثالثة، فإن الأوضاع التي تولى فيها الإمام عليه السلام الحكم، كان جمهور الأمة فيها منتفضًا ثائرًا على ما عاناه من محسوبيات ومشاكل وتمييز في العطاء وكانت هناك تطلعات عند جمهور الأمة للتغيير، لذلك أقبلوا على مبايعة عليّ عليه السلام. وهذه ميزة لخلافة عليّ وحكمه، حيث كانت نتيجة إرادة جماهيرية شعبية، الناس جاؤوا وبايعوه، ولم يتولّ الحكم من خلال أسلوب آخر.

التجربة العلوية درس وعبرة

لكن المؤسف أن هذه التجربة لم يتح لها أن تؤتي ثمارها، هذه الفرصة شابتها الأكدار، واعترضتها العوائق والعقبات، لهذا يقول عليه السلام: «فلما نهضت بالأمر، نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون». وفي نصوص أخرى كان يخاطب أهل العراق

---

(١) الكافي، ج ٧، ص ٤٢٤.

(٢) القاضي النعمان المغربي، شرح الأخبار، ج ١، ص ٩١.

(٣) نهج البلاغة، ومن كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الانصاري، رقم ٤٥.

(٤) المصدر نفسه.

وهو يتحدث بمرارة وألم عن إجهاض التجربة والمحاولة لتطبيق الحكم الرشيد يقول عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ اَلْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ اَلْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَمَاتَ قَيِّمُهَا وَ طَالَ تَأَيُّمُهَا وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَ اَللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ اِخْتِيَاراً وَ لَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً»[١].

لماذا أجهضت التجربة وقد كانت الأمة تتطلع إليها؟!

نتحدث حول هذا الأمر، ونحن نجد أن الأمة في مختلف عهودها، وحتى في عصرها الحاضر، تمرّ عليها فرص لبناء حكم رشيد عادل، لكن عقبات وعوائق تجهض هذه المحاولات والفرص، لذلك ينبغي أن ندرس ما حصل لعليّ عليه السلام.

أولًا: فساد النخبة السياسية

في كلّ مجتمع وأمة هناك من يتصدى للشأن السياسي، هذه النخبة السياسية تارة تمتلك الإخلاص لمصلحة الأمة والمجتمع، وتساعد على قيام الحكم الرشيد، وفي بعض الأحيان تكون نخبة فاسدة تهتم بمصالحها ونفوذها، وهذا ما حصل في عهد عليّ عليه السلام، فالذين خالفوا عليًّا ما خالفوه إلا من أجل المطامع والمناصب، حيث لم يجدوا في حكمه فرصة للوصول إلى ما كانوا يطمعون فيه من المناصب والمكاسب.

نفس المشكلة تعيشها الأمة الآن. هناك فرصة أمام الشعوب لكي تبني حكمًا رشيدًا، لكن اختلاف النخب السياسية على المناصب والمطامع، تفوّت هذه الفرصة على شعوب الأمة.

في لبنان نلحظ ما يدور من صراعات سياسية ونشهد كيف أن النخبة السياسية في لبنان من مختلف الأديان والمذاهب تضيع هذه الفرصة على الشعب اللبناني، من أجل أن يبني حكمًا رشيدًا، وكذلك الأمر في العراق، وقد استراح من حكم استبدادي جثم على شعبه عقودًا من الزمن، وتخلص من ذلك النظام، وأصبحت الفرصة متاحة

---

(١) نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام في ذم أهل العراق، خطبة رقم ٧٠.

أمام الشعب حتى يبني نظام حكم توافقي تعددي رشيد، لكن المشاكل بين النخب العراقية هي التي تعرقل هذه المسيرة، ونفس المشكلة في مصر وليبيا وتونس. النخبة السياسية في الأمة تتحمل مسؤولية كبيرة في الواقع المتدهور الذي تعيشه الشعوب، وفي إجهاض الفرص التي يمكن أن تستفيد منها في بناء وتقدم أوطانها.

ثانيًا: ضعف وعي الجمهور

حينما لا يكون الجمهور ناضج الوعي، فإنه يتبع القيادات والزعامات على أساس قبلي طائفي فئوي، ويكون سريع التأثر انفعاليًّا عاطفيًّا، سانحة للمغرضين والمصليين للتلاعب بمصير الشعب والوطن.

ثالثًا: المزايدة الدينية

من يتصور أنه مع وجود أمير المؤمنين أفضل شخصية بعد رسول الله ﷺ تخرج فئة تزايد على تدين عليّ عليه السلام، وهم الخوارج. الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أكثر تديّنًا وحرصًا على الدين من عليّ بن أبي طالب! وأثاروا الإرباك والخلاف في ساحة الأمة، وكانوا سببًا في إجهاض التجربة والفرصة. ونجد الآن بعض المتعصبين والمتشددين في مختلف بلدان العالم الإسلامي يمارسون نفس الدور، عمليات قتل وإرهاب واختطاف وعنف، من أجل أن تتعثر هذه التجربة التغييرية الطامحة التي تعيشها الأمة في هذا العصر.

رابعًا: التآمر وإفساد الذمم

التاريخ يتحدث كيف كان معاوية يقوم بدور في إفساد الأمور داخل جيش عليٍّ ومجتمعه في العراق، وهذا الدور يتكرر في كل عصر.

إنه لمن المهم جدًا أن تُدرس تلك التجربة التاريخية العلوية، وأن تُعرف العوائق والعقبات التي أدّت لإجهاضها حتى تستفيد الشعوب منها درسًا، وتأخذ منها وعيًا في بناء حاضرها المعاصر.

الخطبة الأولى

تيسير حركة المرور ونظافة الشوارع

ورد عن رسول الله ﷺ: « مَنْ زَحْزَحَ عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا يُؤْذِيهِمْ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهِ حَسَنَةً»(١).

طرق المواصلات عنوان أساس من عناوين التنمية والتقدم في البلدان. فالبلد الذي يمتلك شبكة طرق جيّدة، تنشط فيه الحركة الاقتصادية، وتتوفر فيه شؤون الحياة، ويسهل على الناس أداء مهامهم ووظائفهم المختلفة، لذلك تتنافس الدول على تقديم أفضل الخدمات لمواطنيها في مجال المواصلات، وترصد الدول ميزانيات ضخمة للطرق بناء على حجم الكثافة السكانية، وتهتم بصيانتها، وتضع أنظمة للمرور والسلامة، لتضمن الاستفادة الأفضل للناس من هذه الطرق.

ولسنا هنا بصدد الحديث عن الدور الحكومي والمسؤولية الرسمية عن هذا الجانب، فهذا الحديث وخاصة في بلادنا متشعب وذو شجون، فمع ضخامة الميزانيات التي ترصدها الدولة في بلادنا إلا أن شكاوى المواطنين مريرة، من حيث سوء كثير من الطرق، وسوء تطبيق أنظمة المرور، وإن كنا لا ننكر أن هناك شبكة من طرق المواصلات تم إنجازها، لكنها لا ترقى لمستوى الحاجة ومستوى الميزانيات الضخمة، ولا تنافس حتى بعض الدول المجاورة التي هي أقلّ منّا ثروة، وأقلّ منا فيما ترصد من ميزانيات للمواصلات.

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج٨، ص٨٨٠، حديث ٢٨٠٢٧، و كنز العمال، حديث ١٦٤٠٦.

نريد أن نتحدث عن الوجه الآخر وهو ما يرتبط بالناس، وبالأخصّ عن آداب المرور وآداب استخدام الطرق من قبل الناس.

لقد أولت النصوص الدينية هذا الموضوع اهتمامًا كبيرًا، فالتعاليم الدينية ليست محصورة على العبادات فقط، فمن يطّلع على تعاليم الإسلام يدرك أنها تولي اهتمامًا أكبر حول ما يرتبط بالمصالح العامة في مختلف المجالات. فلدينا نصوص كثيرة تتحدث عن آداب الطريق، وأحد مراجعنا الأعلام، وهو السيد محمد الشيرازي (رحمه الله)، لديه كتاب مستقل تحت عنوان «فقه المرور» يقع في أكثر من ٤٠٠ صفحة، حاول أن يلم شتات المسائل والتعاليم التي ترتبط بهذا الجانب. وفي حديثنا هذا نريد أن نركز على مسألتين تناولتها بعض النصوص والأحاديث ولهما أهمية كبرى:

الأولى: أولوية حركة السير

الطريق وضع من أجل حركة السير، وحتى يستطيع الناس أن يصلوا إلى مقاصدهم وأعمالهم، لذلك على الإنسان ألّا يقوم بأيّ عمل يزاحم حركة السير والمرور في الشارع، بل عليه أن يسعى من أجل توفير أفضل الفرص لتكون حركة السير سالكة في الشوارع والطرق. وأنقل هنا بعض النصوص كنماذج:

ورد عن رسول الله ﷺ: «دخل عبد الجنة بغصن من شوك على طريق المسلمين فأماطه عنه»[1]. لأنه أزال أذى عن طريق المسلمين، وسهّل حركة السير استحق دخول الجنة. نحن نتداول الأحاديث التي تؤكّد أهمية الصلاة والحج والعبادات لدخول الجنة، وهذا لا يقلّ أهمية عنهم. ومرة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن على كل مسلم في كل يوم صدقة». قيل من يطيق ذلك؟ قال ﷺ: «إماطتك الأذى عن الطريق صدقة»[2]. وعنه ﷺ: «من أماط عن طريق المسلمين ما يؤذيهم كتب الله له أجر قراءة

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٣٣٨، ومسند ابن حنبل، ح٩٢٣٥.
(٢) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ١٨٢.

أربع مائة آية»[١].

وكان الصحابي معاذ بن جبل يمشي ومعه بعض رفاقه، فرفع حجرًا عن الطريق، فسأله أحدهم: ما هذا؟ فقال معاذ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رفع حجرًا من الطريق كتبت له حسنة، ومن كانت له عنده حسنة دخل بها الجنة».

وجاء عن أنس بن مالك قال: كَانَتْ شَجَرَةٌ فِي طَرِيقِ النَّاسِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ فَأَتَاهَا رَجُلٌ فَعَزَلَهَا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:» فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَتَقَلَّبُ فِي ظِلِّهَا فِي الْجَنَّةِ»[٢].

ومع أهمية الصلاة، سواء الواجب منها أو المستحب، ولكن مع ذلك يكره أداؤها في الشارع والزقاق؛ لأن الشارع لم يوضع للصلاة وإنما للسير، وتكون الصلاة مكروهة في الشارع إذا لم تزاحم المارة، أما إذا كانت تزاحمهم تكون حرامًا. وقد نصّ على هذه المسألة المرجع الشيرازي في كتابه فقه المرور قال: تكره الصلاة في الشارع والزقاق إذا لم يزاحم المارة والعابرين، أما إذا زاحمهم فتحرم وتبطل الصلاة على الأحوط وجوبًا[٣]. كما أفتى السيد السيستاني في المنهاج[٤] بحرمة الصلاة في الطريق إذا أضرت بالمارة. وورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «كلّ طريق يوطئ فلا تصلِّ فيه»[٥]. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أضرّ بشيءٍ من طريق المسلمين فهو له ضامن»[٦].

يمكننا أن نستنتج من هذه النصوص حرمة أن يفعل الإنسان شيئًا يعطل حركة سير

(١) بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٣٨٢.
(٢) مسند ابن حنبل، ج٤، ص٣٩٨، حديث ١٢٥٩٩.
(٣) فقه المرور، السيد الشيرازي، ص٢٨٢.
(٤) منهاج الصالحين، ج١، ص١٨٨، مسألة٥٦٦.
(٥) تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٢٢١، حديث ٧٨.
(٦) الكافي، ج٧، ص٣٥٠، حديث ٣.

الناس في الطرقات، ومن مصاديقه أن يوقف الإنسان سياراته في موقف يعطل حركة الناس أو يضايقهم، كأن يوقفها أمام منازل الآخرين، فيعيق خروجهم منها، أو أمام شارع معيّن بحيث يؤثر على حركة الشارع، فهذا أمر لا يجوز. مع الأسف الشديد نجد كثيرًا من الناس لا يهتمون بهذا الجانب، يريد أن يُقلّ أهله في السيارة فيقف وسط الشارع ويعطل حركة المرور!

على الإنسان أن يحسب حسابًا لهذه الأمور، فالمسألة ليست فقط في ضبط الصلاة والوضوء، بل هذه الأمور ينبغي أن تعلمك على ضبط أمورك كلها.

ونجد أيضًا في الأعراس، تعوّد بعض الشباب في زفاف العريس أن يتوسطوا الشارع، ويحتكروه على حساب حركة المرور، فهذا لا يجوز. نريد أن نفرح، ولكن ليس على حساب الآخرين. وحتى بعض الاحتفاءات الدينية كالمضائف التي تكون على الطرق، إذا كانت تعطل حركة المرور فهذا حرام شرعًا، ولا يجوز. إذا كانت الصلاة تحرم إذا كان فيها مزاحمة لحركة الناس، فما بالك بأمر كالمضيف؟! تريد أن تقيم الموالد والمناسبات هذا أمر حسن، ولكن ليس على حساب تعطيل حركة المرور. إذا كنت تتحرك من وحي الدين فاسأل مرجعك الديني، هل هذا يجوز؟

المسألة الثانية: نظافة الطريق

كم يرتاح الإنسان حين يدخل بلدًا ويرى شوارعها أنيقة نظيفة، هذا يعطيه انطباعًا حسنًا عن ذوق الناس، وعن حسن أداء المؤسسات الرسمية كالبلديات. مؤسف أن نجد مناظر إلقاء الأوساخ من نافذة السيارة! بالله عليك، أليس لهذا الإنسان ذوق وأخلاق وضمير؟ هذا شارع للناس في بلادك، كيف تقبل لنفسك أن تقوم بمثل هذه الممارسة المتخلفة؟

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لقد كان علي بن الحسين عليه السلام يمرّ على المدرة ـ أي القطعة الصغيرة من الطين ـ في وسط الطريق فينزل عن دابته حتى ينحيها بيده عن

الطريق»[١]. بعض الأحيان تمرّ في طريق وتجد به كرتونًا أو حجرة كبيرة، وتمر بعد فترة وتجدها لم تحرك من مكانها! يذكر السيد الشيرازي مسألة تقول: يستحب بعد الاهتمام بنظافة الطريق تجميل الشوارع والطرق والأرصفة... فإن الله جميل يحب الجمال[٢]. ومسألة أخرى تقول: ينبغي مراعاة الآداب والأخلاق حال السير، ولا يجوز ارتكاب ما يسبب إيذاءً للآخرين أو ما يؤدي إلى خوفهم ورعبهم كاستعمال المنبه العالي الصوت أو التوقف المفاجئ أو المرور السريع بمحاذاة المشاة[٣].

والنصوص الدينية حول آداب الطريق كثيرة، ونكتفي بما ركزت عليه النصوص حول هاتين النقطتين لأهميتهما، ولكي نعرف شمولية الدين، واهتمامه برعاية المصلحة العامة، وتيسير شؤون الناس.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٥٠، حديث ٤.

(٢) فقه المرور، ص٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٨٥.

الخطبة الثانية

طاقة الشباب بين الترشيد والتدمير

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وقد تأتي عليه ـ أي على الإنسان ـ حالات في قوته وشبابه يهم بالخطيئة فتشجعه روح القوة وتزين له روح الشهوة وتقوده روح البدن حتى توقعه في الخطيئة»[1].

في مرحلة الشباب يكون إحساس الإنسان بالقدرة والقوة في أعلى مستوياته. وهذا ما يعبّر عنه القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾، فالشابّ لديه إحساس بقوته، ولديه اندفاع أن يمارس هذه القوة ويجربها، ولأنه ناشئ جديد في هذه الحياة، لم يسبق له أن واجه الأخطار والصعوبات، فيرغب في تجربة كل جديد.

يفكر الكبير عادة في العوائق، لكن إدراك الشاب للعوائق والصعوبات أقلّ؛ لأنه لم يمرّ بها، ولم يواجهها في حياته. لذلك يكون مهيأً للمغامرات، ولكثير من التصرفات التي لا يقوم بها من تجاوز هذه المرحلة وعاش تحدّياتها.

هذه المشكلة موجودة في كل زمن، لكنها في هذا العصر أجلى وأبرز؛ لأنه في الأزمنة الماضية كان الإنسان يدخل إلى مرحلة تحمل المسؤولية في وقت أبكر من عمره، يتزوج وهو في بداية شبابه، يعمل وهو في بداية حياته، وبالتالي يبدأ بتحمل

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٦٦.

المسؤولية من وقت مبكر، ففائض الطاقة الذي عنده يتصرف. وهو كشخص متزوج يحسب حساباته لكل شيء؛ لأن عليه مسؤوليات، لهذا كانت المغامرات في مرحلة الشباب في الماضي أقلّ منها الآن، الشاب الآن يجد أن مرحلة المسؤولية أمامه بعيدة، فعليه أن ينهي تعليمه، ومن ثم يتوظف، وبعدها يفكر في الزواج، فشباب هذا العصر لديهم قوة وليس عندهم مسؤوليات يصرفون من خلالها طاقتهم، ولم يواجهوا معترك الحياة بعد، وما يزالون تحت رعاية أسرهم، هذه الأمور تجعل الشباب يقبلون أكثر على المغامرات التي قد يسبب بعضها لهم مشكلات وأضرارًا.

هذه مشكلة تواجهها مختلف المجتمعات، وكلّ مجتمع له ظروفه وخصوصياته. بعض المجتمعات تحاول استيعاب هذه الحالة بفتح طرق وقنوات تستوعب طاقات الشباب في أنشطة ترفيهية ورياضية ومؤسسات مدنية أهلية، لديهم فرص للتعليم والعمل، والسياحة، وبرامج لمرحلة العطل الصيفية، كل ذلك من أجل توجيه فائض الطاقة عند الشباب في الاتجاهات النافعة المفيدة.

في مجتمعنا ما يزال لدينا نقص شديد في هذا الجانب، ونواجه المشكلة في كلّ عطلة صيفية بشكل حادّ. لم تترسخ لدينا بعد مؤسسات اجتماعية كافية لاستيعاب هؤلاء الشباب، ونحن مجتمع شابّ، وأيّ تساهل وتهاون يحول هذه الطاقة إلى طاقة مدمرة وضارة للشباب والوطن. ونرى الآن بمجرد أن بدأت الاختبارات البلد تدخل في مرحلة استنفار لأننا ندرك حجم التحدّي والخطر الكبير. وقد بدأت الجرائد بتغطية بعض الحوادث حيث نشرت جريدة الشرق أمس عن معركة أمام مدرسة في إحدى المحافظات شارك فيها مجموعة من الشباب، مستخدمين بعض الأسلحة المؤذية، ويستخدمون السيارات بطريقة مؤذية لهم وللمجتمع. هذا ما تغطيه بعض وسائل الإعلام، أما الجهات الأمنية فقد أعلنت الاستنفار، فالمتحدث الاعلامي بمرور المنطقة الشرقية أعلن عن توفير أكثر من ٢٥٠ دورية (١٠٠ دورية سرية لمتابعة الحركة قرب المجمعات التعليمية والمدارس إضافة لـ ١٥٠ دورية رسمية)، يصحبها

نزول ميداني لـ٨٦ ضابطاً و١٨٠٠ فردٍ من الإداريين لمتابعة حركة السير[١]، في حين يفترض أن الامتحانات تشغل الطلاب بالمذاكرة، ولكن الأمر مختلف عندنا! في مكة المكرمة فرع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف أعلن أنه أطلق دوريات ميدانية تربو على ١٨٠ دورية تقوم بتغطية المدارس العامة للطلاب والطالبات وتكليف ما يقارب ٢٣٠ عضواً بالعمل ساعات إضافية عبر ٩٠ مركزًا في مكة[٢]. في الرياض أيضًا دوريات الأمن أطلقت أكثر أكثر ٣٥٠ دورية أمنية تضم ٦٥٠ فردا و٤٠ ضابطا أمام المدارس[٣].

هذا الوضع يكشف أننا أمام تحدٍّ كبير. والحديث كثير حول انتشار المخدرات وخاصة أيام الامتحانات والعطل، وقد قرأت للتوّ تصريحًا جديدًا يثير الرعب في نفس كلّ إنسان ومواطن، حيث كشف مساعد مدير عام مكافحة المخدرات للشؤون الوقائية أن حالات إدمان المخدرات بأنواعها في تزايد ملحوظ ووصلت ٢٠٠٠ حالة أسبوعيًّا في مختلف مناطق المملكة، مبينًا أن الرياض ومكة تصدرتا بـ ١٠٠ حالة يوميًّا لكل منهما على حدة، مشيرًا إلى أن تلك الأرقام مقتصرة على الذين يتقدمون إلى مستشفيات الأمل في المملكة، يعني أن الأرقام أكبر.

وهنا نتساءل: أين دور الأسرة والتعليم؟ مناهج التعليم أين مفعولها؟ ليس هناك بلد يدرس مناهج دين أكثر من بلدنا، فأين تأثير هذه المناهج على أولادنا وبناتنا؟ خطب المساجد أين دورها؟ وأين المؤسسات والأنشطة التي تستوعب طاقة الشباب؟ قبل سنين كان هناك اهتمام بتوظيف الشباب في العطل الصيفية وهذا من أفضل وسائل استيعاب الشباب، إذ تُعطى رواتب مناسبة لهم. وكذلك الرحلات التعليمية، وعندنا بعض المؤسسات تهتم بتنظيم سفرات للطلاب لأيّ بلد، لتعلم القرآن أو لغة ما أو

---

(١) صحيفة اليوم، السبت ١٥ رجب ١٤٣٤هـ الموافق ٢٥ مايو ٢٠١٣ العدد ١٤٥٨٩

(٢) صحفية عكاظ، الأحد ١٦رجب ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٦ مايو ٢٠١٣ م، العدد : ٤٣٦١.

(٣) صحيفة الرياض، السبت ١٥ رجب ١٤٣٤ هـ، ٢٥ مايو ٢٠١٣م، العدد ١٦٤٠٦.

أيّ شيء يفيد، ولكن هناك نقص اهتمام من الناحية الرسمية والناحية العائلية. نحن كمجتمع ينبغي أن نفكر كثيرًا، في أيام عاشوراء نرصد ميزانية كبيرة وهذا جيّد، في الصيف أيضًا نحتاج إلى ميزانيات كبيرة من أجل الأنشطة الصيفية لاستيعاب أبنائنا وتنشئتهم. البرامج الصيفية بمختلف ألوانها التعليمية والترفيهية والسياحية ينبغي أن ندعمها لنستفيد منها في توجيه أبنائنا وحفظهم، لينفعوا أنفسهم ومجتمعهم.

علينا أن نستثمر طاقات الشباب فيما ينفعهم وينفع المجتمع.

الخطبة الأولى

التنافس في ميدان القيم

جاء في السيرة النبوية الشريفة أنه عندما سار رسول الله ﷺ والمسلمون إلى غزوة بدر، كانت الدواب محدودة العدد عند المسلمين، فكان كل بضعة أشخاص يتعاقبون على دابة واحدة، وكان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ومرفد ابن أبي مرفد، يتعاقبون على بعير واحد، يركب كل واحد منهم مدة من الوقت ويمشي خلفه الآخران، ثم يركب الثاني وهكذا حتى يركب الثالث. فعن عبد الله بن مسعود: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، قال: وكان علي وأبو لبابة زميلي رسول الله ﷺ، قال: وكان إذا كانت عقبته قلنا اركب حتى نمشي، فيقول: «ما أنتما بأقوى مني، وما أنا بأغنى عن الأجر منكم»[1]. وأصرّ ﷺ أن يتبادل معهما الركوب على البعير.

نريد أن ننطلق من هذا الموقف إلى مسألة التغيير النفسي والقيمي الذي أوجده رسول الله ﷺ في نفوس الناس من حوله. بُعث رسول الله ﷺ إلى مجتمع جاهلي، يعيش تحت سيطرة القيم المادية، يخضع لها، ويتنافس أفراده على الكسب منها، كل واحد يريد أن يكسب أكبر قدر من الغنائم، وكانوا يتفاخرون بمظاهر القوة القاهرة

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص ٢٣، حديث ٤٢٩٩، ومثله في الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ج ٢، ص ٢١.

لبعضهم بعضًا، فالتنافس بينهم في ميدان التنافس المادي، ولم يكن هناك بعد آخر.

بُعث رسول الله ﷺ فأحدث بعثًا جديدًا في نفوسهم، وفتح أمامهم أفقًا آخرًا، أصبحوا يتنافسون على الالتزام بالقيم، انطلاقًا من الطمع في كسب رضا الله تعالى. فكان هذا ميدان التنافس الجديد في المجتمع، وبهذا بدأ التغيير، وتحول المجتمع إلى مجتمع آخر.

القرآن الكريم جاء ليذكي هذه الحالة من التنافس القيمي الأخلاقي في نفوس أبناء ذلك المجتمع، يقول تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، في ميدان القيم وكسب رضا الله تعالى، وليس في المجال المادي، ويقول تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ٦١]، فذلك العربي الذي كان يقاتل من أجل المكاسب والغنائم، صار يبذل ما لديه من مال ومكسب من أجل ثواب الله، وتنافسًا على القيم والتزامها، لذلك مدحهم الله تعالى، ومدح هذه الخصلة فيهم. صار الواحد منهم يؤثر الآخرين على نفسه، يقول تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وفي تاريخ الصحابة قصص كثيرة تبرز هذه الحالة.

ورد أنه «أهدي لرجل مِن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: إنَّ أخي فلانًا وعياله أحوج إلى هذا منَّا. فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأوَّل»[(١)].

هكذا كانت الروح القيمية في أولئك الذين رباهم رسول الله ﷺ، وقد حدثنا القرآن الكريم عن قصة تظهر عمق الإيثار في حياة آل رسول الله ﷺ، يقول تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّـهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، والقصة معروفة حينما تصدقت فاطمة بطعامها وطعام

(١) الجصاص، أحكام القرآن، ج ٣، ص ٥٨١.

زوجها وولديها لثلاثة أيام وباتوا جياعًا وكانوا صيامًا.

ويذكر التاريخ أنه في غزوة اليرموك كان هناك جرحى من المسلمين على أرض معركة، وبالطبع يحتاج الجريح تحت حرارة الشمس إلى الماء، فجاء أحد المسلمين بالماء إلى أحد الجرحى ليسقيه، قال: «فلمَّا قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه. فلما دُفِعَت إليه نظر إليه الآخر، فقال: ادفعها إليه. فتدافعوها كلُّهم ـ مِن واحد إلى واحد ـ حتى ماتوا جميعًا ولم يشربها أحد منهم»[١].

حينما نحتفي بالمبعث النبوي الشريف ـ نسأل الله أن يبارك لنا ولكم ولجميع المسلمين هذه المناسبة العطرة ـ فعلينا أن نتذكر هذه القيمة الكبيرة التي ركز عليها رسول الله ﷺ وبعثها في نفوس أصحابه، وهي قيمة التنافس القيمي. أن نتنافس على كسب القيم والأخلاق وليس على المكاسب والمصالح المادية فقط، وبإمكاننا أن نتحدث عن بعض الأمثلة والنماذج حتى لا يكون الكلام طوباويًا فضفاضًا:

رعاية العيال والأبناء:

لا شك أن الوالدين يتحمّلان هذه المسؤولية وبالدرجة الأولى الأب، لكن ينبغي أن يكون هناك تنافس بين الوالدين في رعاية الأبناء. في بعض الأحيان يكون هناك تواكل، كل واحد يلقي بالمسؤولية على الآخر، وهنا نحتاج التنافس على البرّ والخير، ليعيش الأبناء في عطف وافر، فإذا كان هناك تواكل سواء في مجال العناية الجسمية الغذائية، أو الاهتمام بدراستهم، أو الرعاية النفسية بإشباع عواطفهم، فهذا ينعكس سلبًا على الأبناء. نجد مثلًا في مرحلة العطلة الصيفية، أن الأب يريد أن يرتاح ويجلس مع أصدقائه، والأم كذلك لها برامجها الخاصة، فماذا عن الأبناء؟ ثم تجد الأب يلقي باللوم على الأم والعكس. كنت أسأل بعض الآباء وقد كان متذمرًا من النتائج الدراسية لأبنه، حيث كان معدله ضعيفًا، ويلوم أمه! طيّب، أينك أنت؟ التربية مسؤوليتك،

(١) البداية والنهاية، ج ٧، ص ١٥.

والتعليم مسؤوليتك شرعًا وقانونًا، ولو فرضنا أن الأم ملزمة بذلك، فلماذا لا تنافسها؟ بعض الأحيان حينما نتحدث عن التنافس على الخير فإن ما يخطر في بالنا الصلاة والصدقة، وهذا صحيح، لكن لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا مثل هذه المصاديق والنماذج.

البر بالوالدين:

يحتاج الوالدان في مرحلة الشيخوخة والكبر لرعاية أبنائهم، لهما يقول تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾. في بعض الأحيان تجد أبًا له مجموعة من الأولاد، والمفترض أن يكون مدلّلًا بين أولاده، والسعيد من يحظى بالنصيب الأكبر في رعاية أبيه أو أمه، لكن قد تجد تواكلًا بين الأبناء، كلّ واحد يتوقع من الآخر أن يقوم برعاية الأب والأم. وأنت لماذا تخسر هذا الخير والثواب؟

في الأمور المادية، لو فرضنا أن هناك منحة سكنية من الدولة مخصصة لواحد من أولاد فلان ولم يُعيّن، هل كل واحد سيقول دع ذلك لأخي يفوز بها، أم سيبادر إلى كسبها هو؟ ذات مرة أعلن عن منحة أرض لشخص باسم معيّن، واتفاقًا كان هناك شخص آخر من نفس العائلة يحمل نفس الاسم، لكن المنافس الثاني ثريّ وعنده خير، وعرف بها وأخذها هو، حتى لامه البعض؛ لأن الآخر أحوج منه.

في الخير لماذا لا يكون تنافسنا بهذا الشكل، بأن نطمع بزيادة الخير والعمل الصالح؟ رعاية الوالدين مصداق بارز في التنافس على الخير، حتى لو كان هناك أخوة يقومون باللازم تجاه أبيك وأمك لماذا أنت لا تنافس على هذا الخير؟ ساعة بل لحظة تقضيها في خدمة والديك تساوي الدنيا وما فيها.

خدمة الدين والمجتمع:

بعض الأحيان تطلب من شخص مشاركة ما في خدمة عامة فيقول: لماذا لا تذهب لفلان؟! هذا خير فلماذا تحرم نفسك؟ هنا يحتاج الإنسان إلى الذكاء واغتنام الفرص. يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلاَ تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ، وَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَداً أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللهِ كَذلِكَ»[1].

على الإنسان أن يحفّز نفسه للتنافس على فعل الخير. هذا هو البعث الذي صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله في نفوس أصحابه بعد أن كانوا مجتمعًا ماديًّا. وعلينا أن نتذكر هذه القيمة في ذكرى المبعث النبوي الشريف.

---

(١) نهج البلاغة، الحكم القصار رقم ٤١٩.

غياب المشروع في العالم العربي

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[سورة البقرة، الآية: ١٤٣]

نقرأ في التاريخ أن كثيرًا من الأمم كانت تعيش حالات الضياع والشتات والضعف، حتى إذا ما انبرى من وسطها قائد كفؤ أو انبثق من داخلها مشروع قيادي، فإن واقع تلك الأمة يتحول ويتبدل لتصبح أمة قوية منيعة، بعد أن كانت أمة ضائعة ضعيفة. هذا ما نقرؤه في التاريخ الغابر والحاضر، وفي هذا السياق فإن أروع أنموذج كان ما تحقق على يدي رسول الله ﷺ الذي بعثه الله إلى أمة كانت تعيش في أسفل درك من الانحطاط، أمة كانت تعيش التمزق والتشتت. ويسجل التاريخ لنا ماذا كانت عليه تلك الأمة قبل الإسلام، والقرآن الكريم يوضح ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، كانوا على مقربة من الفناء والهلاك، وجودهم كان مهددًا بالتلاشي والانتهاء؛ لأنهم كانوا يعيشون درجة شديدة من الضعف والتخلف، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾، كانت هناك دول قوية تحيط بالجزيرة العربية وهم مجتمع ضعيف، بل قبائل متفرقة متحاربة، وما إنْ جاء رسول الله ﷺ حتى استطاع وفي فترة قياسية أن يبدل الحال وأن يصنع منهم أمة رائدة.

هذا النموذج وقف المؤرخون والباحثون أمامه بحيرة وانبهار، يقول توماس كارليل: «لقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، وأحيا به منها أمة خاملة لا يسمع لها صوت، ولا يحس فيها حركة، حتى صار الخمول شهرة، والغموض نباهة، والضعة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقه، وشمل نوره الأنحاء، وعمّ ضوؤه الأرجاء، وما هو إلا قرن بعد إعلان هذا الدين حتى أصبح له قدم في الهند، وأخرى في الأندلس، وعمّ نوره ونبله وهداه نصف المعمورة»[١].

هذا التغيير الكبير كان ببركة نبينا محمد ﷺ، وهنا نريد أن نشير إلى مسألة انبعاث الأمم وإلى مسألة التغيير الذي يتحقق في واقع الأمم.

أمم تجاوزت الضعف وصنعت التقدم

نلحظ في عصرنا الحاضر أممًا كانت تعيش الهوان والضعف، ولكن مع توفر قائد ملهم أو مشروع قيادي، استطاعوا أن يغيروا من واقعهم. فالأمة الهندية كانت تعيش في ظلّ الاستعمار البريطاني، قارة مترامية الأطراف تسيطر عليها دولة صغيرة لا يوازي حجمها حجم مدينة أو ولاية من ولايات الهند، ولكنها كانت تحكم كل هذه القارة الهندية من وراء البحار. أديان مختلفة، ولغات متنوعة، حالة من التخلف كانت تسودها، وحينما انبرى قائد من وسط هذه القارة وهو غاندي، استطاع أن يخلق بعثًا في هذه القارة وعلى يديه، وبالتفاف الشعب حوله، تحققت هذه النهضة الكبيرة في الهند. ولا تزال الهند تواصل مسيرتها في التقدم العلمي والتكنلوجي.

اليابان وبعد الحرب العالمية الثانية، استطاعت بمشروع وطني رائد، أن تصبح الآن في مصاف الدول الأولى المتقدمة علميًّا واقتصاديًّا. ولا ننسى النموذج المتمثل في الكيان الغاصب (إسرائيل)، فاليهود كانوا يعيشون مشردين منبوذين في مختلف أنحاء العالم، وحينما ظهر في أوساطهم مشروع صهيوني وإن كان قائمًا على العدوان

(١) المثل الأعلى، توماس كارليل، ص ٦٦.

واحتلال أراضي الغير، استطاعوا أن يتحولوا إلى قوة مهابة، هذه القوة تفرض هيمنتها على بقعة واسعة هي الشرق الأوسط، وعلى مناطق مختلفة، مع أن عددهم والمساحة الجغرافية التي يسيطرون عليها شيء محدود، لكنهم يعيشون حالة من الانبعاث وإن كانت تنطلق من العدوان والجور. إسرائيل الآن تصنع بنفسها أنواعًا متقدمة من الأسلحة، ترسانتها العسكرية في كثير منها إنتاج داخلي، شركات تصنيع السلاح في إسرائيل شركات كبيرة، وتأثير اللوبي الصهيوني في أمريكا وأوروبا تأثير كبير. كيف استطاع هؤلاء أن يخلقوا لأنفسهم هذا الواقع في العالم؟

في هذا السياق يجب أن نأسى للواقع الذي تعيشه الأمة العربية. فالعالم العربي مع ما يمتلك من إمكانات وثروات هائلة ضخمة، لكنه مع الأسف الشديد يعيش درجة شديدة من التخلف والانحطاط، بينما نجد أممًا أخرى في الوسط الإسلامي والجغرافية التي نعيش فيها، استطاعت أن تتحدى العالم، لماذا؟ لأن لديها مشروعًا، عدا الكيان الصهيوني الذي يتحدى العالم العربي كله، نجد الآن في تركيا مشروعًا تنمويًّا اقتصاديًّا استطاع أن يحقّق تقدمًا كبيرًا.

تركيا كانت مدينة لصندوق النقد الدولي، لكنها استطاعت ـ كما أعلنت ـ أن تنتهي من تسديد جميع ديونها المستحقة لصندوق النقد الدولي، وكان آخر قسط دفعته تركيا قبل أيام ٤١٢ مليون دولار، وهو آخر قسط من مديونيتها. منذ أكثر من نصف قرن وتركيا تعيش مشكلة الديون وتجاوزتها الآن، كانت تعيش تحت هيمنة العسكر لكنها تجاوزتها، كانت تعيش كثيرًا من المشاكل وتخطتها، رغم المشاكل الأخيرة استطاع الأتراك أن ينتجوا مشروعًا تنمويًّا يتجاوزون به حالة كانوا يعيشون فيها حالة من التخلف والركود فأصبحوا متقدمين في أكثر من مجال.

فإذا كان لليهود مشروعهم، وللأتراك مشروعهم، ولإيران مشروعها، وهو قائم على التصنيع العسكري والنووي، وقائم على انتزاع الاستقلال من الهيمنة الغربية، وخلق النفوذ في مختلف أنحاء العالم، لكن فماذا عن العالم العربي؟

نحن نغضب من هذا المشروع وذاك، ولكن أين مشروعنا؟

مشروع عربي للتنمية والاستقلال

العالم العربي يحتاج إلى مشروع يعالج حاجتين ماستين:

الأولى: التنمية داخل أقطار العالم العربي. مع الأسف الشديد أغلب البلدان العربية ينقصها المشروع التنموي، رغم الإمكانات والثروات الهائلة، والمقصود بالتنمية هي التنمية الشاملة، وليس الاقتصادية فقط، بل التنمية السياسية القائمة على المشاركة الشعبية وهذا ما يفتقده معظم العالم العربي.

الثانية: تعزيز روح الاستقلال والخروج من الهيمنة الأجنبية. ما هذه الروح الانهزامية التي تسيطر على العالم العربي؟ حتى الثورات والثوريون يريدون إنجاز تغيير في بلدهم فيستنجدون بالغرب لمناصرتهم! وحينما يتدخل الغرب ماذا يتوقع من تدخله، هل سيتدخل قربة إلى الله تعالى؟ الأمريكيون حينما تدخلوا في أفغانستان ماذا فعلوا؟ وفي العراق ماذا فعلوا؟ فكيف نقبل من أنفسنا كثوار وعلماء أن نستنجد بالغرب؟ هذه روح انهزامية، العالم العربي يحتاج إلى استقلال عن الهيمنة الأجنبية في أوساط الحاكمين والمحكومين، وهذا ما تعيشه الأمم والشعوب الأخرى التي تمتلك مشروعًا غيّرت به من واقعها ومن وجودها.

ونحن نعيش ذكرى المبعث النبوي الشريف علينا أن نؤكد حاجة العالم العربي إلى مشروع تنموي تغييري يغيّر هذا الواقع المتخلف في العالم العربي ويخلق واقعًا يحترمه العالم وتستحقه شعوب هذه المنطقة العربية.

الخطبة الأولى

التبشير بالمبادئ والقيم

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٨١]

إذا أطلق الإنسان العنان لشهواته وغرائزه فإنها تنحطّ به إلى الحضيض. فالغرائز والشهوات لا تقف بالإنسان عند حدٍّ إذا ما استجاب لها، وسيكون وضعه أسوأ من وضع الحيوانات والبهائم؛ لأن البهائم لشهواتها حدود، كما أنها لا تمتلك قوة تفكير وإدراك بحيث تطور ممارساتها، لكن الإنسان يمتلك قوة تفكير إذا استخدمها من أجل تلبية شهواته وغرائزه فإنه يصنع الدمار، لذلك فإن القرآن الكريم يتحدث عن الإنسان الذي يستجيب لغرائزه بأنه ينحطّ إلى مستوى أسوأ من مستوى الحيوانات والبهائم يقول تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾. لماذا أضلّ من الأنعام؟ الحيوانات لها قدرات محدودة. فقد يعتدي حيوان على آخر لكن قدرته تبقى في حدود أنيابه وعضلاته، لكن الإنسان يستخدم عقله فيصنع أسلحة الدمار المتطورة، وهكذا بالنسبة لبقية الغرائز والشهوات. من هنا فإن الإنسان بحاجة إلى كوابح، كما أنه بحاجة إلى تفعيل الميول الخيّرة في ذاته. فكما للإنسان غرائز وشهوات فإن لديه وجدانًا وفطرةً، وهي بحاجة إلى تحفيز، والسؤال: كيف تحفّز هذه التوجّهات الخيّرة؟

وجود الهداة نعمة كبرى

من نعم الله تعالى أن قيّض لبني البشر هداة يذّكرونهم بالقيم النبيلة الفاضلة،

ويحفّزون في داخل نفوسهم توجهات الخير والصلاح، وهذه هي مهمة الأنبياء والأئمة والأولياء، يُذكّرون الإنسان ألّا يغفل عن إنسانيته، وألا يطلق العنان لغرائزه وشهواته، هؤلاء الهداة المصلحون يتمثّل دورهم في بعدين:

الأول؛ ممارستهم وتجسيدهم للقيم، ليرى البشر أمامهم أشخاصًا من سنخهم وطبيعتهم يلتزمون قيم الخير، ليكونوا نماذج وقدوات.

الثاني؛ التذكير الدائم من قبلهم للناس بتوجهات الخير والصلاح. لكن البشرية تحتاج إلى الالتفاف والالتفات لهؤلاء القادة والدعاة، حتى تستفيد منهم، ولو كان الدعاة موجودين لكن الناس بعيدون عنهم فإن تأثيرهم لا يتحقق ولا ينعكس في واقع الحياة. وحينما يغادر الهداة المصلحون هذه الحياة الدنيا فهل ينتهي دورهم؟ كلّا، على البشرية أن تستذكر سيرهم وتعاليمهم، وهذا ما يركز عليه القرآن عبر ذكر سير الأنبياء ومواقفهم، حتى تبقى سيرتهم حية حاضرة أمام الأجيال.

من هنا تأتي فائدة الاحتفاء بالمناسبات الدينية. حينما تمرّ علينا ذكرى ولادة الإمام الحسين عليه السلام وأبي الفضل العباس عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام، فهي فرصة لاستحضار سير هؤلاء الهداة وقيمهم وتعاليمهم، وليس من الصحيح أن نكتفي بالحديث عن الجوانب الشخصية أو الإعجازية، الشيء الأهمّ هي توجيهات الإمام وسيرته العملية.

حينما نحتفي بذكرى ولادة أبي الفضل العباس عليه السلام يجب أن نتذكر قيمة الوفاء عنده، كيف كان وفيًّا نبيلًا مقدامًا شجاعًا مدافعًا عن الحقّ، وهو الذي قال بعد قطع يده اليمنى في المعركة:

والله إن قطعتم يميني ... إني أحامي أبدًا عن ديني

المحاماة عن الدين والوفاء كانت من شيمه. كان ظامئًا وسنحت له الفرصة ليشرب الماء، لكنه أبى لأنه كان وفيًّا لأخيه الحسين وللأطفال وللنساء. وقبيل نشوب المعركة

عرض عليه شمر بن ذي الجوشن الأمان لقرابته من ابن سعد، لكنه رفض العرض وأصرّ على موقف الإباء والتضحية والشهامة. هذه مواقف ينبغي أن نستحضرها ونتمثلها كلما استحضرنا سيرة أبي الفضل العباس عليه السلام.

زين العابدين برنامج للروح والسلوك

وحينما نحتفي بالإمام زين العابدين عليه السلام، فعلينا أن نرجع إلى رسالة الحقوق، التي يرسم فيها الإمام خريطة متكاملة لما للإنسان وما عليه، وأن نرجع للصحيفة السجادية التي تصوغ نفس الإنسان بالاتجاه الصحيح، تعلّمه خصال الخير كما في دعاء مكارم الأخلاق، وهو دعاء عظيم ينبغي أن يواظب الإنسان على قراءته؛ لأنه يهذّب نفسه، ويؤهّله للحياة الطيّبة مع عائلته وأقربائه ومجتمعه. ومن فقرات هذا الدعاء: «اللهم صلِّ على محمد وآله، وسدّدني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبرّ، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافئ من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة وأغضي عن السيئة».

كلمات تهذّب نفس الإنسان وتمنعه من الاسترسال في الانفعالات السلبية تجاه الآخرين.

من ناحية أخرى، علينا أن نقرأ أدعية الصحيفة السجادية ومناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام لكي نكون أقرب إلى الله وأوثق صلة به، وخاصة في هذه الأيام المباركة. نقرأ في مناجاة الراجين: «يا من إذا سأله عبد أعطاه، وإذا أمّل ما عنده بلغه مُناه، وإذا أقبل عليه قربه وأدناه، وإذا جاهره بالعصيان ستر على ذنبه وغطّاه، وإذا توكل عليه أحسبه وكفاه»، هكذا يذّكر الإمام بنعم الله، ثم يكمل: «إلهي من ذا الذي نزل بك ملتمسًا قراك فما أقريته؟ ومن ذا الذي أناخ ببابك مرتجيًا نداك فما أوليته؟ أيحسن أن أرجع عن بابك بالخيبة مصروفًا، ولست أعرف سواك مولى بالإحسان موصوفًا؟ كيف أرجو غيرك والخير كلّه بيدك؟ وكيف أُأمّل سواك والخلق والأمر لك؟ أأقطع رجائي

منك وقد أوليتني ما لم أسأله من فضلك؟ أم تفقرني إلى مثلي وأنا أعتصم بحبلك؟ يا من سعد برحمته القاصدون، ولم يَشْقَ بنقمته الغافلون، كيف أنساك ولم تزل ذاكري؟ وكيف ألهو عنك وأنت مراقبي؟».

هذه المناجاة وأمثالها تفتح للإنسان أبواب الأمل والرجاء، وتجعله وثيق الصلة بالله تعالى. وهي تذكره بإنسانيته وبقيم الخير التي تبعده عن الانغماس في الشهوات.

نسأل الله أن ينفعنا بهذه الكنوز العظيمة.

الهياج الطائفي وتدمير الأوطان

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[1].

يمثل تفشي الكراهية واستفحال البغضاء بين فئات المجتمع عاملًا فتّاكًا ومدمّرًا للأوطان. فأيّما مجتمع ابتلي بتفشي الكراهية وسرت بين أبنائه روح التباغض، فسيجعل منه ذلك مجتمعًا مكشوفًا أمام انفجار الفتن، وعرضة للانهيار والتفكك، إنْ عاجلًا أم آجلًا. ولطالما تكرّر في الكثير من الموارد التحذير النبوي للأمة من أن تسود بينهم حالة البغضاء والكراهية، وقد بلغ منه ﷺ أن جعل استيلاء البغضاء والكراهية على النفوس، إلغاءً للدين وتنصّلًا من قيم ومفاهيم الإسلام، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «دبّ إليكم داء الأمم؛ الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»، فالنبيّ ﷺ وصف البغضاء بالحالقة، تشبيها بآلة الحلاقة، فإذا كانت هذه الآلة تزيل الشعر من الجسم، فإن انتشار البغضاء في أيّ مجتمع يستأصل التعاليم والقيم الدينية، فلا يبقى من الدين سوى الشعارات والطقوس والعناوين.

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج١، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، (بيروت: عالم الكتب)، ص٤٥٥، حديث ١٤٣٠.

نحو التحول والتغيير

إنّ المجتمعات العربية والإسلامية تمرّ في وقتنا الراهن بمرحلة من التحولات الخطيرة. فقد سئمت هذه المجتمعات الواقع السيء الذي ظلت ترزح تحته منذ أمدٍ بعيد، بفعل ثنائية الاستعمار الأجنبي الذي جرح عزّتها وأهان كرامتها، وتلاه أنظمة الاستبداد السياسي الذي أذلّت المجتمعات وأهانتها، علاوة على التخلف التنموي الذي أفقرها وجعلها في أسفل درك، قياسًا إلى المجتمعات الأخرى، لذلك تفجّر غضب هذه المجتمعات، وبدأت تسعى لتغيير الواقع السيئ الذي ترزح تحته.

لقد باتت المجتمعات العربية تنشد التغيير وتطالب بالإصلاح. غير أن السؤال الذ يطرح نفسه؛ هو عن الكيفية التي تتطلع هذه المجتمعات من خلالها لإجراء هذا التغيير، وما هي السبل لتطبيق عملية الإصلاح، وما هي الخيارات المطروحة أمام شعوب المنطقة، وما هو الطريق الجديد الذي ينبغي لهذه المجتمعات أن تسلكه؟.

إنّه من الطبيعي أن تتعدّد الاجتهادات وتتفاوت الآراء وتتنوع الأفكار والتوجهات، تجاه مطلب بناء الدولة وشكل النظام السياسي المنشود، وذلك تبعًا لحال التنوع الموجود في واقع الأمة، من الاختلاف القومي والتنوع السياسي والتعدد المذهبي، الأمر الذي يفرض بطبيعة الحال اختلاف زوايا النظر لمجمل المشهد السياسي في المنطقة.

آثار الاستبداد وتدخلات الاجانب

إنّ الاختلاف في الرأي وتضارب المصالح في المجتمعات العربية كان ليبدو أمرًا طبيعيًّا لولا التأثيرات السلبية التي خلفتها أنظمة الاستبداد السياسي من جهة، والتدخلات الأجنبية من جهة أخرى. ولأن شعوب الأمة عانت طويلًا من تأثير الاستبداد السياسي، فإذا ما خرجت فجأة من دائرة الاستبداد، ودخلت أجواء الحرّية، دونما تأهيل ولا تدريب على الممارسة السياسية المفتوحة، فإن ذلك غالبًا ما يحول

الساحة السياسية إلى محطة تجارب، وسرعان ما يبدأ خزين التأثيرت السلبية لعهود الاستبداد في التفجر، تلك التأثيرات التي أشبه ما تكون بالدمامل التي يطفح بها الجسم المريض فلا بُدّ وأن تنفجر ويخرج القيح الذي يملؤها حتى يستريح المريض.

تأتي الأطماع والتدخلات الأجنبية التي تجهد في تعميق وزيادة الاختلافات والتناقضات في صفوف أبناء الأمة، فتجدهم يدعمون فريقا ضد آخر، لا لسواد عيون هذا الفريق بطبيعة الحال، وإنما لأنه الأقرب لحماية مصالحهم وأطماعهم.

ولعلّ أحد أبرز التحدّيات الماثلة على هذا الصعيد، هو وجود الكيان الصهيوني الغاصب، المزروع في قلب الأمة، وما يخشاه هذا الكيان، ومن خلفه الدول المستعمرة، هو التحولات الكبرى التي تشهدها شعوب المنطقة، لهذا تجدهم يتدخلون بمختلف الطرق والأساليب لحرف عملية التحول والتغيير عن مسارها الطبيعي. ونتيجة لهذه العوامل تبدو المخاطر المحيطة بعملية التغيير في أقصاها، سيما مع استفحال الخلافات في مختلف البلاد العربية من ليبيا إلى مصر، اليمن، العراق، لبنان، سوريا، السودان.

مذهبة الصراعات السياسية

غير أنّ أخطر ما يمكن أن يحيط بأيّ اختلاف سياسي، هو أن يأخذ منحى طائفيًّا، من خلال إسباغ الصبغة المذهبية على الخلاف السياسي في بعض المواقع. مع أنه أبعد ما يكون عن الدائرة الدينية، وما هو إلا خلاف سياسي بين أطراف متنازعة على هذه القضية أو تلك، بين نظامٍ وآخر، أو بين معارضة وحكومة، وهذا أمر طبيعي شائع بين مختلف الفئات الداخلية عند كلّ شعب، من مماحكات بين الحركات الفلسطينية، أو انقسام في الساحة المصرية، أو تراشق بين السودانيين وغير ذلك. إن ما يجري من إسباغ لصبغة طائفية على بعض الخلافات يشكل خطورة كبيرة على كيان الأمة، بالنظر إلى أن الحروب الدينية هي أسوأ أنواع الحروب، فهي تستنفر كلّ ما في نفوس

البشر من مشاعر وقدرات وطاقات، وهذا ما يؤدي بطبيعة الحال إلى تفجير الأوطان والمجتمعات من الداخل، وما ينتج عنه من استنزاف وتبديد لقدراتها، وإشغالها في نزاعات ربما دامت عقودًا من الزمن.

ومع وجود الأرضية الجاهزة، وتوفر الأسباب والعوامل اللازمة لتفجر الخلاف الطائفي، فإنّ أعداء الأمة يجهدون في ضخ المزيد من الزيت على نار الخلاف المذهبي في الأمة. وهذا حقيقة ما تعيشه شعوب الأمة اليوم مع شديد الأسف، حيث تتصاعد النبرة المذهبية وحملات التعبئة الطائفية، التي تورّط فيها دعاة وعلماء دين، كانت الأمة أحوج ما تكون لإعمال حكمتهم واعتدالهم، حتى تتجاوز هذه الظروف الصعبة، إلا أنّ بعضهم وللأسف الشديد خانه الوعي، ووقع في فخّ الأعداء، فأصبح بوقًا يؤلّب أبناء الأمة بعضهم على البعض الآخر، وصار يكرّس ويعزّز الخلاف والتفرقة الطائفية، وهذا خطر كبير على واقع الأمة ومستقبلها. سيما والجميع بات يعيش الجو الطائفي الموبوء، تحت وقع الخطابات والتصريحات والمؤتمرات، علاوة على سيل التعبئة والحضّ على الكراهية الذي تضخه القنوات التلفزيونية، ومواقع التواصل الاجتماعي على مدار الساعة، والله وحده العالم إلى أين يريد هؤلاء أخذ الأمة.

إنّ الخلافات القائمة بين أبناء الأمة اليوم هي في جوهرها خلافات سياسية، وينبغي أن تبقى ضمن هذا الإطار. وتبعا لذلك لا يصحّ بأيّ حال أن يعطى هذا الخلاف السياسي أبعادًا مذهبية لا تمتّ لحقيقة الخلاف القائم بصلة. ولقد فطنت القيادات الشيعية في العراق منذ البداية إلى أن منفذي الاعتداءات الإرهابية الدموية المستمرة منذ سنوات، ضد التجمعات الدينية الشيعية، وزوار المراقد المقدسة، وراح ضحيتها عشرات الآلاف من الشيعة، هؤلاء المتورطون في هذه الفظائع وإن كانوا ينتمون إلى أهل السنة، إلا أن القيادات الشيعية لم تعطِ لأفعالهم الإجرامية صبغة مذهبية، ولم يُلقِ الشيعة بالمسؤولية على أهل السنة، ولا اتهامهم بالسعي للقضاء على الشيعة؛ لأنّ منفذي الاعتداءات لا يُعدّون سوى ثلة من الإرهابيين المجرمين الذين يستهدفون

الجميع من الشيعة والسنة على حدٍّ سواء.

وعي المرجعية الدينية

إنّ موقف القيادات الشيعية من منفّذي الاعتداءات الطائفية الدموية التي يتعرض لها السكان الشيعة في العراق ينبغي أن ينال التقدير والاحترام. ولعلّ آخر تلك المواقف الرائعة، ما ورد في بيان المرجعية الدينية الصادر عن مكتب سماحة السيد السيستاني مؤخّرًا في الذكرى السنوية لتفجير مرقدي الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء، ومما ورد في البيان «إن المرجعية الدينية إذْ تستذكر اليوم تلك الواقعة الأليمة، وتجدّد فيه تقديم التعازي إلى إمامنا صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف، تحثّ الحكومة العراقية على الإسراع في اتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة تعمير الحرم المطهّر، والانطلاق منه لترسيخ الوحدة الوطنية بين أبناء هذا البلد الكريم، كما تدعو المؤمنين، وهم يحيون هذه المناسبة الحزينة، ويعبّرون عن مشاعرهم الجيّاشة، تجاه ما تعرّض له أئمتهم عليهم السلام من هتك واعتداء، أن يراعوا أقصى درجات الانضباط ولا يبدر منهم قول أو فعل يسيء إلى المواطنين من إخواننا من أهل السنة الذين هم براء من تلك الجريمة النكراء ولا يرضون بها أبدًا»، وهذا البيان يُعبّر في جانب مهم منه عن وعي كبير جدًّا، وأهم ما فيه أن المرجعية لم تعطِ الجريمة طابعًا مذهبيًّا. وهذا درس في غاية الأهمية، ينبغي أن تتلقفه القيادات السنية أيضًا، فإذا وجدت هذه القيادات اعتداءً من طرف شيعي، لا يصحّ لها أن تعطيه طابعًا مذهبيًّا.

ولطالما تمنّينا أن تلتزم القيادات الإسلامية عدم إخراج النزاعات السياسية من إطارها السياسي إلى الإطار المذهبي الطائفي. غير أن ذلك ما لم يحصل مع الأسف الشديد، حتى باتت أجواء الأمة تعجّ بالأصوات التي تنشر البغضاء والكراهية بين المسلمين. ومع ذلك، لا يفوتنا أن نُشيد ببعض الأصوات القليلة الواعية، التي وإن كانت محدودة التأثير، لكن مما يشكر لها، أنها حافظت على اتزانها واتخذت موقف

الاعتدال وقالت كلمة الحقّ، في هذا الجوّ الطائفي المحموم.

المسؤولية تجاه حملات التعبئة والتحريض

ينبغي لنا في ظلّ الهياج الطائفي المستفحل في منطقتنا العربية الذي ينذر بتدمير الأوطان، أن نؤكّد عدة أمور مهمة. يأتي في طليعتها التأكيد على ضرورة ألّا ترخي حكومات المنطقة العنان لدعاة الطائفية والمحرضين على الكراهية والبغضاء، لما في ذلك من تهديد بانفلات الأوضاع في بلاد المسلمين، الأمر الذي سيجرف الأوطان ويضرّ بالحكومات نفسها، ويفتح الأبواب أمام تدخل القوى الأجنبية للعبث بالشؤون الداخلية للمسلمين. لذلك ينبغي للحكومات أن تضع حدًّا، لا أن تشجع التوجّهات الطائفية، من خلال إرخاء العنان لخطابها المقيت.

كما ينبغي للدّعاة والعلماء أن يتقوا الله في دينهم وأوطانهم وأمتهم، وألّا يكونوا عونًا للأعداء على أمتهم. سيما وأن الجميع يعلم أن المستفيد الأول مما يجري في المنطقة اليوم هي عدو الأمة الأول إسرائيل، وما دام الأمر المتيقن، هو استفادة العدو من كلّ ما يجري، فإن أول ما ينبغي فعله هو تقليص هامش الفائدة عند العدو إلى أضيق الحدود، من خلال النأي عن توسيع رقعة الخلاف. فإذا كان الصراع في بلد معيّن، فلا ينبغي أن ينسحب ذلك على مختلف البلدان، من خلال تأليب الناس على بعضهم بعضًا، وتخريب النسيج الاجتماعي القائم منذ قرون!. إنّ رجال الدين مدعوون لتقوى الله، فالتاريخ والأجيال المقبلة ستحاسبهم على توجههم الطائفي البغيض الذي تورطوا فيه.

كما نؤكد أشدّ التأكيد للمثقفين الواعيين، وعامة المواطنين أن ينأوا بأنفسهم عن هذه المعركة الطائفية البغيضة. فليس هناك أحد بمنأى عن تحمّل مسؤوليته المباشرة في هذا الصراع، ولو كان بالقدر الذي ينأى بنفسه عن تداول المواد التحريضية من المقالات والمشاهد والتغريدات، فحتى هذا القدر من التداول يعتبر مشاركة مباشرة

في صبّ الزيت على نار الفتنة الطائفية، فمن الخطأ الكبير أن يجري ترويج هذه المواد التعبوية بين الناس؛ لأنّ ذلك مما يساهم في زيادة التأجيج واستحكام العداوة والبغضاء بين الناس. وعلى النقيض من ذلك، ينبغي أن نساهم جميعًا في الإشادة بالأصوات الواعية، ونشر كلّ ما هو إيجابي من مقالات ومشاهد وتغريدات.

وأخيرًا، علينا أن نتحلّى جميعًا بالصبر الجميل لتجاوز هذه المحنة التي تعصف بالأمة. وأن نثق بالله تعالى، فالأمة كما تجاوزت المحن السابقة، فإنها ستتجاوز هذه المحنة إن شاء الله، وكما تغلبنا على الصعوبات الماضية، سنتغلب على هذه الصعوبات بعون الله، فلا ينبغي أن يتسلل إلى نفوسنا اليأس والإحباط، ولا يدفعنا ذلك نحو ردود الفعل غير المحسوبة، نتيجة ما يردنا من استفزاز من هنا أو هناك. نحن مطالبون بتحفيز جانب الحكمة والاعتدال والتعقل في أنفسنا وخطابنا وأوساط مجتمعاتنا.

الخطبة الأولى

التعبئة الطائفية دعوة جاهلية

ورد عن رسول الله ﷺ: «ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية»[1].

الانتماء إلى الإسلام كهوية جامعة للأمة لا يعني إلغاء الهويات الفرعية. فالناس ينتمون إلى أعراق وقبائل مختلفة كما شاءت إرادة الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. وهناك انتماء لقومية كالعربية والفارسية والكردية والتركية. وهناك انتماء لمذهب كالجعفري والحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي والإباضي، وهذا التنوع المذهبي هو نتاج إقرار حرية الاجتهاد واختلاف الرأي العلمي بين فقهاء المسلمين، حيث أصبح لكل مجتهد أو فرقة مذهب ومدرسة، تختلف في التفاصيل العقدية والفقهية. هذه الانتماءات الفرعية لا يسعى الإسلام لمحوها، فلا يقول للفارسي تنازل عن قوميتك، ولا للزنجي تنازل عن عنصرك وعرقك، ولا يقول لأيّ منتمٍ لقبيلة من القبائل تنكر لقبيلتك، كلّا، هذا أمر مشروع، وتعاون الناس فيما بينهم ضمن هذه الدوائر الفرعية مرحّب به في الإسلام؛ لأن كل ما يشدّ الناس بعضهم إلى بعض ضمن مختلف الدوائر أمرٌ إيجابي، فلا مانع أن تسعى لتشدّ أزر قبيلتك، وترفع معنويات من ينتمون لمذهبك، وتعتزّ بقوميتك، هذا كله مشروع لك، شريطة ألّا يكون فيه إساءة للآخرين،

(١) سنن أبي داوود، ج٢، ص٥٠٣، حديث ٥١٢١.

ورد عن رسول الله ﷺ: «خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم»[١]. يدافع عن عشيرته ولكن ليس على حساب حقوق الآخرين والتعدّي عليهم. وسئل رسول الله ﷺ عن العصبية، ما العصبية؟ فأجاب ﷺ: «أن تعين قومك على الظلم»[٢]. وجاء عن الإمام زين العابدين ؏: «العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرًا من خيار قوم آخرين. وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم»[٣].

كانت الحالة السائدة في الجاهلية هي الانتصار للقبيلة، كانت مع الحقّ أم عليه، كما يقول الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   في النائبات على ما قال برهانا

بعد رجوع المسلمين من غزوة بني المصطلق حصلت الواقعة التي تذكر في السيرة النبوية، وهي أن شخصين من الصحابة كانا على بئر ماء، كلّ واحد منهما يريد أن يلقي دلوه أولًا ليستقي. أحدهما من المهاجرين وهو قرشي، والآخر ينتمي إلى الأنصار. فصاح القرشي: يا لكنانة! وصاح الأنصاري: يا لأوس والخزرج!

فهبت كل قبيلة بالسلاح، وهي مجرد قضية سوء تفاهم بين شخصين على أمر تافه، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «ما بالُ دعوى الجاهليةِ؟... دعوها. فإنها منتنة»[٤].

صراعات سياسية بعناوين طائفية

أمتنا اليوم تواجه اختلافات سياسية وتضاربًا في المصالح، تأخذ في كل منطقة عنوانًا من العناوين، وفي بعض المناطق تأخذ عنوانًا طائفيًا، وهو من مصاديق العصبية

(١) سنن أبي داوود، ج٢، ص٥٠٣، حديث ٥١٢٠.
(٢) سنن أبي داوود، ج٢، ص٥٠٢، حديث ٥١١٩.
(٣) الكافي. ج٢، ص ٣٠٨، حديث٧.
(٤) صحيح مسلم. حديث ٢٥٨٤.

ودعوى الجاهلية. هذه التعبئة الطائفية وتحريض كل السنة ضد الشيعة، وكل الشيعة ضد كل السنة، خطأ كبير. المسألة لا تعدو أن تكون اختلافًا سياسيًّا، وفي هذا الاختلاف السياسي قد يكون هناك محقّ، وهناك مبطل، وقد يكون نسبيًّا عند كل طرف، وقد ينظر إلى هذا الصراع من هذه الزاوية أو تلك، لكن لا ينبغي أن تكون هناك تعبئة عامة لأناس يعيشون مع بعضهم، فما هو جرمهم حتى يتكدر صفو انسجامهم؟

لو دققنا النظر لوجدنا أن هذه الصراعات ليست من أجل إثبات حقيقة دينية معينة، أو من أجل إثبات رأي لمذهب ما، وإنما ليخدم قضية سياسية تختلف حولها الأطراف، فلماذا نعطي الموضوع عنوانًا طائفيًّا؟ قبل مدة نشرت الصحف المحلية تعميمًا من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة، يطالب خطباء الجمعة والدعاة بألّا يُعمّموا في أدعيتهم على اليهود والنصارى، وهذا هو المنهج القرآني، لكن لماذا يُغفل عن هذا التوجيه السليم حينما تحصل نزاعات داخل الأمة نفسها؟ ما هذه التعبئة المقيتة في مجتمعات يختلط فيها السنة والشيعة، فيسمع الناس خطباء الجمعة يعبئون ضد هذه الطائفة أو تلك، ماذا سيكون تأثير هذه الخطب والتعبئة على الناس فيما بينهم؟ هذا يضر بالوحدة الوطنية ووحدة الأمة، وهو مخالف لتعاليم الإسلام.

لديك مشكلة مع طرف سياسي فلماذا التحريض المذهبي والتعميم على أهل هذا المذهب وذاك، هذا منحى خطير. ومع الأسف الشديد نرى أن هذا التوجه يزداد في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ولا شك أنه لخدمة أغراض سياسية. على العقلاء أن يتساموا على هذه الأجواء، وأن يبثوا لغة الاعتدال، ومنهج الوحدة الوطنية والإسلامية، الوحدة ليست تكتيكًا يتحدث عنه في وقت، ويضرب عنه الصفح في وقت آخر، الحوار الوطني ليس تكتيكًا مؤقتًا، وكذلك حوار المذاهب والأديان، هذا منهج، ونحن في أوقات المحن أحوج إلى هذه العناوين. في هذا الظرف العصيب الخطير نحن أحوج إلى تفعيل الحوار الوطني من الأوقات السالفة.

لذلك نؤكد تعزيز هذا النهج، وندعو كلّ الواعين والعقلاء إلى أن يتساموا على

هذه اللغة الطائفية المقيتة، وعليهم أن يتحمّلوا ما يواجهون من ضغوط فإنّ الواعي المتمسك بقيم القرآن والإسلام عليه ألّا يخضع لهذه الضغوط ليكون صادقًا ومخلصًا لقناعاته والقيم التي يؤمن بها.

الأخلاق الفاضلة التزام دائم

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «عوّد نفسك الجميل فإنه يجمل عنك الأحدوثة ويجزل لك المثوبة»[1].

هناك لونان من الأعمال والممارسات التي تصدر من الإنسان: اللون الأول: أعمال ضمن ما اعتاد عليه الإنسان وأصبح جزءًا من برنامجه، أما اللون الثاني فهي الأعمال العارضة التي تحتاج إلى تفكير وتوجه للقيام بها.

اللون الأول يطلق عليه عادات. وهي ما تعوّد الإنسان ممارسته، دون حاجة إلى تفكير؛ لأنه اعتاد وألِف ممارسته، فيسهل عليه. ومعظم أعمال الإنسان وتصرفاته من هذا النوع. فالإنسان كما يقول علماء النفس: مجموعة من العادات تمشي على الأرض في كلامه ولباسه وشربه ومختلف ردود فعله، يتصرف في كلّ شيء غالبًا من وحي ما اعتاد عليه، يؤديه تلقائيًّا. كطريقته في المشي والكلام واللباس. والإنسان يقوّم من خلال عاداته التي أَلِفها وليس من خلال الأشياء الاستثنائية الطارئة، لهذا عليه أن يراعي هذا الجانب أكثر من مراعاته للأمور الاستثنائية في حياته.

قالوا بأن العادة إنما تتحقق عند الإنسان إذا تحقق أمران: الميل النفسي للعمل، وتكرار العمل. وإذا توفر أحد الأمرين دون الآخر فإنه لا يتحول إلى عادة. فالمريض مثلًا قد يستمر مدة في تناول الدواء لكن ذلك لا يُعدّ عادة؛ لأنه لا يحبّه، بعكس

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٦٠، حكمة ١٥.

التدخين مثلًا حيث يقوم به الإنسان برغبة منه.

إنّ على الإنسان أن يعوّد نفسه الأشياء الطيبة فيكررها ويؤديها برغبة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «عوّد نفسك الجميل»، وفي كلمة أخرى عنه عليه السلام: «عود نفسك السماح، وتخير لها من كل خلق أحسنه»[1]. فكر في الطريقة المثلى للمشي مثلاً، ورغّب نفسك فيها وكررها، وهكذا طريقة الكلام والتعبير عمّا في النفس، عوّد نفسك لغة مناسبة تستخدمها، إذا كررت الأسلوب وشوقت نفسك إليه تصبح عادة جميلة. علي عليه السلام يقول: «عوّد نفسك الجميل فإنه يجمّل عنك الأحدوثة»، أي إن حديث الناس عنك سيكون جميلًا، وأيضًا «ويجلب لك المثوبة»، أي الثواب العظيم من الله تعالى.

تنمية العادات الحسنة

يتعلل البعض بأن طبعي هكذا ولا يمكنني تغييره. هذا خطأ، فكلّ الطباع يمكن استبدالها ببذل الجهد والوقت وتحفيز الذات. الأعمال الطيبة تارة تصبح برمجة في النفس يمارسها الإنسان دائمًا، وتارة تكون لبعض الظروف فقط. ومن الأمثلة على ذلك:

- إنسان يعود نفسه إلقاء التحية على من يقابله، أيًّا كان، بينما البعض يتأمل في مَنْ يريد السلام عليه هل يعرفه أم لا؟ يستحقّ أو لا؟! فهذا لا يكون إلقاء التحية عادة عنده. فيما يطالب الإسلام بأن تكون هذه عادة: «من لقيته فحيّه».
- في آداب وأنظمة المرور يلزم بعض الناس أنفسهم التقيّد بها، يربط حزام السلامة، يتقيد بالإشارات وحدود السرعة. بينما البعض الآخر إذا مرّ على نقطة تفتيش ربط حزامه! وإذا كان هناك مراقبة تقيّد بالإشارات!

يحتاج الإنسان أن يبرمج نفسه على أن تكون الممارسات الطيبة طبيعة عنده، في سلوكه وكلامه وتعامله مع الناس، بغضّ النظر عمّن يكون أمامه ومن يتعامل معه.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٤، ص٢٣٢.

بعض الناس يحسن التعامل مع البعيدين حفاظًا على سمعته، لكن القريبين منه يأخذ راحته معهم، بما قد يؤذيهم، هذا يعني أن حسن التعامل لم يصبح عادة. كتب أحد الشباب يقول: دخل معي أبي في حوار على مواقع التواصل الاجتماعي، وهو لا يعرف أني ابنه، حيث كنت أكتب باسم مستعار، بينما كنت أعلم أنه والدي، وكان لي رأي خلاف رأيه. بينت له رأيي، فاختلف معي ولكنه قال لي: هذا رأيك وأنا أحترمه ولي رأي آخر. يقول الشاب: في البيت فتحت النقاش حول نفس الموضوع واختلفنا، فغضب الأب وقال: (انطم وكل تبن) كما يُعبّر باللهجة الدارجة!

هذه ازدواجية، تدلّ على أن حسن التعامل ليس عادة عنده، وانما حسب الظروف والأشخاص، مع امرأة أجنبية يتعامل بشكل حسن، مع زوجته لا، خارج البيت جيّد، وداخله غير ذلك. في بلده يحسب حسابًا لتصرفاته وأخلاقه، وفي السفر لأن الناس لا يعرفونه لا يرى نفسه مقيدًا بالآداب والأخلاق. الإنسان ينبغي أن يلزم نفسه الأخلاق الكريمة مع الجميع، وأينما كان، وفي مختلف الظروف.

كم من المشاكل تطرح على هذا الصعيد، قالوا إنّ شخصًا كان جالسًا في مطعم ونظر إلى من حوله وتحدث عنهم بسوء لأنهم كما اعتقد لا يعرفون لغته، وعند انصرافه مرّ بهم فقال له أحدهم: شكرًا لك، فصعق لذلك وخجل واعتذر إليهم، لماذا أسأت الحديث عنهم؟ فقط لأنهم لا يعرفون لغتك!؟ النبي ﷺ كان يمنع لعن الدواب، حتى لا يتعود الإنسان هذه الألفاظ النابية، وعلي عليه السلام يؤكد في هذه الوصية أن على الإنسان تعويد نفسه دائمًا وأبدًا على الفعل والكلام الجميل، ألّا يكون التزامك الأخلاق والعمل الجميل من وحي الظروف والمصلحة وإنما برمجة للنفس على الأمور الطيبة. «عوّد نفسك الجميل»، لا شأن لك بالطرف الآخر، الورود ذوات الروائح العطرة تكون للجميع لا تتغيّر، مَر بها إنسان أو حيوان، مؤمن أو كافر، فلتكن نفسك كالورود تنبعث منك الروائح الجميلة بأخلاقك وتعاملك الحسن، «فإنه يجمل عنك الأحدوثة ويجزل لك المثوبة».

إرهاب وإجرام باسم الإسلام

جاء في صحيح مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا»[1].

يريد الله تعالى للبشر أن يعيشوا فيما بينهم حياة السلام والوئام فلا يعتدي أحدٌ على أحد، حيث قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٠٨]، ونهاهم عن العدوان على بعضهم بعضًا، قال تعالى: ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[سورة المائدة، الآية:٨٧]، لكن البشر يبقون بشرًا وليسوا ملائكة، في نفوسهم وأعماقهم نوازع للشر والعدوان إن لم يلجمها الإيمان والنظام والقانون. وحينما يتعرض الإنسان لعدوان أو ظلم فإن الله تعالى شرع وأجاز له، وفي بعض الأحيان أوجب عليه، أن يدافع عن نفسه وأن يرد العدوان. فشرع الإسلام الحرب والقتال من أجل الأغراض الدفاعية ولرد الظلم والعدوان في حياة البشر، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [سورة البقرة، الآية:١٩٣].

الحرب بطبيعتها تفجّر عند الإنسان نوازع الشرّ، وتخرج من الإنسان أسوأ ما

(١) صحيح مسلم، حديث ١٧٣١.

فيه. تنفلت غرائز البطش من كل طرف تجاه الطرف الآخر، ولهذا فإن الإسلام يضع ضوابط وأخلاقيات في الحرب المشروعة، ولا يريد لأبنائه في حروبهم ومعاركهم أن ينفلتوا من الضوابط والأخلاق؛ لأن هذا الانفلات يخالف القيم التي يفترض أنهم يقاتلون من أجلها. حينما استولى معاوية وأصحابه على الماء في صفين منعوا جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من الماء استجابة لنوازع البطش والانتقام، لكن الحال لم يدم لجيش معاوية إذ انتزع جيش علي عليه السلام المشرعة منهم، وأصبحت تحت سيطرته، «فقال له أصحابه وشيعته: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين! كما منعوك،ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضًا بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال: لا والله، لا أكافئهم بمثل فعلهم، أفسحوا لهم عن بعض الشريعة»[1].

للحرب أخلاقيات وضوابط

الإنسان المبدئي لا يرضى لنفسه أن ينفلت من ميدان القيم حتى وهو يخوض الحرب ضدّ أعدائه، بل يلتزم بها. الحديث الوارد في مصادر المسلمين، سنة وشيعة، يشير إلى أن النبي صلى الله عليه وآله إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله»، أي اجعلوا القيم نصب أعينكم وأنتم تقاتلون، فأنتم لا تقاتلون من أجل مغانم ومصالح، وإنما من أجل الانتصار للقيم وردع الظلم والعدوان، فهناك ضوابط يجب أن تحافظوا عليها، «اغزوا ولا تغلوا» والغلّ في الحروب هو نهب الطعام والشراب من الطرف الآخر، وهي عادة جاهلية منعها الإسلام. «ولا تغدروا» حينما يكون هناك اتفاق «ولا تمثلوا» والتمثيل هو العبث بجثث القتلى، وقد روى أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور». وأخيرًا «ولا تقتلوا وليدًا». فالأطفال لا يصحّ أن يستهدفوا في الحرب.

---

(١) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. ج ١، الطبعة الأولى١٤٠٧هـ، (بيروت: دار الجيل)، ص٢٤.

نقرأ عن معاهدة جنيف التي وضعت في أوروبا سنة ١٩٤٩م حول التعامل مع الأسرى وقضايا الحروب، في حين أن الإسلام سبق إلى ذلك بقرون، ووضع تعاليم وأخلاقيات للحرب والقتال، فإذا قاتل الإنسان فليقاتل بشرف، وإذا كانت عنده شجاعة فليمارسها في ساحة المعركة. كما حرم الإسلام قتال من لم يقاتل، كالأطفال والنساء والشيوخ، وكلّ من هم خارج ساحة المعركة من المدنيين.

ورد أن رسول الله ﷺ في إحدى الغزوات أُخبر عن امرأة مقتولة، فأنكر ﷺ قتل النساء والصبيان وقال: «لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا، ولا امرأة». وحرم الإسلام التمثيل بالجثث، حيث كانوا في الجاهلية إذا قتلوا شخصًا احتزّوا رأسه وأبرزوه علامة للانتصار عليه، وبعضهم حيث كانوا يمثلون بجثة القتيل كما صنعوا بجثة حمزة عمّ رسول الله ﷺ، حيث جاءت هند وبقرت بطنه ولاكت كبده بأسنانها كما تقول بعض الروايات.

وهناك حديث جميل عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أعفُّ الناس قتلة أهل الإيمان»، أي في قتالهم يكونون أعفّ من غيرهم؛ لأن الإيمان لا يسمح للمؤمن أن ينفلت من الضوابط والقيم حتى في ساحة الحرب مع أعدائه.

فظائع الإرهاب باسم الدين

حينما نقرأ هذه التعاليم التي وردت في الأحاديث والنصوص الدينية في كتب المسلمين كافة، وحينما نقرأ في السيرة النبوية كيف كان رسول الله ﷺ، وكيف كان الخيرة من أصحابه يراعون الأخلاق والآداب أثناء الحرب ثم ننظر ما يجري الآن من قبل أناس يدّعون الانتساب إلى الإسلام، وأنهم يحملون رايته ويقاتلون من أجله، يسمّون ألويتهم وكتائبهم بأسماء الصحابة والخلفاء وكلّ ما له صلة بالإسلام، لكنهم يمارسون أبشع الممارسات! لا يكاد يمرّ يوم إلا ونسمع عن تفجيرات بعمل انتحاري، وأين؟ في الأسواق والمطاعم والمساجد والأماكن الدينية! هل هذا من الدين؟ هل

هذا من الإنسانية؟ إذا كنت ترى نفسك صاحب قضية وتقاتل من أجلها فلتقاتل بشرف في ميدان القتال، ما لك وللمدنيين؟ ما هذا الأسلوب الإجرامي الذي أصبح يغطي أغلب بقاع المسلمين، وحتى خارج بلاد المسلمين؟

وأصبح العالم يشاهد كيف يُمارس التمثيل بجثث القتلى، يقتلون الإنسان ثم يخرجون قلبه، وينشرون ذلك متفاخرين! يقتلون أناسًا أبرياء ليسوا في معركة القتال، ثم يسحلون جثثهم في الشوارع، وينشرون الصور، ما هذا؟

لقد شوهوا الإسلام وأصبح الناس في المجتمعات الأخرى ينظرون إلى المسلمين أنهم وحوش لا مكان عندهم للأخلاق ولا للإنسانية. ومن حقّ الآخرين أن ترتسم عندهم هذه الصورة، مع أن التعميم خطأ، ولكن حين تتكرر هذه الصور فماذا يمكن أن يبرر هذه الحالة والفعلة؟

أدخلوا الرعب في القلوب، حوّلوا حياة المجتمعات الإسلامية إلى جحيم، كفى تشويهًا للإسلام والمسلمين، كفى نشرًا للرعب في مجتمعات المسلمين والمجتمعات الإنسانية كافة.

الخطبة الأولى

ثقافة الاستعداد وحالة الاسترسال

عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: دخلت على أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شهر شعبان فقال لي: «يا أبا الصلت، إنّ شعبان قد مضى أكثره، وهذا آخر جمعة فيه، فتدارك فيما بقي تقصيرك فيما مضى منه، وعليك بالإقبال على ما يعنيك، وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن وتب إلى الله من ذنوبك، ليقبل شهر رمضان إليك وأنت مخلص لله عزّ وجلّ، ولا تَدعنّ أمانة في عنقك إلا أدّيتها، وفي قلبك حقدًا على مؤمن إلا نزعته، ولا ذنبًا أنت مرتكبه إلا أقلعت عنه، واتقّ الله وتوكّل عليه في سرّ أمرك وعلانيتك، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر، اللهم إن لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه، فإن الله تعالى يعتق في هذا الشهر رقابًا من النار؛ لحرمة شهر رمضان»[1].

من معالم الجدّية في شخصية الإنسان استعداده وتهيؤه لما هو مقبل عليه من الأمور والمهام. يأتي هذا النمط من السلوك مقابل حالة يعاني منها كثير من الناس، وهي الاسترسال واللامبالاة. يقوم البعض بعمل ما وهو سارح الذهن وغير مركز على العمل الذي يقوم به، حتى يصبح ذلك سمة في كل أعماله، بينما الإنسان الجادّ

(١) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٠١، حديث١٧.

لا يرضى لنفسه حالة الاسترسال بل يُقبل على كلّ عمل صغيرًا كان أو كبيرًا باهتمام وتركيز وتهيؤ واستعداد، وهذا السلوك يعتبر مؤشّرًا من مؤشّرات النجاح.

الجدّية والاهتمام في التعامل مع الناس

حالة الاسترسال في إنجاز الأعمال وعدم التركيز في أدائها حالة خاطئة قد تسبب أخطارًا كبيرة، خاصة فيما يرتبط بقضايا الناس، ومن الأمثلة على ذلك:

- الطبيب. إذا كان جادًّا في عمله مهتمًّا بمرضاه، تجده يتسلّم ملف المريض ويطّلع عليه بعناية، حتى يستقبل المريض وقد تعرف على حالته، ويبدأ مناقشته والاستفسار عن حالته المرضية، حتى يكون واثقًا من تشخيصه للمرض. بينما إذا كان طبيبًا غير مبالٍ بعمله وبمرضاه، فقد يدخل عليه المريض وهو مشغول بجواله، يرسل رسالة أو يستقبل أخرى، أو يجري مكالمة، أو يكلم، ولربما لم يكلف نفسه الاطّلاع إلا تصفحات على ملف المريض، ويكتفي بسؤال المريض مجاملة ولا يعنيه أن يسمع كامل التفاصيل منه، ولا يكلف نفسه شرح المرض للمريض.
- الموظف. يتسلّم المعاملة من المراجع ولعلها لا تحتاج أكثر من دقائق لإنجازها، لكنه بسبب انشغاله بأشياء خارج عمله كقراءة جريدة، أو رسائل جوال أو حديث مع شخص آخر، يطلب من المراجع مراجعة معاملته بعد يومين، ولربما مدة أطول!
- المعلم. الذي يحضر الصف دون أن يحضّر الدرس الذي سوف يشرحه للطلاب. سيما الآن مع تجدّد المناهج وتطور العلم والتقنية التعليمية، يحتاج المعلم إلى مواكبة ذلك حتى يفيد الطلاب.
- الخطيب. أو عالم الدين الذي سيلقي خطبة أو كلمة على المستمعين، لا يَصحّ أبدًا أن يأتي ويلقي على جمهور أصبح واعيًا مثقفًا دون أن يحضّر تحضيرًا جيدًا للكلمة التي سيلقيها عليهم، وأن يكون واضحًا لديه ما هي الأمور التي

يناسب أن يطرحها ليفيدهم بها، ويعالج القضايا التي تلامس واقعهم.

التهاون في هذه الأمور وعدم المبالاة يعتبر خيانة للأمانة، وهو خلاف تعاليم الدين الذي يربي الإنسان على أن يكون جادًّا في حياته وعمله، وأن ينظّم أموره، بعيدًا عن الفوضى والاسترسال واللامبالاة، هذا التوجيه الذي نجده في كل برنامج ديني.

فالصلاة مثلًا لها مقدمات واجبة ومستحبة قبل البدء بها، كالوضوء والأذان والإقامة، وقراءة بعض الأدعية المأثورة، حتى يدخل الإنسان إلى الصلاة وهو متهيئ نفسيًّا.

المائدة كذلك لها آداب، لا أن يأتي الإنسان وينقض على الطعام، بل يستحب له غسل اليدين، والبسملة وقراءة بعض الأدعية المأثورة ثم يبدأ بتناول الطعام. وعليه أن يستحضر عظيم النعم المتوفرة بين يديه، فوجود الماء نعمة، وقدرته على الشرب نعمة، ثم يذكر اسم الله ويشرب حتى يشكر لله على هذه النعمة. وحتى لدخول الخلاء لقضاء الحاجة هناك آداب كالدعاء قبل الدخول، واستحباب تقديم الرجل اليسرى عند الدخول، واليمنى عند الخروج.

هذا كله حتى يدربك الإسلام على إتقان أي عمل تقوم به، تريد أن تحضر اجتماعًا اداريًا تهيأ له قبل حضورك، ماذا ستقول في هذه الاجتماع؟ ماذا يمكن أن تسمع؟ ما هو المطلوب منك؟ بل حتى وأنت تريد زيارة أحد، فكر كيف تكون الزيارة ناجحة موفقة، وتفاعلاتها هكذا ينبغي أن يكون الإنسان.

التهيؤ لاستقبال شهر رمضان:

في هذا السياق تأتي الروايات حول تهيؤ الإنسان المؤمن لاستقبال شهر رمضان. حيث ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة كان يوجه الناس من خلالها قبيل شهر رمضان، حتى يُهيؤهم لاستقبال هذا الشهر المبارك، وكذلك وردت خطب عن عليّ عليه السلام وروايات عن سائر الأئمة عليهم السلام، كلّها تصب في هذا السياق، ومنها الرواية التي ينقلها عبد السلام الهروي عن الإمام الرضا عليه السلام. في مجتمعاتنا نتهيأ ماديًّا لاستقبال شهر رمضان بتفقد حاجات البيت حيث تزدحم الأسواق لشراء المواد الغذائية، وكأن

شهر رمضان هو شهر الطعام والشراب! كل التقارير تشير إلى أن استهلاك المواد الغذائية يزيد في شهر رمضان، فأين استعداداتنا الروحية والاجتماعية؟

- صيام أيام قبل رمضان

تؤكد بعض النصوص أهميّة التهيؤ لاستقبال شهر رمضان بصيام رجب وشعبان، أو صيام شعبان، أو صيام أيام من شعبان، وهو الشهر «الذي كان رسول الله ﷺ يدأب في صيامه وقيامه في لياليه وأيامه»، أو لا أقلّ صيام الأيام الأخيرة من شهر شعبان، ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من صام ثلاثة أيام من آخر شعبان ووصلها بشهر رمضان كتب الله له صوم شهرين متتابعين»[1].

- طهارة المال

هل الطعام الذي ستفطر عليه بعد يوم شاقّ من الصيام من مال حلال؟ يأتي التأكيد على هذا الأمر من رسول الله ﷺ حيث قال: «كلوا الحلال يتم لكم صومكم»[2]. وعنه ﷺ: «العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل وقيل كالبناء على الماء»[3]. لذلك على الإنسان قبل شهر رمضان أن يطهر أمواله، بإخراج حقوق الله من خمس وزكاة، وحقوق الناس. ومن كان عليه شيء من تلك الحقوق فليكن شهر شعبان فرصة له ليحاسب نفسه، حتى يدخل عليه الشهر الكريم وماله طاهر نقي من حقوق الله وحقوق الناس.

- تصفية النفس

وذلك بالتوبة وترك الذنوب، ونزع الضغائن والأحقاد من القلب تجاه كلّ أحد قريب أو بعيد، لا تدع في قلبك ذرة حقد على أحد، لتستقبل شهر رمضان بنفس راضية طيبة، حتى تضمن رضا الله تعالى وتنال كرامته في هذا الشهر الكريم.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص ٩٤.

(٢) إرشاد القلوب للديلمي.

(٣) بحار الأنوار، ج٨١، ص ٢٥٨، حديث٥٦.

الخطبة الثانية

أزمات الممارسة السياسية في العالم العربي

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «من سما إلى الرياسة، صبر على مضض السياسة»[1].

تمثل السلطة الموقع الأقوى في كلّ مجتمع بشري. فمن يتبوأ هذا الموقع يكون له النفوذ والتأثير الأهم على الناس والحياة، لذلك يشتدّ التنافس على هذا الموقع. الذي لا يتطلع إليه إلا الأكثر ثقة وطموحًا وهذا أمر ينطبق على كلّ المجتمعات، حتى مجتمعات المتدينين، تعيش نفس الصراع والتنافس على مواقع السلطة. وتعتبر الصراعات السياسية على السلطة من أشدّ الصراعات في المجتمعات البشرية، وقال الشهرستاني: (ما سُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سُلّ على الإمامة في كلّ زمان)[2].

وتاريخ البشرية مليء بالشواهد حول الصراعات السياسية، والاقتتال على الوصول إلى السلطة، وهذا ما جعل المفكرين يبحثون عن حلٍّ للحدّ من عنف هذه الصراعات. من هنا انبثقت فكرة تنظيم التنافس السياسي وإدارة الصراع على السلطة. فالسياسة مجال مفتوح للجميع ومن يجد في نفسه كفاءة فليتفضل، ولكن ليس بالأسلوب

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٤٧، حكمة ٨٢٥.

(٢) محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، طبعة ١٩٦٨م، (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه)، ص٢٢.

القديم وهو استخدام القوة والحرب، بل بفتح أفق آخر وهو التنافس الإيجابي وتنظيم الصراع السياسي.

الإدارة السلمية للتنافس السياسي

هذا التوجه يتبلور في المعادلة التالية:

أولًا: الإقرار بمرجعية الشعب. حتى يتمكن الفرد من قيادة الناس سياسيًّا، ويتولى تدبير شؤونهم، فلا بُدّ له من كسب رضاهم؛ لأنّ الشعب هو مصدر الشرعية لأيّ سلطة. الأمر لم يَعُدْ كالسابق، حيث يسطو شخص على الحكم بالقوة، بل لا بُدّ أن يضمن تأييد الناس له حتى يتولى منصب القيادة والحكم.

ثانيًا: التنافس السياسي ضمن إطار قانون يضمن للجميع حقّ التنافس على السلطة، فكلّ من يجد في نفسه الكفاءة والقدرة يمكنه خوض ساحة الصراع السياسي دون تمييز بين الأعراق، أو الأديان، أو القوميات، أو الجنس ذكورًا وإناثًا، والمجال مفتوح للجميع، وهذا ما نجده في المجتمعات المتقدمة. في أمريكا وأوروبا هناك مسلمون وصلوا إلى مواقع سياسية، والرئيس الأمريكي الحالي «باراك أوباما» من عرق آخر ولم يمنعه ذلك من الوصول إلى رئاسة الدولة.

ثالثًا: التداول السلمي للسلطة. هناك مدة زمنية للرئاسة ولمختلف المواقع كالبرلمان، بعدها يتم الترشح من جديد، ومن يضمن أصواتًا أكثر من الشعب يصل إلى ذلك الموقع.

عبر هذه المعادلة استطاعت المجتمعات المتقدمة أن تحلّ مشكلة العنف في الصراع السياسي. وإن كانت طبيعة التنافس على السلطة تستدعي الصراع، لكن الأمر أصبح أكثر انضباطًا، وتحت نظر القانون، وانتهى عصر القتال والحروب على السلطة، وإنما يدار الصراع عبر الإعلام والمال، والوسائل التي يشرعها القانون. وهذا هو

الطريق السليم الذي يجب أن تسلكه المجتمعات البشرية.

بؤس السياسة في العالم العربي

مجتمعاتنا العربية بعد لم تَسْرِ في هذا الطريق، ولا تزال تتخبط في أوحال الاحتراب السياسي، ولا زالت تعاني مرض السياسة المزمن، وطبيعة السياسة فيها مضض، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من سما إلى الرياسة صبر على مضض السياسة»، لكن المجتمعات المتقدمة بدأت تخفف من هذا المضض، وتقننه فأصبح مضضًا سلميًّا ـ إنْ صح التعبير ـ على خلاف مضض السياسة العربي فهو دمويّ فتّاك.

يقول عالم الاجتماع العربي ابن خلدون: «إنّ من عوائد العرب الخروج عن ربقة الحكم وعدم الانقياد للسياسة فهم متنافسون في الرئاسة، وقلّ أن يُسلِّم أحد منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه... فيتعدد الحكام منهم والأمراء... فيفسد العمران وينتقض، فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك»[1]. ومن يقرأ تاريخ السياسة العربي يصل إلى نظرة سوداوية عن ممارسة السلطة، أحد المفكرين العرب المعاصرين يقول: «على الرغم من التألق الروحي والعقلي والعمراني للحضارة العربية الإسلامية، فإن تاريخها السياسي ظلّ أضعف عناصرها على الإطلاق، وأشدّها عتمة، فهي حضارة جميلة ورائعة لكنها ظلت تعاني غالباً من «فقر دم سياسي» ومن «أنيميا سياسية» من حيث الواقع العملي»[2]. ومقولات كهذه، تشاؤمية كثيرة سجلها مؤرخون ومفكرون، يقول د. غسّان سلامة: «الخيار المتاح في التاريخ السياسي العربي ينحصر في الاختيار بين الاستبداد والفتنة، لا بين الاستبداد والحرية»[3].

لماذا يعيش العرب هذا التخبط في المجال السياسي؟ متى نصل إلى ما وصلت

---

(١) محمد جابر الأنصاري، السياسة العربية أين الخلل؟ الطبعة الأولى ١٩٩٨م، (بيروت: دار الساقي)، ص٢٢.

(٢) السياسة العربية أين الخلل؟، ص٧.

(٣) السياسة العربية أين الخلل؟، ص٢٦.

إليه الأمم الأخرى؟

لقد تفاءل الناس خيرًا بثورات الربيع العربي وأنها تدشنّ عصرًا جديدًا للمجتمعات العربية، بحيث يكون الحكم منبثقًا من إرادة الشعب، ويكون هناك ممارسة للتداول السلمي للسلطة، لكن مع الأسف الشديد، الانتكاسات والمعوقات التي واجهت الثورات الشعبية أدخلت الإحباط واليأس على أبناء هذه المجتمعات. لماذا لم يستطع الشعب المصري أن يدير ثورته العظيمة بشكل أفضل مما سارت عليه الأمور؟ وكذلك في ليبيا والمناطق المختلفة. لماذا مجتمعاتنا العربية لم تصل بعد إلى رُشْدٍ سياسي؟ النخبة السياسية في مجتمعاتنا ـ مع الأسف الشديد ـ لا تزال أسيرة الاحتراب الأيديولوجي والنوازع الأنانية والفئوية على حساب شعوبها وأوطانها.

قد تكون هذه الحالة أمرًا طبيعيًّا في هذه المرحلة الانتقالية التي تحصل فيها النكسات والمشكلات، ونأمل أن تكون شعوبنا مصرّة على بلوغ غاياتها وأهدافها في الحكم الرشيد.

واقعنا مع الأسف يكشف عن صعوبة شديدة في التوافق والتآلف حتى على أمور أقلّ من السلطة السياسية! عندنا في المملكة مثلًا كانت الأندية الأدبية تُعَيّن أعضاؤها ورئيسها عن طريق وزارة الإعلام والثقافة، ثم أصبح الأمر انتخابًا، ومع أنهم أدباء ومثقفون يفترض فيهم الوعي أكثر من غيرهم، لكننا نشهد كثيرًا من الصراعات في هذه الأندية، حتى تدخل القضاء والسلطة في الموضوع! والأندية الرياضية تعاني نفس المشكلة.

هذا يعني أن مجتمعاتنا في حاجة إلى مراسٍ أكثر، ووعي أكبر، حتى تتجاوز هذا الإرباك والتخبط في الإدارة والتنظيم.

الخطبة الأولى

ذكر الله ثراء روحي وانضباط سلوكي

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

[سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٣]

حضور أيّ شيء في ذهن الإنسان وتذكره له إنما ينطلق من أحد أسباب ثلاثة:

وجود حبّ وانشداد نفسي لأيّ شيء يجعله دائم الحضور على البال، وكثير الذكر على اللسان، ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال: «مَن أحَبَّ شَيئاً لَهِجَ بِذِكرِهِ»[1].

شعور الإنسان بالحاجة إلى شيءٍ يكون دافعاً لهيمنة ذلك الشيء على فكره، فحين الجوع والعطش، يعيش الإنسان دائماً هَمّ الحصول على الطعام والشراب.

وعند القلق والخوف من أمرٍ ما ينشغل ذهن الإنسان به، وقد يصاب بالهوس والوسوسة تجاهه.

العلاقة مع الربّ

طبيعة علاقة الإنسان بربّه عزّ وجلّ تفرض عليه أن يكون دائم الذكر لله تعالى. كلّ ما عند الإنسان من نعمة فهو من الله، وأصل وجوده من فضل الله عزّ وجلّ. كما

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. ص٣٢٥، حكمة٤٧.

أن الإنسان يفترض أن يعيش الشعور بالحاجة إلى الله تعالى. ومهما كان للإنسان من قدرة وإمكانية فهي ليست ذاتية، بدليل أنه لا يستطيع أن يحافظ عليها، وفي لحظة قد يفقد كلّ ما لديه. فهو محتاج إليه في كلّ تفاصيل حياته، وحين يعرف الإنسان قدرة الله تعالى عليه، وعلى الكون كلّه، فإنه يشعر بعظمة الله سبحانه، فيكون الله تعالى ملأ مشاعره وأحاسيسه.

وهذه مرتبة سامية في العبودية، وهي معرفة مقام الله تعالى كما يُعَبّر عنها القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾. لكن المشكلة تكمن في أن الإنسان يصاب بالغفلة، فينشغل بالاهتمامات الجزئية عن ذكر الله تعالى.

من هنا تأتي النصوص الدينية لإعادة توجيه الإنسان إلى توثيق العلاقة بربه، وتذكيره به. وهذا الزمن المبارك، وهو شهر رمضان، أفضل الأزمنة التي توجّه الإنسان إلى ذكر ربه، عبر تلاوة القرآن الكريم، والمناجاة. ورد عن رسول الله ﷺ: «ليس عمل أحبّ إلى الله، ولا أنجى لعبدٍ من كلّ سيئة في الدنيا والآخرة من ذكر الله تعالى»[١]. وفي حديث آخر أن أحد الأصحاب سأل رسول الله ﷺ: أيّ المجاهدين أعظم أجرًا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «أكثرهم لله ذكرًا». قال فأيّ الصائمين أعظم أجرًا؟ قال ﷺ: «أكثرهم لله ذكرًا». ثم ذكر السائل الصلاة، والزكاة، والحج، والصدقة، كلّ ذلك يقول ﷺ: «أكثرهم لله تعالى ذكرًا»[٢].

من ثمرات ذكر الله تعالى:

ذكر الله عزّ وجلّ من أسمى العبادات. وهي تعود على الإنسان بأفضل الثمرات، وأهمها:

---

(١) كنز العمال. ج٢، ص٢٤٦، حديث٣٩٣٧.

(٢) تفسير ابن كثير. ج٣، ص٤٩٧.

أولًا: الثقة والثبات مقابل الاهتزازات والاضطرابات.

حيث يواجه الإنسان في هذه الحياة صعوبات ومشاكل، وذُكر الله هو ما يثبت قلبه ويطمئنه؛ لأنها القوة التي يشعر بأنه يمكنه أن يركن إليها ويستمدّ منها العون، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

ثانيًا: ضبط السلوك.

يتعرض الإنسان في هذه الحياة لتأثير الشهوات وإغراءات الشيطان، فكيف يضبط سلوكه وتصرّفه؟ إنما يضبط سلوكه إذا كان الله تعالى حاضرًا في ذهنه. فكلما همّ بمعصية تذكر الله تعالى وترك المعصية.

حجّ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام على ناقته عشرين حجة، وكان يرفق بها كثيرًا، ويقول المؤرخون: أنه ما قرعها بسوط، وقال إبراهيم بن علي: حججت مع علي بن الحسين فتلكأت ناقته فأشار إليها بالقضيب ثم ردّ يده وقال: «آهٍ من القصاص»[1]. ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «وذكر الله على كلّ حال، ليس سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر فقط، ولكن إذا ورد عليك شيءٍ أمر الله به أخذت به، وإذا ورد عليك شيءٍ نهى عنه تركته»[2]. وورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «وذكر الله في كلّ موطن، أما إني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وإن كان هذا من ذاك، ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمت على طاعة أو معصية»[3]، يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾.

---

(١) باقر شريف القرشي، حياة الإمام زين العابدين، دراسة وتحليل. ج١، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، (بيروت: دار الأضواء)، ص٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار، ج٩٠، ص١٥٥.

(٣) وسائل الشيعة. ج ١٥، ٢٥٥.

ثالثًا: طاعة الله.

حين يكون الإنسان دائم الذكر لله عزّ وجلّ، فإنه يمتثل أوامره، لذلك ورد عن رسول الله ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته، ومن عصى الله فقد نسي الله، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن»[١]. وإذا أطاع الإنسان ربه فتحت له آفاق القرب منه.

رابعًا: عناية الله تعالى.

من أراد أن يكون الله معه في كلّ حين، ويدفع عنه السوء والبلاء، فليذكر الله عزّ وجلّ، حتى يذكره الله ويسوق له الخير: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. وذكر الله يكون في كلّ حين وفي كلّ آن، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ ثم يؤكّد الله تعالى بأن ذلك مدعاة لعنايته ونزول رحمته: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾. وأولى هذه العناية الربانية هو إخراج العبد من عتمة الظلام إلى دنيا النور: ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾.

خامسًا: المنزلة العظيمة عند الله تعالى.

من أراد أن يعرف منزلته عند الله، فلينظر منزلة الله تعالى في نفسه. فمتى كانت منزلة الله عظيمة عنده، فإن منزلته عند الله تعالى تكون كذلك. ورد عن رسول الله ﷺ: «من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه»[٢].

---

(١) وسائل الشيعة. ج ١٥، ٢٥٧.

(٢) بحار الأنوار. ج٩٠، ص١٦٣.

الخطبة الثانية

الحركات الإسلامية الضعف الذاتي والتحدّي الخارجي

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللّهِ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللّهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ»[1].

هناك أمور وأحكام في الدين تصنف بأنها قطعية وثابتة، لا مجال فيها للاجتهاد وإعادة النظر، مهما تغيّرت وتطورت أمور الحياة، كوجوب الصلاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام، وحرمة الزنا والربا والسرقة..

وهناك مساحة واسعة من الأحكام وتفاصيلها يطلق عليها أنها اجتهادية، تقبل اختلاف الرأي، وتتأثر بالمتغيرات والتطورات في حياة البشر.

وغالب ما يرتبط بشؤون الحياة العامة يدخل ضمن هذا الصنف الثاني، حيث يبذل الفقهاء جهدهم لاستنباط الأحكام مما يرتبط بشؤون السياسية أو الاقتصاد أو القضايا الاجتماعية، وإدارة شؤون حياة الإنسان هذا الاستنباط يكون في إطار القيم والمبادئ الثابتة، وضمن قواعد علمية معتمدة.

وما يفتي به الفقهاء يُعبّر عن رأيهم الاجتهادي، ولا يستطيع فقيه أن يقطع بأن ما أفتى به هو حكم الله الواقعي، لذلك تعارف الفقهاء أن يُذيّلوا آراءهم وفتاواهم بعبارة:

(١) صحيح مسلم، ص٩٥٣، حديث ١٧٣١.

والله اعلم.

فالرأي الفقهي أو الفكري اجتهاد يتوخّى الفقيه فيه الصواب لكنه يحتمل الخطأ، فإن أصاب فله أجران، وأن أخطأ فله أجر واحد، كما هو مضمون حديث نبوي.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ في وصاياه لبعض قادة الجيوش قوله ﷺ: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ. وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لاَ» ولا شك أن آراء العلماء والفقهاء تتأثر بظروف بيئاتهم وأحوال أزمانهم وعصورهم، وبمستوى العلوم والمعارف المتاحة لهم، من هنا نلحظ التطوير والتغيير في مسيرة الفقه والفكر الإسلامي، وهذا هو مبرر فتح باب الاجتهاد ووجوب وجود المجتهدين في كل عصر. حيث لا يمكن لتشريع وفقه ثابت محدود أن يستوعب اللا محدود واللا ثابت من المتغيرات.

هذه مقدمة نطرحها للحديث عن الدور المطلوب والمتوقع من الإسلاميين في هذا العصر وقد دخلوا ساحة العمل السياسي، وتصدّوا لمهام قيادية ضمن التحولات الثورية في المجتمعات الإسلامية.

مصطلح الإسلاميين

المسلمون هو الاسم الذي يطلق على أبناء الأمة الإسلامية، فكلّ فرد فيها يسمّى مسلمًا، وهذه التسمية من الله عزّ وجلّ، يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾. فالإسلام هوية كلّ من ينتمي إليه، ولم يكن في السابق مصطلح (إسلاميين) كما أصبح يطلق مؤخرًا على بعض الجماعات والتيارات.

مصطلح الإسلاميين نشأ في أعقاب سقوط الخلافة العثمانية. حيث قامت في كثير من أقطار المسلمين أنظمة حكم ترفع هوية غير الهوية الدينية، كالماركسية، والبعثية، والقومية، والعلمانية. وكانت هذه الحكومات تجاهر بمناوأة الإسلام، ومعاداة الملتزمين أحكامه، غير عابئة بمشاعرهم. فالحجاب الشرعي للمرأة المسلمة مُنع في عهد الشّاه رضا خان حاكم إيران آنذاك، وكذلك الحال في تركيا في عهد أتاتورك، ولا يزال الأمر قائمًا في تركيا حول منع المحجبات من دخول الحرم الجامعي، بالرغم من أنها دولة مسلمة! كما منعت بعض الدول تربية اللحية باعتبارها شعار التديّن، كما هو الحال في مصر، حيث يفرض على من ينظم إلى الجيش حلق لحيته. وصارت المواظبة على الصلاة مصدر قلق للسلطة الحاكمة، كما كان الحال في حكم البعث العراقي.

هذه الأنظمة ولّدت ردة فعل عند الغيارى على الدين والقيم الإسلامية. فاجتهدوا للدفاع عن هذه القيم، ومن أجل أن يكون الحكم في الأمة وفق الأحكام الإسلامية، وليس مخالفًا ومناوئًا للدين.

أطلق على هذه المجاميع التي تبنت هذا الدور فيما بعد الجماعات الإسلامية، أو الإسلاميون.

اتّسعت رقعة هذا التيار، وأصبح في كلّ بلدٍ جماعات تسعى لدفع الأمة للمطالبة بحكم الشريعة الإسلامية. فتشكلت ظاهرة الحركات الإسلامية في مجتمعات الأمة. وهي في الأصل تحمل هدفًا نبيلًا هو عودة الدين إلى حياة الأمة، ومواجهة السلطات التي أماتت أحكام الدين. لكن هذه الحركات، بمقدار ما كان لها إيجابيات كبيرة، من الطبيعي أن يكون لها سلبيات باعتبارها جهدًا بشريًّا لا يخلو من الثغرات والنواقص، إلا أن بعض هذه الحركات أوغلت في الاجتهادات الخاطئة حتى أضرّت بالأمة، وبسمعة الدين الإسلامي.

أخطاء وثغرات الحركات الإسلامية:

هناك أخطاء وثغرات في البنية الفكرية والثقافية لبعض هذه الحركات الإسلامية، ومن أبرزها العجز عن مواكبة العصر حيث يريد أتباع هذه الأحزاب أن يعيشوا كما عاش الأسلاف سابقًا، في عصر مختلف تمامًا عن تلك العصور. فهم لم يستطيعوا أن يستخرجوا التعاليم والنظم الإسلامية بطريقة تلائم واقع هذا العصر وتغيّراته. حيث تمنع بعض الجهات تعليم البنات مثلاً، وكثيرًا من الأشياء التي يحتاجها الناس في هذا الزمن، كما رأينا في في حركة طالبان في أفغانستان.

كما تبنت بعض هذه الأحزاب الإسلامية ممارسة العنف، وسادت أجواء معظمها ثقافة احتكار الشرعية والحقّ، وأن من يخالفهم فهو خارج الملة والدين.

وحين أتيحت الفرصة لبعض هذه الحركات أن يديروا السلطة أو يشاركوا فيها، تبين مدى ضعف القدرة والكفاءة الإدارية الذي يعانون منه، ولربما كان ذلك بسبب حداثة التجربة وقلة الخبرة.

من ناحية أخرى أظهرت هذه الحركات فشلًا ذريعًا في إدارة حالة التنوع حتى في داخلها وما بين فصائلها، فبمجرد أن تختلف الآراء والتوجهات في هذا الأحزاب تبدأ حالة النزاع والاحتراب فيما بينهم، حتى أصبح البعض يشهر السلاح ضد من يتبع حركة إسلامية أخرى تخالفه الرأي، كالقتال الذي نشب بين مجاهدين في أفغانستان وكما حدث في الصومال. حركة رأت أن تدير الحكم بطريقة معينة، وهي الحكومة القائمة في مقديشو، لكن الطرف الآخر وهو حركة الشباب الإسلامي لم يقبلوا بهذا التوجه، فعاش الطرفان ولا يزالان حالة احتراب بشعة على حساب مصالح شعبهم البائس ووطنهم المدمّر.

هذا الضعف والتعثر في مسيرة وتجربة الحركات الإسلامية، جعلها عرضة لاختراقات الاستخبارات الأجنبية والإقليمية.

فالقوى المستبدّة لا تريد للمسلمين أن يعودوا لمفاهيم دينهم، في قضايا الحكم والسلطة؛ لأنّ هذه القيم تمنحهم عزّة وقوة يستعصي على القوة الأجنبية إضعافها. لذلك تعمل هذه الجهات على إفشال أيّ حركة إسلامية تقترب من السلطة أو تصل إليها.

لسدّ الثغرات:

هذه الحركات الإسلامية وإن كان منطلقها نبيلًا، لكنها تواجه انتكاسات وصعوبات كبيرة، وعليها أن تراجع مواقفها وأخطاءها. وأن تواكب العصر، وتتخلى عن حالتها الفئوية الحزبية، وأن تنفتح أكثر على جمهور الأمة خارج إطار التصنيفات والاصطفاف الحزبي.

وعلينا أن ندرك أن الإعلام موجّه بقوة لتضخيم أخطاء هذه الجهات الإسلامية، ويعمل على شيطنتها، بترويج نقاط ضعفها تهويلًا وتهريجًا، لكن هذا لا ينبغي أن يمنع الأمة من التعرف على أبنائها الغيارى المخلصين ومساعدتهم على ترشيد التجربة، وتصحيح الأخطاء، وسدّ الثغرات.

كلّ ما يحدث الآن إنما يجري في سياق حركة الأمة نحو النهضة والتغيير والإصلاح، وحتى تصل إلى الغاية المنشودة، لا بُدّ من تجاوز الثغرات والمشاكل، وتحمّل العقبات والصعوبات.

الخطبة الأولى

أمّ المؤمنين خديجة مثلٌ أعلى

جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[(١)].

لأمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد فضل عظيم وحقٌّ كبير على كلّ مسلم يعتزّ بدينه؛ لدورها الكبير والأساس في نصرة هذا الدين، وفي بدايته الحرجة. هذه المرأة يجب الاحتفاء بها، ويجب أن تجلى شخصيتها كقدوة وكمثل أعلى للنساء، إنها امرأة لم تقبل لنفسها أن تكون في الهامش، وإنما أخذت موقعًا في مجتمعها، وكان لها تأثير على مسيرة التاريخ.

كانت خديجة عليها السلام تحترف التجارة، وقد كونت من هذه التجارة الواسعة ثروة عظيمة، وامتدت تجارتها إلى الشام حيث كان النبي ﷺ أحد المسافرين ضمن نشاطها التجاري إلى بلاد الأمّ. إن إدارتها لهذا التجارة الواسعة، وخاصة في ذلك الوقت، تكشف عن نفسية تمتلك مواصفات إدارية، وفهمًا للواقع العام في المجتمع. إضافة إلى ذلك، أنها اكتشفت مبكرًا الشخصية العظيمة لرسول الله ﷺ بنباهتها وبإدراكها. عرفت أن هذا الشخص ليس عاديًّا، وأنه متميز في سلوكه وأخلاقه وحركته، لذلك هي من خطبته لنفسها كما ورد في التاريخ. ولا ينسى لها الإسلام ورسوله موقفها في

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج١، ص٧٥٢، حديث٢٦٦٨.

تصديق رسول الله ﷺ وشدّ عزيمته، حينما حدثها ﷺ عن بداية نزول الوحي، وكان يعيش الرهبة لذلك الموقف، قالت له: «كلّا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتُقري الضيف وتُعين على النوائب»[١]، اكتشفت هذه الأخلاق المهمة في شخصية رسول الله ﷺ، واستنتجت منها أن شخصًا يحمل هذه الأخلاق، ويجسّد هذه القيم، لا يخزيه الله، ولا يسير في طريق الضلال أبدًا، لذلك سارعت وبادرت إلى التصديق به وبنبوته، فكانت أول من أسلم من النساء.

خديجة القدوة

خديجة قدوة في تكريس الحياة لخدمة الأهداف السامية. فهي لم تنشغل بما انشغلت به بقية النساء من اللهو والزينة والمكاسب الوقتية الآنية، وإنما وظفت ثروتها ومكانتها الاجتماعية في خدمة الرسالة والمبدأ، أعلنت أن كلّ ما تملك من عبيد وخدم ومال تحت تصرف رسول الله ﷺ.

قريش لم تكن راضية ومرتاحة لانطلاق دعوة الإسلام؛ لذلك اتخذوا موقفًا من النبي وممن سانده، فخديجة تلك المرأة المحترمة المقدرة في المجتمع، نالها الحصار وقوطعت، حتى إنّ بعض الروايات التاريخية تتحدث أنها عند ولادتها لم يحضرها أحد من النساء؛ لأنها كانت مقاطعة من قبل نساء مجتمعها، بعد أن كانت لها مكانة في أوساطهن! كلّ ذلك لأنها أيدّت ودعمت رسول الله ﷺ، وكانت تمثل السند النفسي الكبير للنبي ﷺ، قال ابن إسحاق: كانت خديجة أول من آمنت بالله وبرسوله، وصدقت ما جاء من عند الله عزّ وجلّ، ووازرته على أمره، فخففت بذلك عن رسوله، فكان لا يسمع شيئًا يكرهه، وتكذيب له ويحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها. إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتصدق قوله وتهوّن عليه أمر الناس[٢].

(١) صحيح البخاري. ج١، ص٦، حديث٣.
(٢) سبل الهدى والرشاد، الصالحي الشامي، ج ٢، ص ٣٠٠.

جدير بالمرأة المسلمة أن تتخذ من خديجة قدوة في مساندة الزوج. الذي يكافح في دروب الحياة ويواجه المشاكل، فيحتاج من الزوجة أن تقوم بدور الداعم له في مواجهة الآلام والمشاكل. في بعض الأحيان، حينما لا تكون الزوجة واعية، فإنها تضيف إلى زوجها آلامًا بطريقتها السلبية في التعامل. على الزوجة أن تدرك أن زوجها وهو يقبل إلى البيت بعد كدحه اليومي، يحتاج إلى دعمها ومساندتها، فعليها أن تستقبله بما يخفف عنه تلك المعاناة، وبما يريحه نفسيًّا وخاصة إذا كان يحمل همًّا رساليًّا اجتماعيًّا. أمّ المؤمنين خديجة كانت تقوم بهذا الدور لرسول الله ﷺ، فهي اكتشفت عظمته، ووضعت كلّ إمكاناتها المادية والاجتماعية في دعمه ماديًّا ونفسيًّا، ويمكننا أن ندرك أهمية دورها، إذا عرفنا الفراغ الذي تركته في حياة رسول الله ﷺ بعد وفاتها، حيث تألم وتأثر كثيرًا لفقدها الذي جاء في نفس العام الذي توفي فيه عمّه الرؤف المدافع عنه أبو طالب عليه السلام، حتى أطلق رسول الله ﷺ على ذلك العام عام الحزن.

في قلب رسول الله ﷺ

لكلّ ذلك فإن رسول الله ﷺ عرف لخديجة هذا القدر والمكانة، وتحدّث عنها في أكثر من حديث ومورد، حتى يبين مكانتها للأجيال المقبلة من أبناء الأمة، ولتكون أنموذجًا يقتدى به في مسيرة الحياة.

إنّ الزوج إذا منحه الله زوجة صالحة وفية كما هو شأن غالب الزوجات، فتلك نعمة عظيمة؛ لأنها تنجب للإنسان ذريته وأبناءه، وتتحمّل عناء الحمل والولادة ومخاطرها، وأعباء التربية وأتعابها، كما أنها الستر عليه كما يقول تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾.

النبي ﷺ كان يتحدث كثيرًا عن مكانة خديجة وفضلها، حتى إنّ بعض نسائه غرن منها، ماتت خديجة لكن ذكرها كان حيًّا في قلب رسول الله ﷺ. تقول عائشة: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى يَذْكُرَ خَدِيجَةَ فَيُحْسِنُ

الثَّنَاءَ عَلَيْهَا ، فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ فَأَدْرَكَتْنِي الْغَيْرَةُ ، فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ إِلا عَجُوزًا فَقَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ، فَغَضِبَ حَتَّى اهْتَزَّ مُقَدَّمُ شَعْرِهِ مِنَ الْغَضَبِ ، ثُمَّ قَالَ: «لا وَاللَّهِ، مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي فِي مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا أَوْلادًا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلادَ النِّسَاءِ». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي لا أَذْكُرُهَا بِسَيِّئَةٍ أَبَدًا[١]. وفي نصٍّ آخر تقول عائشة: «ما غِرتُ على أحدٍ من نساءِ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ما غِرتُ على خديجةَ، وما رأيْتُها، ولكن كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُكثرُ ذِكرَها»[٢].

ومن عرفان رسول الله ﷺ لخديجة، أنه كان حينما يذبح الشاة يسأل عن صديقات خديجة فيهديها لهنّ وفاءً لخديجة. وقد ورد أنه «أتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ اللهِ، هذه خديجةُ قد أَتَتْ، معها إناءٌ فيه إِدامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ، فإذا هي أَتَتْكَ فاقرَأْ عليها السلامَ مِن ربِّها ومنِّي، وبشِّرْهَا ببيتٍ في الجنةِ مِن قَصَبٍ لا صَخَبٌ فيه ولا نصبٌ»[٣].

هكذا كانت أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد سلام الله عليها ورزقنا شفاعتها وثبتنا على محبتها ومحبة ذريتها، وبها ينبغي أن تقتدي كلّ فتاة وامرأة مسلمة.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص١٨٢٤، حديث٣٥٧.
(٢) صحيح البخاري، ص٤٩٢، حديث٣٨١٨.
(٣) صحيح البخاري، ص٤٩٣، حديث٣٨٢٠.

الخطبة الثانية

العمالة المنزلية: التحدي الحقوقي والأخلاقي

ورد عن رسول الله ﷺ في خطبة له في استقبال شهر رمضان: «أيّها الناس، من حسّن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جوازًا على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفّف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفف الله عنه حسابه، ومن كفّ فيه شرّه كفّ الله عنه غضبه يوم يلقاه»[1].

علاقة الإنسان بمن حوله من الناس تمثل الامتحان الأكبر له في هذه الدنيا. فمصالح حياته متداخلة مع من حوله، وهو ـ كما هم ـ بشر، لكلّ واحد رغباته وانفعالاته ومصالحه، وذلك يوجب في بعض الأحيان تنافرًا واختلافًا، فكيف يتعامل الإنسان مع من حوله؟ هل يؤدي لهم حقوقهم؟ هل يقوم بواجباته تجاههم؟ هل يُحسن إليهم؟ ثم ماذا إذا صدرت من أحد إساءة تجاهه، هل يكيل الصاع صاعين أم يستوعب تلك الإساءة؟

هذا هو الامتحان الأكبر أمام الإنسان كما يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾[سورة الفرقان، الآية: ٢٠]. والمادة الأخطر في هذا الامتحان، تعامل الإنسان مع من هو أضعف منه ومن هو تحت سيطرته. قد يجبرك القوي على أن تتعامل معه جيّدًا، ولكن ماذا عن الضعيف كيف يكون التعامل معه؟

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٦٦.

النصّ الذي بدأنا به الحديث، يشير إلى هذا الجانب حيث يقول ﷺ: «من خفف في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه»، الأشخاص الذين هم تحت ملك الإنسان، وإن كان ملك اليمين قد ولّى زمنه، لكن المعنى أعمّ، إذ يشمل كل من تحت سلطة الانسان، كالزوجة، والأولاد، وأيضًا العمالة والخدم والموظفين.

وقد باتت مسألة العمالة المنزلية في مجتمعاتنا تمثل تحدّيًا أخلاقيًّا كبيرًا، وحيث إن تطورات الحياة ألزمت أكثر العوائل أن يكون لديها سائق، وعاملة لخدمات المنزل، فأصبح لدينا عدد ضخم من العاملين في المنازل. هذا العدد الكبير من الخدم الذين يأتون من مجتمعات أخرى، قد تختلف في عاداتها وثقافتها وتقاليدها عن مجتمعاتنا. فيأتي هذا الخادم أو الخادمة إلى مجتمع جديد، لم يألف لغته وثقافته وتقاليده، وبعضهم وخاصة العاملات، ترى نفسها بعيدة عن أجواء عائلتها، والديها، أو زوجها وأطفالها، وبعضهن تأتي تاركة وراءها أطفالها الصغار، بحثًا عن لقمة العيش. فكيف يكون التعامل مع هذه الشريحة؟

معاناة العمالة المنزلية

مع الأسف الشديد، نقرأ ونسمع في وسائل الإعلام أخبارًا كثيرة تدلّ على معاناة مذهلة في هذا الوسط. هذه المعاناة قد تدفع بعض الوافدين للانتحار، أو الهروب من بيت الكفيل، أو ممارسة الإجرام ضد أهل البيت سيما الأطفال.

ما الذي يدفع هؤلاء الوافدين للقيام بهذه الأعمال؟ قد يكون لحالتهم الاجتماعية والتربوية دخل في اندفاعهم نحو هذه المنزلقات، وقد تكون بسبب طبيعتهم وعدم تربيتهم، لكن السبب الرئيس هو ما يواجههم من سوء التعامل، ومن مفرداته ما يلي:

أولًا: عدم وجود ساعات معينة للعمل. حيث يُلزم العامل أو العاملة بالعمل ليلًا ونهارًا، حسب رغبة الكفيل ويزداد الأمر سوءًا في العطل الصيفية، حيث تسهر العوائل وتريد من الخدم السهر وتلبية الطلبات وأيضًا الاستيقاظ الباكر

لتأدية سائر الخدمات.

ثانيًا: قد يستخدم هؤلاء الخدم في أكثر من منزل، خلافًا للاتفاق معهم، وهو أمر لا يجوز.

ثالثًا: عدم إعطائهم حقوقهم في وقتها. بعض الخدم يحرم من مرتبه أشهر، وبعضهم سنين! هؤلاء ما هجروا بلادهم إلا للبحث عن لقمة العيش، وليعيلوا من خلفوهم في بلادهم ثم لا يتعاضون أجر أتعابهم في الوقت المناسب.

رابعًا: التعرض للإهانة والعنف بالضرب، أو الإهانة اللفظية، أو بالاحتقار والازدراء، والأدهى أن يتربى أطفال العائلة على إهانة الخدم وازدرائهم.

هذا التعامل لا يليق بمجتمع مسلم، ينتمي إلى دين يؤكّد أهميّة حقوق الإنسان، كائنًا من كان.

في الأسبوع الماضي نشرت الصحافة الكويتية عن خادمة، خرجت من منزل صاحب العمل، وعادت متأخرة، وحالما رأتها ربة المنزل انهالت عليها ضربًا حتى غابت عن الوعي، ثم تركتها في الصالة، ودخلت لتنام ملأ جفونها على سريرها، وفي الصباح جاؤوا ليروا أن تلك الخادمة قد ماتت!

هذا يخالف القيم والدين، خاصة ونحن نعيش شهر رمضان المبارك. على الإنسان أن يحسب حسابًا لهذه الأمور. أنت تصرف وقتًا في المسجد والمأتم وتلاوة القرآن الكريم، من أجل أن تنال ثواب الله في هذا الشهر، أرح العاملة ساعة في البيت، رفّه عنها، تعامل معها بالتي هي أحسن، فإن في ذلك ثوابًا قد يكون أعظم من ثواب العبادات والمستحبات.

القانون والثقافة الإنسانية

وقد صدرت مؤخرًا في المملكة لائحة لتنظيم أوقات العمل للعمالة المنزلية

وتحديد واجباتهم وحقوقهم. في مواد هذه اللائحة المتكونة من ٢٣ مادة، ألزمت صاحب العمل بعدم تكليف العامل بعمل غير المتفق عليه في العقد، أو العمل في مكان أو مهمة تهدد صحته، أو تمسّ كرامته، أو بالعمل لدى الغير، ويجب على صاحب العمل أن يدفع له الأجر المتفق عليه نهاية كل شهر دون تأخير، مع توثيق تسلّمه له كتابيًّا، وعلى صاحب العمل أن يوفر للعامل أو العاملة المنزلية السكن المناسب، مع إتاحته لمن يعمل لديه بالراحة اليومية مدة لا تقل عن ٩ ساعات يوميًا وأن يكون للعامل يوم أسبوعي كإجازة، إضافة إلى أحقية العامل بإجازة مرضية مدفوعة الأجر، وإجازة شهر مدفوعة الراتب بعد انقضاء سنتي عمل، واستحقاق العامل مكافأة نهاية خدمة بعد انتهاء ٤ سنوات عمل.

صدور هذا القانون أمر جيّد، لكن المطلوب تنفيذ هذا القانون، ونشر الثقافة التي تعزز حقوق الإنسان، وتعزز حسن التعامل مع هؤلاء الوافدين، وفي ديننا ثروة عظيمة من التعليمات على هذا الصعيد.

الخطبة الأولى

حماية المكاسب المعنوية

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[سورة آل عمران، الآية:٨].

ليست هناك ضمانة حتمية في بقاء واستمرار أيّ مكسب يتحقق للإنسان في هذه الحياة. كلّ مكسب قد يكون معرّضًا للزوال والانتهاء، الصحة مكسب يتمتع به الإنسان لكن ليست هناك ضمانة لاستمراره، فكم من صحيح أصابه المرض. الثروة مكسب لكنها ليست مضمونة البقاء فقد تتلاشى وتزول، وكذلك الحال في المنصب والجاه وفي أيّ مكسب من المكاسب. وهذا يعني أن على الإنسان أن يكون يقظًا، وأن يعمل للحفاظ على المكاسب التي تتحقّق له، حتى يمنع زوالها أو ضعفها وانحسارها، أما إذا غفل أو تهاون فإن تلك المكاسب سرعان ما تزول وتنحسر.

وهناك مكاسب معنوية تتمثل في إقبال الإنسان على أعمال الخير، وهي لا تقلّ أهمية عن المكاسب المادية، لذلك يوجّه القرآن الكريم الإنسان أن يحمد الله تعالى على نعمة الهداية، يقول تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾. الإقبال على الخير واتّباع الحقّ مكسب عظيم، لكن هذا المكسب المعنوي الكبير قد يتعرض للضعف والانحسار كما هو الحال في المكاسب المادية، وعلى الإنسان أن ينتبه وأن يكون يقظًا حتى لا تزول منه مكاسبه المعنوية التي يتوفق لها. الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ تُلفت الإنسان إلى هذا الأمر:

أيّها الإنسان، إذا كنت تشعر أنك في خط الهداية في توجهها العام كالسير على منهج الله والعقيدة الصحيحة، أو الهداية في مناهجها التفصيلية كالقيام بعمل خير وصلاح، فعليك أن تنتبه من مكائد الشيطان الذي يريد أن يثنيك عن أعمال الخير والصلاح، إضافة إلى طبيعة حياة الإنسان والضغوط التي قد يتعرض لها، فكلها أسباب قد تحرم الإنسان من بعض المكاسب المعنوية التي تتحقق له، لذلك يدعو الإنسان ربه: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾، هذه الهداية نعمة كبيرة منك يا ربّ فلا تسلبني إيّاها، والزوغ هو الانحراف، زاغ البصر أو الشمس، يعني انحرفت عن موقعها، فإذا حصل انحراف في حياة الإنسان وفقد بموجبه مكاسب معنوية، فهذا حرمان وخسران.

استمرار وتنمية المكاسب

والسؤال هنا: كيف يحافظ الإنسان على المكاسب المعنوية؟

هناك وسائل وأساليب:

الأول: تعزيز أهمية عمل الخير في النفس.

إذا كنت تؤدّي صلاتك جماعة فعزّز هذا العمل في نفسك، تحدث عن قيمة هذا العمل مع نفسك ومع من حولك، تأمل فيه واكتشف غاياته. وكذلك الحال بالنسبة لقراءة القرآن، ومساعدة الفقراء، والعمل التطوعي، كلها أمور تحتاج أن تتعزز في نفس الإنسان. ومن المستحبات الشرعية سجدة الشكر، إذا عمل الإنسان خيرًا يسجد شكرًا لله لتوفيقه إيّاه لهذا العمل، وقد تعودنا في صلاة الفريضة أن نختم أداءها بسجدة الشكر، وهي مستحبة وليست واجبة، والمغزى منها أن تكون منتبهًا إلى أن هذه نعمة من الله تعالى أن وفقت لأداء هذه الفريضة، فتشكره عليها. جاء في العروة الوثقى هذا النصّ: (يستحب السجود للشكر لتجدّد نعمة أو دفع نقمة أو تذكرهما مما كان سابقاً أو للتوفيق لأداء فريضة أو نافلة أو فعل خير ولو مثل الصلح بين اثنين، فقد روي عن بعض الأئمة عليهم السلام أنه كان إذا صالح بين اثنين أتى بسجدة الشكر، ويكفي في

هذا السجود مجرد وضع الجبهة مع النية)[١]. وورد عن أبي جعفر محمد بن الباقر عليه السلام أنه قال: «إن أبي ـ علي بن الحسين عليه السلام ـ ما ذكر لله عزّ وجلّ نعمة عليه إلا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ فيها سجود إلا سجد، ولا دفع الله عنه سوءًا يخشاه أو كيد كائد إلا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد»[٢].

الثاني: اختيار الأجواء المشجعة على الخير.

قد يعتاد الإنسان أن يرتاد مجالس معينة، لكن عليه أن يتأمل وينظر، هل أجواؤها سلبية أم إيجابية؟ بعض المجالس تكون سلبية فإذا تحدثوا عن الجمعيات الخيرية مثلًا استعرضوا السلبيات وإذا تناولوا نشاطًا ثقافيًّا بحثوا عن نقاط ضعفه، وإذا ذكروا شخصية دينية أو اجتماعية انهالوا عليها نقدًا وطعنًا! أمثال هؤلاء الناس نفوسهم سوداوية لا تنظر إلى ما هو إيجابي، ومن يجالسهم يخرج معبأ ضد هذا وذاك. الإنسان بحاجة إلى أن يبحث عن المجالس التي فيها تشجيع على عمل الخير، حتى يحافظ على مكاسبه المعنوية.

الثالث: التطوير والتنمية في عمل الخير.

قد يسأم الإنسان في عمل الخير بعد زمن من ممارسته، ولكن إذا توجّه لتطوير العمل، فهذا يشجّعه أكثر على الاستمرار فيه؛ لأنه سيرى نفسه في تجدّد وحيوية فلا يصيبه الملل.

الرابع: اتخاذ القدوات.

أن يجعل الإنسان أمام عينيه القدوات الصالحة ليطمح في زيادة الخير. أنت

---

(١) السيد محمد كاظم اليزدي، العروة الوثقى مع تعليقة السيد علي الحسيني السيستاني، ج٢، ص١٧٤، مسألة ١٦٥٢.

(٢) وسائل الشيعة، ج٧، ص٢١، حديث ٨٥٩٧.

تصلي جماعة بعض الفرائض، فإذا كنت تعرف بعض الأشخاص يؤدون الجماعة في الفرائض الخمس فتذكرهم واجعلهم أمام ناظريك، حتى تتحفز فتقتدي بهم، أو على الأقلّ تحافظ على ما بيدك. بخلاف ما إذا وضعت نصب عينيك شخصًا يصلي مرة في الأسبوع أو مرة في الشهر جماعة، سوف تجد نفسك أنك أفضل منه بكثير، وهذا لا يشكل حافزًا للزيادة في عمل الخير، تذكر من هو أفضل منك حتى تتحفز، وهكذا بالنسبة للعطاء في سبيل الله، لماذا ينفق غيرك أكثر منك مع استطاعتك؟ الإنسان حينما يسمع أن فلانًا كسب صفقة مادية، فإنه يتمناها لنفسه، كما يقول تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾، في الأمور المعنوية ينبغي أن يكون لديه هذا التمني والطموح، تمنّى لنفسك أن تقوم أنت قبل غيرك بالخير.

في بعض الأحيان قد ترى نفسك تقبل على عمل خير وبعد فترة تتراجع عنه، هذا حرمان من الخير، كأن تكون تصلي في الجماعة وبعد فترة تترك لسبب أو لآخر، إنّ كثيرًا من المبررات من وساوس الشيطان.

كنت تؤدي حقوقك الشرعية، ومن ثم وجدت نفسك لسنوات تركت هذا العمل، تأمل جيّدًا ستجد أنك خسرت خيرًا كثيرًا، والإنسان لا يرضى لنفسه الخسارة ما دام قادرًا على الحفاظ على المكسب الذي يُقرّبه إلى الله تعالى، ويزيد رصيده في الآخرة، وخدمته للمجتمع.

ذكرى بدر ومعادلة النصر

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾
[سورة الأنفال، الآية: ٢٦].

لا تقاس الأمم في مواجهتها للأعداء وللتحدّيات بكثرة عددها وعدّتها، وإنما تقاس بمستوى الإرادة في داخلها، وبمدى التلاحم الذي يتحقق بين صفوفها، إضافة إلى استعدادها للتضحية وللدفاع عن كرامتها ووجودها. قد تكون أمة كثيرةً في العدد لكنها تفشل وتنهزم أمام من هو أقلّ منها عددًا وقدرة، وما ذلك إلا لضعف المعنويات والإرادة وسوء التخطيط للمواجهة.

هذه الحقيقة تستحضرها لنا ذكرى معركة بدر التي تمرّ علينا هذه الأيام. حيث وقعت هذه المعركة في السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة. وكان المسلمون آنذاك قلة في عددهم، ضعفاء في إمكاناتهم، كما تشير الآية الكريمة: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾، ما كان ينظر إليهم على أنهم قوة يحسب لها حساب، ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾، لكن هذه القلة كانت تمتلك مقومات النصر ولذلك نصرهم الله: ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾. ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٤٩]، أي ضمن السنن والمعادلات، حينما تتوفر مقومات النصر والنجاح وإن كانت الإمكانات قليلة.

هذه المعركة نشبت لأن رسول الله ﷺ أمر المسلمين بأن يخرجوا للاستيلاء على قافلة تجارية لقريش، كانت قد ذهبت من مكة إلى الشام وعادت بأرباح وفيرة. وذلك لأن المشركين في مكة كانوا يمارسون العدوان على المسلمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يوجه لهم هذه الضربة حتى يحسبوا حسابًا للمسلمين، فكان الهدف الأول ردع الطرف الآخر والردّ على اعتداءاته السابقة. خرج المسلمون من المدينة لاعتراض هذه القافلة، وكان للقافلة سبعون وقيل أربعون حارسًا تقريبًا، لكن القافلة أفلتت، فأدركت قريش الخطر وجمعت جيشها لمواجهة المسلمين، وكان عددهم أكثر من ١٣٠٠ شخص، مقابل جيش المسلمين الذين كان عددهم ٣١٣ شخصًا، وكانت الإمكانات عند المسلمين محدودة لا تصل إلى ٢٠٪ من الإمكانات المتوفرة لقريش، ومع هذا الفارق الكبير بين الجيشين عددًا وعدة، كان النصر حليف الجيش الأضعف، فكيف لم تحقق هذا النصر؟

لأنّ إرادتهم كانت قوية، وخطتهم محكمة، وتحت قيادة واعية، لذا تحقق لهم النصر المبارك من قبل الله عزّ وجلّ. واستطاع المسلمون أن يوقعوا في المشركين سبعين قتيلًا، وأسروا منهم سبعين شخصًا، بينما كان شهداء المسلمين ١٤ شخصًا.

تحدي العدوان الصهيوني

علينا أن نستحضر هذه الحقيقة والأمة تواجه العدوان الصهيوني، كم عدد اليهود؟ وما هي إمكاناتهم وقدراتهم في مقابل إمكانات المسلمين؟ الفارق كبير جدًّا ولا يقبل المقايسة، فكيف استطاعت هذه الشّرذمة من اليهود أن تواصل عدوانها واغتصابها لأراضي الأمة ومقدّساتها، مع ما تمثله الأمة من عدد كبير يقدر بمليار وأربعمائة مليون مسلم، بينما اليهود في كل العالم لا يزيدون على ٢٢ مليون نسمة؟! وهم في داخل هذا الكيان المصطنع، إسرائيل، لا يتجاوزن ستة ملايين، بينما الدول العربية المواجهة لهم، يبلغ سكان واحدة منها هي مصر فقط، أكثر من سبعين مليونًا، فضلًا عن سورية

والأردن ولبنان!

ومن ناحية القدرات والإمكانات، لا تمتلك إسرائيل إمكانات ذاتية مهمة، وإنما تعتمد على المساعدات الأجنبية بدرجة أساسية، ومع ذلك يصبحون هم الطرف الأقوى! صحيح أن لهم دعمًا من الآخرين، لكن هذا الدعم إنما نالوه بحسن تخطيطهم وإدارتهم، ولضعف الطرف المقابل لهم. هل تعلمون أن إسرائيل تنفق سنويًّا على السلاح وعلى جيوشها تسعة مليارات ونصف المليار دولار، بينما تنفق الدول العربية ٥٢ مليار دولار!؟ أما عدد الجيش فواضح جدًا الفرق الهائل في الأرقام. حيث تشير الإحصاءات أن الجيش المصري النظامي يصل إلى أكثر من ٤٨٦ ألف جندي والجيش السوري يضم ٣٢٥ ألف جندي، أي ما مجموعه أكثر من ٨٠٠ ألف جندي، بينما جيش إسرائيل لا يزيد على ١٧٦ ألف جندي. ومع هذا الفارق نرى كيف تمارس إسرائيل عنجهيتها وعدوانها المستمر على العرب والمسلمين، لماذا؟ لأن لإسرائيل إرادة صلبة تجاه قضيتهم الباطلة، متلاحمون في الدفاع عن باطلهم، بينما الأمة الإسلامية تعيش هذا التمزق والتفكك.

ناهيك عن الأوضاع التي تمرّ بها البلدان العربية، فأين الجيش العراقي الذي كان فيه أكثر من مليون جندي تحت السلاح؟ لقد تقلّص وأصبح مشغولًا بمحاربة العنف والإرهاب داخل العراق. أين الجيش السوري القوي الذي يعتبر من الجيوش المدربة القوية؟ تعرّض هو الآخر خلال الثلاث سنوات الماضية إلى انشقاقات ويعاني من حرب داخلية تستنزف كلّ جهوده وقدرته. والآن تدور الدائرة على الجيش المصري، هذا الجيش القوي الذي يعتبر من أفضل الجيوش في المنطقة العربية، لكنه الآن يمرّ بهذه المحنة الكبيرة، ويراد له أن ينشغل بالمشكل الداخلي، وإسرائيل ليست بعيدة عما يجري في سيناء وهي تستهدف اشغال الجيش المصري، بالمواجهة الداخلية التي أصبح يخوضها في مواجهة الإرهاب والعنف، لتبقى إسرائيل مطمئنة، فليس هناك جيش ينافسها في القوة النوعية. الإسرائيليون الآن يعيشون أفضل الحقب التي مروا

بها استقرارًا، لكن نأمل أن يُخيّب الله ظنونهم وأن تكون هذه المرحلة مرحلة انتقالية تستعيد الشعوب العربية فيها أزمّة أمورها، لتستطيع مواجهة هذا العدوان الذي لا يمكن أن تبقى الأمة تحت تحديده وعنجهيته.

الخطبة الأولى

الدعاء مكاسب مضمونة

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾
[سورة غافر، الآية:٦٠].

كلّ من يؤمن بوجود خالق للحياة ومدبّر للكون، فإنه يندفع فطريًّا للالتجاء لذلك الخالق، سيّما عند الشدائد والملمات؛ لأنه يؤمن بقدرة هذا الخالق، وهيمنته على كلّ شيءٍ في الحياة.

هذا اندفاع فطري، حتى عند البشر الذين لا يلتزمون حالة دينية، فإنّ فطرتهم تدفعهم عند الشدائد للالتجاء إلى القوة المدبرة لهذا الكون، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾[سورة يونس، الآية:١٢]. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[سورة الروم، الآية:٣٣].

في كلّ الديانات السماوية احتلّ الدعاء موقعًا رئيسًا من بين العبادات. وفي الإسلام نجد اهتمامًا بالغًا به، ويكفي أن الله تعالى يحث عباده عليه ويطلبه منهم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ يريد سبحانه من عباده أن يتوجهوا إليه بالدعاء، وبالمقابل: يضمن لهم الاجابة ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

وفي الأحاديث نصوص كثيرة تركّز على الدعاء باعتباره من أهمّ وسائل التواصل بين العبد وربه. ورد عن رسول الله ﷺ: «الدعاء مخّ العبادة»[١] أي جوهرها. وورد عنه ﷺ: «ترك الدعاء معصية»[٢]. وعنه ﷺ: «أفضل العبادة الدعاء»[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أحبّ الأعمال إلى الله في الأرض الدعاء»[٤].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «ما من شيءٍ أحبّ إلى الله تعالى من أن يُسأل»[٥].

وورد أنه سئل الإمام الصادق عليه السلام: «ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعًا كان أحدهما أكثر دعاءً والآخر أكثر صلاة، أيهما أفضل؟ قال عليه السلام: كلٌّ حَسَنٌ. فأعاد السائل: قد علمت، ولكن أيّهما أفضل؟ فأجاب عليه السلام: أكثرهم دعاءً. أما تسمع قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾؟ ثم أضاف الإمام: هي العبادة الكبرى»[٦]. وورد عن رسول الله ﷺ ومثله عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام: «الدعاء أفضل من قراءة القرآن»[٧].

فلسفة الدعاء:

نعيش الآن ما تبقى من أيام شهر رمضان وهي من أفضل أيام الدعاء. وفي حديثنا نريد أن نستكشف شيئًا من فلسفة الدعاء. لماذا يريد الله من عبده أن يدعوه ويتقرّب إليه بالدعاء؟

أولًا؛ لأنّ الدعاء يُعزّز عبودية الإنسان لربه، ويُعزّز في نفسه إيمانه بقدرة ربه

(١) بحار الأنوار. ج٩٠، ص٣٠٢.
(٢) تنبيه الخواطر. ج٢، ص١٢٠.
(٣) الكافي. ج٢، ص٤٦٦.
(٤) الكافي: ج٢، ص٤٦٧.
(٥) بحار الأنوار. ج٩٠، ص٢٩٢.
(٦) تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي. ج٤ ص٥٢٨.
(٧) مستدرك الوسائل، ج٥ ص٣٣.

وهيمنته على كلّ شيء، وحين يدعو الله فإنه يقرّ بأن الله قدير على إجابة دعوته، وأنه رحيم به. ويذعن بأنه فقير إلى الله ومحتاج إليه.

وثانيًا؛ لأنّ الدعاء يرفع معنويات الإنسان ويقوّي ثقته ورجاءه، فحين يدعو ربه فهو يعتقد بأن الله تعالى مستعد لتلبية دعائه. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[سورة البقرة، الآية:١٨٦]. إنه تعهّد من الله سبحانه وتعالى بالإجابة، وهذا بلا شك يرفع معنويات العبد.

ولتقريب الصورة، فلننظر إلى حياتنا ونلحظ علاقاتنا مع بعضنا كيف ترتفع معنوياتنا، وتزيد ثقتنا بمن يبدي استعداده لتلبية مطالبنا؟ فالزوج إذا قال لزوجته: تدلّلي، اطلبي ما تشاءين، وأنا مستعدّ للتلبية، فإنه بلا شك يرفع معنويات زوجته، وستشعر بالعزّ والفخر. وكذلك الأب حين يُدلّل أولاده ويعلن لهم أنه يُلبّي ما يريدون. والحال نفسه في كلّ علاقة بين بني البشر، فالإنسان يفخر بصديقه إذا كان يجده وقت الضيق، وأنه حاضر معه في كل وقت.

فكيف إذا كان من يُدلّلك أيّها العبد، ويقول لك اطلب ما تتمنى وأنا أجيب، هو الله سبحانه وتعالى الذي بيده كلّ شيء؟ إنه ينادي يا عبادي ماذا تريدون؟ اطلبوا كلّ ما تتمنونه في هذه الدنيا وفي الآخرة، وعليَّ الإجابة والتلبية: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. والله تعالى لا يريد من عباده أن يتكبروا عليه بالعزوف عن دعائه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

ليس هناك حدٌّ ولا سقف للمطالب، يمكن للعبد أن يطلب من ربه ما يريد، هناك أفق مفتوح بين العبد وربه، يطلب منه كل شيء، من أتفه الأمور إلى أعظمها في نظر الإنسان. قد يتردّد الإنسان أن يطلب شيئًا صغيرًا من شخص وجيه، ويرجئ الطلب منه لشيءٍ أكبر، لكن الأمر مع الله تعالى مختلف تمامًا. يحب الله من عباده أن يطلبوا منه

كل شيء، مهما كان هذا الطلب، ورد عن رسول الله ﷺ: «ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأل الملح وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع»[١].

وهذا لا يعني أن يعيش الإنسان بالتمني، وأن كلّ شيء يصل إليه دون أن يبذل جهداً، إنما عليه أن يسعى ويطلب من الله الوصول إلى ما سعى إليه، وكم من أمر يحسبه الإنسان عسيرًا فيقضى له بالدعاء، وكم من أمر يسير ـ كما يحسبه الإنسان ـ ويعزف عن الدعاء لأجله، فيتعسّر عليه. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا تحقروا صغيرًا من حوائجكم فإن أحبّ المؤمنين إلى الله تعالى أسألهم»[٢]. حينما يكثر دعاؤك لله تعالى، فإن تواصلك مع الله يكون أكثر، وثقتك به تكون أكبر.

أعجز الناس:

إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يتوانى الإنسان عن الدعاء؟

هناك خطٌّ مفتوح لمخاطبة الله تعالى، في أيّ وقت ولأيّ شيء، ورد عن النبي ﷺ: «إن أعجز الناس من عجز عن الدعاء»[٣]. في بعض الأحيان يرى الإنسان أن الأمر قد انتهى، فما عاد يجدي الدعاء، لكن النصوص تشير إلى أهمية استمرار الدعاء، فلعلّ الله يوجد فرجًا ومخرجًا، أو يعطيك أمرًا آخرَ، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «اُدْعُ الله عزّ وجلّ ولا تقل إن الأمر قد فرغ منه، إن عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة»[٤]. وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو»[٥].

فلماذا يبخل العبد على نفسه وعنده هذا المجال المفتوح مع ربه؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٠، ص٢٩٥.
(٢) مكارم الأخلاق، ص٣١٧.
(٣) بحار الأنوار. ج٧٣، ص٤.
(٤) الكافي. ج٢، ص٤٦٦.
(٥) الكافي. ج٥، ص٨٣.

لهذا أدعو نفسي وأخواني وأخواتي إلى استثمار هذا الشهر الكريم، ليس ليلة القدر فقط وأيّامًا معينة، بل أن نأخذ هذا النهج مع الله، لننفتح أكثر على ربنا، ونطلب منه كلّ شيء لأمور الدنيا والآخرة، لنا ولغيرنا. ولنثق بأن دعواتنا غير ضائعة عند خالقنا المتفضل علينا. فكما تشير نصوص كثيرة إلى أن الإنسان إذا دعا ربه فلا يخلو من ثلاث:

- إمّا أن يجيب له ما طلب.
- أو يعطيه ما هو خير منه في الدنيا أو الآخرة.
- أو يدفع الله عنه بلاء وسوءًا.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن يدعو بدعوة إلا استجيب له فإن لم يعطها في الدنيا أعطيها في الآخرة»[1].

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من مسلم دعا الله سبحانه دعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجّل دعوته، وإما أن يدّخر له، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، قالوا يا رسول الله، إذًا، نكثر؟ قال: أكثروا»[2].

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «المؤمن من دعائه على ثلاث: إما أن يُدّخر له، وإما أن يعجّل له، وإما أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه»[3].

---

(١) مسند زيد بن علي، ص١٥٦.
(٢) وسائل الشيعة. ج٧ ص٢٧.
(٣) تحف العقول، ص٢٨٠.

حتى لا ننسى القدس

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

[سورة الأنفال، الآية:٥٧].

الصّراع بين الأمم والدول قد يوصل إلى معاهدات واتفاقيات تفرضها موازين القوى ومعادلات الصراع. هذه المعاهدات موجودة طوال تاريخ البشر، وهي تكون لتسوية الأمور بين الطرف الغالب والآخر المغلوب، أو حتى إذا كانا متساويين في القوة. وقد أمر الإسلام باحترام هذه الاتفاقيات شرط أن تكون قد اتخذت من جهة تمثل إرادة الأمة، يقول تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[سورة التوبة، الآية:٤]. وشرط أن يكون الطرف الآخر ملتزمًا بالوفاء، أما من لا يلتزم فلا قيمة للعهود معه، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾[سورة الأنفال، الآية:٥٦]. والآية نزلت في يهود بني قريظة، الذين تعدّدت الاتفاقيات بين رسول الله ﷺ وبينهم، لكنهم كانوا ينكثون. يقبلون بالمعاهدة في حالة ضعفهم، وإذا ما استعادوا بعض قوتهم، أو أحسّوا بضعف عند المسلمين نكثوا العهود، لذا فإن الله سبحانه يقول إن هؤلاء وأمثالهم لا قيمة للاتفاق معهم.

عودة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية

تعود اليوم مسألة المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية حيث تسعى أمريكا لرعاية مفاوضات جديدة، وهي ليست أول مفاوضات. وهنا على الفلسطينيين والأمة أن يأخذوا بعين الاعتبار تاريخ الاتفاقات السابقة. فبالرغم من أنها مجحفة بحقّ الفلسطينيين والعرب، إلا أن اليهود لم يلتزموا بها، واستمرّوا في عدوانهم على الفلسطينيين، فهؤلاء لا يمكن لأحدٍ أنْ يثق بأيّ تفاوض معهم.

لقد اختار الأمريكيون والإسرائيليون هذا الوقت للتفاوض مع الفلسطينيين، لشعورهم بضعف الواقع العربي وتدهوره، مما يمكنهم من أخذ مزيد من التنازلات من الفلسطينيين. فالبلاد العربية الآن تعيش اضطرابًا عظيمًا، خصوصًا الدول التي تحيط بفلسطين، فكل واحدة لها مشاكلها الخاصة. سورية جيشها أصبح مشغولًا بالحرب الداخلية، وشعبها يعيش أسوأ مراحل تاريخه. هذا الاضطراب الداخلي يراد به أن تنقسم سوريا إلى ثلاثة كيانات: للعلويين، والأكراد، والسنة، حتى ينشغلوا ببعضهم لعقود من الزمن.

والجيش المصري يُراد له أن ينشغل بمواجهة الشعب، وبعنوان مواجهة الإرهاب. والمقاومة الإسلامية في لبنان يراد إشغالها بالوضع الداخلي في لبنان وبما يجري في الأراضي السورية. إضافة إلى الخلاف داخل فلسطين بين السلطة والمقاومة، والحصار على غزة. وهنا يتمكن اليهود من أخذ تنازلات أكثر من الفلسطينيين عبر الجهة التي تفاوضهم.

الجهاد وتأكيد محورية القضية الفلسطينية:

تاريخ العرب مع اليهود، والاتفاقات بين الطرفين يؤكّد ألّا حلّ مع هؤلاء الصهاينة إلا بالمقاومة والجهاد. فاللغة الأخرى، لغة السلم والتفاوض لغة فاشلة معهم. إنهم لا يفهمون سوى لغة القوة، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلّا بالقوة، هذا ليس أمرًا نظريًّا، بل

شهدناه في غزة وفي لبنان، وحتى المفاوضات التي تحركت بين العرب وإسرائيل لولا الانتصار الجزئي الذي تحقق في أكتوبر ٧٣ لما وافقت إسرائيل على الانسحاب من أراضي سيناء وأراضي الأردن، وبشروط تنتقص السيادة. فسيناء عادت لمصر، لكن ليس لمصر سيادة كاملة عليها، فهي لا تستطيع أن تحرك جيشها على أراضي سيناء إلا بالتوافق مع إسرائيل.

إن هذا الواقع يحتم على الجميع أن تعود القضية الفلسطينية قضية للعرب كلهم، وليس الفلسطينيين فقط. بل كل المسلمين وليس العرب فقط. بل كلّ الأحرار في العالم، وليس المسلمين فقط. هذه القضية ينبغي أن تأخذ بعدها الإسلامي، فكل المسلمين مسؤولون عن تحرير القدس، وعن إنقاذ هذا الشعب المستضعف الذي وقعت عليه الويلات والآلام طوال هذه العقود. وحيث نحتفي بيوم القدس نؤكّد وقوفنا مع أيّ مبادرة، من أيّ جهة تريد التأكيد على محورية بيت المقدس وقضية فلسطين.

مع الأسف الشديد يُراد لهذه القضية أن يتخلّى عنها أهلها. فتركيا التي كان ينظر إليها في العالم العربي بتقدير واحترام لمواقف قيادتها الحالية في الدفاع عن فلسطين، تغيّرت النظرة إليها الآن، وهناك حملة إعلامية تجاهها بسبب موقفها مما يحصل في مصر. وإيران الجمهورية الإسلامية، التي أعلنت موقفها الصريح المناوئ تجاه الكيان الصهيوني من أول يوم لانتصار ثورتها، تُشنّ ضدها حملة إعلامية في العالم العربي، وكذلك ضد المقاومة في لبنان وفلسطين.

هذا الواقع الذي تعيشه الأمة إنما يصبّ في مصلحة إسرائيل. لكننا نعيش الثقة بالله تعالى وبالأمة التي استطاعت أن تواجه المصاعب طوال تاريخها، وأملنا أن ينتج من المخاض الذي تعيشه البلاد العربية والإسلامية، ولادة إرادة شعبية في مختلف البلاد العربية والإسلامية تعطي لهذا الصراع محوريته، وتعطي لهذه القضية مكانتها المطلوبة.

الخطبة الأولى

التذكير بنعم الله

﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّـهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
[سورة الأعراف، الآية: ٦٩].

يتقلّب الإنسان في نِعَمِ الله سبحانه وتعالى منذ وجوده، بل إنّ وجوده نعمة من الله تعالى عليه. لكن النعم تغمر الإنسان وتصبح حالة طبيعية في حياته فيألفها، وقد لا يستشعر قيمتها، وهذا أمر واضح وجدانًا. ورد عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام: «تُجهل النعم ما أقامت، فإذا ولّت عُرفت»[١].

إنما يشعر الإنسان بالنعم ـ غالبًا ـ إذا فقدها، فيعيش مثلًا موفور الصحة والعافية ولا يتلفت لهذه النعمة، حتى إذا ابتلاه الله بمرض تذكر تلك النعمة التي كان يرفل بها. ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنما يعرف قدر النعم بمقاساة ضدها»[٢].

وتذكّر نعم الله سبحانه وتعالى سبيل إلى دوامها على الإنسان. لهذا يوجه الله تعالى عباده لتذكر نعمه عليهم، وأن يستحضروا فضله وآلاءه، يقول تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّـهِ﴾. ولماذا هذا الطلب من قبل الله عز وجل؟ هل هو من أجل الله؟

حين يتفضل عليك شخص من بني البشر ويحسن إليك، فقد يُسعد إذا مدحت

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص١١٥، حديث١٢.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٥٣، حكمة ٥٦.

تفضله عليك أمامه، وشكرت صنيعه أمام الناس، ذلك أنك لم تتنكر له، لكن الأمر بالنسبة لله تعالى غير ذلك. فشكر الإنسان لنعم الله تعالى لا يزيد في ملك الله، ولا في قدرته ومكانته، إنما الأمر عائد للإنسان نفسه كما يؤكد الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، من يتذكر نعم الله يفلح ويزداد خيرًا.

ومن ثمرات تذكر الإنسان لنعم الله تعالى واستحضارها في نفسه أنه يشعر بقيمة هذه النعم. حين يشرب الماء، فيستحضر في نفسه أن الله وفّر له هذه النعمة، بينما حُرم منها غيره. وحين يتذكر بأنه قادر على شرب هذا الماء يتأكد أنها نعمة أخرى، فقد يتوفر الماء ولا يستطيع الانسان شربه لسبب أو لآخر. وكذلك الحال بالنسبة للطعام والمأكل والمسكن، وسائر النعم. حين يستحضرها الإنسان فإنه يشعر بمعاناة من حرم منها، فيشكر الله عليها، ويستطعم قيمتها.

وحينما تمرّ علينا المناسبات السعيدة كمناسبة عيد الفطر الذي بلغنا الله إيّاه هذا اليوم، علينا أن نستذكر هذه النعمة. فغيرنا ممن نعرفه قبل يوم أو أيام أو سنين قد فارقنا ولم يدركه. وحين يمرّ علينا ونحن في صحة وعافية فعلينا أن نشكره تعالى، فغيرنا قد يعيشه وهو يعاني الألم والمرض. ولنتذكر أننا نشهده في بلد تعيش الأمن والاستقرار أكثر من غيرها، بينما يعاني من حولنا الخوف والاضطراب والاحتراب. لنتذكر هذه النعم حتى نتوجه لله بالشكر، وحتى نحسن التعامل مع هذه النعم، ونحافظ عليها.

وليعلم الإنسان أن كل النعم التي يحظى بها لا قيمة لها إن لم تتوج بالنعمة الكبرى. وهي كما تشير النصوص الفوز بالجنة. ورد عن رسول الله ﷺ: «تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار»[1]. وورد عن أمير المؤمنين علي ؏: «مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وَ مَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ»[2]. وحتى يحظى الإنسان بهذه النعمة الكبرى، عليه أن يسبب لها الأسباب، بالعمل الصالح، وعبادة الله حق عبادته، وشكر نعمه.

---

(١) كنز العمال، ج ٢، ص١٧، حديث ٢٩٦٥.

(٢) نهج البلاغة. حكمة ٣٨٧.

العيد مناسبة تواصل وتجاوز القطيعة

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»[1].

ترتبط حياة الإنسان بسائر أبناء جنسه. وكلما كانت علاقته بأبناء جنسه أفضل، كانت حياته أسعد وأكثر انتظامًا في البعدين المادي والمعنوي، لذلك فإن وجدان الإنسان يدفعه للتواصل مع أخيه الإنسان. وقد أكدت الأديان والشرائع الإلهية توثيق علاقات الناس بعضهم مع بعض، ومن أهم أهداف المناسبات الدينية هو تأكيد هذا الأمر، ففي الحج فرصة لتلاقي أبناء الأمة من شتّى أصقاع العالم، وكذلك سائر العبادات التي تؤدّى جماعة، كصلاة العيد، والجمعة، والجماعة. وعيد الفطر الذي شرّفنا الله بلوغه هذا اليوم هو من أفضل الفرص الطيبة للتواصل بين الناس.

نصوص دينية كثيرة تؤكّد توثيق علاقة الناس بعضهم ببعض. لدرجة أن القرآن الكريم يُعبّر عنها بعلاقة الإخوة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. ويوصي رسول الله ﷺ أصحابه بحسن العلاقات فيما بينهم: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ـ أي لا تعرضوا عن بعض ـ ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا».

قد يحصل سوء تفاهم بين طرف وآخر، وينتهي بالمشادات والتخاصم، وقد يكون من الطبيعي الإعراض لوقت من الزمن حتى تهدأ النفوس، لكن رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري، حديث ٦٠٦٥.

يحذر من طول فترة الهجر: «ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث». الإنسان بشر والغضب من سماته، فيحتاج إلى إرادة يسيطر بها على مشاعره ويضبطها، ومن يصعب عليه ذلك فعليه أن يعوّد نفسه تحمّل الآخرين، وإن كانت نفسه غير طيعة، فعليه ألّا يترك العنان لها لتقطعه عن أخيه المؤمن أكثر من ثلاث ليال.

القطيعة بين المؤمنين

هذه النصوص تستدعي أن يكون المتدينون هم الأكثر تواصلًا فيما بينهم. فإذا كان المتديّن يهتم بأمور والشعائر الدينية، فإنها أعمال لا يتقبلها الله تعالى منه إلا إذا كانت نفسه خالية من الأحقاد على الآخرين، وخالية من إرادة السوء لهم. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال مُوصيًا أبا ذرّ: «يا أبا ذرّ، إيّاك وهجران أخيك! فإن العمل لا يتقبل من الهجران»[1].

المبادرة للصلح مطلوب من كل طرف، ومن يرفض فعليه الإثم، ورد عنه ﷺ: «لا تحلّ الهجرة فوق ثلاثة أيّام، فإن التقيا فسلّم أحدهما على الآخر فردّ عليه الآخر السلام اشتركا في الأجر وإن أبى الآخر أن يردّ السلام برئ هذا من الإثم وباء به الآخر»[2].

هذه النصوص تؤكّد للمتديّنين أن تكون العلاقة أوثق فيما بينهم. لكن القطيعة ـ مع الأسف الشديد ـ تكثر في الأوساط الدينية! يقاطعون بعضهم بعضًا، ويبتعدون عن بعضهم بعضًا، والأسوأ أن يعطوا عملهم هذا صبغة شرعية، وكأنه تكليف يؤدّونه قربة لله تعالى! وما هذا إلا من وساوس الشيطان. إذ لا يمكن القبول بأن الشرع يطلب أو يقبل من الإنسان المتديّن أن يقاطع أخاه المسلم المؤمن، مهما كانت المبررات. فكيف لمؤمن لا يرد سلام أخيه المؤمن؛ لأنه يختلف معه في الفكر؟ ولماذا يرغب أن يجمعه مجلس واحد مع من يخالفه في الرؤى والمواقف؟ بل كيف له أن يقاطع

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص٨٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٤، ص١٦٣.

ويقارع علماء أجلّاء؛ لأنّ اجتهادهم جاء خلافًا لما يؤمن ويعتقد به؟ ولا ينتهي الأمر في حياتهم فقط، بل حتى بعد وفاتهم، فيأبى أن يحضر تشييعهم، ويرفض أن يعزّي ذويهم، بل ينال ممن يحضر ويشارك في مراسيم جنائزهم!

هل هذا دين؟ الدين الذي يصرّح على أنه «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»، هل يعقل أنه يقبل هجر الآخر لاختلاف في الرأي؟! الدين الذي لا يأمر بهجر أحد من اتّباع الأديان الأخرى ما لم يقاتل أو يفسد في الأرض، أيقبل بقطع العلاقة مع من يختلف في المذهب أو الفكر؟! قال الله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا﴾[سورة الممتحنة، الآية: ٨].

لا شيء يُبرّر القطيعة بين المؤمنين، ومن يرى ذلك فهو إما مشتبه ولديه سوء فهم للدين، أو مبتلى بمرض نفسي. يقول أبو بصير: سألت أبا عبدالله جعفر الصادق عليه السلام عن الرجل يصرم ـ أي يقاطع ـ ذوي قرابته ممن لا يعرف الحقّ ـ أي ممن لا يؤمنون بمذهب أهل البيت عليهم السلام ـ فقال عليه السلام: «لا ينبغي أن يصرمهم»[1]. وعن الجهم بن حميد قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يكون لي القرابة على غير أمري، ألهم عليَّ حقّ؟ قال: «نعم، حقّ الرحم لا يقطعه شيء. وإن كانوا على أمرك كان لهم حقّان: حقّ الرحم، وحقّ الإسلام»[2]. فالإسلام بريء من حالات القطيعة والهجران بين المسلمين.

لذلك على الإنسان أن يطهّر قلبه ونفسه من إثم الخصومة، وألّا يصبغها بصبغة دينية حتى يقنع نفسه بها. وعليه أن يستفيد من مثل هذه المناسبات كالأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية لزيارة من قطع. ولا ينبغي أن يستثقل الأمر تأخذه العزّة بالإثم؛ لأنّ الله ينهى عن ذلك. وإذا كان المؤمن يستهدف رضا الله تعالى فليتقرب إليه بتهذيب نفسه وصفاء قلبه من كلّ حقد، وتدابر، وهجر لإخوانه المؤمنين. إنّ أفضل هدية للعيد يقدمها الإنسان لنفسه ولغيره، أن يجعل العيد فرصة للتواصل مع الآخرين.

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٤٤، حديث٣.
(٢) الكافي. ج ٢، ص١٥٧، حديث٣٠.

الخطبة الأولى

هل فكرت في مستقبلك الأخروي؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

[سورة الحشر، الآية: ١٨]

قبل مجيء الإنسان إلى عالم الدنيا يمرّ بعالم الأرحام، حيث يعيش جنينًا في بطن أمه. وفي ذلك العالم يتحدد وصفه وشكله، ومعالمه الجسمية، وتنتقل إليه بعض السّمات عن طريق الجينات الوراثية كما قد تصيبه بعض تأثيرات الحال الذي تكون عليه الأمّ في فترة الحمل.

ويخرج الإنسان إلى هذه الدنيا من عالم الأرحام متأثرًا بوضعه في ذلك العالم. فقد يكون في وضع سليم من الناحية النفسية والجسمية، وقد تلحق به بعض السّمات والتشوهات. وتشير التقارير والدراسات العلمية أن هذه التشوهات تحصل بين كلّ ٣٣ ولادة، أي من بين كلّ ٣٣ مولودًا يخرج طفل فيه شيء من التشوّه، سواءً كان قليلًا أو كثيرًا. هذه التشوهات إما لأسباب وراثية، أو لما يطرأ على حال الأم أثناء الحمل، وقسم كبير منها لا يعلم أسبابها، كما يؤكّد ذلك العلماء حيث يقولون إنّ ٧٠ ٪ من التشوّهات لا تُعرف أسبابها.

هذه التشوّهات التي تصيب الإنسان حال كونه جنينًا قد تكتشف أثناء الحمل أو بعد الولادة، أو مع تقدم العمر. ومع تقدم العلم، أمكن معالجة كثير من هذه التشوّهات، في

مختلف مراحلها. وبطبيعة الحال فإن الإنسان في عالم الأرحام غير قادر على تجنب التشوّهات ولا يُدرك ذلك، فيأتي إلى هذا العالم ضمن وضعية ليست من اختياره.

حتى لا نصاب بالتشوّهات في العالم الآخر

من هنا نتساءل: هل العالم الثاني الذي ينتقل إليه الإنسان وهو عالم الدنيا هو العالم الأخير أم أنه ينتقل إلى عالم آخر بعده؟

وجدانًا نرى أن الإنسان يخرج من هذه الحياة، فهل خروجه هذا يعني العدم؟ هل تنتهي حياة هذا الكائن المدرك المختار بهذا الشكل كسائر الكائنات؟

هذا لا يمكن أن يقبله الوجدان، يقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾. إن هناك بلا شك عالمًا آخر.

ولنا أن نتساءل: كيف سيكون وضع الإنسان في العالم الآخر بعد الدنيا؟ هل سيكون سليمًا أم سيعاني من تشوّهات؟ وإذا حصلت له تشوّهات، فهل هي خارجة عن إرادته كما هو الحال في عالم الأرحام، أم أنها بإرادته؟

لا شك أن الوضع في العالم الآخر يُحدّده الإنسان في هذه الدنيا، وأن أيّ تشوّهات تكون له في الآخرة، فهي بسببه. بعض الناس يغفل عن هذا الأمر، يعيش في هذه الحياة وكأنه ليس هناك عالم آخر سينتقل إليه، وقد يمارس أعمالًا وتصرفات تسبب له تشوّهًا وإزعاجًا كبيرًا في العالم الآخر. وهنا يأتي دور الرسالات الإلهية التي توجّه الإنسان وتمنحه دليلًا يهديه، أيّها الإنسان أنت مقبل على عالم آخر، وهناك بعض الأعمال تصنع لك تشوّهًا وشقاءً في عالمك القادم، فتجنبها. وهناك أمور توجب لك السعادة في عالمك القادم، فاحرص عليها، لكن المشكلة أن كثيرًا من الناس ينشغلون بأوضاعهم في هذا العالم ويغفلون عن العالم الآخر، يقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾، يستبدلون الراحة المحدودة في هذه الدنيا بالراحة الدائمة في العالم الآخر.

ولتقريب الفكرة نضرب مثلًا بشخص تُعرضُ عليه في المطار تذكرتان: الأولى توفر له راحة ساعة في المطار، في مكان مهيأ بأسباب الراحة، لكنها توصله إلى مكان خطير على حياته. والأخرى تكلفه عناءً في بقائه في المطار مؤقتًا لكنها توصله إلى منتجع يجد فيه كل ألوان الراحة والمتعة لعدة أيام أو أسابيع.

لا شك أن العاقل يختار التذكرة الثانية، فما قيمة راحة ساعة تنتهي بشقاء أيام، مقابل عناء ساعات تنتهي براحة أيام وأسابيع! الدنيا تمامًا مثل هذا المطار، فيه أناس يذهبون وآخرون يجيئون، فهي ليست مكان قرار. إنما القرار في العالم الآخر يقول تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾.

كيف نضمن الراحة في الآخرة؟

على الإنسان أن يفكر في راحته في الآخرة. الآية الكريمة تقول: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يعني ما قدمت للعالم الآخر. بعض الناس يتصوّر أن بينه وبين الغد زمنًا طويلًا، وهذا اشتباه كبير، فالآخرة التي هي الغد ليست بعيدة عن الإنسان، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً* وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾.

وجدانًا يرى الإنسان من عاشوا معه في هذه الحياة وغادروها، هل كان كل واحد منهم يتوقع أنه سيغادرها بهذه السرعة؟ أكثر الناس يعيشون آملًا بأن تطول حياتهم، لكن الموت يفاجئهم فينقلهم إلى الغد.

على الإنسان أن يفكر في هذا الأمر، ولنصغ بتأمّل لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا وَ الَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَ دُعِيتُمْ إِلَيْهَا ... فَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ وَ أَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ وَ أَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ وَ أَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ»[١].

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ١٨٨.

يعمل الإنسان ويجتهد لبناء بيت في هذه الدنيا، ولكن ماذا عن بيت الآخرة؟ كم سيعيش في الدنيا، وكم سيعيش في الآخرة؟ وإذا كانت الحياة الآخرة هي الأطول والأبقى، فأيّ الحياتين أولى بالإعمار؟ في كلمة لأمير المؤمنين يقول عليه السلام: «مَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ»[1]. الآخرة تحتاج تهيئة سكن، ومأكل، ومشرب، وراحة نفسية واطمئنان، وهذا لا يأتي إلا بالعمل الصالح، يقول تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾. بنك مضمون الأرباح، يحتاج ثقة عالية بالله عزّ وجلّ للاستثمار فيه.

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ٦٤.

إرادة الأمة أم شريعة الغاب؟

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية: ٩٩]

يطلق على المساحة الكبيرة من الأرض التي تغطيها الأشجار اسم الغابة. والغابة عادة ما تعيش فيها ألوان من المخلوقات الحية كالطيور والحشرات والحيوانات المختلفة. وقد كانت الغابات تغطي ٦٠٪ من سطح الكرة الأرضية، لكنها الآن انحسرت وتقلّصت إلى النصف!

هذه الغابات يعيش فيها أنواع من المجاميع الحيوانية المختلفة. وهذه الحيوانات تخضع معادلات نظم حياتها إلى القوة. فالحيوانات القوية تهيمن على الحيوانات الصغيرة الضعيفة، والمعادلة السائدة أن الحيوان القوي يأكل الحيوان الضعيف. هذا النظام يطلع عليه شريعة الغاب.

وإذ تخضع هذه الحيوانات لهذا المنطق ـ منطق القوة ـ وتدير حياتها وفقه، فلأنها لا تملك خيارًا غيره، ولا تستطيع تجاوز هذه الحالة، ولكن ماذا عن حياة بني البشر بعضهم مع بعض؟

لأن الإنسان كان قريبًا من الغابة، ويدرك طبيعة ظروفها، ولأنه يمتلك نوازع وشهوات فقد استعار نظام الغابة في علاقته مع أبناء جنسه، وأصبح أبناء البشر يعيشون حياة أشبه بحياة أهل الغابة، على مختلف المستويات، فالقوي يهيمن على الضعيف.

لكن الله تعالى قد منح الإنسان عقلًا وإرادة فهو يختلف عن الحيوانات، وبالتالي تكون لديه ممانعة للقبول بشريعة الغاب، فيبدأ بالاعتراض والتمرد والمواجهة، ولربما نجح، ولربما أخفق، لكنه في الأخير يبدي موقفه. إلا أن المشكلة أن هذه الحالة ليست دائمة عند الإنسان، فقد يواجه حالات الترويض من الغير، وحالات الإقناع والتبرير من داخله، فتنشأ في نفسه ثقافة القبول بشريعة الغاب خضوعًا للأمر الواقع.

الرسالات لمواجهة التضليل

وهنا يأتي دور الرسالات السماوية التي جاءت لتميط عن الإنسان هذا التضليل وتوجّهه إلى إرادته وعقله. لقد وهبك الله عقلًا أكبر من كلّ قوة جسمانية، فلا تقبل بأن يستعبدك القوي، ومنحك إرادة فلا تسمح لنفسك بالخضوع لما يخالف فطرتك وعقلك. وقد بيّنت هذه الرسالات السماوية المكانة السامية للعقل، وأرشدت لإعماله فيما هو صالح للإنسان وبيئته، وأن هذه العقول محترمة فلا يحقّ لأحدٍ أن يلغي دورها، لذلك فإن الله تعالى لم يسمح لأنبيائه، بل لم يشأ لنفسه أن يمارس على الإنسان حالة الفرض، كما نفهم من الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾، لو أراد الله أن يفرض الايمان بالقوة، لجعل كل الناس مؤمنين به، لكنه لم يشأ ذلك، ثم يقول تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، لا يحق للنبي أن يجبر الناس ويسلبهم إرادتهم.

يعلم الله عزّ وجلّ النظام الأصلح لبني البشر، لكنه جلّت حكمته لا يريد أن يفرض عليهم هذا النظام، بل يريد منهم أن يعيشوا ويجربوا حتى يصلوا إلى ما يناسبهم ويقرون به عن قناعة ورغبة. ولم يقبل من أنبيائه أن يمارسوا السلطة والهيمنة على الناس، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

هذه الإرادة الربانية تريد أن ترسي منهجًا لبني البشر. فإذا تبنّى أحد نظامًا معينًا لإدارة الحياة واقتنع به، فعليه أن يقنع به الآخرين، لا أن يفرضه عليهم ولو كان رأيه صائبًا؛ لأن

الله عزّ وجلّ لا يريد لبني البشر أن يعيشوا شريعة الغاب، يأكل قويّهم ضعيفهم.

بين قوة المنطق ومنطق القوة

شيئًا فشيئًا وصل أبناء البشر إلى هذه الحقيقة، فأصبح المدركون منهم يديرون أمورهم بقوة المنطق، لا بمنطق القوة. اقتنعوا بأنهم شركاء في الوطن، فلا بُدّ أن تكون إدارته مشتركة، فوضعوا القوانين والنظم، وعملوا بما اتفقوا عليه. لكن بعض المجتمعات لا تزال تخضع لمنطق القوة، شريعة الغاب، جماعة تقوم بانقلاب عسكري لتفرض هيمنتها على الآخرين، وكم عانت البشرية من هذا الأسلوب وأمثاله. كما ابتليت بعض المجتمعات بجماعات إرهابية تريد أن تفرض آراءها على مجتمعاتها، فإن قبلوا بها، وإلا فالدمّار والتخريب!

ما عاد العالم يحتمل مثل هذه التوجّهات. ما يجري الآن في مجتمعاتنا العربية والإسلامية كما نجد مع الأسف في مصر، حيث بلغ عدد القتلى حوالي ٧٠٠ شخص، إضافة إلى آلاف من الجرحى، وما تشهده لبنان والعراق من تفجيرات، وما تشهده سورية ومناطق مختلفة من إرهاب ودمار. كل هذه الظروف الصعبة إنما تعني أن الشعوب أصبحت على مفترق طرق، وأنها تعيش بين إرادتين: إما أن تخضع لمنطق القوة، أو ترجح قوة المنطق. هذه هي المعركة الحقيقية الكبرى التي تواجهها الشعوب العربية والإسلامية اليوم. هل تنتصر قوة المنطق فتدير الشعوب نفسها بالتوافق، وبما تقرّه الأنظمة الدولية والعالمية؟ أم يسيطر عليها منطق القوة، ويفرض الإرهاب أو الانقلاب العسكري سيادته؟

إننا مع فظاعة ما يجري ويدور في الكثير من البلدان نعتقد أن هذه الآلام تحمل آمالًا بأن الناس سيدركون أهمية قوة المنطق، وستتعزز إرادتهم بانتهاء زمن منطق القوة. ودخولهم في إطار قوة المنطق يعني توافقهم على وجود صيغة لإدارة شؤونهم.

الخطبة الأولى

رعاية الوالدين في الكبر

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

[سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣و٢٤].

في المجال المادّي يبحث الإنسان عن فرص الربح والاستثمار، ويغامر من أجل الحصول على ما يحقق له أعلى العوائد. فمتى ما سمع عن فرصة استثمارية في مكان ما، أو مشروع ما، يحقق له ربحًا كبيرًا، فإنه يبادر على الفور لاقتناص الفرصة، حتى لو كلّفه ذلك عناءً وتعبًا، وهذا شيء معقول ومقبول.

لكن على الإنسان ألّا يُغفل جانب الاستثمار المعنوي، بل عليه أن يسعى لكسب ثوابه وآثاره. ومن خلال استعراض النصوص الدينية، فإنه ليس هناك فرصة للربح المعنوي، والاستثمار القيمي، أفضل من العناية بالوالدين، وخاصة في فترة الكبر والعجز.

حينما يبلغ الوالدان أو أحدهما مرحلة الشيخوخة والعجز، فهذا يعني أن أولادهما أمام أفضل فرصة للاستثمار المعنوي. على الإنسان أن ينظر الى هذه الحالة أنها نعمة ساقها الله إليه، وتوفيق قد أتيح له، لا أن يتعامل معها ـ كما هو الحال عند البعض ـ

على أنها بلاء ومحنة، قد تورّط بها، حتى يصل الأمر به إلى أن يبدي تذمّره ويشكو حاله للناس! هذا سوء تقدير لفرصة استثمارية عظيمة.

بالطبع فإن أحدًا لا يتمنّى أن يكون والداه عاجزين، بل يتمنّى لهما الصحة والقوة طول حياتهما، أمّا إذا حصل ذلك، فهي فرصة عظيمة للربح والكسب المعنوي، ويتجلّى ذلك من خلال النقاط التالية:

تعزيز وتنّمية كمال الإنسان الأخلاقي

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ: «بِرّ الوالدين من أكرم الطباع»[1]. لا شيء يكشف عن تقدم وجدان الإنسان، وسموّه الأخلاقي، مثل عنايته بوالديه. وإذا كان الإنسان متقدّمًا في مجالات أخرى، بينما هو متأخر في هذا المجال، فإن تقدمه في المجالات الأخرى يُعَدّ تقدّمًا زائفًا.

تنقل كتب التراث العربي قصة رجل كان يحب زوجته حبًّا شديدًا. وذات يوم جاء لها بشيء ثمين يريد أن يظهر به حبه، وفي طريقه إلى غرفتها صادف أمه، فأخفى الشيء تحت عباءته. وحين جاء به إلى زوجته، وكانت قد لمحت فعله، سألته لماذا فعلت ذلك؟ فقال: حتى لا تراه أمّي فترغب فيه، وقد خصّصته لك. قالت: إذًا لست لي زوجًا! فتعجّب من أمرها! قالت: إذا كنت مع أمّك، ومع كلّ ما عانته من أجلك، من الحمل والرضاعة والولادة والتربية، ومع ذلك تتعامل معها بهذه النفسية، فكيف آمل أن تكون مخلصًا لي في الكبر، وأنا مهما أكون لن أحسن إليك مثل إحسان أمّك؟

هذا هو التقويم السليم. فبرّ الوالدين يعكس نفسية الإنسان ومستوى أخلاقه مع الآخرين.

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٤، ص٢١٢.

الثواب الجزيل من الله تعالى

الأعمال التي يقوم بها الإنسان المتديّن، من صلاة، وصوم، وحج، وصدقة، وزيارة، وغيرها، إنما يؤديها لنيل رضى الله واستحقاق مثوبته، إذا كان هذا غاية مناه، فليس هناك ثواب أعظم ولا أجزل عند الله من بِرّ الوالدين.

النصوص تدلّ على أفضلية وأولوية الاهتمام بالوالدين حتى على الجهاد في سبيل الله، رغم ما يعنيه من التضحية بالنفس، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت الغزو وجئتك أستشيرك، فقال ﷺ: «فهل لك من أمّ؟» قال: نعم، قال: «فالزمها فإن الجنة عند رجليها»[١].

من كان يريد ثواب الله ورضاه، فليس هناك مورد لنيل الثواب أعظم من رعاية الوالدين.

كسب التوفيق في الحياة

برّ الوالدين يؤهل الإنسان لتوفيق الله تعالى له في شؤون حياته، والنصوص تشير إلى أنه يطيل في العمر، ويوسع في الرزق، والأهم من ذلك أنه سبب أساس لصلاح الذرية وبرّهم، كما ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «بِرّوا آباءكم تبرّكم أبناءكم»[٢].

نحتاج دائمًا إلى التذكير ببرّ الوالدين، خاصة في هذا العصر، حيث غلبة الاهتمامات المادية، وإهمال كثير من القيم الأخلاقية. فهناك من يجحد فضل والديه، ولا يبرّ بهما، وهناك من يتهرّب من تحمّل المسؤولية، ويوكلها إلى إخوته! وكأنه زاهد في نيل المثوبة، فلا ينافس في كسب أجرها. ورد عن عليّ عليه السلام: «لا يقولن أحدكم إن أحدًا

(١) تفسير ابن كثير. ج٣، ص٣٨.
(٢) الكافي. ج٥، ص٥٥٤.

أولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك»[١].

وفي بعض الحالات السلبية تجد بعض الأبناء عند كبر آبائهم ينقلونهم إلى دار العجزة وينسونهم. نعم إذا كان ذلك من أجل العلاج والرعاية الصحية، من غير إهمال من جانب الابن في التواصل، فلا بأس، أما إذا كان لغرض التهرب من الخدمة، فهذا تفويت لفرصة استثمارية قيمية كبيرة، وهو جحود وتجاوز لأعظم حق على الإنسان.

وقد نشرت الصحافة المحلية اليوم الجمعة ٢٣/ ٨/ ٢٠١٣م خبراً فظيعًا عن امرأة خمسينية أحضرها ابنها لقسم الإسعاف والطوارئ بمجمع الأمل «نساء» وتركها في صالة الانتظار، ولاحظتها العاملات في القسم وهي جالسة وحيدة، وعندما جئنها أخبرتهن بأن ابنها أحضرها وتركها في هذا المكان، وليس لديها ما يثبت هويتها، لكن بعض أعضاء الفريق المعالج تعرفوا عليها، حيث إنّ المريضة تعتبر من الحالات المزمنة المعروفة بالمجمع ومشخصة بحالة «فصام وجداني ثنائي القطب».

وعلى الفور شرعت ممرضات القسم بتقديم الرعاية التمريضية اللازمة، وتقديم العلاج لها، من واقع ملفها الطبي، بالرغم من رفض المريضة التنويم بقسم الملاحظة بالطوارئ، مرددة بأن ابنها سيأتي إليها لأخذها، وكانت في حالة قلق وتوتر مستمرّ خوفًا من عدم حضوره، وكانت تطلب من العاملات الاتصال بابنها لكي يحضر لأخذها، وهي تبكي وتتألم نفسيًّا بسبب تركه لها، وعدم سؤاله عنها، ولسان حالها يقول: «ما الذي حوّل قلب ابني عليَّ حجرًا؟» وبالفعل تم الاتصال بولدها، وبعد عدة محاولات ردّ عليهم، ووعدهم بالحضور بعد نهاية الاختبار في الفترة المسائية لكنه لم يحضر!

وفي صباح اليوم التالي لاحظت الممرضات تغيّرًا في حالة المريضة الصحية، وتم إعلان الشفرة الزرقاء (code blue) والبدء في عمل الإنعاش القلبي الرئوي لها دون

---

(١) نهج البلاغة.حكمة ٤٢٢.

أن تكون هناك استجابة، فتم الإعلان عن الوفاة من قبل الطبيب الاستشاري المختص نتيجة هبوط حادّ بالدورة الدموية والقلب[١].

التأكيد على برّ الوالدين:

يؤكّد الله تعالى أهمية برّ الوالدين بقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾، أي أمر أمرًا محكمًا محسومًا. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾، فهو قرين التوحيد، ورتبة ثانية بعده مباشرة، كما أنه تعالى لم يُحدّد مجالًا من مجالات الإحسان، بل جعله رصيدًا مفتوحًا لهما. ولا يقتصر الأمر على الوالدين المؤمنين فقط، بل حتى لو كانا مشركين يقول تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾. ثم تؤكّد الآية الكريمة أهميّة مرحلة الكبر والضعف عند الوالدين وأهمية رعايتهما فيها: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ أي ما يؤذي النفس من إظهار التضجر، كما لا يجوز إظهار الغضب ورفع الصوت عليهما: ﴿وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾، عليك بلين القول، وأفضل الخطاب: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾، وإذا احتاجاك لرعاية خاصة نتيجة كبر السن فلا تتأفف من ذلك، بل تواضع في خدمتهما: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

وتستفيض النصوص الدينية حول تأكيد أهمية بِرّ الوالدين. حيث ورد عن رسول الله ﷺ: «يقال للعاق: اعمل ما شئت من الطاعة فاني لا أغفر لك»[٢]، كما أن الشرك بالله سبحانه وتعالى لا يغفر، كذلك بر الوالدين وهو رتبة ثانية بعد التوحيد، فإن التهاون فيه لا يغتفر. ورد عن رسول الله ﷺ: «اثنان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين»[٣]. وعنه ﷺ: «من أحزن والديه فقد عقّهما»[٤]. هذا يلفت أنظارنا

(١) جريدة عكاظ العدد ٤٤٥٠ الصادر بتاريخ الجمعة ١٦/ ١٠/ ١٤٣٤هـ الموافق ٢٣ أغسطس ٢٠١٣م.
(٢) كنز العمال. ج١٦، ص٤٧٦.
(٣) كشف الخفاء. ج١، ص٤٧.
(٤) كنز العمال. ج١٦، ص٤٧٨.

إلى أن العقوق درجات، فحتى الأثر النفسي السلبي الذي تتركه في قلب الوالدين يُعَدّ عقوقًا.

علينا أن نهتم بهذا الأمر، ونوجه أبناءنا إليه. فبعض أبنائنا الشباب يقومون بواجب زوجاتهم وأبنائهم، يلبون طلباتهم، يذهبون معهم إلى أماكن الترفيه، لكنهم لا يقومون بأدنى شيءٍ من هذا لوالديهم!

وعلينا أن نذكِّر بأن برّ الوالدين لا ينقطع بوفاة الوالدين، بل يستمر ما بقي الإنسان، وذلك بالدعاء لهما، والصدقة وعمل الخير نيابة عنهما.

الإعلام العربي وصناعة التضليل

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى».

يحرص الإنسان على معرفة الحقيقة فيما يهمه من الأمر، ويحاذر من إحاطتها بالتشويش والتضليل. لأن ذلك سوف يحرف مساره عن جادة الطريق. وليست الحقائق كلها واضحة سهلة الوصول، فهناك من الأمور ما يصعب التحقق منها؛ لأنّ درجة الوضوح فيها غير كافية، ويخالطها بعض الشوائب فيحار فيها الإنسان. هذا ما يبينه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ ـ أي شيء من هذا وشيء من هذا ـ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنى»[1].

وعلى الإنسان أن يتحمّل مسؤولية البحث عن الحقيقة فيما يهمّه، ولا يسمح

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ٥٠.

لنفسه بالتهاون والتقصير فيكون سببًا في تضليل نفسه. الأمر مشابه تمامًا للعناية الصحية، فالإنسان يفتش عن الطعام الجيّد، ولا يقبل الملوث منه، وهذا ما ينبغي أن يكون في المجال المعرفي الذي يغذّي به الإنسان فكره، إذ عليه أن يبحث عن المعرفة الصحيحة. وكما أن الإنسان يصرف مالًا وجهدًا ووقتًا في البحث عن الطعام الجيّد، ويسعى له حتى لو كان على مسافة بعيدة عنه، كذلك عليه أن يصرف ما يستطيع من مال ووقت وجهد، لكسب المعرفة والعلم الصحيح، سيما عند اختلاط الأمور وضبابيتها. روي عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أنه قال: «عجب لمن يتفكر في مأكوله كيف لا يتفكر في معقوله!؟ فيجنب بطنه ما يؤذيه ويودّع صدره ما يرديه»[١].

حينما ترتبط الحقيقة بالموقف من شخص أو جهة، فإنّ على الإنسان أن يحذر في تقويم المواقف، وأن يكون موضوعيًّا منصفًا حتى لا يقع في ظلم الآخرين. لا ينبغي للإنسان أن ينخدع بالشعارات فقد تكون زائفة، وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «كلمة حقّ أريد بها باطل»[٢].

لفهم الأحداث العربية المعاصرة:

من هذه المقدمة نشير إلى ما تمرّ به المنطقة العربية من أحداث عاصفة مصيرية. هذه الأحداث التي تختلط فيها الإرادات، وتتعدد القوى المؤثرة، مما أوجد خلطًا في الأوراق، وتشويشًا في الرؤية حول ما يجري، ومن أجل تجلية الموقف نشير إلى بعض ما يساعدنا على الفهم السليم:

أولًا: تطلع الشعوب نحو الخلاص من الاستبداد. حيث عاشت شعوب المنطقة العربية زمنًا طويلًا من الاستبداد السياسي، وهي الآن تتطلع للخلاص وتناضل من أجله.

(١) بحار الأنوار. ج١، ص٢١٨.
(٢) بحار الأنوار. ج ٣٣، ص ٣٣٨.

ثانيًا: تعدّد القوى الداخلية واختلاف تشخيص الواقع. هذه الشعوب في داخلها قوى مختلفة متعددة، كالتنوع القومي والمذهبي والسياسي، كما هو شأن سائر المجتمعات. هذا التنوع من الطبيعي أن يفرز اختلافًا في الآراء حول كيفية الخلاص وحجم الاستحقاقات لكل طرف، وما هي خارطة الطريق، وكيف نبني المستقبل الذي نطمح أن نكون فيه؟ هذه الأمور وغيرها مطروحة بين القوى المختلفة، وينتج عنها تعارض في الأفكار، وتضارب في المصالح.

ثالثًا: تجذّر القوى المستبدّة التي لن تقبل بالهزيمة سريعًا، وسوف تقاوم بكل قوة حفاظًا على مصالحها ومراكزها.

رابعًا: القوى الخارجية لا تريد الخير لمجتمعاتنا. هذه البلاد العربية محطّ أنظار القوى الخارجية الطامحة، التي تريد أن تفرض هيمنتها وسيادتها على هذه الشعوب، فزرعت في وسطها الغدة السّرطانية ـ إسرائيل ـ حتى تحقق ما تصبو إليه. وهي لا ترغب في زوال الأنظمة القائمة التي تخدم مصالحها، وفي المقابل فإن القوى المستبدة في الداخل لن تجد مناصرًا لها أقوى من الإرادات الخارجية. فهناك تبادل مصالح بين القوى الخارجية والداخلية. لهذا لن تُترك الشعوب لتستلم زمام أمورها بكل سهولة ويسر.

خامسًا: فقر التجربة السياسية في أبناء الأمة العربية. بسبب هذه الحقبة الطويلة من الاستبداد، فإنه لم يكن متاحًا لأبناء الأمة أن ينخرطوا في الشؤون السياسية وتكوين الأحزاب، وممارسة الحريات، مما أفقر أبناء الأمة في التجربة السياسية، فكان من الصعب أن تتحقق نتائج مرضية فور إتاحة الفرصة لها لإدارة البلاد، بل إن الأخطاء والمشاكل سوف تكون كثيرة وكبيرة.

التضليل وخلط الأوراق:

هذه الأمور مجتمعة أوجدت حالة الارتباك التي تعيشها شعوب الأمة في أكثر من بلد. وإن أهم أداة تستخدم لإرباك الساحة، وتشويه المواقف، وخلط الأوراق، هي القناة الإعلامية.

الإعلام كما يقال سلطة رابعة، من شأنه أن يصنع الأجواء المناسبة لأهل المطامع والمصالح. فهو أداة بيدهم يحركونها لصالحهم. يصنع الإعلام أجواء الانحياز لهذا الموقف ومخالفة ذاك، ويختلق الأكاذيب ضد هذه الفئة أو تلك، ويضخّم الأمور، ويعبّئ هذه الجهة ضد تلك ويثير الحرب بينهما. وقد جربنا كيف يلعب دوره في إثارة الحروب الطائفية، يتهم جهة معينة بشيءٍ لم تقم به، ويروج له بتواطؤ وسائل الإعلام حتى يكون حقيقة ثابتة عند الناس، ليخدم مصالح القوى المستبدة.

لهذا ينبغي الحذر من التضليل الإعلامي، فمتى ما قبلت فئة باستخدام السلطة الإعلامية ضدّ غيرها، فلتترقب دورها يومًا ما. فالاستبداد ليس له صديق. من اكتوى بقذائف الحرب الإعلامية ضدّه، عليه ألّا يفرح بوصولها إلى غيره؛ لأن المستفيد الأول والأخير هو الاستبداد، كما أن كلّ إنسان مسؤول عن مواقفه فلا يشارك في الظلم، ولا يُضلّل نفسه باتخاذ موقف غير سليم تجاه هذا الطرف أو ذاك.

الإعلام له دور كبير فيما يجري من فتنٍ ومآسٍ في بلاد عربية عريقة في تاريخها، كمصر وسورية ولبنان والعراق. وكم تتألم نفس الإنسان لما يحدث بسبب هذا الإعلام المضلّل الذي يريد أن يحوّل الحقّ إلى باطل، والباطل إلى حقّ بمزج هذا بذاك، وتشويش الأمور على الناس.

الخطبة الأولى

روافد الاستقرار النفسي والعائلي

﴿اللَّـهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّـهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[سورة غافر، الآية: ٦١].

طبيعة الحياة تقتضي من الإنسان الحركة وبذل الجهد، في المجال الذهني والبدني والنفسي. فيبذل الإنسان جهدًا ذهنيًّا لتنظيم أمور حياته، وترتيب شؤونه، ومواجهة المشاكل التي تعترضه. كما يبذل جهدًا بدنيًّا من أجل توفير لقمة العيش، ومتطلبات الحياة. ويتحمّل أعباء نفسية بسبب ما يواجهه من عوائق وما يطرأ على علاقاته الاجتماعية من مشاكل، لذلك يحتاج الإنسان إلى محطّات للهدوء والراحة من أجل أن يكون قادرًا على مواصلة الجهد. وقد هيّأ الله للإنسان أسباب ووسائل الراحة والاستقرار، التي يتحدّث عنها القرآن الكريم في أبعاد: الزمان، والمكان، والشراكة الإنسانية.

أولًا: بعد المكان

وهو المسكن الذي يأوي الإنسان إليه، ويشكّل أهم وسائل الاستقرار؛ لأنه يقي الإنسان من تقلّبات الجو كالحرّ والبرد والمطر والريح، كما يحميه من الهوام والوحوش، إضافة إلى أنه يتيح له ممارسة خصوصيته الكاملة، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾، أي محطّة للراحة والاستقرار.

ثانيًا: بعد الزمان.

جعل الله تعالى للإنسان مقطعًا من الزمن مناسبًا للراحة والسكون. وهو الليل، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾. فحينما يرخي الظلام سدوله على الحياة، فإنه يوفّر للناس أجواء الهدوء والسكون.

ثالثا: بعد الشراكة الإنسانية

وأهمّ شراكة يحتاجها الإنسان هو العلاقة الزوجية، التي من خلالها تكون له عائلة تصبح مصدرًا لاستقراره النفسي والاجتماعي، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

هذه الأبعاد الثلاثة؛ البيت والليل والعائلة، تشكّل منابع للاستقرار النفسي، والراحة الذهنية، والبدنية، شرط أن يحسن الإنسان الاستفادة منها، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾. أي إنّهم لا يحسنون الاستفادة من هذه الوسائل في تحصيل الراحة والاستقرار لأنفسهم.

كيف لهذه الأبعاد أن توفر الراحة والاستقرار في حياة الإنسان؟

البيت: أجواء التربية والسعادة

مجرّد وجود جدران وأثاث للبيت، لا يعني أن أسباب الراحة قد توفرت فيه. إنما يوفر البيت الراحة إذا توفرت فيه الأجواء المناسبة، حينما يكون مكانًا للتربية، ومنبعًا للدفء العاطفي. فالإنسان بحاجة الى ما يشبع أحاسيسه ومشاعره، وحتى يتم ذلك لا بُدّ من تواجد أفراد العائلة مجتمعين في البيت أكثر قدر ممكن من الوقت. فالبيت ليس فندقًا للنوم، ولا مطعمًا للأكل. إنما هو إطار وعش يجتمع فيه أفراد العائلة. واجتماعهم لا يعني مجرّد التلاقي بالأجسام وإنما تواصل المشاعر والأحاسيس،

فقد يجتمعون بأجسامهم لكن مع انشغال كلّ واحد بنفسه، كما يُعبّر القرآن الكريم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾، سيما مع وسائل الاتصالات الحديثة، حيث تجد كلّ فردٍ من العائلة مقبلًا على شاشة جواله، حتى وهو جالس على طاولة الطعام. وفي بعض الأحيان يكاد وقت الالتقاء العائلي معدومًا، فالأب لطبيعة عمله لا يتواجد كثيرًا في البيت، وإذا عاد من عمله جلس مع رفقائه، والأم مشغولة بأمور البيت أو الوظيفة، والأولاد بمذاكرة دروسهم، أو مشاهدة التلفزيون، أو الجلوس مع أصحابهم، وهذا خطأ كبير.

على الوالدين أن يحرصا على تخصيص أوقات لاجتماع أفراد العائلة، يتحدثون مع بعضهم، ويتلقى الأولاد التوجيه والعناية من الوالدين، فذلك له أهميته الكبرى، فقد كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه: «جلوس المرء عند عياله أحبّ إلى الله من اعتكاف في مسجدي هذا»[1]. ولا بُدّ كذلك من توفير أجواء السعادة، والبعد عن الخلاف والشجار سيما بين الوالدين، فذلك يؤثر على نفسيات الأولاد، ويدعوهم لهجر منازلهم.

الليل وقت الراحة والاجتماع

جعل الله الليل سكنًا، لذلك ينبغي للإنسان أن يكون في بيته ليلًا مع عائلته؛ لأنّ السهر خارج البيت خاصة من قبل الزوج أو الزوجة، أمرٌ سيّئ يؤثر على العلاقات الأسرية والتربوية. لقد تورّط مجتمعنا في بعض العادات السيئة المؤثرة سلبًا على الاستقرار العائلي، ومنها عادة التأخير في حفلات الأعراس النسائية إلى ما بعد منتصف الليل وقرب الفجر! وكذلك سهرات بعض الرجال في المزارع والديوانيات إلى وقت متأخّر من الليل، على حساب زوجاتهم وأبنائهم!!

عادة السهر من أسوأ الحالات في مجتمعاتنا، ولها آثار عكسية. منها ضعف

---

(١) تنبيه الخواطر، ج٢، ص١٢٢.

الإنتاجية حيث يذهب الطالب إلى المدرسة، والموظف إلى العمل، وهو يعاني من النعاس والتعب، بل من أسباب كثرة الحوادث المرورية في الصباح هو تأثيرات السهر وعدم كفاية الجسم من الراحة والنوم. في الدول المتقدمة يقفلون أسواقهم في الساعة الخامسة مساء، وتبقى بعض المحلات حتى العاشرة ليلًا، عدا المحلات الضرورية. وأغلب الناس يكونون في منازلهم ليلاً!

العائلة ودفء العلاقة

إذا كوّن الإنسان عائلة، فعليه أن يحميها بعلاقات المودة والحبّ المتبادل بين أفراد العائلة؛ لأن ذلك يحصّن الجميع من الانحراف، وينمّي عندهم الأخلاق الفاضلة. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة. وسعة بتقدير. وغيرة بتحصن»[1]. أي إنّ الغيرة لا تكون بالرقابة، بل بالتحصين وهو الإشباع العاطفي.

نستقبل الآن عامًا دراسيًّا جديدًا، فلتقرر كلّ عائلة أن تنظم أوقاتها وأمورها، وتوفّر أجواء الراحة والاستقرار لجميع أفرادها، لنصنع أجواء النجاح والتفوق لأبنائنا وبناتنا في مسيرتهم التعليمية، ونشأتهم التربوية.

---

(١) تحف العقول، ص٣٢٢.

الخطبة الثانية

استدعاء التدخل الأجنبي عار ودمار

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «وَاللَّهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ وَيَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ»[1].

حدّث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أصحابه مستنهضًا هممهم للدفاع عن وجودهم وكرامتهم أمام الأعداء، مبديًا تعجبه ممن يتيح الفرصة لعدوه على نفسه، قال عليه السلام: «وَاللَّهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ وَيَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ».

أصبحت أمتنا الإسلامية في واقعها المعاصر مع الأسف الشديد مصداقًا لهذه الكلمة. أمة تمكّن العدو من نفسها، وتجلب العدو إلى ديارها وأوطانها، وتموّل العدو حتى يقضي على مصادر قوتها!!

ما هذا الواقع الذي تعيشه الأمة؟

إذا كانت حالة الاحتراب الداخلي بين أبناء الأمة سيئة، فإنّ الأسوأ من ذلك أن يستعين بعضها على بعض بالعدو الأجنبي الطامع. إنّ ذلك يعني منتهى الانحطاط السياسي، والتدهور الأخلاقي. إن أحدًا لا يشك أن الصهاينة هم أعداء هذه الأمة،

(١) نهج البلاغة، خطبة ٣٤.

يحتلون أراضيها ومقدساتها، وهم الذين يُعوّقون تقدّمها. يدعمهم في ذلك أمريكا وأوروبا، الذين زرعوا هذا الكيان الغاصب في قلب الأمة فلسطين، وما كان لهذا الكيان أن يستمر لولا دعمهم الكامل له ووقوفهم خلفه. أمريكا تُصرّح بكلّ جرأة ووضوح أنها تريد أن تضمن التفوق العسكري لإسرائيل في المنطقة، وأن أمن إسرائيل هو جزء من أمنها القومي.

وحينما يتدخل الأمريكيون والغربيون في أيّ قطرٍ من أقطار عالمنا الإسلامي، فإنهم لا يتدخلون لمصلحة هذه الشعوب، بل لمصالحهم، ولهدف حماية أمن إسرائيل. الشعارات التي يرفعونها كحماية المدنيين، كلها تلميع لمواقفهم المشبوهة، وإلّا فأينهم عن المدنيين الفلسطينيين حينما كانوا يقصفون في غزة؟ أولم يسكتوا عن الحكام المستبدين سنين طويلة؟ بل كانوا هم الذين يدعمونهم ويشجعونهم على الاستبداد والفتك بشعوبهم!

لا أعتقد أن أحدًا لا زال يؤمن بأن المسؤولين الأمريكيين تحركهم القيم الإنسانية، أمريكا ليست جمعية خيرية، وإنما هي دولة لها مصالح، وتعمل ما بوسعها لتحقيقها. كما يتحركون من أجل مصالح العدو الصهيوني، حتى الحكومات ما عادت تثق بنيّات الأمريكيين، فكلّ الحكومات تعلم أن الأمريكان قد يديرون لهم ظهورهم، في أيّ لحظة، وهذا ما شاهدوه وعاينوه بكلّ وضوح.

التدخل الاجنبي واستفحال المشكلات

فإذا كنا نقرّ بأن هؤلاء لهم أهدافهم ومصالحهم، فكيف يصح لنا أن نقبل بتدخلهم في نزاعات الأمة الداخلية؟ وإننا إذ نعلن رفضنا القاطع لتدخلهم، فذلك لا يعني قبولنا بالأنظمة الاستبدادية، بل إن قناعتنا تزداد يومًا بعد يوم، بأن التدخل الأجنبي لن يحلّ المشكلة، بل يزيدها تعقيدًا، ولسنا بحاجة إلى نظريات، فإنّ الواقع كفيل بإثبات هذه الحقيقة، فكلّ قضية تدخلت فيها أمريكا، زادت تعقيدًا وسوءًا. فأفغانستان لا

زالت تعاني، ولأكثر من عشر سنوات والمشاكل في تصاعد! والعراق ومنذ التدخل الأمريكي، لا زال ينزف، والحال كذلك في ليبيا. لا تزال هذه الدول بحاجة إلى عشرات السنين كي تنعم بالأمن والاستقرار، وحتى تستكمل بنيتها التحتية. إذًا، لماذا نكرّر الخطأ، ونراهن على صفقة خاسرة مدمّرة؟

إنّ التدخل الأجنبي في أيّ بلدٍ عربي، سورية أو غيرها، لن يأتي لنا إلا بمزيد من الدمّار، وزعزعة الأمن. وليت شعري ما بال من يستهجن بالأمس فكرة التدخل الأجنبي في العراق، ويرمي بها أطرافًا معينة للتشنيع بهم، أصبح الآن ينادي بالتدخل الأجنبي العاجل في سوريا وفي ليبيا؟

أهذا هو الإسلام والقيم؟ أهذه هي مصلحة الأمة؟ ألا نعلم مدى الرعب التي تعيشه الشعوب جرّاء التدخل الأجنبي؟ ماذا سيحصل في المنطقة بسبب التدخل الأجنبي؟ ليس إلّا المزيد من الدمار، والتعقيد، ومصادرة ثروات هذه الشعوب والمناطق.

لذلك نضرع لله تعالى بأن يحميَ الشعب السوري وكلّ الشعوب من التدخل الأجنبي، ومن كلّ الأخطار، ومن الاستبداد والطغيان. ونؤكد بأن مناوأة ومعارضة التدخل الأجنبي لا يعني الدفاع عن أنظمة الاستبداد، وإنما يعني التشكيك والرفض بأن يكون هذا هو الحلّ.

الخطبة الأولى

تيسير العادات والتقاليد الاجتماعية

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٨٥].

حين يتمكّن الإنسان من أداء عمله، وتحقيق أيّ مقصد من مقاصده بيسر وسهولة، فإن ذلك يريحه نفسيًا، ويوفّر عليه الوقت والجهد لصالح إنجاز أعمال ومقاصد أخرى. أما إذا واجه صعوبات وتعقيدات في طريقه لإتمام أيّ غرض من أغراضه، فإنه يتأزّم نفسيًّا، ويضطر لإنفاق مزيد من الجهد والوقت على حساب أعمال أخرى. لذلك يرغب الإنسان أن يرى اليسر والسهولة في جميع أعماله، وأداء مهمّاته.

المجتمعات التي تكون من سماتها اليسر والسهولة في الأنظمة والأعراف، يعيش أفرادها بارتياح نفسي، ويكونون أكثر قدرة على الإنتاج، وتوفير الوقت والجهد. أما المجتمعات التي تعيش في ظلّ تعقيد الأنظمة والأعراف، فإن أبناءها يصيبهم الانزعاج والتذمر الدائم؛ لأنّ أداء أيّ عمل يعني لهم الدخول في معركة تستثير أعصابهم، وتسلب ارتياحهم.

والبشرية طوال تاريخها تكافح من أجل التطوير في المجال العلمي والتكنولوجي، رغبة في تقليل الجهد، وتوفيرًا للوقت. فالجهد الذي كان يستهلكه الإنسان في إعداد الطعام مثلًا أو السفر والتنقل أو التصنيع والإنتاج الزراعي، أو أيّ عمل آخر، جرى خفضه واختصاره بتوفر الوسائل الحديثة.

ومن أبرز سمات الدين الإسلامي أن جعل اليسر مقصدًا من مقاصد التشريع. فقد ورد أن رسول الله ﷺ كان يوصي أصحابه كثيرًا بقوله: «بشّروا ولا تنفّروا، يسّروا ولا تعسّروا»[١]. لا يقبل الإسلام تعقيد حياة الناس، ولا أن يكلفوا فوق طاقتهم، يقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾. ويقول تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾. والنصوص التي تؤكّد أهمية اليسر والسهولة كثيرة.

هناك جهتان مؤثّرتان في تعزيز حالة اليسر أو غيابها في البيئة الاجتماعية:

الأنظمة والقوانين

بعض الدول تكون أنظمتها معقّدة، وإجراءاتها الروتينية مكثفة. فإذا أراد المواطن أن ينجز عملًا فإن ذلك يتطلّب منه وقتًا وجهدًا، لمراجعة عدد من الدوائر الحكومية، وتوفير الشروط المطلوبة، ما يطلق عليه البيروقراطية، أي سلطة المكاتب. وهذا يُشكّل حالة إيذاء، ويحدّ من حركة الناس وإبداعهم، وقدرتهم على الإنتاج، كما أنه يسبب مشاكل كثيرة على مستوى الأداء الاقتصادي وحركة التنمية. لذلك فإن الدول التي تسعى لتخفيف الأعباء والإجراءات، تستقطب المستثمرين، بينما يهرب رأس المال المحلي من البلاد التي لها أنظمة وإجراءات معقّدة.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم من ولي شيئًا من أمور أمتي فَرَفق بهم فارفق به، ومن شقّ عليهم فاشقق عليه»[٢]. وهذا حضٌّ على تيسير أمور الناس، ونهي عن تعقيد الإجراءات والأنظمة.

إنّ مجتمعاتنا تعاني مشكلة التعقيدات في الدوائر الرسمية، فالقضية الصغيرة قد تأخذ من الوقت والجهد الشيء الكثير، إما بسبب الأنظمة المعقدة، أو في بعض الأحيان بسبب عدم وضوح الإجراءات، أو بسبب الميول الشخصية للموظفين، فكلّ

---

(١) صحيح مسلم. ص٩٥٤، حديث١٧٣٢. وأيضًا غوالي اللئالي، ج١، ص٣٨١.

(٢) بحار الأنوار. ج٧٢، ص٣٥٢. صحيح مسلم، ص١٠١٦، حديث ١٨٢٩.

موظف يضيف تعقيدات وفق ما يحلو له، أو يماطل المراجعين دون مبرر.

نحن في عصر تتجه فيه الدول إلى الحكومة الإلكترونية. حتى يتم تسهيل وتعجيل إنهاء معاملات الناس، وتصريف أمورهم، مما يوفر الراحة للمواطنين، ويسرع بحركة التنمية الوطنية والإنتاج.

التقاليد والأعراف الاجتماعية

في كلّ مجتمع تتشكل عادات والتزامات اجتماعية قد تكون حسنة. وفي بعض الأحيان تكون هناك أعراف وتقاليد، يكلف أداؤها جهدًا وعناءً على أبناء المجتمع، وهذا يخالف ما تقرّه الشريعة من قاعدة اليُسر وعدم الحرج. تقول الآية الكريمة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، أريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم، لماذا تعقّدون حياتكم وتضعون تقاليد وأعرافًا تسبّب إزعاجًا وإيذاءً لكم؟

في مجتمعاتنا كثير من مناسبات الأفراح والأتراح تتخللها أعراف وتقاليد فيها حرج وعسر. إن مشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم أمر حسن، لكن لا ينبغي المبالغة في المراسيم والبروتوكولات على حساب راحة الناس وأوقاتهم. فعلى سبيل المثال، اصطفاف عدد كبير من أهالي وأصدقاء العريسين، وكذلك في مجالس العزاء، ومصافحة كل واحد منهم ومعانقته، وأخذ الصور التذكارية أصبح سببًا للكلفة والحرج والإيذاء.

ينبغي التخفف من هذه الأعراف. وهذا يحتاج وعيًا من الجميع، فالله يريد لنا اليسر فلماذا نطلب غير ذلك لأنفسنا، ثم نتداول التذمّر والتشكّي من هذه التقاليد التي أثقلنا بها أنفسنا، وبإمكاننا تغييرها وتبديلها.

التعليم بين ضخامة الميزانية وضعف المستوى

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﵇ أنه قال: «من لم يتعلّم في الصغر لم يتقدّم في الكبر»[1].

الارتباط بين مستوى التعليم ومستوى التقدم في الأمم، معادلة بديهية لا تحتاج إلى نقاش وبرهان. فكلما تقدّم مستوى التعليم في أمة، تأهلت للتقدم والنجاح، وإلا فالتخلف هو المصير المحتوم. لذلك تتنافس الأمم والمجتمعات في الاهتمام بالتعليم.

ونحن نستقبل عامًا دراسيًّا جديدًا، علينا أن نؤكّد أهمية الدراسة والتعليم. فهو لا يرتبط بالحصول على شهادة من أجل وظيفة، وإنما يرتبط بمستقبل الأمة والوطن. التعليم هو الذي يشقّ طريق التقدم والتنمية أمام الأوطان، فكلّما كان الاهتمام بالتعليم أكبر كانت فرص التقدم أكبر. إنه من الواجب علينا أن نزرع حبّ العلم في نفوس أبنائنا، ونختار لهم المكان المناسب للتحصيل العلمي. حين تبدأ الدراسة ونرى الطالب ينتظر الإجازة بفارغ الصبر وهو للتوّ قد بدأ، فإن ذلك يعني أن الرغبة في التعلم لم تأخذ مكانتها في نفسه، أو لعلّ البيئة الدراسية غير جاذبة، وعلينا حينها البحث عن بديل أفضل.

العائلة معنية بهذا الأمر. أن ترغّب أبناءها للدراسة، وتبحث لهم عن أفضل

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٦٣، حكمة ١٣٩٨.

المدارس. هذا ما ينبغي أن يكون رسالة كلّ عائلة في الحياة. العوائل في المجتمعات أخرى تعيش هذا الهاجس، وتنفق بسخاء على تعليم أبنائها، وقد تتخلى عن أمور ترغب فيها، لصالح تعليم الأبناء. وقد رأيت بعض المقيمين في بلادنا مع إمكانية تسجيل أبنائهم في المدارس الحكومية، إلا أنهم ورغم محدودية دخلهم، يبحثون عن مدارس خاصة تضمن لأبنائهم تعليمًا أفضل.

ولا شكّ أن الدولة تتحمل المسؤولية الأولى في رفع مستوى التعليم في البلاد. ونركز في حديثنا على ثلاثة أبعاد من شأنها أن ترفع مستوى التعليم:

مناهج التعليم

كلّما كانت المناهج متطورة تدفع الطالب للتفكير، وتفجير طاقته نحو الإبداع والتفوق العلمي، فإن العملية التعليمية تكون أرقى وأفضل. أما إذا كانت المناهج تعاني من خلل وضعف، فإن المخرجات ستكون ضعيفة متدنية. مع الأسف الشديد، فإن مناهج التعليم في المملكة تعاني هذه المشكلة، وباعتراف كل الأطراف، بما في ذلك المسؤولون في وزارة التعليم. لأسباب مختلفة، فإن مسيرة تطوير التعليم لا تزال متلكئة. لا يزال التعليم يعتمد الكمّ وليس الكيف، مجموعة كبيرة من الكتب والمقررات يدرسها الطالب، وخاصة في مراحل دراسته الأولى، وهو لا يستفيد منها، ويكون ذلك على حساب المناهج التي تنمي فكره ووعيه. كذلك الاعتماد على مسألة التلقين والحفظ أكثر من الاعتماد على التفكير والإبداع.

كفاءة المعلمين

المعلم مفتاح العملية التعليمية، فلا بُدّ من الإعداد الجيّد للمعلمين، سيمّا معلمي الصفوف الأولية. فهي الأساس لتشكّل ذهنية الطفل، يقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﵇: من لم يتعلم في الصغر لم يتقدّم في الكبر. التعليم في هذه المرحلة ينبغي

أن يصرف فيه جهدًا أكبر، والمعلم فيها يجب أن يكون واعيًا ومدركًا بأهمية دوره، ومتقنًا لأساليب التعليم. وفي المقابل لا بُدّ أن ينال المعلم حقّه من التقدير. حيث لا تزال رواتب وامتيازات المعلمين في مستوى متدنٍّ، وهذا ما يسبب ضعف الحافز في أداء الواجب، وإن كنّا نراهن على الوعي الوطني والشعور الديني من أجل أن يقوم كلّ معلم بواجبه تجاه طلابه.

البيئة التعليمية

كلما كانت المدارس مهيأة ومريحة للطلاب كانت الرغبة في التعلم والاجتهاد أكبر. لكن المؤسف أنه لا تزال كثير من المدارس، حسب الإحصاءات الرسمية، في وضع سيئ؛ بيوت مستأجرة يحشد فيها الطلاب، وفي كلّ فصلٍ ما لا يقل عن ثلاثين طالبًا، وبعض الغرف تكون صغيرة يصعب فيها حركة المعلم والطلاب، ناهيك عن مشاكل النظافة وسلامة المبنى!

كيف سيكون أداء المعلم في مثل هذا الوضع؟ وكيف يستوعب الطلاب دروسهم؟ كيف للمدرس أن يعطي، وكيف لهم أن يستوعبوا؟ وحين لا تكون البيئة التعليمية مريحة يضعف انجذاب الطلاب نحو المدرسة والدراسة.

أين تذهب الميزانية الضخمة؟

إنّ هذا لا يتناسب مع ميزانية ضخمة للتعليم هي من أكبر الميزانيات على مستوى الدول، وقد بلغت هذا العام ٢٠٤ مليار ريال! أين تذهب هذه الأموال؟ لماذا لا يكون هناك متابعة ورقابة لإصلاح الثغرات؟

المؤسسات العالمية تتحدث عن تأخّر وتخلّف المستوى التعليمي في بلادنا. «مع كلّ هذه الإنفاقات الهائلة على التعليم إلا أن المخرجات رديئة والنظام التعليمي ما زال يعاني من تدنّي الجودة، وحسب نتائج صادرة عن البرنامج الدولي لتقييم الطلبة

(بيسا) الذي يُعَدّ جهدًا تعاونيًا للأعضاء المشاركين من منظمة بلدان منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية بهدف قياس مدى نجاح الطلبة الذين بلغ سنّهم ١٥ سنة ممن هم على وشك استكمال تعليمهم الإلزامي والاستعداد لمواجهة تحدّيات مجتمعاتهم اليومية فإن الإمارات تأتي في المرتبة ٤٢ تليها الأردن ٥٥ ثم تونس ٥٦ ثم قطر ٦١ أما السعودية هي الدولة العربية ما قبل الأخيرة في امتحانات المقارنة الدولية للأداء في مجالي الرياضيات والعلوم»[(١)]!

بلادنا من أغنى الدول، وكثافتها السكانية ليست بالكثيرة، وترصد مبالغ ضخمة للتعليم، أفلا يحقّ لنا أن نتساءل: لماذا هذا الوضع المتدنّي في التعليم؟ أين الخلل؟

وضع التعليم في بلادنا يدقّ ناقوس الخطر، ويوجب على الجميع أن يسعى لعلاج الأمر. يتمثل ذلك في الجهة الرسمية، ثم العائلة بأن تعوض هذا الخلل باهتمامها المباشر بتعليم أبنائها.

بهذا نكون قد خدمنا أنفسنا وأدينا الواجب تجاه أبنائنا وأوطاننا.

(١) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الخميس ١٥ شوال ١٤٣٤هـ الموافق ٢٢ أغسطس ٢٠١٣م العدد ١٦٤٩٥.

الخطبة الأولى

الموظفون وتعطيل مصالح الوطن

جاء في حديث قدسي يرويه الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال الله عزّ وجلّ: «الخلق عيالي فأحبّهم إليّ ألطفهم وأسعاهم في حوائجهم»[1].

من أجل أن تتوثق علاقات الناس مع بعضهم بعضًا جعل الله تعالى حاجاتهم متبادلة فيما بينهم. فلا يستغني أحد من الناس عن أبناء جنسه، مهما كانت قوته وقدرته، كما أوضح الإمام زين العابدين عليه السلام لذلك الرجل الذي قال في دعائه: اللهم أغنني عن خلقك. نبّهه الإمام عليه السلام: ليس هكذا، إنما الناس بالناس، ولكن قل: «اللهم أغنني عن شرار خلقك»[2].

قضاء حوائج الناس

وحينما يقضي الإنسان حاجة أخيه الإنسان فإن ذلك يحقق مكاسب عديدة، من أبرزها:

أولًا: اكتساب المودة.

طبيعة الإنسان أنه يحبّ من يحسن إليه، سيّما أوقات المحن والشدائد.

(١) الكافي، ج٢، ص١٩٩، حديث١٠.

(٢) تحف العقول، ص٢٧٨.

ثانيًا: تعزيز السّلوك.

حينما تساعد شخصًا وتقضي حاجته، ويعرف حينها قيمة المساعدة، فإن ذلك يشجعه ويحفّزه لأنْ يبذل جهده لمساعدة الآخرين.

ثالثًا: ثواب الله ورضاه.

أهم مكسب يمكن أن يحققه الإنسان من قضائه حوائج الناس، كسبه لثواب الله تعالى ونيل رضاه. ورد عن رسول الله ﷺ: «من قضى لمؤمن حاجة، قضى الله له حوائج كثيرة أدناهنّ الجنة»[1]. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته»[2]. حين تقف بجانب شخص لتقضي حاجته فإنك تضمن وقوف الله عزّ وجلّ بجانبك في حاجتك. جاء في حديث قدسي يرويه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال الله عزّ وجلّ: «الخلق عيالي فأحبّهم إليَّ ألطفهم وأسعاهم في حوائجهم».

قضاء حوائج الناس وعلى أيّ مستوى كان، فرصة عظيمة لا ينبغي للإنسان تفويتها. قيل لأحد العلماء الصالحين: لو أخبرت بأنه لم يبق من عمرك إلا ساعة ما كنت فاعلًا بها؟ قال: أجلس على باب داري لعلّ محتاجًا يمرّ فأقضي حاجته.

لماذا يحرمون أنفسهم؟

إذا كان هذا وأكثر هو ما يجنيه الإنسان من قضاء حوائج الآخرين، فلماذا يمانع البعض قضاء حوائج غيرهم، ممن يطلبون منهم مالًا، أو جاهًا، أو رأيًا، أو جهدًا؟

هناك عدة أسباب، من أهمها:

الكسل

لا يريد البعض أن يتعبوا أنفسهم في قضاء حوائج غيرهم. وهذا وَهْمٌ، فعدم

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧١، ص٢٨٥، حديث٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص٣٦٧، حديث ٢١٧٨٣.

مساعدة الآخرين يعني الوقوع في متاعب أكثر في الآخرة. إنّ أمام الإنسان أهوالًا شديدة لا يتخلص منها إلا بهذا العمل الصالح، حيث يكافيه الله تعالى كما وعد بقضاء حوائجه، وهل يكون الإنسان أكثر حاجة من ذلك اليوم؟

الانتقائية

ينظر البعض إلى الشخص الذي يطلب عونهم، إن كان شخصًا يستحق منهم المساعدة أم لا، وهذا خطأ كبير. لأن المسألة لا ترتبط بمن قصدك لحاجته. فأنت إنما تسعى له من أجل الله تعالى، أليس الله يستحق منك ذلك؟ ثم إن مكانة الناس في الدنيا تختلف وتتفاوت، فلعلّ الشخص الذي تعتبره هيّنًا لا يستحق العون، يكون وليًّا من أولياء الله تعالى، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن اللّه أخفى... وليّه في عباده فلا تستصغرن عبدًا من عبيد الله فربما يكون وليّه وأنت لا تعلم»[1]. لعلك ترى يوم القيامة هذا الذي كنت تزدريه في الدنيا، صاحب مقام كبير في الآخرة، فتندم على ازدرائه في الدنيا.

إلقاء المسؤولية على الآخرين.

يتعلل البعض بكثرة الأشغال، فيتهرّب عن قضاء حوائج غيره، وقد يوجههم إلى غيره ليقضي حاجتهم. وهنا يكون قد فوّت على نفسه خيرًا كثيرًا. لو استدعيت إلى جهة وقيل لك هذه أرض منحة لك من الدولة، فهل ستأمر بها إلى غيرك، أم تأخذها فورًا؟ قضاؤك لحاجة غيرك فرصة عظيمة فلا تفوت أجرها على نفسك. ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: « أيّما رجل أتاه رجل مسلم في حاجة ويقدر على قضائها فمنعه إيّاها عيّره الله يوم القيامة تعييرًا شديدًا، وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضاءها في يديك فمنعته إيّاها زهدًا منك في ثوابها؟ وعزّتي وجلالي لا أنظر إليك في

---

(١) وسائل الشيعة، ج١، ص١١٦، حديث ٢٩١.

حاجة معذّبًا كنت أو مغفورًا لك»[1].

الوظيفة الرسمية وخدمة الآخرين:

الموظف في كلّ دائرة مناط به مهام يؤديها لتسهيل معاملات الناس المرتبطة بدائرته وإتمامها بالشكل الصحيح. فإذا راجعه المواطنون، وتهرّب من أداء عمله، وعقّد أمورهم، فالذنب هنا يكون أكبر وأعظم. بعض الموظفين حين تراجعه في معاملة ما يتثاقل. ويماطل ويتهرب، ويضع شروطًا تنهك المراجعين، وتطيل مدة المعاملة، ليوفر لنفسه وقت راحة!

كل موظف يتقاضى راتبًا لقاء عمله. فإذا قصّر في أداء مهامه فإن ما يتقاضاه من مال يعتبر سحتًا. ويكون سببًا لتخلف التنمية، وإزعاج الناس، وإضاعة مصالحهم. يشير أحد التقارير الرسمية إلى أن عدد موظفي الدولة يصل إلى ٩٥٩٨٨٣ موظف ـ أي قرابة مليون موظف ـ يتقاضون رواتب تصل إلى ١٨٥ مليار ريال سعودي. لكن ٧٥٪ من هؤلاء الموظفين يتأخرون عن الدوام الرسمي!

صور عديدة يتخذها الموظفون في تعطيل مصالح الناس وعدم قضاء حوائجهم بالشكل المطلوب. تُؤخر المعاملة بحجة عدم موافقتها للقانون، كما يدّعي الموظف. ولأن القانون غير واضح ومعلن، أو لأن المراجع يجهل بالأنظمة، فإن مثل هذا الادّعاء ينطلي عليه، وتُعطّل مصالحه. هذا وإن كان تقصيرًا من المراجع في بعض الأحيان، لكنه خيانة وجرم من قبل الموظف؛ لأنه يمنع الناس حقّهم، وهذا حرام شرعًا.

بعض الأحيان يتعمد الموظف تعقيد المراجعين عبر طلبات هامشية، بمراجعة جهات معينة، واستيفاء أمور غير مدرجة في اللوائح والأنظمة! وكأنه يستمتع بتضييع وقت الناس وترددهم عليه وتوسلهم له، وهذا جرم كبير بحقهم.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص٣٨٩، حديث ٢١٨٣٩.

وقد يحول الموضوع إلى جهة أخرى، أو شخص آخر، بينما هو من مهامه. إضافة إلى المماطلة في الوقت، فيعطي مواعيد بعيدة لإنهاء المعاملة، وهي في واقع الأمر لا تستلزم ذلك.

على كلّ موظف، أن يتقيَ الله في أداء واجبه أمام المواطنين. أنت الذي تحرص على عدم التقصير في أمور الصلاة، وواجبات الصيام، والأمور العبادية الأخرى، عليك أن تعلم أن الله سيسألك عن تقصيرك تجاه المواطنين. وأكثر من هذا، حتى لو لم يكن واجبًا عليك وكنت تستطيع أن تخدمهم، فإنك تعرض نفسك للمقت الإلهي لو قصّرت في ذلك.

الآباء ونجاح العملية التعليمية

الخطبة الثانية

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حقّ الولد على والده أن يعلّمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيّبًا»[1].

تضطلع العائلة بدور محوري في توجيه الأبناء باتجاه كسب العلم والمعرفة. وعلى نحو أخصّ، يتحمل الآباء المسؤولية الأساس عن توجيه الأبناء وحثّهم على الانخراط في العملية التعليمية وتهيئة الوسائل والأسباب لهم لكسب المعرفة، وتلقي كلّ ما ينفعهم ويبني مستقبلهم، ويأتي في هذا السياق الحديث الشريف الوارد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حقّ الولد على والده، أن يعلّمه الكتابة والسباحة والرماية، وأنْ لا يرزقه إلا طيّبًا»، والنبي ﷺ يتناول في هذا الحديث جانبًا أساسيًّا وهو تعلّم الكتابة، إضافة إلى بعض المهارات التي ينبغي أن يتيح الآباء للأبناء فرصة تعلّمها، لغرض إدارة حياتهم، ومن ذلك السباحة والرماية وركوب الخيل، التي كانت متطلبات تتناسب وظروف ذلك العصر، في حين بات الأبناء في عصرنا الراهن يحتاجون بطبيعة الحال إلى مهارات تتجاوز ما سبق. وبذلك يبقى حقّ التعليم وفرص اكتساب المهارات حقًّا ثابتًا للأبناء على الآباء في كلّ عصر ضمن مستلزماته وتطوراته.

---

(١) كنز العمال، ج١٦، ص٤٤٣، حديث ٤٥٣٤٠.

الأب المسؤول الأول

إنّ تعليم الأبناء واجب شرعي وإنساني تقع مسؤوليته على عاتق الآباء. فكما أنّ الآباء مسؤولون مسؤولية كاملة عن توفير الغذاء والملبس والمسكن لأبنائهم، وهم محاسبون أمام الله تعالى فيما لو قصّروا في توفير هذه الأساسيات لأبنائهم، كذلك الحال لو قصّر الآباء في توفير سبل كسب العلم والمعرفة لأبنائهم، فهم سيكونون أيضًا محاسبين أمام الله لو تسبّب إهمالهم في تأخر الأبناء دراسيًّا. وينصّ الحديث على أنّ الأب هو المسؤول الأول عن متابعة المسيرة الدراسية للأبناء، ولا يعفيه التنصّل من تلك المهمة وتحمل المسؤولية أمام الله بإلقائها على عاتق الأمّ، فهناك جملة من النصوص الدينية التي تتمحور حول مسؤولية الآباء تحديدًا عن تعليم أبنائهم.

ومع التطور البشري الكبير الذي قاد إلى إلقاء مسؤولية التعليم على عاتق المؤسسات الرسمية، تبقى مع ذلك مسؤولية تعليم الأولاد تكليفًا شرعيًّا على الآباء. فحتى مع تحول العملية التعليمية إلى مسؤولية تدخل في صميم عمل الحكومات وعلى مختلف المراحل من الابتدائية وحتى الجامعية، غير أنّ هذا لا يعني بأيّ حال إخلاء الآباء من المسؤولية عن رعاية هذه المهمة، فمن الخطأ الكبير الاعتقاد بإعفاء الأب من تحمّل المسؤولية بمجرد تسجيل ابنه في المدرسة النظامية.

إنّ الآباء معنيون بمتابعة أمور دراسة أبنائهم، والتواصل مع المؤسسات التعليمية التي يدرس فيها الأبناء. وذلك لجهة إشعار الأبناء بالمتابعة الأبوية والاهتمام بتعليمهم، فإذا ما لمس الابن هذا الاهتمام والمتابعة من أبيه سيكون أكثر اهتمامًا وجدّية في دراسته، ومن جهة أخرى تنبع أهمية تواصل الآباء مع المؤسسة التعليمية التي تحتضن أبنائهم، لجهة تحفيز فاعلية القائمين على المؤسسة، فالإداريون والمعلمون يتفاعلون بشكل أفضل في أداء مهمتهم حين يكون هناك تواصل معهم من قبل أولياء أمور الطلاب. ومع وجود الكثير من الثغرات في أداء بعض المعلمين وقصور البيئة التعليمية تتضاعف أهمية المتابعة المنزلية للأداء التعليمي في المدرسة، لجهة مراقبة

وتصويب عمل المؤسسة التعليمية في حال وجود التقصير.

تقصير الآباء في التواصل مع المدارس

ومما يبعث الأسى على هذا الصعيد، هو التقصير الملحوظ في متابعة الآباء لشؤون أبنائهم داخل المدرسة. فعلى الرغم من وجود المجالس المخصصة لأولياء الأمور، وسعي المدارس للتواصل الدائم مع أولياء أمور الطلاب، إلا أنّ هناك شكاوى مريرة من قبل إدارات المدارس من تقصير وضعف التجاوب من قبل أولياء الأمور في المتابعة والاطّلاع على أداء أبنائهم داخل المدرسة. إنّ من واجب أولياء الأمور متابعة أوضاع أبنائهم التعليمية، لتلمّس النواقص وسدّ الثغرات، إنْ على صعيد العملية التعليمية نفسها وعلى مستوى توفر الخدمات المطلوبة في البيئة التعليمية داخل المدرسة، فلا ينبغي بأيّ حالٍ أن يغضّ الآباء الطرف عن هذه الأمور، ويتركوا أبناءهم وبناتهم يواجهون مختلف الظروف الصعبة طوال عامهم الدراسي، فالمطلوب منهم الضغط على إدارات المدارس وعلى إدارات التعليم من أجل تحسين البيئة التعليمية لأبنائهم وبناتهم.

من هنا، ندعو أولياء الأمور إلى تفعيل التواصل مع المؤسسات التعليمة. والحرص على المتابعة المباشرة مع إدارات المدارس والمعلمين، والاستمرار على مدار العام في متابعة التقويم الدراسي لأبنائهم وبناتهم، فذلك ما يدخل ضمن مجال المسؤولية الشرعية التي يحاسب عليها الإنسان أمام الله. ولأن من حقّ الولد على أبيه أن يُعلّمه، فإن ذلك ما يعني ضمنًا أن يتابع أداءه الدراسي طوال مسيرته التعليمية، وأن يهتمّ بجودة التعليم الذي يحظى به.

الخطبة الأولى

الأم وإنجاح دورها في التربية

﴿وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٤].

حين يتحدث القرآن الكريم عن فضل الوالدين ومدى الجهود التي يبذلانها في تنشئة الإنسان وتربيته، فإنه يستعرض بالتحديد معاناة الأم. يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، ثم يركّز تعالى الحديث عن الأم: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾، يُبيّن هنا معاناة الأم في فترة الحمل التي تقاسي فيها الألم على الألم، والضعف على الضعف، ويستمر العناء معها بعد الولادة، حيث تتحمل عناء الإرضاع والحضانة والتنشئة. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، الحديث هنا أيضًا عن فضل الوالدين، لكن التأكيد والتركيز على معاناة الأم، رغم أن سياق الآية يتحدث عن الوالدين وما يتوجب على الولد تجاههما.

إن الجهد الذي تبذله الأم لأجل أبنائها أكثر بكثير مما يبذله الأب، وهذا واضح وجدانًا للعيان. فالأم تعاني كثيرًا في فترة الحمل، وأثناء الولادة، وفترة الإرضاع والحضانة والتنشئة. فدورها مهم وأساس لتنمية الطفل، وهو دور موكل لها من الله تعالى، حيث أودع في نفسها برمجة غريزية وقدرة فائقة على بذل العطف والحنان للوليد وتحمله في مختلف مراحله، وهذا ما لا يتوفر عند الآباء غالبًا. هذه العلاقة

المميزة بين الأم وبين الوليد تجعل قدرة الأم في التأثير على الوليد في السنوات الأولى من حياته أعظم من قدرة الأب. لأن الوليد جزء منها، نشأ في أحشائها، وتغذّى من دمها، ويرتضع من لبنها، ويعيش في أحضانها، هذه العلاقة العضوية والغريزية تجعل الولد أكثر التصاقًا بأمه، وتجعل الأم أكثر تأثيرًا على الولد.

هذا الدور الذي يكشف عن معاناة الأم وفضلها، يكشف في الوقت نفسه عن عظيم مسؤوليتها في إعداد شخصية الطفل. حيث يؤكد خبراء التربية أن المراحل الأولى من حياة الإنسان هي السنوات التأسيسية لشخصيته؛ لأن مشاعره وتوجّهاته وسماته النفسية، كلها تتشكل في تلك الفترة التي يكون فيها ملتصقًا بأمه، والذي يكون تأثير الأم عليه أكبر من أيّ شيء آخر. لذلك فإن الأم تتحمّل مسؤولية كبيرة، وإن كانت الحضانة حقًّا للأم وليس واجبًا عليها، حيث إنّ الشرع والقانون يلقيان الواجب على عاتق الأب، بعد ولادة الطفل، ولو أرادت الأم أجرة على الرضاع أو الحضانة يحقّ لها ذلك. وعلى الأم حينما تقوم بهذا الدور أن تعرف أنها مسؤولة أمام الله عن اتقانها لهذا الدور، من الإعداد الصالح والتربية الحسنة للولد باعتبارها ألصق الناس به، وأكثرهم تأثيرًا عليه.

وعي الأم بدورها الخطير

في السابق كانت الأم تتمحض لتربية أبنائها، فليس هناك ما يشغلها عنهم. أما في هذا العصر، فإن بعض الصوارف والانشغالات أصبحت تزاحم الأم في تربية أبنائها، كالعمل، ووسائل الترفيه كالتلفاز، والإنترنت، والرغبات المتنوعة، لهذا يجب أن تتذكر أهمية الدور الذي أنيط بها من الناحية الوجدانية والعرفية. الأم هي المصنع الذي ينتج الأبناء، وهي المدرسة التي تربّيهم وتعدّهم. إنّ أيّ مكسب من المكاسب لا يمكن أن يوازي نجاح الأم في تربية أبنائها. والأم التي تعمل من أجل كسب المال أو تصرف وقتًا لاهتمامات أخرى، إذا قصّرت في تربية أبنائها وأصبحوا فاشلين في

حياتهم فإنها هي أول من سيدفع ضريبة فشلهم؛ لأنها ستعيش الألم والتمزق النفسي، والعناء في حياتها معهم. ربما تغريها بعض الصوارف والاهتمامات المختلفة، لكنها في الغد حينما تفتح عينيها على أولاد فاشلين، منحرفين، لا سمح الله، حينها ستدرك كم أساءت لنفسها ولمستقبلها.

على المرأة التي تريد أن تشارك في مختلف جوانب الحياة، وهذا بلا شك من حقّها، أن تعطي من وقتها أكبر ما يمكن لتربية أبنائها. فكلّ الأدوار يمكن للآخرين أن يقوموا بها، لكن دور الأم في تربية أولادها لا ينافسها فيه أحد، سيما تربية الصغار الذين هم بأمسّ الحاجة للعطف والحنان والمتابعة.

الأم لها قدرة على التحمل والصبر قد لا يمتلكها الرجل. فهي أولى بمتابعة الأبناء في مرحلة الطفولة، ولهذا تختار بعض الدول لتعليم المرحلة الابتدائية العنصر النسوي وليس الذكوري. وفي مجتمعاتنا قبل وجود المدارس الحكومية، كان من يدرس الأولاد في الكتاتيب نساء غالبًا. وقد أثبتت التجربة أنّ المرأة أكثر نجاحًا وقدرة على التعليم في المراحل الأولى.

الأب وتوفير الأجواء المناسبة للأم

إنّ ما تقوم به الزوجة من تنشئة الأبناء هو عمل عظيم لا يؤدّيه غيرها، فعلى الأب أن يوفر أفضل الأجواء المساعدة لها على القيام بدورها، ولو كان على حساب بعض حقوقه ورغباته، بل حتى لو كان هناك ما يضايق الرجل أو يكرهه في حياته الزوجية، فإن عليه أن يتحمّل ذلك من زوجته من أجل بقاء الزوجة وقيامها بدورها في تنشئة البناء، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾[سورة النساء، الآية: ١٩]، قد يكره الزوج المرأة، وينوي الطلاق، لكن القرآن يذكّره بأنه ربما كان هناك ما يوجب التأني والصبر، ولعلّ من أبرز المصاديق اهتمام الأم بتنشئة الأولاد، وهذا بلا شك فيه خير كثير.

البيئة الاجتماعية لإنجاح الأمومة

مع تطور ظروف الحياة، وخروج المرأة إلى سوق العمل، يواجه دور الأمومة تحدّيات كبيرة، حيث يستهلك الكثير من جهد المرأة ووقتها خارج المنزل، على حساب اهتمامها بتربية الأبناء وتنشئتهم، وللحدّ من هذه المشكلة لا بُدّ وأن تراعي قوانين العمل ظروف الأمومة، وعلى الدولة أن توفر فرص العمل للأمهات في مناطق إقامتهنّ، حيث تعاني شريحة من المعلمات مثلًا في بلادنا تعيينهم في مناطق بعيدة ونائية، فتضطر المعلمة الأم للابتعاد عن أبنائها، أو أن تقطع مسافات التنقل يوميًّا في الذهاب والرجوع، ومن الأفضل إتاحة فرص العمل للأمهات بنصف دوام لأربع ساعات بدلًا من الدوام الكامل، وكذلك فرص العمل من البيت الذي تتيحه تطور الأداء الألكتروني.

إذا كان على الأم أن تضع تربية أولادها كأولوية نصب عينها، فعلى الزوج أن يكون لها عونًا وسندًا، كما أن على الدولة أن تضع الأنظمة والقوانين التي تساعد على توفير البيئة الصالح لأداء دور الأمومة.

الخطبة الثانية

رياح الفتن تعصف بالأوطان

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنّ الفتن إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت نبهت، ينكرن مقبلات، ويعرفن مدبرات، يحمن حوم الرياح، يصبن بلدًا ويخطئن بلدًا»[1].

تواجه البلاد العربية في وقتنا الراهن طوفانًا من الفتن والمشاكل. حتى باتت المنطقة تموج في الاضطرابات السياسية، والاحترابات الطائفية، والنزعات القومية، وسط أجواء من الضبابية والمشاعر المختلطة والأفكار المشوشة، وهي الأجواء التي غالبًا ما تحيط بالفتن والنزاعات عند اندلاعها أول الأمر، فلا يكاد يدرك الناس أنها قد تكون شرارة صغيرة لفتنة عمياء كبيرة.

إنّ الناس أكثر ما يحتاجون إلى الوعي والإدراك، حتى يقفوا على ملابسات ما يدور حولهم، ويعرفوا الأمور على حقيقتها. وفي خطبة له أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى حقيقة مهمة بقوله عليه السلام: «إنّ الفتن إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت نبهت، ينكرن مقبلات، ويعرفن مدبرات، يحمن حوم الرياح، يصبن بلدًا ويخطئن بلدًا»، ومضمون كلامه عليه السلام أن الفتن في بدايتها غالبًا ما يخيّم عليها الالتباس والاشتباه، فلا يكاد يُعرف حقّها من باطلها، ولربما رفع طرف ما شعارًا صحيحًا أو مقولة حقّة، إلا أن الباطل يكمن خلفها، على غرار ما فعل الخوارج عندما صاحوا في وجه الإمام

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٩٣.

علي ﷺ: «لا حكم إلا لله»، ليصف ﷺ مقولتهم تلك بأنها «كلمة حقّ أريد بها باطل»، من هنا لا بُدّ وأن يتحلّى الناس بالبصيرة والوعي، حتى لا يقعوا في مزالق الفتن. ويكمل ﷺ في وصفه الفتن بأنها «.. إذا أدبرت نبهت»، أي إنّ الناس غالبًا ما يتنبهون إلى فداحة الفتنة، بعدما اكتووا بنارها، نتيجة سفك الدماء وهتك الأعراض ونهب الممتلكات، والأغرب في حديث الإمام في وصف الفتن قوله «ينكرن مقبلات»، أي إن الفتنة عندما تحلّ فإن الناس لا يعتبرونها فتنة ولا يقرون بذلك، لكنهم سرعان ما يدركون خطأ موقفهم مع نهاية الفتنة، بعد خراب البصرة كما في المثل.

القابلية للفتن

ولعلّ أخطر ما يحيط بأيّ بلدٍ من البلدان هو القابلية للفتنة. وقد تناول ﷺ هذه الحقيقة بالقول إن الفتن «يحمن حوم الرياح، يصبن بلدًا ويخطئن بلدًا»، وعليه يمكن القول إنّ هناك ما يمكن وصفه بالقابلية للفتنة في مجتمع دون آخر، على غرار مقولة القابلية للاستعمار التي اجترحها المفكر الجزائري الراحل مالك بن نبي. إنّ من المهم جدًّا أن يحرص الناس على النأي ببلادهم عن صناعة الأرضية الجاهزة لانفجار الفتن والقلاقل والاضطرابات.

إنّ هناك مؤشّرات على إمكانية اندلاع الفتنة في أيّ مجتمع. وأول هذه المؤشرات هو اختلال ميزان العدل والمساواة بين المواطنين، ذلك أنّ مبدأ المواطنة هو الناظم الأساس للعلاقة بين الناس والحكومة في المجتمعات الحديثة، فالناس جميعًا شركاء في تراب وطنهم، بصرف النظر عن توجّهاتهم الفكرية والدينية، وهم بذلك مسؤولون عن تحقيق المصلحة العامة لهذا الوطن. إنّ إقامة العدل وتحقيق المساواة بين الناس تحت ظلّ القانون والنظام، هو أول التحصينات الوطنية الكبرى في مواجهة الفتنة، وهنا تحديدًا يقع الفرق الجوهري بين الدول الحديثة التي يحكمها قانون يضمن المساواة، وبين بلاد أخرى يغيب عنها هذا القانون، فوجود قانون يحفظ المساواة هو

ما يجعل القابلية للوقوع في الفتن الاجتماعية عند الفريق الأول في أدنى مستوياتها، ومن الصعوبة بمكان أن تشقّ الفتن طريقها وسط تلك المجتمعات، فيما يجعل غياب العدالة والمساواة، القابلية لتسلل الفتن في أعلى المستويات عند الفريق الآخر.

أما ثاني المؤشرات على إمكانية اندلاع الفتنة في أيّ مجتمع فهي التهيئة النفسية والفكرية المسبقة. بما يعني وجود أرضية ثقافية جاهزة قوامها الحضّ على الكراهية، وهذا ما تنبّهت له البلدان الحديثة، المهتمة بحفظ الاستقرار والوحدة الوطنية على أراضيها، من خلال حظر خطاب الكراهية، ومناهضة النزعات العنصرية التي تقسم الناس على أساس انتماءاتهم المختلفة. ومع أن هناك في البلدان المتقدمة اتجاهات عنصرية، من اليمين المتطرف وبقايا النازية، التي تعمل على إثارة الفوارق على أسس عرقية أو دينية، لكنها لم تجد الطريق سالكًا أمامها، إذ قوبلت بأنظمة وقوانين رادعة، ووعي ورقابة عامة، مثّلت حصانة للمجتمع من نموٍّ وتفاقم الثقافة العنصرية واتّساع رقعتها.

منابر الإعلام الطائفي

وتكمن مشكلة المجتمعات العربية والإسلامية، في تركها الأبواب مشرعة أمام وسائل الإعلام والمنابر الدينية لنشر ثقافة الفتنة والتحريض والتعبئة الطائفية. وقد جرّ ذلك عامة الناس إلى مربع طائفي مقيت بات يستعصي الخروج منه، وزاد من صعوبة إقناع الناس بخطأ وخطورة ما هم عليه من حالة طائفية، وذلك لفرط ما خضعوا له من الشحن الطائفي، ولشدّة ما غرس في الأذهان من كراهية الطرف الآخر، والنظرة السلبية إليه، بما يقود إلى سرعة الانزلاق نحو الجدالات الطائفية العقيمة، وبروز المهاترات والتنابز بالألقاب مثل الروافض والنواصب وغيرها، فمن يا ترى زرع هذه الأفكار والنزعات لدى هذه الشعوب؟

والأنكى من ذلك عندما تتكئ الثقافة الطائفية المستفحلة بين شعوب المنطقة في

عصرنا الراهن على التراث الديني، الذي سطّره علماء وكتاب قبل عهود سحيقة. في حين ينبغي لشعوب المنطقة أن تعيش مصالحها الحاضرة، ولا يصحّ لنا أن نكون أسرى لنصوص تحتضنها كتب التراث، كما لا يجوز أن نسمح لتلك النصوص أن تعبئ أبناءنا على بعضهم بعضًا، لينشأ في بلادنا إثْر ذلك جيل معبأ بالطائفية. ولنا أن نتخيل شكل العلاقة بين أبنائنا المتنوعين مذهبيًّا، إذا ما التقوا في أروقة المدرسة والجامعة والعمل، وقد شحن رأس كلّ منهم بالترهات على الآخر!. إنّ علينا أن نتقيَ الله في أنفسنا، وأن نخاف الله في أوطاننا.

الوعي للتحصين من الفتن

إنّ على مختلف الفاعليات الإعلامية والاجتماعية والدينية أن تتوخى أقصى درجات الحذر عند مقاربة الملف الطائفي بين أبناء الأمة. فهناك كثير من الدعاة والخطباء ممن يلقي ما في جعبته على المنبر، من أحاديث تشحن نفوس الناس بالبغضاء على أتباع الطوائف الأخرى، ثم يعود هذا الخطيب إلى بيته وعائلته آمنًا مطمئنًّا، والأرجح أنه أبعد ما يكون عن اللقاء والاحتكاك بأتباع الفريق الآخر، ولكن ماذا عن هؤلاء الناس الذي شحنهم طائفيًّا وعبّأ نفوسهم بالكراهية تحت منبره؟ كيف سيكون شكل العلاقة بينهم وبين من يخالفونهم المذهب!؟ إنّ الخطباء مطالبون بتقوى الله والنأي عن اللعب على غرائز المستمعين، على طريقة البرنامج الإذاعي؛ ما يطلبه المستمعون. مأساة أن بعض الخطباء لا يترددون في اللعب على هذا الوتر المذهبي في خطبهم الموغلة في الطائفية، استجابة ومحاكاة لغرائز المستمعين المعبئين أصلًا. دون أن يتساءلوا، هل أن هذه التعبئة والشحن الطائفي تصب في مصلحتهم؟ أم هل تصبّ في خير بلادهم ومستقبل أبنائهم؟ أم أن جميع ذلك لا يَعْدُو عن كونه لعبًا على عواطف الناس واستثارة الضغائن والأحقاد؟

لا سبيل إلى مواجهة رياح الفتن التي تعصف بأوطاننا إلا بالوعي. وليس من الوعي

إلقاء الخطب الطائفية من على المنابر، تحت مزاعم نصرة العقيدة والمذهب، فذلك ـ بالحدّ الأدنى ـ اشتباه كبير، وهو عين ما يقوله أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الفتن إذا أقبلت شبهت»، إن هذا الخطيب الموغل في الطائفية لا يكاد يدرك أنه بذلك يُسيء إلى دينه ومذهبه ومجتمعه، والأولى أن يتخذ أمثال هؤلاء العبرة من الآخرين الذين وقعوا في الفتنة الطائفية العمياء، ولا يزالون يكابدون أهوالها، ولم يتلمسوا بعد طريق الخروج منها.

ولقد تابعنا يوم أمس إحدى الخطوات الساعية نحو إخماد نار الطائفية في العراق، بانعقاد مؤتمر إقرار وثيقة الشرف والسلم الاجتماعي[١]، الذي يأتي في غمرة المذابح الطائفية في هذا البلد. من هنا نقول: إذا كان هؤلاء الذين وقعوا في أتُون الفتنة الطائفية، وتجرّعوا آلامها، ودفعوا ثمنها غاليًا، باتوا يستميتون في البحث عن سبل الخروج منها، فهل من العقل أن يسمح الآخرون لأنفسهم ولبلادهم بالوقوع في شرك الفتنة ذاتها!.

نحن أحوج ما نكون للوعي حماية لأوطاننا ومستقبل أبنائنا، من خلال إزالة القابلية للفتن في مجتمعاتنا، بالتوسل بطريقين؛ إحقاق النظام العادل والمساواة بين الناس، ومحاصرة الثقافة التحريضية والحضّ على الكراهية بين المواطنين.

---

(١) انعقد مؤتمر قادة الكتل السياسية للتوقيع على وثيقة (الشرف الوطني) لمبادرة (السلم الاجتماعي) يوم الخميس ١٩ سبتمبر٢٠١٣م وتتضمن وثيقة الشرف عدة بنود على رأسها حرمة الدم العراقي والحفاظ على الهوية الوطنية ونبذ الإرهاب والتطرف، وحماية النسيج الوطني وعدم السماح للأجندات الخارجية بتنفيذ مخططاتها في البلاد، واعتماد مبدأ الحوار سبيلاً وحيداً لمعالجة المشكلات والعقد التي تعتري مسيرة العملية السياسية في البلد، كما تتضمن تقديم الخدمات للمواطن وإجراء إصلاحات اجتماعية وسياسية مهمة للحفاظ على مكتسبات العملية السياسية.

التخطيط والبرمجة وصيّة الدين

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
[سورة الملك، الآية:٢٢]

حين يسير الإنسان في طريق واضح سويّ يمشي منتصب القامة، نظره متجه إلى الأمام؛ لأنه مطمئن للطريق الذي يسير فيه، فلا التواءات ولا حفر يخشى من الوقوع فيها أو الاصطدام بها. أمّا إذا كان يسير في طريق متعرج لا يعرف طبيعته، فسيضطر لتركيز نظره على مواقع خطواته، مما يلزمه بطأطأة رأسه، فيبدو منحيًا، حتى يرى الطريق أمامه؛ لأنه لا يدري ما يواجهه في الخطوة القادمة. هذا ما يعيشه من يعانون ضعف النظر، خاصة في الليل، وإن كانت ليست قاعدة عامة، فهناك من يكون كفيف البصر لكنه يمشي بسرعة وثقة؛ لأنه يعرف طريقه ويطمئنّ للطريق الذي يسير فيه، فهو فاقد البصر لكنه لم يفقد البصيرة، بخلاف من يملك البصر ويفقد البصيرة.

الآية الكريمة تعطينا مثالًا للتفرقة بين الحالتين: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ﴾، والمكبّ يعني من يكون وجهه إلى الأرض ينظر إلى موضع أقدامه؛ لأنه ليس متأكدًا من سلامة الطريق، وفي المقابل: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ منتصب القامة لا يحتاج أن ينحني ويطأطأ رأسه؛ لأن الطريق واضح أمامه، يعلم أن الطريق سويّ أمامه فقامته تكون منتصبة.

هاتان الحالتان تسوقهما الآية الكريمة التفريق بين نوعين من الناس، أناس يعرفون

الطريق التي يسيرون فيها فهم مطمئنون إليها، يسيرون بقامة منتصبة. وأناس يسيرون في طريق لا يعرفون خارطته وطبيعته فيمشون مطأطئين رؤوسهم. ويمكننا أن نسقط هذا التعبير على الأشخاص الذين يخططون لأعمالهم وأهدافهم، ومن يقومون بها بلا تخطيط أو دراسة.

ثقافة التخطيط

في المجتمعات المتقدّمة تسود ثقافة التخطيط، ويتربّى الفرد من نشأته الأولى على الإعداد المسبق لكل عمل. لا يقومون بأعمالهم ارتجالًا أو من وحي الانفعال، ولا يبدؤون بها عند آخر الوقت من دون مقدمات. حتى الطفل في البيت يتربى على هذا النهج، فالوقت منظم، وقت للنوم ووقت للعب، ويوم للنزهة، يعرف أن هناك خطة، صرف المال يكون بدراسة وخطة، فالعائلة لديها ميزانية تنفق على أشياء مدرجة في الميزانية، والأولاد يتعلمون على هذا. حين يطلب الولد شيئًا من أبيه، فإن أباه يخبره بأن هذا الشيء يحتاج إلى أن نضعه في ميزانية شهر آخر حتى نستطيع توفيره دون أن يؤثر على شيء أساس. سفراتهم السياحية يوضع لها خطة من بداية العام. فالإنسان يتربى على أن تكون عنده خارطة طريق، وميزانية مالية لتدبير شؤون حياته، وهذا ما يأمر به الدين ويربي عليه.

بينما في المجتمعات التي لا تمتلك هذه الثقافة، يعتمد الناس على غالبًا اتخاذ قرارات ارتجالية، وقرارات تؤخذ في اللحظات الأخيرة، وقد تكون على حساب أمور أساس في حياتهم. قد تجد الواحد في نفس اللحظة يفكر في السفر، ويعزم على ذلك، ويذهب لاستخراج أو تجديد جواز سفر له ولعائلته، ويحجز التذاكر في وقت متأخر، وهذا بلا شك فيه كلفة مالية خلاف من يحجز لسفره قبل وقت من موعد الرحلة، ولربما عزم على بلدٍ ما وفي الطريق ينصحه شخص ببلد آخر فيغير رأيه فورًا. وفي بعض الأحيان، من وحي المناكفة والتحدّي، يجلس مع جماعة فيتحدّاه صاحبه في

مسألة الزواج للمرة الثانية، فيتزوج بناء على هذا التحدّي ويخرب وضعه ووضع عائلته! إنسان كهذا لا يوظف عقله التوظيف الصحيح، ولا يتعاطى مع الحياة بالطريقة السليمة، وهذا خلاف ما يأمر به الدين.

الدين يعلم الإنسان على التخطيط لكلّ شيء؛ لأنّ الحياة قائمة على نظام دقيق، سنن منظمة، حتى العبادات وضعت على أساس نظام دقيق، بل حتى الكلمة التي يريد الإنسان قولها فإن الروايات ترشده إلى أن يفكر ويخطط لها قبل قولها، الامام علي عليه السلام يقول: «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»[١]. العاقل يُمرّر كلمته على قلبه، أي عقله، ثم يتفوّه بها على لسانه، أما الأحمق فلا يستفيد من عقله، يقول الكلمة ثم يتورط بها كيف يعالجها وكيف يتعامل مع تداعياتها. يقول عليّ عليه السلام: «يا كميل! ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة»[٢]. وعنه عليه السلام: «الفكر في العواقب ينجي من المعاطب»[٣]. وعنه عليه السلام: «إذا قدمت الفكرة في جميع أفعالك حسنت عواقبك في كل أمر»[٤].

لذلك ينبغي للإنسان أن يعتمد التفكير، ويُحدّد هدفه في كلّ شيء، سواء كان في الشأن الخاص أو العام، ماذا تريد من كلامك، ماذا تريد من عملك وحركتك؟ لا بُدّ لك من هدف بيِّن، وخارطة طريق واضحة حتى تعرف المكان الذي تريده.

---

(١) نهج البلاغة، حكمة٤٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٤، ص٤١٢، حديث٣٨.
(٣) غرر الحكم ودرر الحكم، ص٥٣، حكمة ١٦٢٤.
(٤) غرر الحكم ودرر الحكم، ص١٦١، حكمة ١٥٨.

الخطبة الثانية

اليوم الوطني ومفهوم المواطنة

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «عمّرت البلدان بحبّ الأوطان»[1].

يعبر مفهوم الوطن في مضمونه العام عن جانبين؛ وجداني غريزي، وآخر سياسي أخذ طريقه في التبلور مع نشوء الدولة الحديثة. لقد ارتبط مفهوم الوطن في العهود القديمة بتلك الأرض التي ولد ونشأ عليها الإنسان، ليظلّ متعلّقًا وجدانيًّا بتلك الأرض مدى العمر، فلا يكاد المرء يبرح الحنين إلى داره الأولى مسقط رأسه ومرابع صباه. هذا الانشداد النفسي والغريزي للوطن لا يفارق كلّ إنسان، لذلك غالبًا ما تجد أولئك الذين يفارقون أرضهم، يحتفظون بالحنين إلى مسقط رؤوسهم، على نحو يبقى مستوليًا على نفوسهم، حتى لو كانت حياتهم في أرضهم الجديدة أكثر رغدًا ورفاهية. من هنا جاء قول الشاعر العربي:

كم منزل في الدهر يألفه الفتى   وحنينه أبـــدًا لأول منزل

وقال شاعر عربي آخر:

إذا ذكــروا أوطانهم ذكّرتهم   عهود الصّبا فيها فحنوا لذلكا

الوطن كيان سياسي

وهذا هو الوطن بمعناه الوجداني الأولي. غير أن مفهوم الوطن في العصور

(١) تحف العقول، ص٢٠٧.

المتأخرة بات مختلفًا عن مفهومه الوجداني القديم والمحدود، فقد صار مفهوم الوطن يُعبّر عن كيان سياسي قائم على ثلاث مقومات أساسية، هي: الأرض والشعب والنظام السياسي، وتبعًا لذلك أصبحت حياة ومصالح الإنسان مرتبطة بهويته الوطنية، فالعالم لم يَعُدْ يعنيه النظر للهوية الثقافية والعرقية للإنسان، بقدر ما يتعامل معه على أساس من هويته الوطنية وجواز سفره. وبذلك أصبح للوطن معنى سياسي بالغ التأثير على حياة الفرد على نحو أبعد ما يكون عن الحالة الوجدانية المجردة.

وفي حين أصبح مفهوم الوطن والمواطنة في الدول الديمقراطية مفهومًا واضحًا مرتبطًا عضويًّا بحقوق وواجبات المواطن، بحيث صار يدرك المواطن العادي في تلك المجتمعات ما له وما عليه، وأنه بحكم انتمائه لهذا الكيان فإن له قائمة من الحقوق، وعليه لائحة من الواجبات. بخلاف ذلك، لا يزال مفهوم الوطن والمواطنة في المجتمعات النامية، ومنها مجتمعاتنا العربية والإسلامية مفهومًا غير واضح، إذ لا يزال يبدو سائدًا المفهوم القديم للوطن بمعناه الوجداني الذي قد لا يتجاوز حدود الحيّ والقرية أو المدينة، فيما يغيب عن الأذهان المعنى المرتبط بالكيان السياسي والاعتباري، المرتبط ارتباطًا وثيقًا بمختلف تفاصيل حياة الفرد.

الهوية الوطنية والهويات الفرعية

إنّ مفهوم المواطنة لا يزال يحيطه الارتباك والخلل البنيوي في مجتمعاتنا. وذلك نتيجة الواقع المختلّ أصلًا الذي يعايشه الناس. ويمكن الإشارة إلى بعض جوانب الخلل القائم في عدة جوانب، ومن ذلك؛ الالتباس القائم في أذهان الناس، بين الانتماء للوطن ككيان سياسي، وبين الانتماءات الفرعية الأخرى. بالنظر إلى تعدد دوائر الانتماء، فقد يكون الفرد منتميًا إلى دائرة عرقية، قومية، دينية، مذهبية قبلية، فهذه دوائر انتماء فرعي ربما انضوت تحتها فئات كبيرة من الشعب، غير أن طبيعة العلاقة بين الانتماء الوطني العام ودوائر الانتماء الفرعية لا يزال يعتريها الالتباس في المجتمعات

النامية. ومن مظاهر هذا الالتباس هو اعتبار البعض أن انتماءه لهويته الفرعية، مقدمة على انتمائه الوطني، بما يقود إلى النظر إلى الوطن من خلال هويتهم الفرعية وحدها، وفي هذا إغفال تامّ وسوء تقدير لدائرة المصالح الأوثق والأكبر. وأكثر ما يتضح ذلك، حين تكون هناك أغلبية عرقية أو دينية محددة تقبض بزمام السلطة في بلدٍ ما، فتظن حينها أن الوطن ملك لها وحدها، في حين يجري النظر للمواطنين المنتمين للأقليات الموجودة وكأنهم غرباء ليس لهم من الأمر شيء. ناهيك عن الالتباس الآخر، الذي يجري من خلاله النظر للمواطنين في الكيان السياسي الواحد من زاوية تصنيفهم وانتماءاتهم الفرعية عرقية أو قومية أو دينية.

إنّ الوطن بمفهومه السياسي الحديث لا ربط له بكل الانتماءات الفرعية للناس. ذلك أن أيّ مواطن منتمٍ للكيان السياسي فهو شريك أصيل في الأرض والوطن. بصرف النظر عن كونه جزءًا من الأغلبية أم الأقلية، وإلى أيّ قومية وعرقية أو دين انتمى، فالجميع شركاء في ملكية هذه الأرض بما فيها وما عليها من ثروات. فلا يصح أن يصبغ الوطن المتعدد الهويات بهوية فرعية واحدة. كما أن من الالتباس الشائع في مجتمعاتنا حول مفهوم الوطن، هو أن يجري اختزال الوطن في شخص الحاكم أو السلطة الحاكمة، وهذا خطأ محض، فالنظام والسلطة ليست إلا مقومًا واحدًا من مقومات الوطن، ولا يمكن أن يختزل الوطن فيها. هذا الالتباس قاد إلى تشكيل رؤية مشوشة عن الوطن في الأذهان، تعود في جانب منها إلى أن مفهوم الوطن هو مفهوم جديد نسبيًّا على مجتمعاتنا. من هنا تبرز الحاجة الماسة إلى تجلية مفهوم الوطن والمواطنة، حتى يعرف الناس حدود الحقوق التي لهم والواجبات التي عليهم.

الاحتفاء باليوم الوطني

إنّ الاحتفاء باليوم الوطني لا ينبغي أن يكون مجرّد مناسبة لعطلة عامة تمنح للناس. كما لا ينبغي أن يكون مجرّد مناسبة للتمجيد والتبجيل، بقدر ما ينبغي أن يكون

مناسبة لتجلية لمفهوم المواطنة على حقيقته، وأن يدرك الجميع أنهم شركاء في تراب وطنهم، وأنه مهما بلغ تباين الاتجاهات فيما بينهم – وهذا حقّهم– فإن ذلك لا ينبغي أن يؤثر على شراكتهم القائمة على أرضهم. إنّ عالم اليوم لم يَعُدْ يتعامل مع الأفراد من خلال أعراقهم ودياناتهم ومذاهبهم، وإنما المعيار هو امتلاك الشخص هوية وطنية بصرف النظر عن ميوله واعتقاداته وقناعاته، لقد باتت الهوية الوطنية وحدها تساوي الاعتبار السياسي للفرد في هذا العالم. من هنا ينبغي الاستفادة من مناسبة اليوم الوطني في تجلّيه هذا المفهوم، لينظر الناس إلى أوطانهم باعتبارهم شركاء أصيلون فيها، وأصحاب حقوق ثابتة وغير منتقصة، مهما اختلفت زوايا النظر لهم عند باقي شركاؤهم نظير مواقفهم وقناعاتهم أو رؤاهم.

وبمناسبة احتفالات اليوم الوطني في المملكة، سرّني كثيرًا ما لمسته من تطور في رؤية الكثير من الكتّاب الصحفيين والمغردين لمفهوم المواطنة. فقد اطّلعنا على الكثير من المقالات في الصحف الرسمية إلى جانب الكثير من التغريدات عبر مواقع التواصل الاجتماعي، التي اتّسمت جميعها، وعلى نحو غير مسبوق، باهتمام لافت بمسألة الشراكة الوطنية، وحقوق المواطنة، وهذا بحدِّ ذاته مكسب كبير.

الخطبة الأولى

لا تعجل في الحكم على الآخرين

ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أعقل الناس أعذرهم للناس»[1].

قد تصدر من الإنسان إساءة أو خطأ تجاه آخر، وهو يقصد تلك الإساءة وذلك الخطأ. وفي حالات أخرى، قد تصدر الإساءة أو الخطأ تجاه الآخر لكن من دون قصد، لعدم الانتباه مثلًا. ومثاله أن تمرّ على إنسان فلا تحييه؛ لأنك لم تلتفت إليه، لا لأنك قاصد عدم تحيته. أو تحصل لصديق حادثة معينة فلا تواسيه فيها لا لعدم اهتمامك بالأمر، بل لأنك لم تعلم بما حصل. فأنت في مثل هذا التقصير معذور، وعلى الطرف الآخر أن يعذرك؛ لأنه قد يكون في مثل هذا الموقف ويتمنّى من الآخرين أن يتفهموه ويعذروه. لذلك على كل إنسان ألّا يتعجل في الحكم على الآخرين، ويتهمهم بتعمّد الخطأ تجاهه، وإنما يضع الاحتمالات المختلفة نصب عينيه، ليجد لهم عذرًا، كما يقول الشاعر:

تـأنَّ ولا تعجل بلومك صاحبًا ... لـعـلَّ لـه عـــذرًا وأنـــت تلوم

يطلب البعض من الآخرين تفهّمه وتقبّل أعذاره، لكنه في المقابل لا يتفهّم ظروف الآخرين فيتسرّع في الحكم عليهم واتخاذ مواقف تجاههم.

من ناحية أخرى، قد يكون الطرف الآخر مخطئًا حقًّا، لكنه قد أدرك خطأه، وأبدى

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١١١، حكمة ٢٧٣.

أَسَفَهُ على صدور الخطأ منه وقدّم اعتذاره، فلماذا لا نقبل عذره؟ ولماذا لا نغفر ونصفح؟

الإسلام يربي الإنسان على سعة الصدر وعلى التسامح في تعامله مع الآخرين، وحينما نتحدث عن الآخرين نقصد القريبين والبعيدين، الزوجة، الأبناء، الأصدقاء، الزملاء، حينما تجد تقصيرًا من أي أحد فلا تتسرع في الحكم عليه وإدانته، عليك أن تضع الاحتمالات المختلفة لتلمّس العذر له، من هنا يأتي قول أمير المؤمنين ﷷ: «أعقل الناس أعذرهم للناس». ذلك لأنه يُحكّم عقله في تقويم تصرفات الآخرين، ولا يُحكّم انفعالاته وعواطفه، حيث يضع نفسه مكان الآخرين فيرى أنّه يمكن أن يحصل منه ما حصل منهم. لذلك جاءت النصوص الكثيرة توجّه الإنسان إلى أن يلتمس العذر للآخرين في تصرّفاتهم وأعمالهم، اتصلت بصديقك مثلًا ولم يرد عليك، فلا تفترض بأنه يتعمّد تجاهلك، بل افترض أنه مشغول، أو أنّ جواله بعيد عنه، الإنسان ينبغي أن يدرّب نفسه على إيجاد أعذار للآخرين، ورد عن رسول الله ﷺ: «اطلب لأخيك عذرًا فإن لم تجد له عذرًا فالتمس له عذرًا»[1]، أحد العلماء يقول: ليتنا نأخذ درسًا من النملة الصغيرة التي تحدث القرآن عنها في قصة نبي الله سليمان ﷷ: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[سورة النمل، الآية:١٨]، فقولها لا يشعرون يعني قد يدوسونكم ولكنهم غير قاصدين ذلك، ولم تسئ الظنّ في الطرف الآخر.

كما أن على الإنسان أن يدرّب نفسه على قبول اعتذار المسيء حتى لو كان خطأً مقصودًا، إذا ما أبدى أسفه واعتذر. بعض الناس يصعب عليه تقبّل عذر الطرف الآخر بل ربما رفضه، وهذه مخالفة كبيرة لتوجيهات الدين، ورد عن النبي ﷺ: «من لم يقبل المعذرة من محقّ أو مبطل لم يرد عليَّ الحوض»[2]. وفي حديث آخر عنه ﷺ: «من

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٠٠، حديث٤.

(٢) كنز العمال، ج٣، ص٣٧٨، حديث ٧٠٣٢.

لم يقبل العذر من متنصّل صادقًا كان أو كاذبًا لم ينل شفاعتي»[١]. قد يكون العذر غير حقيقي لكن عليك أن تقبله، وورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «لا يعتذر إليك أحدٌ إلا قبلت عذره وإن علمت أنه كاذب»[٢]. ويقول عليه السلام: «وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره»[٣].

هكذا يربي الإسلام الإنسان على معالجة المشاكل مع القريبين والبعيدين، وهذا من مصلحة الإنسان الفرد والمجتمع؛ لأن ذلك ينتج صفاء النفس. جرّب أن تضع عذرًا لأحدٍ لتقصير صدر منه، ستشعر حينئذٍ بارتياح نفسي، أما إذا اعتقدت أنه متقصّد فستبقى مشغول البال منزعجًا لما حدث. من ناحية أخرى، فإن التماس الأعذار للآخرين، وتقبّل أعذارهم هو الذي يساعد على إنجاح علاقات الناس بعضهم مع بعض.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٥٣.
(٢) الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة، ص٥، حديث ٤.
(٣) الكافي، ج٨، ص١٥٣، حديث١٤١.

أزماتنا وانتظار الحلول الدولية

ورد عن رسول الله ﷺ: «استغنوا بغنى الله»[1].

منح الله تعالى الإنسان قدرات ومواهب، وأتاح له الفرصة والمجال ليستفيد من خيرات الكون الهائلة. فإذا ما توجه الإنسان لاستكشاف كفاءاته وطاقاته، وسعى لتنميتها، وإذا ما توجّه إلى خيرات الكون والثروات التي أودعها الله تعالى فيه وعمل على استثمارها فإن بإمكانه أن يكون غنيًا مقتدرًا، وأن يحقق تطلّعاته وطموحاته في الحياة.

وحينما نرى أناسًا أصبحوا أغنياء مقتدرين في أيّ مجالٍ من المجالات فعلينا أن نعرف أن هؤلاء إنما حققوا النجاح بتوجههم إلى طاقاتهم وإمكاناتهم، وببذل جهدهم وطاقتهم، صحيح أنّ هناك ظروفًا معاكسةً صعبةً قد يمرّ بها الإنسان لكنه قادر على تجاوزها وتحدّيها في معظم الأحيان بهمّته وإرادته. والنصوص الدينية ومنها الحديث الشريف عنه ﷺ: «استغنوا بغنى الله» يشير إلى هذا المعنى، أي إنّ بإمكانك أن تكون غنيًّا مكتفيًا حينما تتوجه إلى ذاتك وإلى نعم الله تعالى عليك وذلك هو «غنى الله»، لكن بعض الناس يتجاهلون قدراتهم، أو يتكاسلون فلا يكلّفون أنفسهم ببذل الجهد، ويعيشون الحاجة في هذا المجال أو ذاك، ويتجهون إلى الآخرين ليساعدوهم!

الاكتفاء الذاتي أمر يُشجّع عليه الدين، ورد عن رسول الله ﷺ: «من أراد أن يكون

(١) كنز العمال، ج ٣، ص ٤٠٣، حديث ٧١٥٥.

أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره»[١]. وورد عن عليّ عليه السلام: «من استغنى عن الناس أغناه الله سبحانه»[٢].

وهناك رواية جميلة عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه: اشتدّت حال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فقالت له امرأته: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فسألته، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله، فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها، فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بشر فأعلمه، فأتاه فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله، حتى فعل الرجل ذلك ثلاثًا، ثم ذهب الرجل فاستعار معولًا ثم أتى الجبل، فصعده فقطع حطبًا، ثم جاء به فباعه بنصف مُدّ من دقيق فرجع به فأكله، ثم ذهب من الغد، فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتى اشترى معولًا، ثم جمع حتى اشترى بكرين وغلامًا ثم أثرى حتى أيسر، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمع النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: قلت لك: «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله. »[٣].

أعرف شابّين من بلادنا، أحدهما مواطن والآخر مقيم، ذهبا إلى أمريكا للدراسة. المواطن كان مبتعثًا من الدولة وأهله ميسورون يقدمون له ما يحتاج من مال، والآخر عائلته أجنبية مقيمة في المملكة فلم يتحصل على بعثة من الدولة، وأهله غير ميسوري الحال، فعمل في مطعم كلّ يوم من ١٠ إلى ١٢ ساعة، وهو يدرس ويوفر ما يحتاج إلى دراسته، ولم يكن زملاؤه المبتعثون المتفرغون للدراسة أكثر حظًّا منه في التحصيل، بل كان هو المتفوق في دراسته، وحصل على منحة من الجامعة لقاء هذا التفوق. ولغته الإنجليزية أصبحت أفضل منهم؛ لأنه يخالط الناس من خلال عمله في المطعم، ويكتسب منهم، وحتى معرفته عن البلد وأمورها أصبحت أفضل منهم. هكذا إذا توجّه

(١) الكافي، ج٢، ص١٣٩، حديث٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٢٨، حكمة ١٦٣.

(٣) الكافي، ج٢، ص١٣٩، حديث٧.

الإنسان لذاته يستطيع أن يستغني. وقد رأيت كثيرًا من الأشخاص يجدّون فيستغنون، فما بال موظف دخله محدود بالكادّ يوفر إيجار البيت ومصرف العائلة، لماذا لا يفكر في مصدر آخر للرزق، هل غيره أفضل منه؟ هل لديهم عقول وليس لديه عقل؟ هل توفرت لهم فرص ولم تتوفر له؟ خير الله كثير مبذول للجميع، والطاقات والمواهب عند كلّ إنسان عظيمة، لكن على الإنسان أن يفكر ويستغني بغنى الله.

تحقيق الاكتفاء الذاتي

هذا على صعيد الأفراد وكذلك على صعيد الأمم والشعوب. أمتنا الإسلامية لديها ثروات ضخمة، أراضٍ ممتلئة بالخيرات، من حيث الزراعة، والمعادن، وبقية الثروات، وبحار ومحيطات، لكنها مع الأسف تعيش التخلف، ماذا ينقصنا؟ ينقصنا أننا لم نستغنِ بغنى الله، خططنا التنموية وسلوكنا الفردي والاجتماعي مبني على الفساد والكسل وحبّ الراحة والتواكل. لذلك تجد بلدًا مثل السودان البلد الذي يعرّفونه بأنه السّلة الغذائية للعالم العربي كلّه، شعبه يعيش الأزمات والمشاكل! وتسمعون هذه الأيام ما يجري فيه بسبب رفع الدولة لأسعار المحروقات. لماذا يعيش الناس هكذا؟ وتجد دولًا فيها خيرات نفطية هائلة، وثروات متعددة، ومع ذلك ترى مواطنيها مثلًا يذهبون لدول فقيرة تعيش على مساعدات دولتهم وذلك من أجل العلاج! لماذا توفرت هناك الخدمات الصحية أكثر منها في الدول الغنية؟ لأن الإنسان هناك اتجه إلى نفسه، وفجّر طاقاته فأبدع.

فإلى متى تبقى أمتنا تعيش الحاجة إلى الآخرين؟ ولا يقتصر الأمر على الصعيد التكنولوجي والعلمي، حتى على الصعيد السياسي، لا زلنا نحتاج إلى الآخرين لحلّ مشاكلنا وأزماتنا، وهل الآخرون يخلصون لنا؟ إن من مصلحتهم أن تبقى الأمة في أزماتها، حتى يمارسوا الهيمنة عليها، وحتى تصبح مناطقنا سوقًا لأسلحتهم لذلك، لا يهمّهم أن تحلّ أزماتنا، نستشفع بأمريكا أن تساعدنا في حلّ أزمتنا مع إسرائيل، وأن

تضغط عليها لتنسحب من أراضينا، ولماذا تضغط أمريكا على إسرائيل من أجلنا؟ ونريد من أمريكا والمجتمع الدولي أن يحلّ الأزمة في سورية، المجتمع الدولي ليس معنيًا بالشعب السوري، ولا يهمّه الشعب السوري، ولا الشعوب العربية، المجتمع الدولي قد يريد لسورية أن تتمزق، وللشعوب العربية أن يحارب بعضها بعضًا، حتى تكون تحت الهيمنة، وتكون أسواقًا للسلاح. الإحصاءات التي تتحدث عن نسبة الإنفاق العسكري مهولة، نذكر منها كنموذج: أمريكا تنفق ٤٪ من دخلها القومي في المجال العسكري والأمني، الصين تنفق ٦,٦٪، فرنسا ١,٤٪، بريطانيا ٨,٣٪، روسيا ٥,٣٪ لكن العالم العربي هو الرقم الأعلى ٧٪ ينفق من دخله على التسلح! أفلا يدلّ هذا على أن من مصلحتهم أن تستمر حالة الحروب داخل الشعوب العربية!

نحن نرى الدول التي تعتمد على نفسها وتتخذ قراراتها من داخلها كيف يتعاملون معها تعاملًا نِدّيًّا، هم يسعون للعلاقة معها، ويخطبون ودّها بشكل أو بآخر. وعلينا أن نتذكر قول عليّ عليه السلام: «احتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغنِ عمّن شئت تكن نظيره». لا ينبغي أن نُعوّل على الآخرين في حلّ أزماتنا، ولا أن نحسن الظن فيهم، هم يريدون المزيد من التعقيد في أزماتنا إلّا فيما يضرّ بمصالحهم.

لو عدنا إلى ديننا في قيمه ومفاهيمه وتربيته للإنسان في هذه الحياة، لشقّ لنا طريق الاكتفاء الذاتي والاستغناء بالله سبحانه وتعالى عن الآخرين.

الخطبة الأولى

واقعك بين التغيير والتأزم النفسي

ورد عن علي عليه السلام: «إن أهنأ الناس عيشًا من كان بما قسم الله له راضيًا»[1].

الطموح والتطلع إلى الأفضل ميزة أودعها الله تعالى في أعماق نفس الإنسان. فهو دائمًا يريد أن يصبح في وضع أفضل مما هو عليه، وهذه ميزة إيجابية؛ لأنها تدفع الإنسان إلى تفجير طاقاته وتفعيل قدراته، وتسخير ما في الكون من خيرات وثروات. وفي أيّ وضع كان الإنسان فإنه يبقى متطلعًا إلى ما هو أفضل، فليس هناك وضع حين يصل إليه الإنسان يقول كفى، وإنما يطمح دائماً إلى ما هو أفضل. ورد عن علي عليه السلام: «لَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا ـ أي الدنيا ـ بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا»[2]. وورد عن الصادق عليه السلام: «منهومان لا يشبعان: منهوم علم ومنهوم مال»[3]. فالتطلع والطموح للأفضل ميزة إيجابية، وفي بعض الأحيان قد يُسيء الإنسان استخدام هذه الميزة، فيوجّهها للطريق الخطأ، وهنا تأتي النصوص والتوجيهات الدينية لكي ترشّد تعامل الإنسان مع طموحه وتطلعه.

هناك حالات شطط عند الإنسان في طموحه وتطلعه ومن مصاديقها العيش على الأمنيات. أن يتطلع الإنسان للأفضل هذا طموح إيجابي، لكن ذلك يجب أن يرافقه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٢٤، حكمة ٧٦.

(٢) نهج البلاغة، كتاب ٤٩.

(٣) بحار الأنوار، ج١، ١٦٨، حديث١٥.

وعي وبذل جدّ واجتهاد، فلا يكون التطلع والطموح مجرّد عالم يسرح فيه ذهن الإنسان بدون عمل، يقول تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، هل ترى أنك بمجرد أن تتمنى الشيء يحصل لك؟ التمني إذا لم يكن مقرونًا بالعمل والتخطيط للإنجاز فهو تمنٍّ كاذب وطموح وهمي، لذلك على الإنسان ألّا يعيش التمنيات الكاذبة.

المصداق الآخر، أن يتطلع الإنسان إلى ما لا تتسع له قدراته وظروفه، فهناك مثلًا حواجز كونية، جسمك الذي تعيش به، تتطلع أن يكون أفضل الأجسام لكن هناك حالات تكوينية تشكله لا دخل لك فيها، قد تُعالج بعض المشاكل الجسمية بفضل التطور العلمي ولكن ضمن حدود لم يتخطّها العلم بَعْدُ. فالإنسان الذي يولد بوضع تكويني معيّن كطول قامته أو قصرها مثلًا، فعليه أن يتقبل ذلك، أما أن يعيش حالة تأزّم فهذه تمنعه من الاستفادة من سائر المجالات التي يعيش فيها. هكذا توجّه النصوص الإنسان لكي يرضى بما قسم الله له، وهذا لا يعني ألّا يطمح للتغيير والتطوير، ولكن أن يرضى بما هو عليه كما إذا كانت حالة تكوينية، أو كانت الظروف لا تساعده على تغيير واقعه، أو كان التغيير يحتاج إلى وقت زمني، فإن النصوص توجّهه إلى أن يتكيف نفسيًّا ولا يعيش حالة التأزّم، وحينئذٍ يستطيع أن يشقّ الطريق باتجاهات أخرى.

ومن المصاديق حالة الإعاقة وهي ليست مانعًا عن العمل والإبداع، ونرى أن معاقين استطاعوا أن يطوروا قدراتهم ومواهبهم في الحياة، يكون الإنسان سجينًا سواء كان بحق أم بغير حق، فلا ينبغي أن يعيش متأزمًا. بعض السجناء يستوعبون الحالة نفسيًّا ويفكرون كيف يستفيدون من وقتهم ويفجرون طاقاتهم، من السجناء من أكمل دراسته الأكاديمية، أو حفظ القرآن الكريم، أو نمّى قدرته الأدبية، أو اكتسب بعض المواهب والقدرات وهو في السجن. لهذا نجد أمير المؤمنين ﷺ يقصد هذه الحالة بقوله: «إن أهنأ الناس عيشًا من كان بما قسم الله راضيًا». إذا كان الله قد قسم لك هذه القسمة في جسمك أو مالك أو وضعك، فعليك أن ترضى بما قسم، وهذا لا يعني إلغاء دور اجتهادك وجدك، فالسعي والجدّ مطلوب وإلّا كنت مقصرًا. وفي كلمة

أخرى لعلي عليه السلام: «من رضي من الله بما قسم له استراح بدنه»[١]. وقال عليه السلام: «من عتب على الدهر طالت معتبته»[٢]. وورد عنه عليه السلام: «إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون»[٣]. طلبت شيئًا وحصل شيء آخر فتكيف مع الشيء الجديد، وهذا ينطبق حتى على الحياة العائلية والاجتماعية، بعض الناس قد تكون عنده مشكلة في وضعه العائلي فيتأزم ويعقّد المشكلة أكثر، بينما إذا حاول أن يتسامى على الحالة ويرضى بما قسم الله تعالى له فإن الله يفرج عنه وييسر له أموره.

كلما كان هناك ساحة مفتوحة أمام الإنسان للطموح فعليه أن يسعى لها، وأن يتجاوز العقبات لأجلها، وألّا يجعل من الأزمات، سواء كانت دائمة أو مؤقتة، مانعًا للطموح وتحقيق الأمل؛ بتلمّس الطرق المختلفة، والاستفادة من سائر الفرص، بدل الوقوف أمام المشكلة وكأن طريق الحياة أصبح مسدودًا.

(١) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص١٣٩، حديث٢٧.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٥١، حكمة ٩٦٩.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص١٣٤.

الإساءة للصحابة وأمهات المؤمنين

ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «معاشر الشيعة، كونوا لنا زينًا، ولا تكونوا علينا شينًا، قولوا للناس حسنًا، واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول، وقبيح القول»[1].

في هذا الظرف الحسّاس، حيث تعيش الأمة مرحلة انتقالية تريد أن تتجاوز من خلالها واقع الاستبداد، وأن تنتقل إلى ظروف الحكم الرشيد، وتسعى للتخلص من الهيمنة الأجنبية التي امتلكت قراراتها لفترة طويلة من الزمن، في هذا الوقت ما أحوج الأمة إلى الوحدة والتقارب والتعايش الداخلي.

نعيش هذه الأيام موسم فريضة عظيمة هي فريضة الحج، ونسأل الله أن يوفق الحجاج لأداء مناسك حجهم بيسر وأمن، وأن يتقبل منهم، ويشركنا في دعواتهم، هذه الفريضة تجسّد حالة التعايش والوحدة والانسجام، حيث يعيش ممثلون من مختلف أطياف الأمة العرقية والمذهبية والجغرافية على صعيد واحد، يؤدّون نسكًا واحدًا، ويتجهون إلى ربٍّ واحد، وقبلة واحدة، وكلهم يهتفون بصوت واحد يحكي استجابتهم لأوامر الله تعالى: لبيك اللهم لبيك. هذه الفريضة هي تجسيد وتعزيز لوحدة الأمة. فما أحوجنا لتأكيد هذه المعاني؛ لأن الأمة تعاني من وجود تيّارين خطيرين على وحدتها:

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٩٤، حديث١٦٠٦٣.

تيّار التكفير والإرهاب

هذا التيار الذي يرى أن اختلاف المسلمين في مذاهبهم ومعتقداتهم التفصيلية أمر غير مقبول، ويرى أن جميع المسلمين يجب أن يفكروا بطريقته، وأن يؤمنوا بما يؤمن به، لا حقّ لأحدٍ أن يجتهد اجتهادًا آخر، فكلّ اجتهاد آخر هو كفر وبدعة وضلال عند اتباع هذا التيار المأزوم! وبناء على هذا التوجه التعصبي التكفيري، انبثقت حالة العنف والإرهاب، ذبح الناس، سفك الدماء، هتك الأعراض، كل ذلك مبرر بسبب الاختلاف في التوجهات والعقائد والأفكار، وهذا ما نراه في حالات الأعمال الإرهابية العنفية، مثل تفجير السيارات في مناطق تزدحم بالناس، كما يجري في العراق وباكستان والصومال ونيروبي ومناطق مختلفة في مالي، بل حتى تجاوزت حدود البلاد الإسلامية إلى الدول الغربية. هذا التيار الإرهابي يثخن الأمة بالجراح، ويفجر أوضاعها من داخلها، ويربك حركتها، ويعطي المجال للأعداء تجاهها، ويُشوّه صورة الإسلام، وهو تيار عشش ونشأ في صفوف أخوتنا أهل السنة، وتغطى بغطاء الانتماء للمدرسة السلفية، وأصبح يمارس هذا الإرهاب المروع في أنحاء العالم.

تيّار الإساءة والبذاءة

هذا التيّار تكون مع الأسف أخيرًا في صفوف الشيعة أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام. قلة أفراد من الشيعة بدؤوا يشقون هذا الطريق الخطأ، فبدأوا يرفعون أصواتهم النكراء بالإساءة لرموز أهل السنة. الشيعة أتباع أهل البيت هم جزء من الأمة، وليس من سياسة شيعة أهل البيت ولا من منهجهم أن يدخلوا في صراع مع بقية الأمة؛ لأنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام ربوا شيعتهم ودعوهم إلى أن يعيشوا في وئام مع الآخرين، وإن اختلفوا معهم في التفاصيل الفقهية والعقدية، وخالفوهم في النهج السياسي السائد، وذلك حفظًا لحقوق الأخوة الإسلامية، وهذا ما تؤكّده النصوص الكثيرة الواردة عن أئمة أهل البيت، وما تؤكّده سيرتهم، ومنها قول الإمام الصادق عليه السلام: «معاشر الشيعة، كونوا

لنا زينًا ولا تكونوا علينا شينًا، قولوا للناس حسنًا».

شيعة أهل البيت لا يتلفظون إلا بالكلام الحسن؛ لأنّ هذه توجيهات القرآن. «واحفظوا ألسنتكم»، فالأئمة كانوا يرون أن شيعتهم يتعرضون لضغوط من قبل السلطات الحاكمة آنذاك، ومن قبل المتعصبين المخالفين لآرائهم، فوجهوا شيعتهم إلى عدم الاستجابة للانفعالات، وألّا يستثاروا ولا يتفاعلوا مع الاستفزازات التي قد تأتيهم من الطرف الآخر. «واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول وقبيح القول». هذا ما أوصى به الأئمة شيعتهم، لكننا أصبحنا نلحظ في هذا الوقت بروز فئة من الشيعة خالفت منهج أئمة أهل البيت، وصارت تجهر بالألفاظ القبيحة البذيئة، التي تنال من رموز الطرف الآخر، من الخلفاء والصحابة وأمهات المؤمنين. صحيح أن لنا رأيًا ورؤية حول الصحابة والخلافة، وحول مواقف بعض أمهات المؤمنين، لكن هذه الرؤية وهذا الرأي لا يعني أن نتحدث بما يثير الطرف الآخر وبما يستفزّه وما يمنع التعايش والتقارب مع سائر المسلمين، هذا ما نهى عنه الأئمة ﷺ. ولو فكرنا بعقولنا إذا كنا لا نريد أن نتصادم مع الآخرين فعلينا أن نحترمهم ونحترم رموزهم كما نريد منهم أن يحترمونا ويحترموا رموزنا.

هذا التيار الذي يُعبّر عن نفسه ببعض الفضائيات المغرضة المثيرة للفتنة الطائفية، يمارس أنشطة، ويرفع شعارات خلاف أخلاق القرآن وتعاليم أهل البيت ﷺ، ومن ذلك ما قاموا به قبل أيام في بغداد التي تنزف دمًا بسبب التفجيرات والأعمال الإرهابية، وكأنه لم يكن ينقصها إلا تصرفات هؤلاء الحمقى! قبل ثلاثة أيام وبمناسبة وفاة الإمام محمد الجواد ﷺ، تنطلق مجموعة من أتباع هذا التيار، وفي منطقة الأعظمية، منطقة أهل السنة، ويشقون الشارع وهم يسبون الخلفاء وأمّ المؤمنين عائشة! وقبل ذلك أقاموا حفلًا انتشر عبر اليوتيوب يسبون أم المؤمنين حفصة بكلمات بذيئة قبيحة! والحمد لله فإنّ مراجع الشيعة بادروا لاستنكار هذا الأمر. المرجع الأعلى السيد السيستاني أصدر فتوى وتصريحًا يُدين ويستنكر هذا التصرف جدًّا وأنه خلاف ما أمر به الأئمة شيعتهم

على حدّ تعبير السيد السيستاني.

ماذا يريد هذا التيار؟

أولًا: هذا التيار جاء للتغطية على توجه تيّار التكفير والإرهاب. التيار الإرهابي الذي يفجر في أوساط الشيعة وفي كل مكان، ويقوم بأعمال شنيعة، وبالتالي فهو مدان، والجميع يرفضون أسلوبه. لكن هؤلاء حينما يخرجون ويعلنون السب ويستثيرون الآخرين، يصرفون النظر عن ذلك التيار، ويغطّون عليه ويبررون له، حيث صار عند الإرهابيين ورقة يلوحون بها في كلّ حين، نحن نفجر لأن هؤلاء الشيعة يفعلون كذا. هذا التيار المسيء أصبح ذريعة لجرائم الإرهاب، ولا عليكم منهم أنهم يتظاهرون بالدفاع عن العقيدة والمذهب، واللهِ إنهم يخدمون أعداء أهل البيت وأعداء الشيعة، هم بتصرفاتهم الحمقاء يغطون على تفجيرات الإرهابيين ويبررون له أمام الرأي العام الاجتماعي في أوساط أهل السنة.

ثانيًا: تأجيج الفتنة الطائفية، وكأنه لا يكفي الأمة بقية النزاعات والصراعات، لذلك يختارون المواقف المثيرة ويقصدونها، فينتجون الخطاب الذي يغضب أهل السنة ويسيئون للرموز التي يقدسونها؛ لأنّ همهم تأجيج الفتنة.

ثالثًا: هؤلاء يريدون إفشال مساعي التقريب والوحدة. هذا التوجه الذي سلكه العقلاء من كلّ الطوائف، هؤلاء البذيئون أيضًا يريدون عرقلة هذه المساعي، وزيادة تعويقها، وإيجاد العثرات، وهم يعلنون صراحة أنهم ضد التقريب والوحدة، فهم الوجه الآخر للتعصب السلفي.

من يقف خلف هؤلاء؟

فمَن خلف هذا التيار؟ إذا كان مراجع الشيعة يدينون مثل هذه التصرفات، فمن

يقف خلف هؤلاء؟

أولًا: القوى المعادية للأمة ترعاهم وتدعمهم وتمنحهم الفرص؛ لأن هذا يخدم مخططاتها وأهدافها.

ثانيًا: هناك حمقى موتورون يريدون أن يكسبوا مواقع في أوساط الشيعة، بدغدغة هذه المشاعر الطائفية، حتى يحصلوا على أتباع ومؤيدين، وفي ظروف المحن والنزاعات يجدون لهم سوقًا رائجة في بعض الأوساط ممن ينخدع بهم.

ثالثًا: يقف خلفهم من لديه سوء فهم للتشيع ولمذهب أهل البيت وخلط في الأوراق والأولويات، وانتقاء مغرض من التراث. تراث المسلمين سنة وشيعة مليء بالسلبيات والثغرات، فهناك أحاديث موضوعة مدسوسة يعتمد عليها هؤلاء مادة للإثارة والتهريج. وهنا تأتي أهمية تنقية التراث. في الماضي لم يكن الجميع يطلع على مخازن التراث، إلا العلماء الذين يعرفون تجاوز أشواكه وألغامه، أما الآن فقد أصبح التراث بمتناول الجميع، لذلك تشتدّ الحاجة إلى تنقية التراث وتعطيل الألغام الموجودة فيه، وإلا فستنفجر بواقع الأمة كله. هذا التيار البذيء ينبغي أن يُتصدّى له، بدؤوا في لندن ثم صاروا يتحركون في مناطق أخرى، ولعلهم يجدون لهم مواطئ قدم في مختلف المناطق، وخاصة مع هذه التوترات الطائفية، وهناك من يعينهم ويساعدهم، لكننا نرجو الله تعالى أن يُجنّب المسلمين مكائد الأعداء. ونراهن على وعي الناس، بأن يدركوا ماذا يريد هؤلاء الحمقى والموتورون، ونأمل أن تكثف القيادات الدينية من مراجع وعلماء وخطباء دورها في توعية الأمة، حتى لا ينساق الناس خلف هؤلاء الذين يتلاعبون بعواطفهم المذهبية. واجب خطير على العلماء والموجهين والدعاة، ينبغي ألّا ينخدعوا فيصبحوا جزءًا من الفتنة التي تعاني منها الأمة.

الخطبة الأولى

الأهواء والشهوات مداخل الشيطان

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة البقرة، الآية:٢٠٣].

الحج رحلة إيمانية فريدة من نوعها. وهي فرض على كل مسلم ومسلمة مرة في العمر، ولها مناسك ومشاعر فرضها الله تعالى على عباده، وأحبّ أن يتعبّد بها. من أواخر الأعمال والمناسك رمي الجمار. على كلّ حاج أن يبيت في (منى) ليلتين على الأقل؛ ليلة الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، وعليه أن يرمي الجمار في اليوم الحادي عشر والثاني عشر على كل من الجمرات الثلاث بعدما رمى جمرة العقبى الأولى في يوم النحر يوم العيد. ويُخيّر الحاج بين أن يبقى الليلة الثالثة عشرة في منى، أو يخرج منها بعد ظهر الثاني عشر، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾، يستنبط الفقهاء والمفسّرون من هذه الآية الكريمة حكم المبيت في منى بعد إكمال مناسك يوم النحر، يبقى الإنسان فيها لذكر الله تعالى، ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، يمكن للحاج أن يبيت في منى ليلة الحادي والثاني عشر ويرمي الجمار في اليوم الحادي والثاني عشر، وبعد ذلك يصح له الخروج من منى، وإذا كان قد أدّى ما عليه من مناسك حول البيت من طواف وحج وسعي، حينئذٍ بإمكانه أن يعود إلى بلاده، ويمكنه أن يختم مناسك حجه برمي الجمار في اليوم الثاني عشر، وهناك خيار آخر أن يبقى الإنسان في منى ليلة

الثالث عشر، وإذا بات في منى وجب عليه أن يرمي في اليوم الثالث عشر، ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، قال الفقهاء: إذا أصاب الحاج أثناء إحرامه الصيد، أو النساء، وهما من محظورات الإحرام، فهنا يجب أن يبيت في منى ليلة الثالث عشر، أما إذا لم يقع في هذين المحظورين فيمكنه أن يتعجل ويخرج من منى في اليوم الثاني عشر.

ماذا يعني رمي الجمار؟

هنا ينبغي أن نتوقف عند هذا النسك الذي يختم به الحاج حجه، وهو رمي الجمار. ماذا يعني؟ وإلى ماذا يشير هذا النسك؟

الحاج طوال رحلته الإيمانية كان في رحاب الهدى وطاعة الله تعالى، ولكن الإنسان يبقى معرضًا لإغواء الشيطان، وأهم ما ينبغي أن يتزود به الإنسان من مناسك الحج الحصانة والمناعة من إغواء الشيطان. فهي رحلة من أجل أن يتربى الإنسان المسلم خلالها على اكتساب المناعة، والتدرب على كيفية التحصن من إغراء الشيطان، وكيفية مقاومته، ورمي الجمار رمز لمواجهة الشيطان.

تشير بعض الروايات أن أبا البشر نبي الله آدم عليه السلام الذي كان يريد أن يذهب لأداء واجباته الإلهية، اعترضه الشيطان في هذه المواقع الثلاثة التي فيها الجمرات، لكن نبي الله آدم وخاصة بعد التجربة السابقة التي بسببها أخرج من الجنة، واجه الشيطان بقوة، وكلما حاول الشيطان أن يُسوّل ويزيّن له ويجعله متردّدًا تجاه أمر الله تعالى، كان آدم يقظًا واعيًا، وكان يصدّ الشيطان في هذه المواقع الثلاثة، فجاء هذا التشريع مخلّدًا لهذا الموقف، حتى يذكر البشر بموقف أبيهم أدم عليه السلام.

وتشير روايات أخرى إلى أن نبي الله إبراهيم عليه السلام أيضًا تعرّض له الشيطان حينما كان يريد تنفيذ الأمر الإلهي في مواقف ثلاثة، فواجهه وقاومه، وجاءت مناسك الحج لكي تؤكّد هذا الالتزام. رمي الجمار يحمل هذه الإشارة، أن الإنسان مستعدّ لمواجهة الشيطان وردعه. بهذا النسك يختم الإنسان حجه، لكي يبقى وهو يعيش بعد الحج هذا

الاهتمام وهذا الهاجس وهو مواجهة الشيطان الرجيم.

أين يتمثّل الشيطان؟

يتمثّل الشيطان في الأهواء والشهوات، التي تتحرك في داخل الإنسان، شهوة المال والجنس والمنصب، وغيرها، وإذا ما استجاب الإنسان لداعي الأهواء زاغ عن منهج الحقّ، لذلك سُمّي الهوى هوى كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنما سُمّي الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه»[1]، أي يُسقطه.

حينما تلوح للإنسان شهوة جنسية، يشعر في البداية بلذة، قد تكون تلك الشهوة مشاهدة مقطع من فيلم، أو منظر عابر، أو محادثة من المحادثات العاطفية، لكن عليه أن يعلم أن هذا الارتياح واللذة قد تكون طريقًا إلى الانحدار والسقوط، فلا بُدّ له من الحذر، وألّا يستهين بهذه الشهوات والأهواء، يحتاج الإنسان إلى إرادة وشجاعة حتى يقول لشهوته لا.

سئل الإمام علي عليه السلام: أيّ سلطانٍ أغلب وأقوى؟ قال: «الهوى»[2]. وقال عليه السلام: «الشهوات مصائد الشيطان»[3]. وقال عليه السلام: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَ إِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ»[4]. هذه الشهوة العاطفية التي تُشعرك بلذة في بداية الأمر، هي الطريق إلى النار، والعياذ بالله.

السقوط تحت ضغط الشهوة

لماذا يسقط الإنسان تحت ضغط الشهوة؟

---

(١) عبد الله بن بهرام الدارمي، سنن الدارمي، ج١، ص١٠٩.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٨٢.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٩، حكمة ١٠٤١.
(٤) نهج البلاغة، خطبة ١٧٦.

أسباب كثيرة، من أهمّها: الغفلة، والجهل. يعمل الذنوب والمعاصي وينسى أن يراقب نفسه، فيستمر في ذلك، وأحيانًا يجهل أن هذا الطريق سيؤدي به إلى الهلاك. ومن الأسباب كذلك خداع النفس، يُوهم الإنسان نفسه بأنه سيستطيع أن يتدارك التبعات، وهذا من أسوأ خدع الشيطان، لذلك يقول عليّ عليه السلام: «الانقياد إلى الشهوة من أدوى الداء»[١]، أي أسوأ الأمراض. هذه الشهوة تعطيك لذة، لكنها مؤقتة، ثم تعقبها نكسات شديدة، يقول عليّ عليه السلام: «كم من شهوة ساعة قد أورثت حزنًا طويلًا»[٢]. التحقيقات التي تُجرى مع بعض المجرمين الذين يقبعون وراء القضبان في السجون، والذين يواجهون العقوبات الشديدة، حينما يُسألون ما الذي جاء بكم إلى هذا المستنقع ومن أوصلكم إلى هذا المنحدر؟ في الغالب يكون السبب الشهوة، إما شهوة منصب أو جاه أو مال أو جنس. لحظة انفلات تغيّب عن الإنسان رشده، تُسقطه في الهاوية، تمامًا كمن يقود سيارة ثم يلتفت لحظة إلى جواله، وإذا به يصطدم بما أمامه، وتكبده الحادثة خسائر جسيمة، ولعلّها أفقدته حياته. لهذا على الإنسان أن يكون يقظًا، وأن يتسلح بالوعي، وألّا يستجيب لدواعي الشهوة والهوى، حتى يسلك طريق النجاة، كما يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾.

إن على الحاج أو من يشاهد مناسك الحجاج أن يلتفت إلى هذا المنسك الذي يختم به الحجاج أعمالهم، وهو رمي الجمرات، وأن يتذكر بأنه محاصر من قبل الشيطان، وأن عليه أن يقاومه في كل حين.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص١٨، حكمة١٩٩.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢١٠، حديث٢٠٣٠٠.

الخطبة الثانية

المتطرفون أدوات في الصراعات الإقليمية

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إيّاك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك»[1].

قد يفتقد الإنسان نعمة العقل وهذا يطلق عليه جنون، والمجنون معذور، ومرفوع عنه القلم. وقد يمتلك الإنسان القوة العقلية لكنه يستخدمها في غير موقعها وموضعها، يريد أن ينفع نفسه لكنه يسلك الطريق الخطأ فيضرّ نفسه، ولربما أضرّ غيره، وهذا نلحظه في أمور ومواقف كثيرة. علماء اللغة العربية والأخلاق حينما عرّفوا الحمق قالوا عنه إنه نقصان العقل أو قلة العقل أو ضدّ العقل، وفي الاصطلاح الأخلاقي هو استخدام العقل في غير مكانه، وفيما يضرّ الإنسان. وقالوا إنّ الأصل في كلمة الحمق الكساد، فإن السوق إذا كسدت يقال إنها حمقت. وكأن الإنسان الأحمق لديه كساد في استخدام عقله الاستخدام الصحيح. يقول ابن الجوزي في تعريفه للحمق: الحمق هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود[2]. يضع الأمور في غير مواضعها. ولابن الجوزي كتاب معروف وهو أخبار الحمقى والمغفلين. جمع فيه معلومات كثيرة عن الحمقى الذين قد يكون لبعضهم هدف نبيل لكن الطريق يكون خطأ، يقول مثلًا: ومن استخدام الطريق الخطأ أن طائرًا طار من أمير، فأراد الأمير أن

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٨.

(٢) عبدالرحمن بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين طبعة ١٣٨٦هـ، (النجف: المطبعة الحيدرية)، ص٨.

يمنع ذهابه إلى أماكن بعيدة فأصدر أمرًا بإغلاق أبواب المدينة! وكأنّ الطير يدخل ويخرج عبر الأبواب!

التطرف الديني حمق صارخ

ومن تجلّيات ومصاديق الحمق وخاصة في الأديان والمذاهب، المتطرفون. هؤلاء الذين ابتليت بهم الأمة الإسلامية، يتوقّدون حماسًا في الدفاع عن الدين، وخاصة الأفراد العاديون منهم. قد تكون بعض القيادات منهم لها أغراض مشبوهة، لكن عامة من يتبعون هؤلاء المتطرفين يتبعونهم لهدف نبيل، شباب في عمر الورد، يضحون بحياتهم ووجودهم في طريق الإرهاب والعنف، لو سألت كلّ واحد منهم، ما هو دافعك؟ ولماذا تسلك هذا الطريق؟ لأجابك أنه يريد خدمة الإسلام وإعلاء كلمته. فالهدف نبيل، ولكن ما هو الطريق؟ عمليات انتحارية، تفجير في أوساط الأبرياء، استهداف للناس الآمنين. هذا الطريق بلا شك لا يخدم الدين والأمة، وقد عانت الأمة من هؤلاء المتطرفين الكثير، حيث أساؤوا للدين، وأضرّوه وأضرّوا الأمة، وهنا يظهر معنى كلمة أمير المؤمنين ﷺ: «إيّاك ومصادقة الأحمق». قالوا بأن سيدًا وكَّل عبدًا له يحميه من الذباب الذي يزعجه وهو نائم، وبيد هذا العبد سيف، فجاءت ذبابه على وجه سيّده النائم، فرفع السيف وهوى به على تلك الذبابة، فأصاب سيده بدلًا عنها!

المتطرفون يمارسون نفس الفعل، لذلك ورد التحذير من الحمقى؛ الأحمق لا يستعان به، ولا يُفرح به، ولا يُدافع عنه، ورد عن عليّ ﷺ: «الحمق أضرّ الأصحاب»[1]. وعنه ﷺ: «ما العدو إلى عدوه أسوأ تضييعًا من الأحمق إلى نفسه»[2]. بل إنه ﷺ في إحدى مقولاته الجميلة يقول: «عدو عاقل خير من صديق أحمق»[3]. لأن العدو العاقل تستطيع من عداوته لك أن تكتشف مواطن الضعف عندك، فتنمي قدراتك

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص٣٠، حكمة ٦٨٧.
(٢) نهج السعادة، ج٣، ص٢٢٥، حديث٥٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٢.

لتجاوزها حتى تتمكن منه، فوجوده قد يستنفر طاقتك وقدرتك، لكن ماذا تصنع بالصديق الأحمق؟ يهدر طاقتك، ويفسد ما تبني وتعمل من أجله، وهذا أضرّ عليك من العدو. وفي كلمة أخرى يقول ﷺ: «احذر الأحمق، فإن مداراته تعنيك ـ أي تتعبك ـ وموافقته ترديك». إذا أردت أن تداري الأحمق يتعبك ويكلفك كثيرًا، وفعلًا هؤلاء الذين يفكرون أن الحمقى والمتطرفين ينبغي أن نداريهم، مخطئون؛ لأنه لا ينبغي لمجتمع أن يقبل بأن يتصدّى للدفاع عنه حمقى، لا ينبغي لدين ولمذهب أن يكون المتطرفون معبّرين عنه ومدافعين عنه.

الخطأ الاستراتيجي للحكومات

مع الأسف الشديد، فإن بعض الحكومات وقعت في هذا الخطأ، استعانت في صراعاتها السياسية ببعض الجماعات المتطرفة، وهذا من مصاديق مصاحبة الأحمق والاستعانة به، وهؤلاء المتطرفون حينما يستعان بهم ماذا ستكون النتيجة؟ ستكون وبالًا وكارثة. الأخبار تتحدث هذه الأيام أن تركيا تواجه مشكلة على حدودها مع سوريا.

دولة تركيا مع ما كان معروفًا عنها من الاعتدال والتعقل لكنها في غمرة الأحداث الجديدة التي عصفت بالمنطقة فقدت ذلك الاعتدال الذي عرفت به، فأتاحت المجال لبعض الفئات المتطرفة ضمن الأزمة السورية، وهم الآن يعانون مشكلة هؤلاء المتطرفين، وستكون المشاكل أكثر.

كذلك الحكومات التي دعمت الجهات المتطرفة في أفغانستان. صحيح أن الاحتلال السوفيتي كان جريمة وكان لا بُدّ من الدفاع عن الشعب الأفغاني وعن الدين، ومقارعة الشيوعية ولكن هل يكون عبر هؤلاء الحمقى؟ عبر المتطرفين؟ وحين كان الجواب نعم، ماذا كانت النتيجة؟ تربّى ما عرف بالأفغان العرب الذين عادوا إلى بلدانهم وفعلوا ما فعلوا فيها. لذلك على الحكومات أن تحذر من الاستعانة بالحمقى،

ففي ذلك ضرر على الأمة وعلى شعوب المنطقة كلها، لا ينبغي حتى نكسب تكتيكيًا في مواجهة نظام أو دولة أن نخسر استراتيجيًا بدعم جهات متطرفة، وإعطائها الفرصة، وبعد ذلك ترتدّ وبالًا على بلاد المسلمين. وهكذا الحال داخل المذاهب، أي طائفة أو جماعة عليهم أن يكونوا حذرين بألّا يتيحوا مجالًا للمتطرفين. في بعض الأحيان ينخدع الإنسان؛ لأنه يشعر نوعًا من الجور من أتباع مذهب آخر، فإذا رأى أحدًا ينفّس عنه هذا الاضطهاد، وينتصر لما يعيشه في داخل نفسه من ضيم، فيفرح به، لكن هؤلاء يضرون المذهب ويضرون المجتمع. المتطرفون والحمقى يضرون كلّ من يقترب منهم وينتسب إليهم.

من هنا ينبغي أن يشيع هذا الوعي في الأمة في الوسط السياسي، والديني، والاجتماعي، خاصة وقد دلّتنا التجارب على صحة هذه الحقيقة، ورأينا ماذا كانت نتائج هؤلاء المتطرفين الحمقى في كلّ مكان.

الخطبة الأولى

الانشغال بالجدال المذهبي

﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[سورة الشورى، الآية:١٥].

المعتقد الديني عند بني البشر يأتي استجابة لتساؤلات فكرية في ذهن الإنسان حينما يتفتق وعيه على هذه الحياة، وتنتصب أمامه تساؤلات، مثلًا: من الذي خلقنا وأوجدنا؟ إلى أين يكون مصيرنا؟ ما الهدف من وجودنا؟ كيف يجب أن تكون حياتنا؟ هذه التساؤلات تلحّ على ذهن الإنسان وتحتاج إلى إجابة. والمعتقد الديني يأتي نوعًا من الإجابة عن هذه التساؤلات، وهو في الوقت ذاته يلبّي حاجة نفسية. حيث يرى الانسان ضعفه أمام تحدّيات الحياة ومشاكلها، فيحتاج إلى مصدر قوة يلجأ إليه ويحتمي به، وتطمئنّ إليه نفسه، وهذا ما يوفره المعتقد الديني. من ناحية أخرى، فإن المعتقد الديني وسيلة لضبط سلوك الإنسان؛ لأن القانون الخارجي يعجز عن ضبط سلوك الإنسان في كلّ الحالات والأوضاع، بخلاف المعتقد الديني المتجذّر في أعماق نفس الإنسان.

من هنا فإن المجتمعات البشرية تهتم بالانتماء الديني، وهي حالة فطرية عند كل المجتمعات، ولأن الله تعالى لطيف بعباده فقد بعث لهم أنبياء يساعدونهم للوصول إلى المعتقد الديني الصحيح، وليس كل الناس يقبلون دعوة الأنبياء، وإنما يحاول

بعضهم أن يصطنعوا شيئًا يعتبرونه عقيدة دينية، وبعض من يقبلون دعوات الأنبياء قد يضيفون ويجتهدون ويختلفون في فهم هذه الدعوات، ونتيجة لذلك تتعدّد الأديان والانتماءات الدينية بين بني البشر. وتحاول كلّ جماعة أن تثبت صواب معتقدها، وتسعى لنشره؛ لأن نشر المعتقد يضيف إلى الجماعة قوة. ومن هنا برزت ظاهرة الجدل الديني.

الجدل الديني بين السلب والإيجاب:

الجدال ظاهرة طبيعة بين الناس، فكلّ فردٍ يحاول أن يدافع عن معتقده، ويُبيّن أن مذهبه أصوب، وفكرته أسلم، ويتناقش مع الآخرين، ويسعى لإقناعهم. وعلى الإنسان ألّا ينسى أن لمجتمعه حاجات ومصالح، وهو معنيٌّ بإعمار الأرض بأمر الله تعالى، لذلك عليه ألّا يغفل عن هذا الجانب، ويفرط في موضوع الجدل الديني على حساب مصالحه، وما فرضه الله عليه. كما أن الجدل الديني قد يكون سببًا للنزاع والحروب، وأن الحرب أولها كلام! والإنسان ذكيّ يحاول في كثير من الأحيان أن يستغلّ انتماءه الديني لخدمة مصالحه الشخصية.

وفي بعض الأحيان قد يتاجر باسم الدين للتغطية على مآرب أخرى. قال الأب لأبنائه: إنني مسافر في هذه العطلة.

إلى أين؟ قال الأبناء.

فأجاب إلى الحج.

هنا لا يمكن لأحدٍ منهم أن يعترض على هذا السفر الديني. قال أحد الأبناء: أما أنا فسأذهب للمدينة؛ لأنني لا أستطيع الحجّ هذا العام.

وبعد أيام التقى الأب ابنه في تايلاند!

تبيّن أن الذهاب إلى مكة أو المدينة عنوان للتغطية على شيءٍ آخر.

المعتقدات كثيرة، والجدل حولها ما لم يشغل الإنسان عن مصالحه في إعمار الأرض ولم يدفعه إلى الاحتراب، فهو طبيعي. وطبقًا للموسوعة المسيحية يوجد في العالم الآن عشرة آلاف دين! بعض الديانات يتبعها أكثر من مليون شخص وتقدر بـ (١٥٠) ديانة، وبقية الديانات يقلّ أتباع كلٍّ منها عن المليون شخص. وكلّ دين فيه مذاهب وطوائف، المسيحية فيها ٣٣٨٨٣ طائفة! واليهودية والإسلامية والسيخية، طوائف متعددة، فهل نبقى منشغلين بالسجالات الدينية؟ وماذا عن إعمار الكون والدفاع عن مصالح الحياة والمجتمع؟ لذلك فإن القرآن الكريم يؤكّد أنّ النقاش والجدل الديني يكون ضمن ضوابط ومبادئ.

ضوابط الجدل المذهبي:

أولًا: الاعتراف بحقّ الحرية الدينية. فليس لأحدٍ حق أن يُجبر الآخرين على دينه، كما يقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، حتى الأنبياء مهمتهم تبيين دعوتهم للناس، وليس لهم أن يجبروا أحدًا عليها، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

ثانيًا: حقّ التعبير عن الرأي مكفول للجميع. من حقّي كمنتمٍ لدين أو عقيدة أن أعبّر عنه بكلامي وبشعائري الدينية، وليس من حقي قمع الآخر، حينما جاء وفد النصارى من نجران إلى رسول الله ﷺ وحان وقت عبادتهم، سمح لهم ﷺ أن يأخذوا جانبًا من المسجد ويقيموا صلاتهم فيه. وكان اليهود والنصارى وأتباع الديانات المختلفة يمارسون شعائرهم في ظلّ الخلافة الإسلامية، بل إن الحاكم الإسلامي مسؤول عن حماية الكنيسة وكلّ المعابد كما هو مسؤول عن حماية المساجد، ما داموا مواطنين وتحت حكمه وولايته.

ثالثًا: احترام الآخر. الدعوة إلى الدين أو المذهب والتحاور حوله، يجب أن يكون مع احترام الآخر، ولا يصحّ أبدًا أن تدعو لدينك أو مذهبك بالاعتداء على

الآخر. الدين يريدك أن تدعو إليه بالطريقة التي يرتضيها، ولا يسمح لمعقّد حاقد سيّئ الأخلاق أن يدعو إلى الدين أو المذهب بطريقته السيئة. يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، هل هناك أصرح من هذه الآيات الكريمة؟ الدعوة إلى الدين لا تكون بالسبّ والشتم.

نتحدث عن هذه القضية حيث نعيش ذكرى عيد الغدير المبارك وما يمثله من قضية دينية لأتباع أهل البيت ﷺ. من حق الشيعة كغيرهم أن يُعبّروا عن آرائهم وعقائدهم وشعائرهم، ولا يحقّ لأحدٍ أن يعترض على هذا الحقّ المشروع لكن التعبير عن المعتقد والشعائر لا يكون بأسلوب الإساءة والاستفزاز.

رابعًا: الحدّ من الانشغال بالجدل على حساب المصالح العامة والتحدّيات الكبيرة التي تواجهها الشعوب والأوطان. قرون من الزمن والجدل قائم حول المعتقدات بين المسلمين، ثم ماذا؟ واضح أن هناك سنة وشيعة، السنة لهم رأيهم حول الخلافة، إذ يرون أن نصب الخليفة متروك للأمة كيفما اتفق، يجتمع جماعة في سقيفة ويبايعون أحدهم، أو يجتمع أهل الحلّ والعقد لتعيين خليفة، أو أن جماهير الأمة تختار خليفة، أو أن شخصًا يأخذ السلطة بالسيف والقوة، أو يورثها لأبنائه، كلّ هذا في رأي أغلب فقهاء السنة مقبول، والحكم يعتبر شرعيًّا، والواقع التاريخي كان داعمًا لهذا التوجه.

أما الشيعة فيرون أنّ الإمامة والقيادة بعد رسول الله ﷺ لا تكون إلا بالنصّ، ويرون أن النصّ قد تحقق، ومن أبرز مصاديقه حديث غدير خم الذي يرى الشيعة فيه نصًّا صريحًا بالخلافة لعلي ﷺ حيث خطب رسول الله ﷺ في عشرات الألوف من الحجيج وقال: «من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» أو «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» والصيغ متعددة، ثم أخذ بيد عليٍّ أمام الناس وقال: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاده وانصرْ من نصره واخذلْ من خذله».

إلى جانب نصوص أخرى.

إلى متى الانشغال بالجدل؟

كلّ طرف إذًا له رأيه وكلٌّ طرح له أدلته وبراهينه، وكما كنت أقول في بعض الحوارات: ليس للسنة إشكالات جديدة على الشيعة، وليس لدى الشيعة إجابات جديدة على إشكالات السنة، الأمور واضحة بين الطرفين، فإلى متى الانشغال بالجدل؟

هل يعني هذا أن يسكت كلّ طرف ولا يُعبّر عن رأيه؟ كلّا! فمن حقّ كل طرف أن يُعبّر عن رأيه، ومن الممكن أن يكون هناك حوار، ولكن لا ينبغي أن يكون الجدل شغلًا شاغلًا للمسلمين، أمامنا تحدّيات مهمة من قبيل: كيف نبني أوطاننا؟ وكيف نواجه أعداءنا؟ هناك بعض الجهات تريد للمسلمين أن يُشغلوا بهذا الجدل المذهبي إلى يوم القيامة. الله تعالى يأمر نبيّه محمدًا ﷺ أن يقول لأتباع الديانات الأخرى: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾، حتى لو لم تقبلوا ديني ورسالتي لكن لا يحقّ لي أن أظلمكم إذا اختلفتم معي في الدين: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾، يوم القيامة كلٌّ مسؤول عن عمله، وعمل كلّ جهة يبرز وجهها، كلّ جهة ينبغي أن تنشغل بمشروعها وبرنامجها وحياتها ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾، ثم يقول تعالى: ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ ماذا يعني هذا؟ من أفضل ما طرح من تفسير حول هذه الفقرة من الآية فكرتان:

الفكرة الأولى: أنها كناية عن عدم جدوائية الجدل، وكأنه يقول: لا داعي للجدل بيننا وبينكم، فقد أوضحت لكم أدلتي، إن شئتم قبلتم بها وإلا فدعوها: ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾، ما دمتم غير قابلين مع وضوح الحجة فإنّ الجدل يكون عقيمًا والنقاش عبثيًا، فوقف الجدال أفضل.

الفكرة الثانية: التزام الإنسان الدين شيء بينه وبين الله لا بينه وبين الناس. لذلك

ليس لأحدٍ حقّ أن يطلب دليلًا من أيّ أحدٍ لماذا اختار هذا الدين أو ذاك، الله يحاسبه غدًا وليس العباد. ﴿لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾، أي لسنا مطالبين بالتبرير لذلك أمامكم، ولا أنتم مطالبون بتقديم الحجة لنا، لماذا: ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾، وهو الحكم العدل.

هذا ما يجب أن نؤكّده ونحن نحتفي بمناسباتنا الدينية. نؤكّد حقّنا وحقّ أتباع أيّ مذهب أو دين على أن يتمسكوا ويلتزموا ما هم مقتنعون به، وليس لأحدٍ أن يمنع الآخر من التعبير عن رأيه وشعائره. الأمر الآخر، ينبغي أن نضع حدًّا لهذا الجدل الذي يُراد منه إشغال المسلمين وإعداد ساحتهم للنزاع والخصومة. لذلك ندين الجدل الحاصل في القنوات الفضائية سيما في مثل هذا الظرف الحسّاس، الحوار مقبول، لكن ما يدور في هذه القنوات الفضائية ليس حوارًا بالمقاييس الدينية بل هو تهريج وإساءات متبادلة وإشغال للأمة.

أمير المؤمنين عليه السلام مع إيمانه بحقّه الذي تحدّث عنه مرارًا، لكنه ما كان يقبل أن ينشغل أو يشغل غيره بهذا الأمر في غير الوقت المناسب. وقد لاحظ العلماء أن نهج البلاغة الذي جمع أروع خطب وكلمات الإمام عليه السلام ليس فيه حديث وجدل كثير حول موضوع الإمامة والخلافة، مع تمسّك الإمام بحقّه، فمثلًا الخطبة الشقشقية، التي سُمّيت بهذا الاسم؛ لأنّ الإمام أورد هذه العبارة، حيث تحدث عن الخلافة وقال: «أما والله لقد تقمّصها فلان وهو يعلم أن محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عني السّيل ولا يرقى إليَّ الطير». ثم قام رجل من أهل السّواد ـ أي من أهل العراق ـ كما يقول ابن عباس، فناوله رسالة فيها مسائل، يقول ابن عباس: قلنا لعليٍّ أكمل. فقال عليه السلام: «هيهات يا ابن عباس! شقشقة هدرت ثم قرّت». والشقشقة هدير الجمل في حنجرته حينما يهيج، وهي حالة استثنائية، وكأنّ الإمام يريد أن يقول إنّ هذا موضوع استثنائي للحديث حوله، وإلى هنا يكفي.

وأصرح من ذلك ما جاء في نهج البلاغة أنّ رجلًا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ وكانت فرصة للإمام أن

يحكي ويبين، لكنه التفت إلى السائل وقال: «يا أخا بني أسد! إنك لقلق الوضين» ـ أي مضطرب الفكر ـ «رسل في غير سدد»، أي كما نقول تتكلم بدون هدف ـ «ما أنت وهذا الأمر؟ ولك بعد ذمامة الصهر، وحقّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم: أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسبًا والأشدّون من رسول الله ﷺ نوطًا، فإنها كانت أثرة شحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين. والحكم الله والمعود إليه القيامة ودع عنك نهبًا صيح في حجراته، ولكن حديثًا ما حديث الرواحل، وهَلُمَّ الخطب في ابن أبي سفيان». يريد أن يصرفه للأمر الأهمّ الحاضر وهو الحرب مع معاوية، حتى لا ينشغل بأمر قد مضى. هكذا كان عليٌّ عليه السلام لا يقبل بإشغال الساحة بالجدل الذي يؤثر على مصالح الأمة الحاضرة.

أعود لأقول: من حقّنا أن نحتفي بمناسباتنا الدينية ومن حقّ أصحاب كلّ مذهب أن يُعبّروا عن أنفسهم وذاتهم الدينية، ولكن علينا أن نراعي الضوابط التي حددها القرآن، ومنها ألّا يكون الجدل شاغلًا لنا عن مصالحنا الأساس، وإذا ما أردنا أن نتحاور فلنتحاور كما أمر القرآن الكريم بالتي هي أحسن، وليس بإثارة الضغائن والأحقاد.

الخطبة الثانية

٧

الانكفاء الأمريكي وتعزيز الإرادة الوطنية

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾[سورة غافر، الآية:٢١]

يُخبرنا تاريخ البشرية أن هناك تداولًا للظهور والبروز بين المجتمعات والأمم. فقد يتقدم مجتمع؛ لأنه يسلك طريق التقدم ويمتلك مقوّمات التفوق فتصبح له قوة، وهيمنة في العالم بمقدار قوته. لكن الطبيعة البشرية تجعل كلّ قوة معرضة لتسلل نقاط الضعف إليها، وشيئًا فشيئًا تنحدر قوتها وتنحسر هيمنتها لتبرز قوة غيرها، كما يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، هناك حضارات سادت ثم بادت، وبرزت حضارات أخرى، وهذه هي المسيرة الطبيعة للمجتمعات البشرية.

في عصرنا الحاضر رأينا كيف أن قوة عظمى كانت تسمى الاتحاد السوفيتي تمثل النصف النوعي للقوة على الكرة الأرضية، وهو المعسكر الشرقي، رأينا كيف أن هذه القوة مع ما كانت تمتلك من كثافة عددية وقوة عسكرية وتكنولوجية ونووية، قد تفككت وانحدرت، وتحاول روسيا وهي أقوى جزء في تلك القوة السابقة أن تستعيد لها موقعًا بارزًا على خارطة العالم، كما نلحظ الآن من الدور الروسي الصاعد. وقبل الاتحاد السوفيتي كانت هناك بريطانيا العظمى، التي كانت تسيطر على أكثر من نصف الكرة الأرضية، حيث امتدت مستعمراتها إلى أمريكا، وكندا، وقد ضمت الهند إلى

التاج البريطاني، ونيوزلاند، وأستراليا، وكان يقال عن بريطانيا إنها أمبراطورية لا تغيب عنها الشمس لسعة نفوذها وتوسعها، ولكن أين بريطانيا اليوم؟ أصبحت مجرّد قوة تابعة للفلك الأمريكي، ليست أقوى الدول الأوروبية لا في الصناعة ولا الاقتصاد ولا الدور السياسي، فضلًا عن القوى الموجودة على المستوى العالمي كأمريكا وروسيا والصين، واليابان.

هل يأفل النجم الامريكي؟

في هذا العصر أصبحت القوة العظمى هي الولايات المتحدة الأمريكية، وأصبح العالم يُدار بقطب واحد بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، لكننا نلحظ الآن كيف بدأت تتسلل إلى هذه القوة عوامل الضعف الطبيعية، أو أن عوامل الضعف الموجودة في داخل هذه الحضارة بدأت تتعزز وتظهر للعيان وتأخذ مفاعيلها. قد نكون الآن على أعتاب مرحلة جديدة، يبدأ فيها أفول القوة الأمريكية كقوة تنفرد بالهيمنة، وهذا أمر واضح. أمريكا ما عادت الآن مستعدة كما كانت قبل عقدين من الزمن في التدخل العسكري في هذه البقعة أو تلك، في هذا البلد أو ذاك. أمريكا الآن تواجه مشكلة اقتصادية في داخلها، وتواجه ارتفاع الأصوات ضدّ هيمنتها وسياساتها المتعجرفة حتى من حلفائها. العالم الآن مشغول بموضوع التجسس على الدول الأوروبية، وهو لم يكن شيئًا جديدًا، والحكومات في أوروبا كانت تعرف وجوده، الجديد أن هذه الدول بدأت تعلن امتعاضها؛ لأنّ الوقت أصبح مناسبًا أمام هذه الدول لكي تعلن رفضها لمظاهر الهيمنة الأمريكية.

تسمعون هذه الأيام أن المستشارة الألمانية تشكو من التنصّت على هاتفها المحمول وتعترض على ذلك، وكانت تقارير أشارت إلى أن وكالة الأمن الأمريكية تنصتت على ملايين الفرنسيين، وقد كشفت صحيفة الغاردين البريطانية أن أمريكا تنصتت على هواتف ٣٥ من زعماء الدول والحكومات، طبقًا لما ورد في وثائق سرية

مسربة. وهناك الآن حديث كثير حول تجسس الأمريكيين على القيادات والشعوب الأخرى، وأشارت صحيفة فرنسية إلى أن الوكالة الأمريكية تجسّست على أكثر من سبعين مليون محادثة هاتفية في فرنسا! وتقارير تتحدث عن أن أمريكا خصصت في عام ٢٠١١ ميزانية قيمتها ٦٥٢ مليون دولار لتوفير برامج التجسس التي شملت ملايين من الأجهزة في ذلك العام.

من هنا بدأت تتعالى الأصوات الغاضبة من السياسة الأمريكية، وحتى الدول التي لها علاقة وثيقة مع أمريكا وبينهم مصالح متبادلة، بدأت ترفع اصوات الغضب والانزعاج مثل المملكة العربية السعودية، فثمة أصوات داخل بلادنا تحتج وتعترض على سياسات أمريكا وتصرفاتها، وهذا سيتصاعد في المرحلة المقبلة من أكثر الدول العربية والإسلامية، ليس لأنّ شيئًا جديدًا قد طرأ على سياسة أمريكا، فمواقفها العدائية ليست جديدة، أمريكا هي أمريكا، الجديد في الأمر أن الدول والشعوب بدأت تدرك الآن أن هذه القوة تراجعت هيمنتها، وهناك مجال لرفع الصوت أمامها، والاعتراض عليها.

بناء القوة الوطنية

وبهذه المناسبة نؤكّد أهميّة النقاط التالية:

أولًا: علينا أن نفهم طبيعة هذا العصر الجديد وتحولات القوة فيه. البعض من الناس حينما تكون في ذهنهم قوة لدولة معينة فإنهم يستصحبون بقاء هذه القوة وكأنها ستبقى بعنفوانها إلى يوم القيامة! معادلات الدنيا وطبيعة الحياة ليست هكذا، ونحن نشاهد ونقرأ ما حصل في تبدلات القوة في الماضي والحاضر. علينا أن نعلم أننا على أعتاب مرحلة جديدة، القوة الأمريكية تعاني الآن من ضعف قياسًا إلى قوتها السابقة، وبالتالي فإن دورها مرشّح للمزيد من الانكفاء، وتدخلاتها في دول العالم ستبدأ بالتراجع، خاصة أمام الشعوب التي تمارس إرادتها، وتمتلك قرارها.

ثانيًا: على الحكومات العربية والإسلامية أن تعتمد على شعوبها. الشعوب هي مصدر السلطة والقوة، والحكومات التي تعتمد على شعوبها هي التي يمكن أن تقول (لا) للحكومة الأمريكية، تستطيع أن ترفض وصاية أمريكا وتعترض على سياستها، أما إذا كان هناك خلل في العلاقة بين الحكومة والشعب، فإن القلق يساور الجانبين، ومن هذا الباب تدخل الهيمنة الأمريكية. إنّ من المهم في هذه المرحلة والهيمنة الأمريكية في طريقها للانحدار أن تقوي الحكومات علاقتها بشعوبها، حتى تكون الشعوب خير دعم وسند لها.

ثالثًا: على الدول العربية والإسلامية أن تتجاوز خلافاتها الإقليمية؛ لأن الخلافات الإقليمية هي التي تعطي الفرصة للنفوذ الأمريكي، وأمريكا تشجع الخلافات الإقليمية بمختلف العناوين والأسباب، ولكي تعرقل اتجاه هذه الدول نحو التنمية وبناء قوتها الوطنية.

ونأمل أن تتجه الحكومات والشعوب إلى استعادة حقوقها وكرامتها وقرارها السيادي المستقل عن تأثير الهيمنة الأجنبية. إن شعوبنا غنية وعندها ما يؤهّلها لاتخاذ المواقف المناسبة لسيادتها إذا امتلكت قرارها وإرادتها.

الخطبة الأولى

الحسين صرخة في وجه الاستبداد

أخرج المحدّث الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة عن أم الفضل بنت الحارث قالت: دخلت يومًا إلى رسول الله ﷺ فوضعت الحسين في حجره ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع، قالت: فقلت يا نبي الله! بأبي أنت وأمي، ما لك؟ قال ﷺ: «أتاني جبريل ﵇ فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا». أي الحسين ـ فقلت: هذا؟! فقال: «نعم. وأتاني بتربة من تربته حمراء»[1].

قال الألباني وهو من أبرز المحدثين السلفيين في هذا العصر في تعقيبه على هذا الحديث: له شواهد عديدة تشهد لصحته، وذكر أحاديث صحيحة مشابهة عن أحمد بن حنبل، كما أورد هذا الحديث الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

هذا الحديث عيّنة لأحاديث كثيرة وردت في مصادر الحديث بطرق معتبرة، عند السنة والشيعة، عن عدد من الصحابة وأمهات المؤمنين بما يفيد الاطمئنان والقطع بمجمل مضمون هذه الأحاديث. التي تنقل عن رسول الله ﷺ إخباره عما يحدث لابنه الحسين، وتبين تفجّع رسول الله ﷺ لذلك الحدث قبل وقوعه بأكثر من خمسين عامًا. هذه الأحاديث تشكل ظاهرة تلفت النظر، ولا يصحّ أبدًا المرور عليها مرور الكرام،

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ص٤٨٤، حديث ٨٢١.

خاصة وأننا كمسلمين سنة وشيعة، نعتقد أن ما يصدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل لا يصدر اعتباطًا ولا عبثًا، يقول تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، إذًا لا بُدّ وأن يكون لهذه الأحاديث هدف، ومن ذلك توجيه أنظار الأمة لأمر مُعيّن. لماذا هذا الاهتمام من قبل الله تعالى بحدث سيقع بعد خمسين عامًا لطفل صغير، ويخبر بذلك رسوله المصطفى ﷺ؟ ولم يكن ذلك مرة وحدة، وهذا ما نستفيده من تعدّد صيغ الأحاديث التي تنقل قضية مقتل الحسين عليه السلام، بعض النصوص تقول أتاني جبرئيل، بعض النصوص كما في مسند أحمد بن حنبل، «دخل عليَّ ملك عظيم لم يدخل عليَّ قبل ذلك اليوم». ولماذا يبعث الله مع جبريل تربة حمراء من التربة التي يقتل عليها الحسين عليه السلام؟ هذا الاهتمام من قبل الله في إطلاع نبيّه على الموضوع وبهذه الطريقة، ثم الاهتمام من قبل رسول الله ﷺ بأن يخبر الأمة بالأمر، ويحدث الصحابة وأمهات المؤمنين وأشخاصًا من أهل البيت عليهم السلام، حتى أورد الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين عن ابن عباس أنه قال: ما كنا نشك وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يقتل بالطف[1].

اهتمام النبي بمقتل الحسين

هذا الاهتمام بهذا الموضوع يفيدنا بأن نستنتج ثلاثة أبعاد:

- **البعد الأول**، يرتبط بمكانة الشخص، وهو الإمام الحسين عليه السلام. هذه الأحاديث الكثيرة تدلّ على أن هذا الشخص ليس شخصًا عاديًّا، بل هو شخص يحظى بمكانة مميزة عند الله ورسوله، وبناءً عليه يجب أن يحظى بموقعية مميزة عند الأمة.

- **البعد الثاني**، أهمية الحادثة واستحقاق الحدث للتألم والتفجع. صحيح أن هناك حروبًا ومعارك قد حدثت وأن كثيرين قتلوا ويقتلون في المعارك سواء

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٩٧، حديث ٤٨٢٦.

كان قبل رسول الله أو بعده ﷺ، لكن تخصيص هذا الحدث بالاهتمام من قبل الله ورسوله يدلّ على أن هذا الحدث في مستوى من الفجيعة بحيث يستحق إظهار التألم والحزن حتى قبل وقوعه. وحينما نظهر تفجعنا لما حصل في عاشوراء فإننا لا نبتدع في ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ قبلنا أظهر تفجعه قبل وقوع الحدث بنصف قرن من الزمن، وبعده الصحابة وأمهات المؤمنين كما ورد في المصادر المعتبرة.

- **البعد الثالث**، وهو المهم، والذي يجب أن نركز عليه وخاصة في هذا العصر، أهمية القضية والدور الذي تحمله الحادثة. حادثة كربلاء ليست صراعًا بين قبيلتين أو شخصين على السلطة، كما كانوا يشيعون: يزيد سلطان والحسين سلطان وما لنا والدخول بين السلاطين. وليست حربًا بين طائفتين، فقد حدثت قبل تشكل المذاهب والطوائف، إنما هي قضية تحمل معنى ومدلولًا كبيرًا، تحمل الرفض للاستبداد السياسي الذي حصل في الأمة. هذا هو المضمون الأساس لواقعة عاشوراء.

الإمام الحسين عليه السلام رأى أن الاستبداد قد استكمل صورته في الأمة، وتجلّى بأبشع صوره ومظاهره، فلا بُدّ من رفض هذه الحالة حتى لا يصبح الاستبداد حالة مشروعة. لا بُدّ وأن شخصًا في مقام الحسين ومكانته يكون له موقف صارخ بارز يسمعه الجميع في رفض الاستبداد، ومصادرة قرار الأمة. وهذا ما تؤكّده واقعة كربلاء، شخص لا يمتلك كفاءة دينية، ولا إدارية، ولا سياسية، يطلق عليه يزيد ابن معاوية، ينزو على منصب قيادة الأمة ويصبح الخليفة والقائد لهذه الأمة العظيمة! هذا أمر ما كان يمكن السكوت عليه.

وهو لم يأتِ للحكم برضى الأمة، بل فرض عليها فرضًا، فكيف لها أن تقبل ذلك؟ ثورة الحسين عليه السلام إنما كانت إعلانًا لرفض مصادرة قرار الأمة.

ثم إن السياسة التي اعتمدها الحكم الأموي كانت سياسة جائرة مخالفة لنهج العدل والحرية وكرامة الإنسان، والحسين عليه السلام بموقفه يريد أن يعلن رفض السياسة الجائرة، ولذلك قال في خطبة له أمام الجيش الأموي: «أيها الناس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطانًا جائرًا، مستحلًّا لحرام الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه فعل ولا قول، كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله».

لأن ثورة الحسين عليه السلام تحمل هذا المدلول، لذلك اهتمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإبرازها، والحديث عنها، ومن هنا جاء اهتمام شيعة أهل البيت عليهم السلام بهذه الحادثة العظيمة.

استثمار عاشوراء لتقدم المجتمع

أورد الحرّ العاملي في وسائل الشيعة عن الأمالي وعيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، عن الإمام علي الرضا عليه السلام أنه قال: «من تذكّر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلسًا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[1].

في مقابل السياسات الأموية والعباسية القائمة على تهميش دور أهل البيت في الأمة، وعلى محاصرتهم والتعتيم على فضائلهم ومعارفهم، وإخفاء ما يجري بحقّهم من ضغوط وتضييق، في مقابل هذه السياسة، وجّه أهل البيت عليهم السلام شيعتهم، بأن يتوارثوا ويشيعوا في أوساطهم إحياء ذكر أهل البيت، وإحياء أمرهم، لإفشال السياسة الأموية ضدهم. ولكي يبقى ذكرهم غضًّا طريًا، ولكي تنتشر معارفهم، ففي انتشارها وفائدة للأمة، وهذا النصّ الذي أورده الحرّ العاملي عن الإمام الرضا عليه السلام هو واحد من النصوص الواردة عن أهل البيت التي توجّه شيعتهم لإحياء ذكرهم: «من تذكّر مصابنا»، ما معنى ذلك؟

يعني الرفض للإهانة والظلم الذي وقع بحقّ أهل البيت عليهم السلام، والتعاطف مع معاناتهم عليهم السلام، وأيضًا استحضار تضحية أهل البيت حيث دفعوا ثمنًا باهظًا من أجل تلك المبادئ الحقّ التي حملوها، وقد توارثت أجيال الشيعة نهج الاهتمام بإحياء ذكرى

(١) عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٦٤، حديث٤٨.

أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، واستفادت من ذلك أجيال الشيعة من ذلك في حفظ هويتها، حيث كان يمكن أن تتلاشى هذه المدرسة بسبب كثرة الضغوط عليها وشدة المحاربة لها، لكن هذه البرامج التي وضعها أهل البيت لإحياء ذكرهم وقضيتهم، هي التي أحيت وأبقت هذه الهوية قوية صامدة مع كلّ الضغوط وأساليب الحصار، كما أن هذا النهج هو الذي حمى تماسك أبناء هذا المجتمع الموالي لأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ فأصبحوا قوة متماسكة، كما ساعد على تدوير معارف أهل البيت في أوساطهم؛ لأنّ إحياء هذه المناسبات مضمونها إحياء سيرة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ وأحاديثهم ومعارفهم وأخلاقهم، فالمكاسب عظيمة جدًّا. ومن يحاربون هذه الشعائر من المناوئين لأتباع أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ إنما يحاربونها؛ لأنهم يدركون أنها مصدر قوة لهذه الطائفة، ومصدر عزّة وحماية لهويتها ومدرستها. وفي المقابل فإن أجيال الموالين لديهم إصرار وتمسّك بهذا النهج، يحيون المناسبة عامًا بعد عام، وعصرًا بعد عصر.

وإذا كان مبدأ إحياء ذكرى أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ ثابتًا يتفق عليه الشيعة، فإن الوسائل والأساليب قد تكون متجددة متطورة حسب تطور الأجيال والظروف. فالوسائل والخطاب في هذه المناسبة ينبغي أن يكون متفاعلًا مع تطورات الزمن. وحيث يستعد مجتمعنا لإحياء هذه المناسبة ـ ونأمل أن يوفق الله الجميع إلى إحيائها على خير وجه ـ أجد من المهم التذكير بما يلي:

المشاركة الفاعلة في احياء عاشوراء

أولًا: المشاركة الفاعلة من قبل الجميع. هذه المناسبة لا تهمّ فئة من المجتمع فقط، ودور المشاركة فيها لا يختص بشريحة من الشرائح أو بفاعلية من الفعاليات، إنها مناسبة يجب أن يشترك فيها الجميع، وكل واحد من أبناء المجتمع يجب أن يكون له دور فاعل، وأن يقدم من وقته وجهده وماله وجاهه في إحياء هذه المناسبة؛ لأننا وطبقًا للروايات الواردة عن أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ نعتقد أن أيّ

جهدٍ يبذل في هذه المناسبة يقابله ثواب عظيم عند الله تعالى، ويكفينا ما قاله الرضا عليه السلام: «من جلس مجلسًا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

ثانيًا: البذل من المال والوقت والجهد. ونركز هنا على البذل المالي؛ لأن نفقات هذه المناسبة مصادرها أهلية وليست من قبل أيّ حكومة أو سلطة، لهذا يجب أن يكون البذل من الجميع، ولكن لا بُدّ أن نشير إلى مراعاة بعض الضوابط كتجنب الإسراف والتبذير، فبعض الأحيان يصل الأمر في الإطعام إلى ذلك الحدّ المنهي عنه، وهذا ما ينبغي تجنبه. لا يصحّ أبدًا أن يكون هناك إسراف وتبذير، وفي بعض الأحيان قد يلحظ الإنسان أن البذل قد لا يستفاد منه، وقد يصل إلى الإسراف، وهذا منهي عنه في تعاليم الدين. ينبغي الإنفاق وخاصة على البرامج التي لا يلتفت إليها البعض كدعم الفضائيات والقنوات التي تنشر القضية الحسينية بشكل سليم مناسب، ودعم البرامج الهادفة، كبرنامج (التواصل الوطني) وهو دعوات لبعض شخصيات من المناطق المختلفة في المملكة حتى يزوروا المنطقة ويطّلعوا على البرامج فيها، وهذا له كلفة ويحتاج تمويلًا يستدعي من المؤمنين رفده. كذلك إقامة دورات لتنمية الخطباء، وورش عمل، وإذا لم يكن ممكنًا في البلد لسببٍ أو لآخر فلتكن في أماكن أخرى. نلوم الخطباء على عدم التطوير، لكننا لا نساعدهم، لو أن برنامجًا في الحوزات أو أيّ مكان، دعي له الخطباء على حساب البرنامج ومنحوا مكافأة على ذلك، فسيكون جاذبًا، ومفيدًا، والبذل فيه من أهم مصاديق البذل على الشعائر الحسينية.

المنبر الحسيني وقضايا المجتمع

ثالثًا: الدور الفعّال للمنبر الحسيني في معالجة قضايا المجتمع الحاضرة. نحن

نحتاج خطابًا يسلط الأضواء على مشاكل المجتمع، من خلال سيرة أهل البيت، فلا بُدّ من التركيز على الأفكار والمفاهيم التي تساهم في تطوير المجتمع، وأشير هنا إلى ثلاثة أبعاد يحتاج التركيز عليها من قبل المنبر الحسيني المعاصر:

١. دفع الأبناء إلى النجاح في دراستهم. فهذا يؤسّس مجتمعًا شيعيًّا ناجحًا متفوقًا، ورد عن الباقر عليه السلام: «إني لأبغض الرجل يكون كسلانًا عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو في الآخرة أكسل»[1]. الدين لا يريد من المتديّنين أن يكونوا مجموعة من الكسالى المتخلفين المحتاجين للآخرين، بل يريد منهم أن يكونوا متفوقين، لذلك ينبغي أن يأخذ المنبر الحسيني بيد أبناء المجتمع نحو النجاح. وهذا ما يسر الإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام، نريد أن يخرج أبناءنا بعد موسم عاشوراء وهم أكثر حماسةً للدراسة، وأكثر إصرارًا على التفوق. ولا بُدّ أن أشير هنا إلى أن بعض حالات التسيّب الدراسي التي تحصل في المناسبات الدينية أمر ليس جيّدًا وليس سليمًا. لا ينبغي أن يتغيّب أبناؤنا عن الدراسة إلا فيما تعارف عليه الشيعة في كلّ مكان، كاليوم التاسع والعاشر من المحرم مثلًا. مؤسف ما نلحظه من تغيّب الطلاب عن مدارسهم من أول يوم من المحرم! وفي جميع الوفيات، حتى على الروايات المختلفة، وهذا خطأ كبير ليس في صالح أبنائنا، البعض يقول هذا تعظيم للشعائر! هل نحن دون بقية الشيعة، في إيران مثلًا هم يعطلون التاسع والعاشر من المحرم فقط؟ أبناء المراجع والمشايخ في قم وكلّ إيران يذهبون للدراسة، فهل أنا أكثر تشيّعًا منهم؟ في العراق أيضًا وفي لبنان والبحرين وكل مكان، كلهم منضبطون في دراستهم، فهل نزايد على كلّ هؤلاء؟ نحن مع الشعائر، ولكن بالانضباط. وكما أخبرت من كثيرين أن المدرسين هم من يشجع الطلاب على الغياب! وبعض الأحيان مدرسون غير شيعة يتابعون المناسبات

(١) الكافي، ج٥، ص٨٥، حديث٤.

ويذكرون الطلاب للغياب فيها! لا نُعمّم على كلّ المدرسين، ولكنها حالة موجودة، حتى لو ذهب يُعاد يرجع من قبل المدرسة لعدم وجود طلاب وهذا خطأ كبير. يجب أن نشجع الطلاب على التفوق والنجاح، وكذلك الموظفين ورجال الأعمال في كلّ الجوانب. الخطاب المنبري ينبغي أن يكون دافعًا للنجاح.

٢. تنمية المجتمع وتعزيز تضامنه. ينبغي أن ننمّي مجتمعنا لا أن نركز على الشعائر الدينية فحسب. الصلاة والصوم والحج وكذلك الشعائر الحسينية أمور مطلوبة ومن الواجب الاهتمام والحث عليها، ولكن ينبغي أن يكون مجتمعنا مجتمعًا متقدمًا يحقق التنمية في كلّ المجالات، وأن نحفظ تماسك المجتمع، وأسوأ شيءٍ أن يُستغل المنبر في نشر الخلافات والبغضاء داخل المجتمع الواحد. من حقّ كل شخص أن يكون له رأي وأن يعرض رأيه، لكن ليس بطريقة اتهام الآخرين وتخوينهم وتسقيطهم، هذا ما نرفضه على صعيد العلاقة بين المذاهب، فكيف نقبله ضمن المذهب الواحد؟ جريمة أن يستغل منبر الحسين للتفريق بين شيعة الحسين، وأن يُسهم في نشر البغضاء بين أتباع ومحبي الإمام عليه السلام، باب الاجتهاد مفتوح واختلاف الرأي مقبول، وينبغي أن يكون اختلافنا تحت إطار المبادئ والقيم الإسلامية. والخطاب المنبري ينبغي أن يؤكّد على الاحترام المتبادل والتعاون وقبول الرأي الآخر داخل المجتمع نفسه ومع المجتمعات الأخرى، هذه هي منهجية أهل البيت عليهم السلام. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «مَا أَنْتُمْ وَالْبَرَاءَةَ يَبْرَأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟»[1].

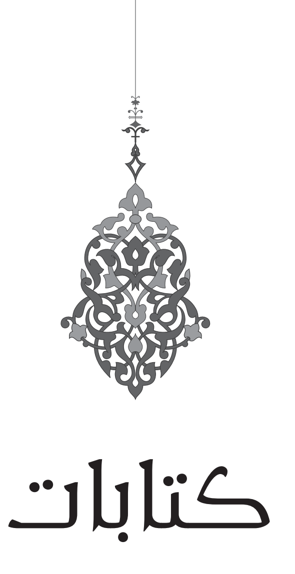
٣. أن يُسهم المنبر الحسيني في نشر الوعي بالمصالح العامة للأمة وخاصة في هذا الزمن. نحن جزء من الأمة الإسلامية ومن الشعب الذي ينتمي

---

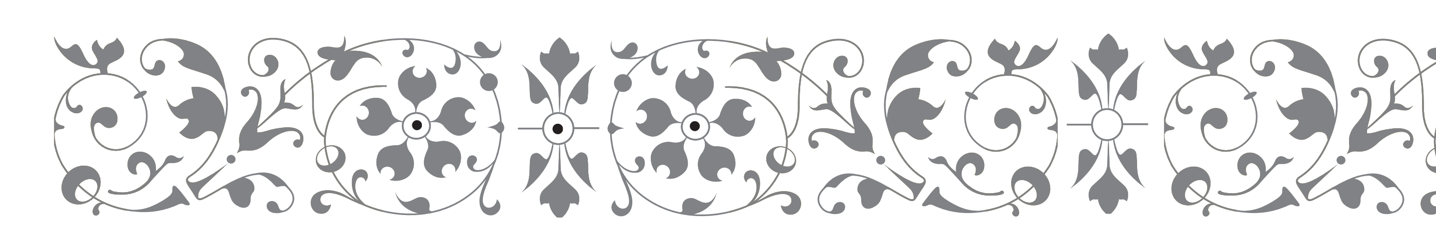
(١) الكافي، ج٢، ص٤٥، حديث٤.

الى الوطن الذي نعيش فيه، فلا بُدّ أن ننشر الوعي بمصالح الأمة ومصالح الوطن، خاصة ونحن نواجه عواصف من الفتن والتيارات تريد أن تمزق أوطاننا، فالخطاب المنبري يجب أن يكون واعيًا ولا يصب الزيت على النار، بل يأخذ منهجية أهل البيت عليهم السلام كما قال علي عليه السلام: «لأسلّمن ما سلمت أمور المسلمين». الأئمة كانوا يُصرّون على شيعتهم أن يكونوا هم الأكثر تضحية واستجابة لمصالح الدين والأمة. ومن المناسب أن ندعوَ الآخرين لهذه المجالس الواعية حتى يروا كيف نحيي هذه المناسبة.

عاشوراء موسم مهم، فينبغي استثماره بما يعود على الأمة والوطن بالنفع.



كتابات



٧

الحج رسالة التوحيد والوحدة

تمثل مناسك الحج ورشة عمل كبرى يتدرب فيها الحجيج على تطبيق القيم والمفاهيم الدينية، ويختبرون تحويلها من عالم الأفكار والإيمان القلبي إلى أرض الممارسة الفعلية السلوكية.

ومن أهم تلك القيم والمبادئ التي تتمحور حولها مناسك الحج مبدأ التوحيد وإخلاص العبودية لله تعالى، ومبدأ وحدة الأمة.

وقد قرن الله تعالى بين التأكيد على وحدة الأمة والتأكيد على ربوبيته في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[سورة الأنبياء، الآية:٩٢]، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[سورة المؤمنون، الآية:٥٢].

فالمسلم يؤمن بمبدأ العبودية لله تعالى، وما يعنيه هذا المبدأ من الخضوع والانقياد لأوامر المولى عز وجلّ. لكن هذا المبدأ يصبح التزامًا وسلوكًا عمليًا يطال مختلف تفاصيل حياة الإنسان ضمن مناسك الحج، حيث عليه أن يتجرد من ملابسه المعتادة، ويقتصر على لبس قطعتي الإحرام، ويُحظر عليه أن يتصرف حتى في شعرةٍ من جسمه، بأن يتعمد إزالتها بنتف أو حلق، كما لا يحق له أن يلمس أو ينظر امرأة بشهوة وتلذذ حتى زوجته، ولا يجوز له شمّ الروائح الطيبة حتى في الفاكهة التي يأكلها، في ذات الوقت ليس له أن يمتنع عن شم الروائح الكريهة بأن يمسك على أنفه منها.. ويطلب

منه أن يطوف بالبيت الحرام أشواطًا محددة العدد والابتداء والانتهاء، وأن يسعى كذلك بين جبلين، وأن يقضي أوقاتًا محددة في أماكن بعينها، وأن يلتقط حصى بمواصفات معينة، ليرمي بها مكانًا معينًا في زمن محدد، وأن يحلق شعر رأسه في وقت معين.. وهكذا تأتي الأوامر الإلهية لتمس هذه التفاصيل في حياة الحاج، ولتجتاز به رحلة عمل مجهد شاق، يترجم من خلالها معنى الخضوع لأوامر الله تعالى، ويتدرب على العبودية المطلقة له.

وإلى جانب تجلي مبدأ التوحيد والعبودية لله تعالى في مضامين مناسك الحج وأعماله، هناك حضور لمبدأ آخر هو وحدة الأمة، حيث يلتقي الحجيج من أبناء الأمة على اختلاف ألسنتهم، وألوانهم، وبلدانهم، وطبقاتهم، ومذاهبهم، يلتقون في زمن واحد، وعلى صعيد واحد، وفي زيّ موحد، حين يلبسون الإحرام، ويهتفون ملبين لله تعالى بعبارة واحدة، ويشتركون جميعًا في أداء مناسك وأعمال واحدة.

إن مفردات مناسك الحج صيغت بعناية إلهية فائقة، لتؤكد في نفس الإنسان المسلم، مبدأ التوحيد لله ووحدة الأمة، عبر برنامج عمل سلوكي، في رحلة عبادية روحية..

فما أروع مشهد الطواف حول البيت الحرام، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات ومزدلفة، ورمي جمرة العقبة، وما أروع انتظام صفوف الحجيج في أداء صلاة الجماعة، حيث ترى في تلك المشاهد كتلة بشرية كبيرة تختلط فيها الألوان والأشكال، وتتداخل اللغات والأصوات، وتمتزج الأعراق والانتماءات.

حقًا إن مناسك الحج تمثل ورشة عمل وتدريب على انصهار الأمة في بوتقة الإسلام، ولتحقيق برنامج التعارف بين مكونات الأمة وأجزائها، فيلتقون على صعيد واحد، ليتعارفوا وليتدارسوا شؤونهم المختلفة، وليتفقوا على التعاون فيما بينهم لخدمة مصالحهم العامة وأهدافهم المشتركة.

إنه مؤتمر عالمي جماهيري ينعقد في أجواء روحية سامية، تتعزّز من خلاله مشاعر

الوحدة والتضامن، وتتأكد عبره روح الانتماء للدين والأمة.

يقول فيليب حتي: «ولقد ظل الحج على كرّ العصور أكبر عامل موحد في الإسلام، وأقوى رابطة بين مختلف طبقات المؤمنين. وهو الذي جعل من كل مسلم قادر رحّالة ولو مرة في عمره. واجتماعات كهذه لها تأثير اجتماعي فعّال بين جماعات المؤمنين الذين يأتون من أقطار المعمورة الأربعة.

فالحج أتاح للزنوج والبربر والصينيين والفُرس والسوريين والترك والعرب ـ الفقير منهم والغني والرفيع والوضيع ـ أن يجتمعوا ويتآخوا على أساس الإيمان المشترك. والحق أن الإسلام قد وفق أكثر من أديان العالم جميعًا إلى القضاء على فوارق الجنس واللون والقومية وخاصة بين أبنائه. ولا شك في أن الاجتماع في موسم الحج له الفضل الأكبر في تحقيق هذه الغاية»[١].

إن هذه الرسالة التوحيدية الوحدوية التي تحملها مضامين مناسك الحج، يجب الاهتمام بها، والتأمل فيها، والتفاعل معها، لتستفيد الأمة من آثارها وانعكاساتها في إدارة شؤون الحياة. فإن ذلك هو ما يحقق أهداف ومقاصد فريضة الحج العظيمة، حتى لا تبقى مجرد ممارسات وحركات طقوسية.

وفي هذا العصر بالذات ما أحوج الأمة الإسلامية إلى تأكيد وحدتها وتعزيز تماسكها، حيث تواجه عواصف الفتن المختلفة، التي أصبحت تهدد أوطانها ومجتمعاتها بالتمزق والتشظي والاحتراب. وخاصة فتنة الصراعات والانقسامات الطائفية.

إن موسم الحج ومدرسة مناسكه العظيمة تقدم للأمة أفضل فرصة لتجديد روح الوحدة، وتعزيز مفهوم الأخوة الإيمانية والتضامن الإسلامي.

---

(١) الدكتور فيليب حتي. العرب تاريخ موجز، الطبعة السادسة ١٩٩١م، (بيروت: دار العلم للملايين)، ص٥٨-٦٠.

وعلى قادة الأمة والحريصين على وحدتها أن يستثمروا أجواء الحج المباركة في تحقيق هذا المقصد السامي والهدف العظيم.

ونشير إلى بعض الآليات والبرامج لخدمة هذا التوجه النبيل:

بثّ ثقافة الوحدة

بث ثقافة الوحدة والتأكيد على أهميتها الدينية والاجتماعية في واقع الأمة.

إنه لا ينبغي أن يخلو خطاب أو حديث يوجه للحجيج أو يتناول موضوع الحج من الحث على الوحدة والتآخي بين أبناء الأمة، انطلاقًا من أن الحج مشهد وحدوي، يُظهر ويجسّد وحدة الأمة، كما يتيح أفضل الفرص لتأكيد هذا المبدأ في أوساطها، حتى يعود الحجيج إلى مجتمعاتهم مبشرين برسالة الوحدة، داعين إلى الالتزام بها.

ويتحمل العلماء والدعاة المتواجدون في صفوف الحجيج مسؤولية كبيرة في تبيين هذا المبدأ الإلهي القرآني، وخاصة خطباء الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة.

كما أن لوسائل الإعلام المهتمة بتغطية ونقل أخبار الحجيج دورًا أساسًا في خدمة رسالة الحج التوحيدية الوحدوية.

نشر ثقافة التسامح والاحترام المتبادل

لأن الحجيج يتنوعون في أعراقهم وقومياتهم ومذاهبهم، وينتمون إلى مجتمعات تختلف في ثقافاتها وعاداتها وأعرافها، فينبغي التأكيد على القيم الإسلامية المشتركة، وعدم إثارة ما يسبب نزاعًا أو خلافًا.

وقد نصّ القرآن الكريم على النهي عن الجدال لمن أحرم بالحج، لتكون أجواء الحجيج بعيدة عن أدنى شائبة خلاف، أو إثارة حزازة وحساسية.

يقول تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِى الْحَجِّ﴾[سورة البقرة، الآية:١٩٧].

يقول السيد عبد الأعلى السبزواري: «والظاهر أن الآية المباركة تنهي عن أمور كانت متبعة عند العرب في زيارتهم لبيت الله الحرام وحجهم له، فقد كانت الأسواق في الموسم تعقد للمفاخرة بين القبائل، وكان يجري فيها التنابز بالألقاب، والخصام والمراء، وغير ذلك من المناهي المتعلقة باللسان، فناسب ذلك النهي عن هذه الأمور في الحج، وإلا فهي محرمة في جميع الأحوال، ولبيان أن الحج بطبعه لا يقبل هذه الأمور، فإنه السفر إلى الله، والإقبال عليه لغرض أسمى، ولا تناسب بين ما كان كذلك وبين ما هو من شأنه البعد والفرقة والانفصال»[١].

وقال الإمام مالك في الموطأ: «والجدال في الحج أن قريشًا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح، وكانت العرب وغيرهم يقفون بعرفة، وكانوا يتجادلون ويقول هؤلاء: نحن أصوب. ويقول هؤلاء: نحن أصوب، فقال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾[سورة الحج، الآية:٦٧]. فهذا الجدال فيما نرى، والله أعلم، وقد سمعت ذلك من أهل العلم»[٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: «إن قريشًا كانوا إذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم: حجنا أتم. وقال آخرون: بل حجنا أتم، فنهاهم الله تعالى عن ذلك»[٣].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة؛ لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة»[٤].

وفي هذه التفاسير إشارة وإيحاء للنهي عن الجدال فيما يرتبط بجوانب المسألة

---

(١) السيد عبدالأعلى السبزواري. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج٣، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، (بيروت: مؤسسة أهل البيت ﷺ)، ص١٦٧.

(٢) الإمام مالك بن أنس. الموطأ، طبعة ١٤٢١هـ، (القاهرة: جمعية المكنز الإسلامي)، ص١٤٢.

(٣) الفخر الرازي. التفسير الكبير. ج٣، الطبعة الثالثة، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص١٦٥.

(٤) عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، طبعة ١٤١٨هـ، (بيروت: مؤسسة الريان ـ دار الذخائر)، ص١٢٦.

الدينية، وادّعاء كل طرف بأنه الأصوب نسكًا والأتم حجًا.

تأملات في الخطاب النبوي:

وحين نقرأ خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع نرى فيها تركيزًا كبيرًا على رعاية الحقوق والحرمات بين المسلمين، ورفض أي إثارة لنزاع أو خلاف كالنزاعات السابقة في الجاهلية.

فقد جاء في خطبته ﷺ بعرفة كما أوردتها مختلف المصادر الإسلامية: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا وأن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدميَّ هاتين، ودماء الجاهلية موضوعة، وربا الجاهلية موضوع»[1].

وفي خطبته بمنى ﷺ في اليوم العاشر كرر وأكد على المسلمين رعاية الحرمات، وحفظ الحقوق وتعزيز الأخوة الإسلامية فيما بينهم، ومما جاء فيها قوله ﷺ: «أي شهر هذا؟ أليس ذي الحجة.

قالوا: بلى.

قال: أي بلد هذا؟ أليس البلدة؟

قالوا: بلى.

قال أي يوم هذا؟ أليس يوم النحر؟

قالوا: بلى.

قال: فإن دماءكم وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في

---

(١) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. صحيح مسلم، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، (الرايض: دار المغني)، ص٦٣٦. وانظر: الشيخ محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار ج٧٣، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي) بحار الأنوار ج٧٣ ص٣٤٩.

بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا إن المسلم أخو المسلم، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء، إلا ما أحل من نفسه، وحتى دفعة دفعها مسلم مسلمًا يريد بها سوءًا حرام. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

وسأخبركم من المسلم، من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى.

ألا لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض وأنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد»[1].

وسئل رسول الله ﷺ بمنى: ما خير ما أعطى الناس يا رسول الله؟ قال: «حسن الخلق».

وفي اليوم الحادي عشر خطب الناس بمنى على بغلة شهباء وعلي عليه السلام يبلّغ عنه الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أي بلد هذا؟ أليس المشعر الحرام؟ قالوا: بلى.

قال فأي يوم هذا؟ أليس أوسط أيام التشريق؟

قالوا: بلى.

قال ﷺ: فإن دماءكم، وأعراضكم، وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، فليبلغ أدناكم أقصاكم.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، فلا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، ليس

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ج٤، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص٣٦٠ حديث٧٠٧٨.

لعربي فضل على عجمي، ولا لعجمي فضل على عربي إلا بالتقوى، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى، إن الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[سورة الحجرات، الآية١٣][1].

هكذا يؤكد رسول الله ﷺ في كل يوم من أيام الحج، وفي كل خطبة يوجهها للحجيج، على مبدأ الوحدة والأخوة، وعلى أن يحترم الناس حقوق بعضهم بعضا، بغض النظر عن أعراقهم وانتماءاتهم.

إن هذه الخطب النبوية يجب أن ترسم لنا سياسة الخطاب الإسلامي في موسم الحج، بأن يكون خطابًا توحيديًا يؤكد على الوحدة والأخوة والتسامح، وحفظ الحقوق والحرمات بين أبناء الأمة.

ومما يؤسف عليه أن هناك من يسيء إلى أجواء الحج الوحدوية المباركة ببث خطاب متشنج، يركز على قضايا الخلافات المذهبية بين أبناء الأمة، ويتهم فئات وطوائف من الأمة في دينها، مما يؤدي إلى حدوث بعض الاحتكاكات، ويعكّر أجواء المودة والإخاء بين المسلمين.

إن الخلاف في بعض التفاصيل العقدية والفقهية، وتقويم الشخصيات والأحداث التاريخية أمر قديم في تاريخ الأمة، وعلى أساسه تنوعت مذاهبها ومدارسها الفكرية والفقهية، وإذا كان البحث العلمي والحوار المنطقي مطلوبًا في موارد الخلاف، للوصول إلى الحق ومعرفة الصواب، فإن ذلك لا يتحقق بكيل الاتهامات، وترويج الشائعات، والتحريض على الكراهية، وإساءة التعامل مع ضيوف الرحمن وحجاج بيت الله الحرام.

(١) بحار الأنوار. ج٧٣، ص٣٥٠.

تشجيع الانفتاح والتواصل في أوساط الحجيج:

إن الحج مؤتمر إسلامي عالمي، يجب استثماره في تعرّف المسلمين على بعضهم بعضا، وفي التوافق على برامج عمل وتواصل دائم، بما يخدم قضاياهم المشتركة ومصالحهم العامة. ولا ينبغي أن يتقوقع أهل كل بلد أو مذهب من الحجيج على أنفسهم، بل تجب المبادرة إلى الانفتاح والتواصل، وخاصة على نخبة المجتمعات الإسلامية، من العلماء والدعاة والقادة وذوي الرأي والناشطين الاجتماعيين، ممن يتوفقون لأداء فريضة الحج.

كما ينبغي لكل حاج أن يغتنم الفرصة بتكثيف حضوره ومشاركته في صلاة الجماعة في الحرمين الشريفين، بالمسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة، ولا ينبغي أن يكون الاختلاف المذهبي عائقًا عن المشاركة في صلاة الجماعة المقامة في الحرمين الشريفين، وقد سئل المرجع الديني السيد علي السيستاني عن خروج بعض أبناء الطائفة من المسجدين الشريفين حين إقامة الجماعة فأجاب:

«هذا العمل غير مناسب، بل ربما لا يجوز لبعض العناوين الثانوية كالإساءة إلى سمعة المذهب ونحو ذلك»[1].

كما سئل سماحته: أيهما أفضل الصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي فرادى أو الصلاة في المنزل جماعة؟

فأجاب: «الصلاة في المسجدين أفضل»[2].

وفي الإجابة عن استفتاء آخر أجاز السيد السيستاني الصلاة خلف أتباع المذاهب الأخرى، على أن يقرأ المأموم لنفسه إخفاتًا، وإذا كان هناك حرج في الالتزام ببعض

---

(١) السيد علي الحسيني السيستاني. مناسك الحج وملحقاتها، طبعة ١٤٣٠هـ. ص٣٤٢.

(٢) المصدر نفسه ص٣٤٠.

أحكام الصلاة بسبب الاختلاف المذهبي، كالتكتف والسجود على الفرش، فإنه يجوز ذلك[1].

إن مثل هذه الفتاوى تنطلق من الحرص على رعاية وحدة المسلمين وتآلفهم، وتمكّن الحجيج من الانفتاح والتواصل مع بعضهم بعضًا، بما يؤكد الاحترام والثقة المتبادلة، ويبني جسور التعارف والتعاون بينهم على البر والتقوى، انسجامًا مع رسالة الحج العظيمة.

(١) المصدر نفسه ص٣٤٢.



٧

كلمة سماحة الشيخ حسن الصفار في افتتاح الملتقى الرابع للوقف الجعفري بالكويت(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه المنجبين.

معالي وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية..

سعادة الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف..

أصحاب السماحة والسعادة.

الإخوة والأخوات جميعاً: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ليس غريباً على الكويت أن تحتضن مثل هذا اللقاء الديني العلمي التنموي، فقد كانت الكويت سبّاقة إلى الكثير من المبادرات الحضارية الرائدة.

لذا أتوجّه باسمي شخصيًّا، وباسم ضيوف هذا الملتقى المبارك، بأسمى آيات الشكر والتقدير لدولة الكويت الشقيقة، أميراً وحكومة وشعباً، وخاصة الأمانة العامة للأوقاف، وإدارة الوقف الجعفري، على حسن الضيافة والاستقبال. آملاً بأن نخرج من هذا الملتقى بأعظم فوائد التعارف والتواصل، وبحصيلة معرفية علمية تنتظرها

---

(١) أقيم الملتقى بالكويت بفندق كراون بلازا، في الفترة من ١١-١٣ فبراير ٢٠١٣م.

ساحة الأمة.

واسمحوا لي سادتي العلماء، وأخوتي الأعزاء، أن أغتنم هذه الفرصة لأتحدث عن فكرتين أراهما من صميم رسالة هذا الملتقى الكريم.

الفكرة الأولى: تتصل بضرورة التجديد والتطوير في أبحاثنا الفقهية، وخطابنا الديني، لتواكب تطورات الحياة، ومتطلبات المجتمع المعاصر.

إنّ العمل الأهلي التطوعي أصبح ميداناً أساساً في تنمية المجتمعات البشرية، وخدمة مصالحها في مختلف المجالات. فمنظمات المجتمع المدني اليوم احتلّت موقع الشراكة مع الحكومات على المستوى العالمي، وصارت رديفة للجهود الحكومية الرسمية، وانتزعت لها حصانة في معظم دول العالم، التي تقرّ بحقّ أبناء الشعوب في الانتظام والتعاون، لخدمة مختلف الأغراض والمصالح المشروعة.

وديننا الحنيف كان سبّاقاً رائداً في تحفيز الاندفاع الذاتي في نفس كلّ إنسان مؤمن، ليبادر إلى خدمة الحياة والبشر، وإعلاء القيم النبيلة الفاضلة، وأن يبذل من جهده ووقته وماله طلبًا لثواب الله وجزيل عطائه. فخير الناس من نفع الناس.

وكان الوقف من أهمّ تجليات هذا التوجيه الديني في حياة المسلمين، حيث أقبل الميسورون وأهل الخير من أبناء الأمة في مختلف العصور والبقاع، على تحبيس قسم من ممتلكاتهم وأموالهم، لتكون مصدرًا للإنفاق والصرف على مختلف الحاجات الدينية والعلمية والاجتماعية. بل إن بعض محدودي الدخل من يعمل ويكدح، حتى إذا ما بنى له بيتًا، أو امتلك مزرعة صغيرة يعتاش منها، فإنه يُصيّرها وقفاً، لتكون صدقة جارية له بعد وفاته.

فأصبحت في مجتمعات الأمة الإسلامية ثروات وقفية ضخمة، ببركة هذا التوجيه الديني، وروح البذل والعطاء التي زرعها الإسلام في نفوس أبنائه.

لكن هذه الثروة الوقفية بحاجة إلى حماية ورعاية وتنمية، ولأنها تنطلق من أساس

ديني، فلا بُدّ من تبيين التشريعات الدينية التي تحتاجها جهود الرعاية والتنمية للوقف في هذا العصر، مع تطور القوانين، واختلاف الأوضاع الاقتصادية.

إننا بحاجة إلى خطاب ديني يحفّز لتوسعة رقعة الوقف، وتنويع مجالات أغراضه ومقاصده، لخدمة التنمية الاجتماعية الشاملة، من مؤسسات للبحث العلمي، وتمويل للجامعات، ومكافحة الأوباء والأمراض، وتشجيع الإبداع والإنجاز، وحماية البيئة، إلى جانب الأغراض المألوفة في أوساطنا الدينية كالمساجد والحسينيات والشعائر والمقدسات.

كما أن الحاجة ماسّة إلى بحث مستحدثات المسائل التي ترتبط بأحكام الوقف.

وهذا ما نتوقعه من مثل هذا الملتقى العلمي المبارك، بأن يرفدنا العلماء والمفكرون بدراساتهم وأبحاثهم، للإجابة عن التساؤلات المطروحة.

الفكرة الثانية: ترتبط بواقع مجتمعاتنا وأوطاننا، وما تواجهه في الوقت الحاضر من تحدّي الحفاظ على وحدتها الإسلامية والوطنية، حيث يعيش أكثر من بلدٍ ومجتمع خطر التمزّق والانقسام والاحتراب الداخلي، باستغلال التنوع المذهبي أو القومي أو الاختلاف السياسي.

ويهمّني هنا التركيز على مدى خطورة استغلال التنوع المذهبي، في إثارة الفتنة الطائفية، وتمزيق شمل الأمة؛ لأنه من أخطر التحدّيات، فقد احتضنت الأمة هذا التنوع المذهبي من العصر الاسلامي الأول، فهو ليس أمرًا جديدًا ولا طارئًا، بل كان مصدر ثراء علمي وفكري، ومظهرًا لحرية الرأي وشرعية الاجتهاد.

وعاشت مجتمعاتنا الاسلامية، ومنها الخليجية، متآلفة متحابة متعاونة، في ظلّ هذه التعددية المذهبية.. لكنها اليوم تواجه امتحانًا جديدًا للحفاظ على وحدتها، بسبب تصاعد التوجهات التعصبية المقيتة.

وإذا كان الجميع مسؤولاً في مواجهة هذا الخطر الداهم، وخاصة العلماء



والمفكرون وذوو الرأي، فإن القسط الأكبر من المسؤولية يقع على عاتق الحكومات والأنظمة السياسية في بلاد المسلمين. بأن تكون الحكومة في كلّ بلد لكل شعبها، دون أيّ تحيّز مذهبي، أو تمييز طائفي، باعتماد مفهوم المواطنة والمساواة بين المواطنين، ومنع وتجريم أيّ تحريض على الكراهية وإثارة العداوة والبغضاء.

من هنا يأتي التقدير والإكبار لدولة الكويت الكريمة، لإقامتها لهذا الملتقى للوقف الجعفري، انطلاقًا من أن مواطنيها الشيعة هم جزء لا يتجزّأ من وطنهم وشعبهم، وأن لهم الحق في إدارة شؤونهم الدينية، ومنها الوقف، وفق أحكام مذهبهم، كما يتمتعون برعاية الدولة التي تمكنهم من التعبير عن وجودهم وحضورهم الوطني.

إنها رسالة معبّرة في ظروف المنطقة الحسّاسة من دولة الكويت الرائدة، تؤكد إيمانها بالوحدة الإسلامية والوطنية، ووفائها لشعبها الذي دافع عن وطنه في السّراء والضرّاء، بشيعته وسنته، وصنع ملحمة خالدة في ردّ العدوان على كيانه واستقلاله.

بارك الله للكويت هذا التعايش والتماسك الوطني، وحفظها الله من كلّ مكروه، وحمى الله كلّ بلا المسلمين من الفتن والاضطرابات، ووفقهم للاعتصام بحبل الوحدة المتين.

والحمد لله ربّ العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حسن موسى الصفار

١ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ

١١ فبراير ٢٠١٣م



٧

الشيخ حسن الصفار ينعى الفقيد الفقيه العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾



رزئنا والعالم الإسلامي أجمع بفقد آية الله الفقيه الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي رضوان الله تعالى عليه، وهو العالم الرباني، والفقيه المجدد، والمفكر الرسالي، الذي تربى على يديه، وعبر مناهجه الدراسية العلمية، جيل من العلماء البارزين، والمثقفين الرساليين، ورفد الحوزات العلمية ببحوثه وطروحاته التجديدية، وأثرى الساحة بعطائه الفكري الأصيل.

وكما كان قمة في علمه وفضله، كان مثلا أعلى في أخلاقه وتواضعه وحبه للناس، يحترم الكبير، ويحتضن الصغير، ويرعى بتوجيهاته وارشاداته كل من حوله.

وإذا كان عطاؤه العلمي والتربوي قد عمّ آفاقاً كثيرة، وساحات مختلفة، من النجف الأشرف، إلى قم المقدسة، إلى لندن وجدة، ومناطق أخرى، فإن دوره وأثره في ساحتنا

المحلية لا يقاس به أي دور، فهو أبرز عالم وفقيه في تاريخ المنطقة المعاصر، وهو الأب الحنون والمرشد الصادق الذي استظل برعايته الوارفة كل العاملين والناشطين في خدمة الدين والعلم والمجتمع.

وإذ أتقدم بأحر التعازي لأنجاله الأعزاء وأسرته الكريمة وأهالي المنطقة المثكولين بفقده، ولجميع مراجع الدين، والعلماء الأفاضل، أسال الله تعالى أن يتغمد الفقيد الراحل بواسع الرحمة، وأن يحشره مع النبي وآله صلوات الله عليهم أجمعين، وأن يخلف علينا بالخلف الصالح، وأن يعيننا على تحمل مسؤولياتنا تجاه الدين والأمة.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

حسن موسى الصفار

٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ



٧

تقديم لكتاب حوارات في قضايا التعددية والمواطنة[1]

الواقع المثقل بالأزمات الذي تعيشه مجتمعاتنا، يطرح كثيراً من الأسئلة العميقة المصيرية، حول أسباب تجذّر التخلف في هذه المجتمعات، وتمكّن عوامل التمزق والنزاع، وغياب الإرادة الجمعية للتحرر والنهوض، وما يتفرع عن ذلك من أسئلة مختلفة.

وكان يجب أن تنشغل النخب الفكرية الدينية، ومنتجو الثقافة المؤثرة في الجمهور، بمعالجة هذه الأسئلة، وتقديم الإجابات على ما يواجه الأمة من تحديات.

لكن المؤسف هو انصراف معظم المتصدين لشأن الثقافة الدينية، عن الاهتمام بالتحديات المعاصرة، والمشاكل القائمة، التي تعيشها مجتمعات الأمة.

والتوجه بدلاً من ذلك للاهتمام بالقضايا العقدية المجردة، أو المسائل الفقهية المتداولة، والاستغراق في طرح الحوادث التاريخية ذات العلاقة بالخصوصيات المذهبية.

ولعل من المبررات لهذه الحالة أن مادة هذه المواضيع المتداولة متوفرة جاهزة، لا تحتاج إلى بذل جهد كبير، أو قدرات إبداعية متميزة، بينما يستلزم معالجة القضايا

(١) حسين زين الدين. حوارات في قضايا التعددية والمواطنة، الطبعة الأولى٢٠١٣م، (سيهات: مركز آفاق للدراسات والبحوث).

المعاصرة تحمّل عناء البحث بمنظار جديد في التراث، وإمعان النظر في تجارب الآخرين.

كما أن اجترار الأطروحات المتداولة لا يكلف الإنسان ثمناً، ولا يعرضه لتداعيات سياسية أو اجتماعية، بخلاف التناول للمشاكل الحاضرة، والتي قد تسبب مضاعفات وخسائر لا يتحملها إلا رسالي صادق مخلص.

يضاف إلى ذلك أن معظم الجمهور يميل إلى قراءة واستماع ما يتسلى به من قصص التاريخ، وما يدغدغ مشاعر انتمائه المذهبي، أكثر من رغبته في التذكير بمسؤولياته وواجباته، والتوجيه إلى إعمال الفكر، وبعث الإرادة ونقد الذات، واتخاذ الموقف المسؤول.

لهذه الأسباب وأسباب أخرى: ظلّت اهتمامات الثقافة الدينية تراوح مكانها، وكأنها تنتمي إلى عصر آخر. والحديث هنا عن الأعم الأغلب، دون أن نتجاهل المبادرات الشجاعة الرائدة التي قام بها علماءٌ ومفكرون مصلحون منذ مطلع هذا العصر، كالسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ عبدالرحمن الكواكبي والسيد محمد باقر الصدر والشيخ مرتضى المطهري ومن سار على دربهم من العلماء والدعاة الرساليين الواعين.

إن على كل مخلص غيور من أبناء الأمة: أن يشارك في استنهاض الهمم، واستثارة الجهود، وتوجيه مسار الفكر والخطاب الديني، نحو معالجة قضايا الأمة المعاصرة، ومشاكلها القائمة.

وفي هذا السياق تأتي مبادرة اخينا الشاب المثقف الأستاذ حسين زين الدين للتوجه بأسئلة مهمة ترتبط بقضايا التعددية والمواطنة، إلى نخبة من رجالات العلم والفكر، وتبويب وإعداد إجاباتهم ضمن فصول هذا الكتاب الماثل بين أيدي القراء الكرام، وقد تضمنت هذه الإجابات افكاراً مهمة وطروحات جريئة، تستحق أن تكون مدار بحث ونقاش، لتساعد مجتمعاتنا على صناعة رؤية مستقبلية، تتجاوز بها واقع التخلف والاختلاف.

إن اختيار الأستاذ حسين زين الدين لهذه الأسئلة مؤشر على نضج وعيه، ومستوى اهتمامه بالشأن العام لوطنه ومجتمعه، كما يشير تنوع انتماء الباحثين الذين توجه إليهم بأسئلته، مناطقياً ومذهبياً، إلى إدراكه لضرورة تضافر الجهود الفكرية للمخلصين من مختلف التوجهات، من أجل استكشاف خارطة طريق تنقذ الأمة من التيه والضياع.

وقد عرفت الأستاذ حسين منذ نعومة أظفاره، عاشقاً للثقافة والمعرفة، مهتماً بخدمة المجتمع، مشاركاً في الحراك الثقافي والاجتماعي، بمقالاته التي ينشرها على شبكة الانترنت، وبحضوره ومساهمته في النشاطات المختلفة.

أحيّيه في باكورة إنتاجه وأرجو له مستقبلاً زاهراً في ساحة الثقافة والفكر، وآمل أن يكون قدوة خير لسائر الشباب الأعزاء.

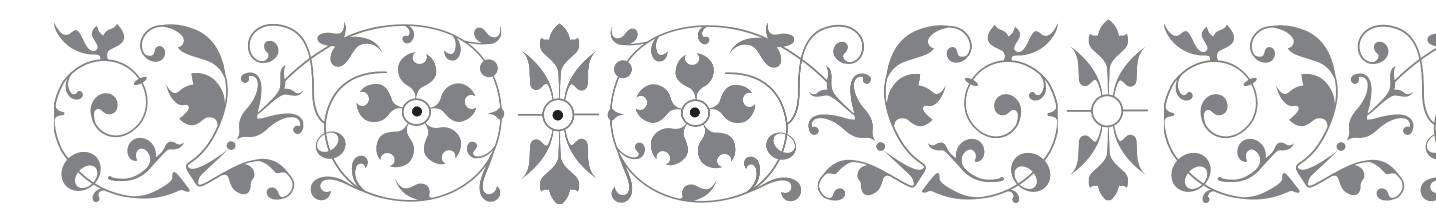
حسن الصفار

١٣ صفر ١٤٣٤هـ

٢٦ ديسمبر٢٠١٢م



متابعات



٧

موحداً لا طارداً.... هكذا عرفناه*

لـم أشـأ أن أمرّ مـرورًا عابـرًا بالمقـال القيّم (أخبـار الخليـج ٣/ ٩) دون أن أتوقـف عنده، لسـماحة الشـيخ حسـن الصفار، إنّـه في اعتقـادي يمثل نهجًا شـبه متكامل لإشـاعة التسـامح بين مختلف المذاهب الإسـلامية مسـتعينًا سـماحته في ذلـك بسـرد أمثلـة حيّة علـى حميميـة التالـف بين مختلـف المذاهب الإسـلامية، ومثمّنًـا فـي ذلـك الوقـت لقـاء سـمو الأمير عبـد العزيـز ولـي العهد السـعودي، بالنخبـة مـن القيـادات الفكريـة فـي المملكة الذيـن يمثلـون مختلـف التوجهات المذهبية في العقيدة الإسـلامية من سـنة وشـيعة.

لسـت هنا بصدد الدخول في تفاصيل ما طرحه سـماحة الشـيخ حسـن الصفار مـن أفـكار وأمثلـة، تتبنـى كلّها ثقافـة التسـامح، وإشـاعة روح التالف والتـواد بين مختلـف المذاهب الإسـلامية من أجل صيانة المجتمع مـن التصدع وتكريس نزعة الاحتـراب.

مثـل هـذا الطـرح العقلانـي، البعيـد عن الهـوى والتشـنج هو مـا تحتـاج إليه الأمة الإسـلامية في هـذا الوقت العصيب، وهو مـا ينبغي التركيـز عليه، بعيدًا عن الدخـول فـي متاهـات الخلافـات الجزئية، في هـذا المذهـب أو ذاك، وذلك من أجـل ألّا نخرج عن المبادئ الحقيقية في عقيدتنا الإسـلامية، التـي عرفناها مؤلّفة

* صحيفة أخبار الخليج الصادرة بتاريخ ٢٣ رجب ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠ سبتمبر٢٠٠٣م، العدد ٩٣١١.

للقلـوب مـن حولنا، عـن طريق بناء المجتمع الإسـلامي، تحـت لافته واحدة هي «لا إلـه إلّا اللـه» لا تحـت أيـة لافتـة أخـرى ..... كمـا يـراد لهـا..

ليكـن لكلّ مسـلم مذهبه، لا عيب في ذلك، العيب هـو في أن يصبح المذهب هـو البديل عن الإسـلام.. الإسـلام الـذي نعرفه جامعًـا موحّـدًا .. لا طاردًا ولا مفرّقًـا.

لدى اجتماعه بوزير الشؤون الإسلامية

٧

الشيخ حسن الصفار يشيد بجهود البحرين في التقريب بين المذاهب*

■ **ويؤكد: السعودية حريصة على الاستفادة بتوصيات المؤتمر**



أخبار الخليج

الجريدة اليومية الأولى في البحرين

العدد (٩٣٢٣) السنة الثامنة والعشرون ○ الخميس ٦ شعبان ١٤٢٤ هـ ○ ٢ اكتوبر ٢٠٠٣م ○ Akhbar Alkhaleej, Thu. 2 Oct. 2003. No. 9323

لدى اجتماعه بوزير الشئون الإسلامية

الشيخ حسن الصفار يشيد بجهود البحرين في التقريب بين المذاهب

ويؤكد: السعودية حريصة على الاستفادة بتوصيات المؤتمر

استقبل الشيخ بن خالد آل خليفة نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الشؤون الإسلامية بمكتبه صباح أمس المفكر الإسلامي، عضو مشروع الحوار الوطني في المملكة العربية السعودية فضيلة «الشيخ حسن الصفار» الذي قدم للسلام على معاليه وتقديم الشكر نيابة عن علماء ومثقفي المملكة العربية السعودية على ما بذلته وزارة الشؤون الإسلامية بمملكة البحرين من جهد لعقد مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية الذي شارك فيه كبار علماء السعودية.

وأشاد فضيلته خلال باللقاء بالنجاح الكبير الذي حققه المؤتمر والنتائج الطيبة التي ترتّبت عليه مؤكّدًا أن ذلك ما كان ليتحقق لولا الإدارة الحكيمة والتنظيم المتميز للمؤتمر وقوة البحوث المقدمة. وقال إنّ الكثير من المثقفين والمسؤولين في

* صحيفة أخبار الخليج الصادرة بتاريخ ٦ شعبان ١٤٢٤هـ الموافق ٢ أكتوبر ٢٠٠٣م، العدد ٩٣٢٣.

المملكة العربية السعودية حرصوا على الاستعانة بتوصيات المؤتمر وثماره للاستفادة من موضوع التقريب والحوار في مشروع الحوار الوطني السعودي الذي طرحه الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، كما أن المؤتمر جاء في وقته تواجه فيه الأمة الإسلامية تحدّيات كبيرة تجعلها بحاجة ماسّة لمثل هذه اللقاءات التي تحقق التقريب بين النفوس وتعزّز مبادئ الحوار والتفاهم.

وأضاف الصفار أن أكثر ما ميّز مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية هو انعقاده في منطقة الخليج العربي التي تضمّ أكبر تنوع مذهبي في العالم الإسلامي مما كان لا بُدّ أن تكون هذه المنطقة هي الأسبق في تنظيم مثل الفعالية الإسلامية. كما أنّ بعض الجهات التي كانت ترفض فكرة التقريب من الأساس شاركت ولأول مرة بفعالية في المؤتمر مما يؤكّد أن المؤتمر كان بادرة خير للأمة الإسلامية، وقال فضيلة الشيخ حسن الصفار إنّ البحرين أصبحت نموذجًا ومنطلقًا للتقريب، وإنّ منطقة تفخر بهذه التجربة وتستفيد منها، مما يحمل البحرين مسؤوليات كبيرة من أجل تعزيز هذا المنطق وتعميقه بين المسلمين.

ومن جانبه عبّر الشيخ عبد الله بن خالد شكره لفضيلة الشيخ حسن الصفار مؤكّدًا أن الفضل الأول في النجاح الكبير الذي حققه المؤتمر يعود بعد الله سبحانه وتعالى إلى جلالة ملك البلاد المعظم الذي أمر بعقد المؤتمر وتوجه برعايته، وأشاد معاليه بجهود العلماء من مختلف الدول الإسلامية في إثراء جلسات المؤتمر بالبحوث العلمية وتحلّيهم بثقافة الحوار ليكونوا قدوة للعالم الإسلامي في التقريب والتفاهم، مشيرًا إلى أن جميع البحوث والتوصيات ستوثق قريبًا في كتاب يوزع على جميع الدول والمؤسسات الإسلامية للاستفادة منه. وقال إنّ توصيات المؤتمر حظيت باهتمام واستجابة جميع المسلمين خاصة وأنه جاء في وقت حسّاس يتناسب والحال الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية من ذلٍّ وتفكّك وتسلط من الدول الأخرى.

وشدّد وزير الشؤون الإسلامية على ضرورة أن يعيَ جميع المسلمين أن ما يجمعهم

أكبـر وأعظـم مما يفرّقهـم ، وأنّ ما يوجد بينهم مـن اختلافات في الاجتهـاد يجب ألّا يكون عائقًا أمام التقريب والعمل بيد واحدة من أجل الأمة الإسلامية، وهذا ما يتطلب أولًا تصفيـة النفوس وتناسـي أيّ خلاف تاريخـي، ونوّه بأهمية أن تعمـل المؤتمرات الإسلامية على تشكيل أمانة عامة تشرك فيها جميع الدول المشاركة لتفعيل التوصيات التـي تنبثـق من هـذه المؤتمـرات، كما أشـاد معاليه بـدور المجلس الأعلى للشـؤون الإسـلامية بمملكة البحرين في تجسـيد التعايش المشترك بين المذاهب الإسلامية في مملكة البحرين.

حضـر اللقـاء الشـيخ خليفة بن حمـد آل خليفة وكيل وزارة الشـؤون الإسـلامية، الأمين العام للمجلس الأعلى للشـؤون الإسـلامية، وأصحاب الفضيلة الشـيخ أحمد بن خلف آل عصفور، والشـيخ حميد المبارك والشيخ عبد اللطيف السكران وعددٌ من المثقفين.

الصفار في حسينية دار الزّهراء:

٧ الانتماءات المذهبية لا تعارض المصلحة الوطنية*

استضافت حسينية دار الزهراء ﴿عليها السلام﴾ سماحة الشيخ حسن الصفار، أحد علماء القطيف في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، حيث تحدّث سماحته عن الحوار الوطني في المملكة العربية السعودية، وقال: إنه بعد الأحداث التي مرّت بها المنطقة وسقوط النظام العراقي تداعت المتغيرات على دول المنطقة، وكان لا بُدّ من قراءة هذه المتغيرات حسبما تمليه علينا مسؤوليتنا الدينية والاجتماعية، وكان من ثمرة القراءة الواعية عريضة «شركاء في الوطن» التي وقّع عليها عدد كبير من الشخصيات الدينية والثقافية والاجتماعية من مختلف التوجّهات الشيعية في المملكة، ورفعت إلى سمو وليّ العهد الأمير عبدالله.

وأضاف: إنّ العريضة أكّدت أهمية التلاحم الوطني ومحاربة كلّ ألوان التمييز الطائفي، ومعالجة بعض المشاكل والعقبات التي يعاني منها أبناء الطائفة، وبدا أن حالة من الارتياح والقبول بالطرح كانت سائدة، وجاء اقتراح ولي العهد بعقد مؤتمر يجمع بين مختلف التوجهات الطائفية المختلفة بهدف إيجاد منافذ أفضل لنجاح حوار وطني بعيد عن حالات التشنج.

وقال الصفار: إنّ الحوار الوطني انطلق في مكتبة الملك عبد العزيز في الرياض منذ يونيو الماضي واستمع كلّ طرف للآخر بصورة مباشرة وصريحة، وتم التطرق للكثير من الإشكاليات التي تحملها بعض الأطراف بروح حوارية مثمرة.

---

* جريدة القبس الكويتية الصادرة بتاريخ ٩ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ٣٠ مارس ٢٠٠٤م، العدد ١١٠٦٣.

٧

بيان علماء الشيعة في المملكة حول تفجيرات الرياض*

أدان علماء الشيعة في المملكة العربية السعودية الأعمال الإرهابية التي تستهدف أمن البلاد ودعوا إلى تكثيف الجهود الدينية الوطنية للوقوف صفًّا واحدًا للدفاع عن أمن المواطنين وحماية سمعة الإسلام.

وجاء في البيان الذي وقّعه علماء شيعة من القطيف والأحساء والمدينة المنورة ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وأصحابه الطيبين.

مرة أخرى تمتدّ يد الإجرام والإرهاب للعبث بأمن الوطن والاعتداء على حياة المواطنين ومصالحهم، حيث روّع الوطن بالهجوم الانتحاري الذي استهدف مجمع إدارات الأمن العام في الرياض وراح ضحيته عدد من القتلى وعشرات الجرحى إضافة إلى الأضرار البالغة التي أصابت الممتلكات العامة والخاصة.

إنّ هذه الأعمال الإجرامية مرفوضة شرعًا وعقلًا ولا تخدم إلّا أعداء الدين والأمة، بتهديد الأمن والاستقرار في البلاد، وتشويه سمعة الإسلام والمسلمين.

---

* نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٤م.

وعلينـا أن نقف صفًّا واحدًا حكومة وشـعبًا في مواجهتهـا ولحماية الوطن، وعلى علمـاء الدين من مختلـف المذاهب الإسـلامية أن يُعزّزوا تقاربهـم وتعاونهم لتوحيد صفوف الأمة ولمواجهة تيارات الغلو والتطرف التي بدأت بتوزيع تهم التكفير والتبديع على فئات المسلمين وانتهت إلى هذه الممارسات الإجرامية الفظيعة.

ونسأل الله تعالى أن يدفع عن بلادنا ودينا وأمتنا كيد الكائدين وبغي الظالمين وأن يجمع شمل المسلمين على الخير والصلاح والحمد لله ربّ العالمين.

٣ ربيع الأول ١٤٢٥هـ

- الموقعون على البيان:

١. الشيخ محمد علي العمري/ المدينة المنورة

٢. الشيخ محمد بن سلمان الهاجري/ الأحساء

٣. السيد علي السيد ناصر السلمان/ الدمام

٤. الشيخ حسن موسى الصفار/ القطيف

٥. الشيخ فهد أبو العصاري/ المدينة المنورة

٦. السيد عبد الله السيد علي الصالح/ الأحساء

٧. الشيخ فوزي محمد تقي آل سيف/ القطيف

٨. الشيخ صالح الجدعان/ المدينة المنورة

٩. السيد هاشم محمد السلمان/ الأحساء

١٠. الشيخ حسين علي المصطفى/ القطيف

١١. الشيخ حسين العايش/ الأحساء

١٢. الشيخ يوسف سلمان المهدي/ القطيف

١٣. الشيخ حسن الشيخ باقر أبو خمسين/ الأحساء

١٤. الشيخ عبد الكريم الحبيل/ القطيف

١٥. السيد علي السيد طاهر السلمان/ الأحساء

١٦. الشيخ محمد علي الشيخ عبد المجيد الشيخ جعفر/ القطيف

١٧. الشيخ حسن محمد النمر/ الدمام

١٨. الشيخ حسن مكي الخويلدي/ القطيف

١٩. الشيخ موسى عبد الهادي أبو خمسين/ الأحساء

٢٠. الشيخ محمود محمد تقي ال سيف/ القطيف

٢١. الشيخ عادل عبد الله أبو خمسين/ الأحساء

٢٢. الشيخ عبدالله أحمد اليوسف/ القطيف



٧

مشروع الصفار: إلى أين وصل ؟*

الدكتور عبد العزيز محمد قاسم

كنت أعي تمامًا ما كان يرمي إليه فضيلة الشيخ حسن الصفار، وهو يتحدث بنبرة تشاؤم وإحباط حيال مشروع التقارب بين طائفتي السنة والشيعة في مجتمعنا، وأنها لم تخطُ خطوات عملية حقيقية، وأنّ المشروع لا يزال يراوح مكانه.

فأمام نخبة كريمة مثقفة، دعاها الوجيه المعروف عبد المقصود خوجه في دارته العامرة مساء الثلاثاء قبل الماضي، احتفاءً بالشيخ الصفار، تطرق ضيفنا لمحاور عدة، علّق عليها مجموعة من الحضور، واكتفيت كعادتي بالاستماع، وأنا أدرك حقيقة مأزق خطاب الشيخ الصفار الذي وصل إليه، فلم يكُ من المناسب إفساد تلك الأمسية الجميلة، بمصارحة ربما تكون مؤلمة وصادمة.

في رؤيتي الخاصة، وأنا المؤيّد والحفيّ والمتابع لذيّاك المشروع، الذي طرحه الشيخ في مكاشفاتي معه، ومن ثم عبر لقاءات خاصة مع بعض الدعاة والوجهاء والمثقفين، أنه وإن كسر حاجزًا نفسيًّا كبيرًا، وخطا - عبر عقلانية الطرح وواقعيته - خطوات كبيرة في حينه، إلا أنه ظلّ يلوب في ذات المساحة والدائرة التي اكتسبها، بما أشار إليه في كلمته، ولم يتقدم خطوة واحدة جادة طيلة خمس سنوات، والسبب يرجع في تصوري الخاصّ إلى عوامل عدة، أبرزها أن الآخر الحقيقي المعني بالتقارب في

---

* جريدة عكاظ الصادرة بتاريخ ٢٩محرم ١٤٢٩هـ الموافق ٠٧ فبراير ٢٠٠٨، العدد: ٢٤٢٦.

مشـروعه لا يزال متردّدًا، ومتشـكّكًا في أصل المشروع، راميًا إيّاه بمبدأ التقية، والنخبة الكريمة التي حضرت تلك الأمسـية، وغيرها من النخـب الأخرى في مناطق المملكة التي قصدها الشيخ الصفار، ليس ثمة إشكال معها أصلًا، ولا تمثل- من جهة أخرى- ذلـك الثقل والتأثير كي يراهن عليها في حلحلة مداميك الخلاف الطائفي، فضلًا على أن مؤيّـدي المشـروع في داخـل البيت الشـيعي المحلي بدأت رهاناتهـم تتضاءل، بل وانقلـب بعضهـم عليه، وقرأنا في النت هجومًا شـديدًا على فضيلة الشـيخ الصفار من لداته ورصفائه ورفاقه بالأمس، ووصفه بما لا يليق. وأخيرًا وليس آخرًا، تلك العوامل السياسـية في العراق ولبنـان والبحرين التي ألقت بظلالها السـوداء الكثيفة، ورجحت أصوات المعارضين للتقارب في الطرفين.

مأزق مشـروع الشـيخ الصفار في دائـرة مجتمعنا، هو انعكاس للمـأزق في الدائرة الكبرى على مسـتوى الأمة، فشخصيتان باشرا هذا التقارب من عشرات السنين، وهما الشـيخان العَلمَان يوسـف القرضاوي، ومحمد حسـين فضل الله، مصابان بالإحباط، وستقرؤون قريبًا ما قاله فضل الله في مكاشفاته معي حيال هذا الأمر.

السياسـة في الصميم من موضوع التقارب، وهاأنذا أستشهد بعصر الرئيس خاتمي الذي كان مهمومًا بالتقارب، وبذل جهودًا حقيقية لا للتبشـير بمذهبه الشـيعي في بلاد السنة، أو تبنّي إعادة تصدير الثورة، بل كان يسعى سعيًا مخلصًا في سبيل إنجاح مشروع التقارب.

ويبقى السؤال الصريح الآن، كيف يتلمس دعاة التقارب خطوتهم الأولى للخروج من هذا المأزق، وهو ما سأحاول الإجابة عنه في مقالي القادم.



٧

الشيخ الصفار... وتجديد الخطاب*

د. سامي ناصر خليفة

زيارة سماحة الشيخ حسن الصفار هذه المرّة للكويت كانت ذات طعم ونكهة مختلفة نوعًا ما عن سابقاتها، ليس لأنه أتى بجديد، بل لأنّ ما أتى به سابقًا بات يتجسّد أمامنا كنموذج حلٍّ عملي أقرب إلى الواقع للكثير من القضايا التي تشهدها الساحة الساخنة اليوم، خصوصًا بعد التوتر الذي شهدته العلاقة بين جماعة الدعوة السلف وأتباع المذهب الشيعي أخيرًا، والحاجة الماسة إلى الاستماع إلى رأي العلماء الشيعة في المملكة العربية السعودية من إثارات العريفي وما لحقها من تداعيات سلبية طالت الدول المجاورة عمومًا، والكويت تحديدًا.

قديم الشيخ الصفار هو إصراره على أن الحوار المسؤول والهادف بين كبار علماء السلف والشيعة من شأنه أن يؤدي إلى انفتاح إيجابي نتيجة لفهم مشترك وإزالة رواسب قد تكون عالقة بين الطرفين من دون أساس واقعي أو سند شرعيّ، وأيضًا فيه بناء لجسور المودة والتآلف، وتشخيص دقيق لحال كل منهما يمكن أن يعين أيّ طرف على التعاطي مع الطرف الآخر ضمن إيقاع عقدي مقبول ولا يؤدي إلى ما نراه اليوم من تشنجات وغير ذلك. وبالطبع هذا الحوار الذي ينادي به الشيخ الصفار ـ وللأسف الشديد ـ يسير بين فئة قليلة من علماء الطرفين مسير السلحفاة ولا يمكن التعويل عليه ما دام يعاني من التهميش ومادام مركونًا في ذيل قائمة سلّم أولويات العلماء، وما دام يعيش أسيرًا تحت

---

* جريدة الرأي الكويتية الصادرة يوم الخميس ٤ فبراير ٢٠١٠م، العدد ١١١٧٥.

رحمة التقلبات الاجتماعية والسياسية في المنطقة.

أما جديد الشيخ الصفار في زيارته الأخيرة للكويت، فهو فيما نراه اليوم بأمّ أعيننا من سوء حال في العلاقة بين السلف والشيعة لا يحمد عقباه، هذا الحال الذي أثبت صحّة ما ذهب إليه الشيخ من تشخيص وعلاج بالأمس. وما التشنج والتوتر بين السلف والشيعة إلا نتيجة طبيعية لغياب الحوار بين قادة القرار العقدي فيهما، وبالتالي لا بُدّ اليوم من التفكير الجدّي بضرورة تأصيل حراك جديد باتجاه توفير مقومة الاجتماع على طاولة مستديرة تطرح الأمور كلها عليها بلغة المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، خصوصًا أن السلف والشيعة يعيشون اليوم على أرض واحدة هي الخليج ومعنيون جميعًا بتعميرها وتطويرها على أحسن وجه، ولا يمكن أن يتأتى ذلك ما لم يجتمع كلا الطرفين على كلمة سواء من شأنها أن توحّد ولا تفرق، وأن تجمع ولا تمزّق.

يقول الشيخ الصفار إن للسّلف مطلبًا أساسيًّا هو أن يكفّ بعض الشيعة عن الإساءة إلى رموزهم ومقدساتهم من سبٍّ وقذف ولعن، وللشيعة مطلب أساسيّ أيضًا هو أن يعترف علماء السلف بالمذهب الشيعي مذهبًا من مذاهب المسلمين، كما اعترف غيرهم من علماء أهل السنة والجماعة، وتلك المعادلة لا يمكن معالجتها من خلال عامة الناس، بل لا بُدّ أن تأخذ حيّزًا كبيرًا من اهتمامات علماء الأمة سلفًا وشيعة أولًا كمدخل لاجتماعهم على حوار هادئ ومسؤول يمكن من خلاله معالجة الخروج بنتائج، بالتأكيد، سيكون لها مردود إيجابي على الجميع، فالخير كلّه في اجتماع العلماء، والشرّ كلّه حين يُترك الأمر للموتورين في السّاحة الاجتماعية من العامة ذوي المصالح الدنيوية الضيقة.

والحوار اليوم مطلب أساس، وما دونه يبقى تفصيلًا وهوامش، بل بالحوار يمكن أن يذوّب الكثير من الاختلافات لمصلحة الأمة الواحدة الموحدة. لقد صدق الشيخ حسن الصفار حين قال إن بعض الشيعة عليهم اليوم أن يعلنوا صراحة نبذهم لغة السبّ واللعن والشتم لرموز ومقدسات الآخرين، وعلى بعض السلف أن يعلنوا صراحة براءتهم من تكفير أتباع المذهب الشيعي. إنه خطاب رائد ومسؤول، ولكن يحتاج إلى لغة رديفة معلنة من الطرف الآخر كي تتوافر مقومة الحوار.



٧

حسن الصفار .. رمز الاعتدال الناطق*

د. أحمد حسين

عندما يزور الكويت أشـعر بحالة شديدة من الفرح والتفاؤل، وعندما يودّعنا أشعر بنوع من غذاء روحي ومعنوي وقد رسـخ في نفسـي وظهر على فعلي، وجعلني أزداد يقينا أن الدنيا لا تزال بخير، وأن العلماء الربانيين ما زالوا، يسـبغون نبراسًـا وأمانًا على الناس في هذا الزمان وفي كلّ زمان. ولعلّ زيارته الأخيرة للكويت جعلتني أتساءل في نفسـي عن ضيوفنا في الكويت وتقييم زياراتهم، ومدى ما تعود به علينا من فائدة. ولا شـك أننا لا نريد إلا الخير لبلادنا ومواطنينا، كيفما كانت معتقداتهم وآراؤهم. ولذلك فإننا وبأخينا الكبير العزيز على قلوبنا، سماحة الشيخ حسن الصفار، الرجل الفذّ الذي عرفته بصفتين هما عندي من أعظم صفاته وأجملها بجانب صفاته، الأولى: السـماحة والحصافة.

ولا ريب أن السماحة والحصافة لا يجتمعان معًا في إنسان إلا وأورثاه فهمًا صائبًا، وعقـلًا راجحًا، وشـفافية واضحة، وشـجاعة نـادرة، وهذه هي سـمات الصفاء حيث تجالسه وتحادثه.

لن أستغرق في الحديث عن ذاتيات الصفار، فإنه حديث بعيد عن اهتماماتي، وإن كنـت أعترف للرجل بالذاتية الفذة المليئة بالتواضع والإيثار والمدد المعنوي والتقوى

* صحيفة أوان الصادرة يوم الأربعاء ١٠/ ٢/ ٢٠١٠م، العدد: ٨٠٦.

والتديّـن.. كلّ ذلك بامتيـاز، ولكنني أتحدث عن الصفار موضوعـًا وأنموذجًا لظاهرة ينـدر فـي يومنا الحاضر العثور على شـبيه لها، وهي «الوسـطية الحقّـة»، أو «الاعتدال الناطـق». وأعتقـد أنـه من الضـروري التأصيل لهذيـن المعنيين لكي تخطـو أمتنا نحو التقـدم الحقيقي والنهضة الواعية فعلًا، ولاسـيّما عندما نعلـم أن هذين المفهومين قد تم اختطافهما من دعاة الفتن، وعشـاق التفرقة بين المسـلمين. ولذلك فإنه من أوجب الواجبـات علـى من يعمل مخلصًا لنهضة الأمة، أن ينتشـل الإنسـان مـن وحي النفاق والتدليس والاصطفاف باسم الاعتدال.

نقتبس هنا من كلمات العالم النبيل الشـيخ حسـن الصفار في موضوعات متعددة. ولا شـك أن هـذا الاقتبـاس ليس عشـوائيًا، بل يقـوم على نظام منهجي راسـخ، أقصد من خلاله توجيه رسـائل إلـى قطاعات مختلفة توقظ العقـول النائمة، وتهدئ النفوس المشـحونة التـي سـتجد بلا شـك فيها مـا يعينها على تخطّـي حاجز الخـوف، وإعادة التفكير الإيجابي من جديد.

أخي الكريم لعلك تشـاركني الرأي فيما تشـهده مجتمعاتنا من حالات الإسـاءات والاستفزازات الطائفية والمذهبية وحدة الخطاب الديني الذي بدأ يتحول لدى البعض الى طرح إقصائي بامتياز، والأمة تعاني ما تعاني من تهميش ولامبالاة جماعية حول ما يجري في العالم من أحداث سياسية وعسكرية متسارعة لن تحمد عواقبها. إن المخيف حقًّا مدى التشـنج والتصعيد الذي يتزايد بشكل مثير، بحيث يهدد نظام الدولة، وإيمان الساسـة، والعامة، بكيانها وبنظام المؤسسـات، على رغم أهميتها. ولذلك فإن صوت الاعتـدال لا بُـدّ أن يواجه التحـدّي الأكبر لينطلق بإخلاص لتأسـيس واقع جديد تتغير معه القناعات، وتتحقق معه المصالح العليا الحقيقية، يقول الصفار «إن عنوان الوحدة والتقارب أصبح يتناول بنوع من الاستخفاف والازدراء على رغم أنه مبدأ قرآني».

هناك العديد من النظم التي يمكن من خلالها إنتاج الاعتدال والوسطية في المجتمع، منها كما يقول الشيخ الجليل: «الدعوة الى الانفتاح والتقارب والوحدة وظيفة إسلامية

شرعية، وعلى المجتمع أن يحاسب من يتخلف عن القيام بهذه الوظيفة».. و«الاجتهاد وشرعية الاختلاف، وإنهما مبدآن متفق عليهما، ولا يحقّ لأحدٍ أن يتهم الرأي الآخر بالخروج والمروق من الدين بسبب ذلك، وإنه خلاف الأخلاق والدين وخلاف المنهج العلمي».

ويمتاز فكر الشيخ الصفار بالتجدد والتطور اللاتقليدي. ومن النماذج الجريئة في هذا المجال ما قاله في لقاء عام: «أدعو الناس أن يدخلوا طرفًا في الحوار، ولا تصبح القضية، وكأنها بين العلماء وبين شريحة معينة فقط. فالمثقفون ورجال المجتمع يجب أن يكون لهم دور، وينبغي أن نحذر من مستقبل الأوضاع في بلادنا، وفي منطقتنا الخليجية، ومن ثم علينا أن نحصن الوحدة في بلادنا بمزيد من التداخل والتقارب على مستوى الناس والجمهور، لا بُدّ أن تكون لنا مشاريع إنسانية عامة، وأطروحات للناس كلّهم.. لماذا لا يتم عمل مشاريع إنسانية، أو مركز أبحاث ودراسات على مستوى الوطن، أو مستشفى لعلاج الأمراض المستعصية على مستوى المنطقة، أو إسكان خيري للفقراء، أو العمل على تشجيع طلب العلم، وطلب الدراسات العليا على مستوى عام»..

ألا يعني هذا أن الخطاب المذهبي لدى الصفار قد انفتح إنسانيًّا، شأنه في ذلك، شأن خطابات الأنبياء.. ولا شك أن هذا التحول ينتج وراثة العلماء للأنبياء، حينما يحسّ العالم بمسؤوليته نحو المجتمع بشكل مباشر، ومن دون قناع زائف، مهما كان نوعه. ويقول الشيخ «لو أن رجلّ أعمال شيعي تبرع بألف بعثة على حسابه، نصفها لأبناء السنة في المنطقة، ونصفها لأبناء الشيعة، لكان لذلك أبلغ الأثر في الدعوة إلى الوحدة».

وهنا أتساءل: من هو ذاك الشجاع الذي يقبل أن يبني من ماله الخاص الوحدة الوطنية، ويعطيها من ذاته ووجاهته.. ألا يبقى حديث الشيخ مجرّد أمنية في الوقت الحاضر، أم أنّ الأيام ستكشف لنا معادن وجواهر متوهجة.

يكثر الحديث في الكويت اليوم عن المواطنة، وسيعقد البعض مؤتمرا للمواطنة، ولكنه سيظلّ حديثًا في حديث في حديث. وهو جيّد لا أنكر أهميته في مجتمع بات يفقد إيمانه بالوسطية والاعتدال، ولكن حتى متى يتوقف عطاؤنا عند حدود نظرية مجرّدة، ولا يتواصل ليندمج مع العمل والإنجاز الواقعي الذي بإمكانه أن يغير وجه التاريخ والمجتمع، ويقلب الموازين إلى الأفضل دائمًا.

استغرب من أساتذة الأجيال، إذْ لم يفكّروا يومًا في تأسيس جامعات علمية تعنى بالنقد العلمي الذي يقوم على منهجية الدراسات المقارنة. ولا أدري، ألا يعني ذلك أن كثيرًا منهم لا يؤمن بالتعددية، ووجوب قراءة الآخر، ويحرم بذلك المجتمع من عملية تطوير أساسية في مسائل العلوم المختلفة.

لماذا لا نصغي للشيخ الصفار حينما يدعو إلى ميثاق شرف يتم بموجبه تجاوز الصراعات المذهبية، وحماية الوحدة الوطنية.

إنني أؤمن بفقدنا للفرسان من أصحاب المبادرات الإيجابية في هذا الزمان، الذي كثرت فيه الاصطفافات الطائفية، إلا أنّ الشيخ حسن الصفار وأمثاله سيظلون حجة بالغة على من سواهم ممن يخشى الحقّ، ويجامل على حسابه.

«إننا بحاجة الى مفكرين أحرار يتمسكون بحقّهم في التعبير عن آرائهم، ويقاومون ضغوط الترهيب والترغيب».

هذه كلمات نيّرة من رمز الاعتدال الناطق والوسطية التي تأبى التزييف والتعطيل. ولا شك أنها الكلمات المفاتيح لأيقونة السلام والأمان، ويجب أن نكون من حملتها المخلصين بكلّ فعالية وشجاعة، فإنها الأمانة التي حملها الإنسان.. غير أنني لن أكون ظلومًا جهولًا أبدًا.



٧

أنا وحسن الصفار*

ياسر العمرو

تعرّض حسابي الشخصي على الشبكة الاجتماعية «فيس بوك» خلال الأيام الماضية إلى سلسلة من الهجمات «اللفظية» بقيادة مجموعة من «المفسبكين»، كانت تعترض على وضع صورة تجمعني بالشيخ حسن الصفار التقطت أثناء المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار في مكة المكرمة عام ٢٠٠٨.

الهجوم اللفظي على الصورة ومن فيها، أكّد لي حالة الإرباك في الفهم وضيق مساحة الاستيعاب التي تصيب بعضنا وتنحاز في فترات إلى «الكمون»، وفي فترات أخرى تأخذ حيّزًا واسعًا من الحضور والترديد «الشفهي الاجتماعي» كما الببغاوات تقتنص الكلمات ثم تردّد العبارات دون عملية فرز، وهنا إشكال الفهم الذي يحفر في أقراص التخزين وفقًا للرأي الواحد والفكرة الواحدة التي نقول عنها بكلّ لطف «أحادية».

على الصعيد الشخصي أقول: تشرّفت بكوني أول إعلامي يكسر «تابو» الإقصاء المبني على الحذر، ويستضيف في القنوات الرسمية السعودية علماء الشيعة في مقدمتهم الشيخ الوقور حسن الصفار ومحمد علي تسخيري، فضلًا عن حوار أطيافهم المتعددة، بدءًا من السيد حسن نصر الله والسيد محمد حسين فضل الله، والغاية

---

*جريدة عكاظ الصادرة بتاريخ الإثنين ٢٠/ ٠٤/ ١٤٣١هـ الموافق ٥ أبريل ٢٠١٠م، العدد: ٣٢١٤.

الوحيـدة لـم تكن اسـتعراض عضلات الاختلاف بمقـدار التحرك في خانة المشـترك الديني ثم الإنساني بين مذهبين جنت حالات التطرف في تناولهما على الأتباع.

التطرف السني والتطرف الشيعي وجهان لعملة واحدة، وليس بالضرورة أن يتحمل كلّ مرجع أو شيخ مسؤولية ذلك التطرف والقضاء عليه، والحوار العكاظي مع الشيخ الصفـار كان واضحًا في هذا السـياق، ورغمًا عن ذلك سـيخرج لنا مـن خانة الإقصاء من يُردّد أسـطوانة الشنشنة والتخوين بتكذيب ما ورد بحجة ممارسة «التقية»، ويستمر ناخرًا في عضد الوطن المؤسس وفقًا للإطار المدني لـ «الجميع».

لغـة التعايـش ليسـت وهمًا، وليسـت مشـروعًا يلفظ أنفاسـه الأخيرة ـ كمـا يُروّج البعـض ـ وإنما هو «واقع» تفرضه الأطر المدنية بمختلف أشـكالها، فضلًا عن الإطار الشرعي الراسـم للصور الحضارية في مسائل التعايش على مرّ العصور، وإنْ تلطخت بكيد المتطرفين، ومفردات «الطرد» لم تعد تسـتهوي العقلاء أمام المدّ الطائفي بشكله الجديد على الفضائيات، ومواقع الإنترنت، نعم.. قد تسـتميل عقولًا تستمد حضورها مـن وجـود «الخصم»، ولكنها تصـاب بحالة الإرباك ـ مجدّدًا ـ عندما ينسـف الخصم بعقله وطرحه أرض السراب الواقفين عليها.

أخيرًا.. الشـيخ حسـن الصفار مواطن سـعودي ثم عالم شيعي، أكسـبته التجارب معدنًـا صافيًـا همّه لغة العيش المشـترك، ولأجل ذلـك تتنابزه سـهام التخوين من هذا الطرف وذاك.. ويبقى النضج هو المحكّ عندما يسوس التعايش دفة المجتمعات نحو النباهة لا الاستحمار.



د. المبارك في مجلس الصفار

٧

الفلسفة ليست ضد الدين والقول بخلاف ذلك جهل تام*

القى الأديب المعروف الدكتور راشد المبارك محاضرة ثقافية مساء السبت الماضي في مجلس الشيخ حسن الصفار بالقطيف حضرها العديد من الأساتذة وعلماء الدين والأكاديميين والمثقفين من أنحاء المنطقة.

وجاءت محاضرة المبارك التي اتسمت بطابع فكري معمق لتجيب عن سؤال فلسفي مفاده «هل العقل شاهد زور..؟»

وأوضح المحاضر بإن هذا التساؤل لا يمكن أن يكون بمعزلٍ عن الفلسفة.. والفلسفة في بلادنا أمرٌ غير مألوف وقد يكون غير معروف وقد يقف منه البعض موقف الجفاء أن لم يكن موقف العداء.

مرجعا ذلك إلى «الظن بأن الفلسفة ضد الدين وأن الفلاسفة أعداء للدين وهذا لا يأتي إلا من جهل قد يكون تاما».

وأسهب المبارك في محاضرته التي حضرها جمهور واسع من المثقفين حول العقل عند الفلاسفة اليونان من افلاطون وأرسطو إلى ابن رشد في العصر الاسلامي.

وكشف في السياق ذاته عن مشروع كتاب فلسفي يعمل حاليا على إنجازه بعنوان

---

* شبكة راصد الإخبارية ٢٧ / ١٢ / ٢٠٠٧م.

«شموخ الفلسفة وتهافت الفلاسفة» ويجيب في طياته عن تساؤلات فلسفية عديدة منها ما يدور حول العقل.

وشهدت المحاضرة عدة مداخلات منها للدكتور توفيق السيف والأستاذ عبد الله العبد الباقي والأستاذ مسفر القحطاني والدكتور عدنان الشخص والأستاذ أسعد النمر والأستاذ حسين آل سلاط.

وكان الختام مع كلمة مقتضبة للشيخ الصفار رحب فيها بالدكتور المبارك وضيوف المحاضرة منوها بالموضوع القيم للمحاضرة.

مضيفا القول «ديننا هناك ثقة كبيرة بالعقل فالعقل هو أساس الدين وهو مرجعيته.. والعقل ينمو ويتطور بتطور الحياة وتقدمها وأقيسته لا تتغير ولا تتبدل فالعدل هو العدل والظلم هو الظلم.».

يذكر بأن الدكتور المبارك يرعى المنتدى الثقافي الشهير والمعروف بـ «أحدية المبارك» ومقره الرياض وتعد هذه الزيارة الأولى له للقطيف التي تربطه بالعديد من مثقفيها صلات وثيقة.

وشهد المحاضرة عدد من الأعيان والوجهاء والعلماء والمثقفين والاكاديميين من مختلف أنحاء المنطقة.

ومن أبرزهم أستاذ الفقه وأصوله بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن الدكتور مسفر القحطاني، الدكتور توفيق السيف، عضور مجلس الشورى محمد رضا نصر الله، الدكتور علي العبد القادر، وعضور مجلس الشورى وسفير المملكة الأسبق بطهران الدكتور جميل الجشي.

كما حضر كذلك الأستاذ بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن الدكتور عدنان الشخص، عضو الغرفة التجارية بالشرقية رجل الأعمال سلمان الجشي، الكاتب المعروف الأديب نجيب الزامل، الأديب البارز السيد عدنان العوامي، الوجيه السيد

حسن العوامي، الدكتور حسن البريكي وعضو المجلس البلدي المهندس جعفر الشايب، الاستاذ بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن الدكتور عبد الرحمن العصيل.

تغطية جريدة اليوم*

مساء للعلم والفكر والحوار

الشيخ الصفار يحتفي بالدكتور راشد المبارك

في مساء تعانق فيه العلم مع الفكر والثقافة، احتفى الشيخ حسن الصفار في مجلسه مساء أمس الأول الثلاثاء بالدكتور راشد المبارك من خلال حوار رصين وجادّ حول العلم وضرورته في تطور الأمة العربية والإسلامية حيث أضاء الضيف الكبير الدكتور راشد المبارك الأمسية بإبحار بدأ بالعلوم التجريبية والتطبيقية وانتهى بفلسفة الكراهية ـ أحد كتبه الأخيرة ـ وضرورة إشاعة فلسفة الحوار والسلم الأهلي في المجتمع.

وقد دار حوار متعدّد الرؤى حول الفكار التي طرحها الضيف من قبل النخب الاجتماعية والثقافية والدينية بالمنطقة الشرقية التي دعاها الشيخ الصفار مما أعطى الاحتفالية طابعًا خاصًّا تمثل في تداول الأفكار والآراء بين الضيف والحضور بطريقة لافتة من الجدّية. وقد حضر الأمسية عددٌ من المدعوين، منهم: الشيخ أحمد المبارك وعبدالله الشباط ومحمد رضا نصر الله وعبد الحميد المطوع عضو مجلس المنطقة الشرقية، والدكتور أحمد الشويخات والدكتور محمد الهرفي والدكتور محمد المرهون والحاج عبد الجبار بو مرة، وغيرهم من المثقفين والأعيان من القطيف والأحساء والدمام والخبر. وقد أدار الأمسية منصور القطري، عضو هيئة التدريس بمعهد الإدارة بالدمام.

---

* جريدة اليوم الصادرة يوم الخميس ٩ ذو الحجة ١٤٢٢هـ الموافق ٢١ فبراير ٢٠٠٢م العدد ١٠٤٧٨.

تغطية جريدة المدينة*

هل العقل شاهد زور..؟

د. المبارك في مجلس حسن الصفار

عقيل بن ناجي المسكين

أثار الدكتور راشد المبارك تساؤلاً فلسفياً مفاده: هل العقل شاهد زور؟..

وذلك في محاضرته التي ألقاها مساء السبت الماضي في مجلس الشيخ حسن الصفار بالقطيف، وقد أغرى هذا السؤال العديد من الحضور من الأساتذة وعلماء الدين والأكاديميين والمتخصصين لمتابعة ما أثاره الدكتور راشد في مدار ما يُتوقع أن تكون إشكالية فلسفية يبحث لها عن حلول على طاولة الفرضيات، ثم يناقشها فرضية فرضية إلى أن يتوصل إلى الحل النهائي أو الممكن التيقن به، إلا أنه ألقى حجراً في بحيرة التساؤلات الراكدة -كما قال المقدم الأستاذ ذاكر الحبيل- وترك العقول من حوله متحيرة كل يُبدي جواباً من خلال قناعاته واجتهاداته.

يقول الدكتور راشد المبارك إن هذا التساؤل لا يمكن أن يكون بمعزلٍ عن الفلسفة، والفلسفة هي العطاء الأكبر والأشقّ من نشاط العقل، والفلسفة في بلادنا أمرٌ غير مألوف وقد يكون غير معروف، وقد يقف منه البعض موقف الجفاء أن لم يكن موقف العداء، على حين أن الفلسفة علم من العلوم الأساسية في جل جامعات ومعاهد العالم، ويبدو أن هذا الموقف نابع من الظن أن الفلسفة ضد الدين وأن الفلاسفة أعداء للدين، وهذا لا يأتي إلا من جهل قد يكون تاماً، فالفلسفة كلمة من أصل يوناني، "فيلاسوفا" أي محب الحكمة، والحكمة هي البحث عن الحق أينما كان، وجاء في القرآن الكريم (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)، وهذا الفهم القاصر عن الفلسفة عند البعض

---

* جريدة المدينة الصادرة بتاريخ الأربعاء ١٧ ذو الحجة ١٤٢٨ - الموافق - ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٧م.

هو الذي قد يكون سبباً لهذه الجفوة بيننا والفلسفة.

وعلماء المسلمين في الماضي والحاضر اشتغلوا في هذا الجانب، وإذا عدنا إلى السؤال فإننا لا نجد تعريفاً جامعاً مانعاً للعقل، وأغلب التعاريف متقاربة، وإذا اخترنا من التعاريف أن العقل هو ملكة الإدراك القادرة على التمييز بين الخطأ والصواب، نقبل ذلك لأننا لا نجد تعريفاً آخر.

ويضيف الدكتور المبارك: أول من اهتم بذلك هو (ابن رشد) عندما بحث عن النفس في شروحه لكتاب النفس لأرسطو وما أضاف من آراء، وكان لليونانيين رأيان وهما الرأي المثالي ويمثله إفلاطون، والرأي الثاني المادي ويمثله تمليذه أرسطو الذي خالف أستاذه، فأرسطو يرى أن النفس مُلازمة للجسد، وإفلاطون يرى أن النفس مفارقة وإنها ستفنى بعد فناء الجسد، أما (ابن رشد) فقد أخذ الرأي الوسط، ورأى أن النفس ملازمة للجسد وأن ما ينبع من أثر النفس هو من علم النفس في البدن، واحتار (ابن رشد) في العقل هل هو جزء من النفس؟ فرأى أن العقل ليس مادياً، وهو مفارق للبدن، وأن هذه المفارقة هي التي تعطيه القدرة على الشمول في المعرفة، وهذه القدرة تعني عدم ماديته لأن المادة تتحلل واللامادي لا يتحلل.

وأشار الدكتور راشد المبارك إلى مشروع كتاب فلسفي لا يزال يعمل على إنجازه بعنوان (شموخ الفلسفة وتهافت الفلاسفة)، وأثار في هذا المشروع العديد من التساؤلات الفلسفية ومنها حول العقل نفسه.

وبعد نهاية المحاضرة كانت هناك عدة مداخلات، منها للدكتور توفيق السيف والدكتور عدنان الشخص والأستاذ حسين آل سلاط والأستاذ أسعد النمر والأستاذ عبد الله العبد الباقي والأستاذ مسفر القحطاني.

ثم انتهت المحاضرة بكلمة للشيخ حسن الصفار الذي تحدث عن أن النصوص الدينية تقول إن العقل يتأثر بالظروف الأخرى من حوله، وأن هذه النصوص تحذر الإنسان من الانحراف عن جادة الصواب، وأن هناك ثقة كبيرة في الدين بالعقل، فالعقل

هو أســاس الدين وهــو مرجعيته، أما لمــاذا أتباع الديانات الأخــرى يحتجون بالعقل؟ فإنهم في الغالب يتعدون جانب العقل على سبيل الحقيقة، ويستفيدون من آفاق أخرى كالعامل النفسي والروحي أكثر من استفادتهم من الأقيسة العقلية، وأكثر هذه الديانات والعقائد الأخرى تصل إلى مرحلة معينة وتقول إلى هنا ينتهي دور العقل، أما عندنا فإن العقل هو الأساس وأن العقل ينمو ويتطور بتطور الحياة وتقدمها، وأقيسته لا تتغير ولا تتبدل فالعدل هو العدل والظلم هو الظلم.







٧

الصفار: التعدّد حلٌّ لمشكلة مليوني عانس في السعودية*

القطيف: عالية فريد

ضمن سلسلة دروس أسبوعية في فقه الأسرة للشيخ حسن الصفار كانت له محاضرة بعنوان تعدّد الزوجات، أوضح فيها إجازة الاسلام لتعدد الزوجات ضمن الحدود والضوابط المقررة، ولا يستطيع مسلم أن يعترض على تشريعات الإسلام ما دامت المسألة في إطار الجواز والإباحة، فالأمر متروك لوضع كلّ إنسان وظروفه، وللأعراف والاعتبارات السائدة في المجتمع.

وأوضح أنّ ظروف الحياة اليوم أصبحت أكثر تعقيدًا من السّابق، فالزواج بأخرى يعني إدارة عائلة وأسرة أخرى تستلزم نفقات مادية، وجهودًا في الرعاية والتربية، فمن كان قادرًا على ذلك ومطمئنًا من تطبيق العدالة المطلوبة شرعًا فلا يصحّ تعويق رغبته وإرادته في تعدّد الزوجات. فإن هناك أشخاصًا في المجتمع تستدعي ظروفهم الشخصية والعائلية اتخاذ زوجة أخرى، لكن تحسّس الزوجة الأولى بشكل مبالغ فيه قد يجعل هذا الرجل أمام أحد خيارين كلاهما صعب، إما أن يكبت رغبته، ويتجاهل حاجته، وقد يلجأ إلى طريق الحرام، أو يغامر بخراب وهدم بيته العائلي.

ومن ناحية أخرى، فإن عدد النساء العوانس في تصاعد وتزايد، وتعدّد الزوجات

* جريدة الوطن الصادرة يوم الأربعاء ٢٠ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ الموافق ١١ يوليو ٢٠٠١م العدد ٢٨٥.

هـو الذي يفسـح أمامهـن أمل الحيـاة الطبيعيـة، ويتيح لهـن فرصة السـعادة الزوجية، وممارسة دور الأمومة.

وأشـار الصفار إلـى إحصائيـة وزارة التخطيط فـي المملكة العربية السـعودية: أن عـدد الفتيات اللاتي لم يتزوجن وتجاوزن سـنّ الـزواج اجتماعيًّا (٣٠ عامًا) بلغ حتى نهايـة ١٩٩٩م حوالي مليـون و٩٢٥ ألفًا ٨١٤ فتاة، وأوضحـت الإحصائيات أن عدد المتزوجـات فـي السـعودية بلغ مليونيـن و٨٣٦ ألفـًا و٤٧٥ امرأة، وذكـرت إحصائية سابقة أن عدد العوانس في الكويت بلغ ٤٠ ألف عانس.

فيجب أن نعترف بأن جزءًا من المشـكلة يكمن في النماذج والتجارب السـيئة التي قـد تحصل مـن قبل من يتزوجـون زوجة أخرى ثم لا يمارسـون العدالـة، بل يهملون الزوجة الأولى ويجحفون بحقوقها، وتتضاءل حتى رعايتهم واهتمامهم بأبنائهم منها.

وإذا كان مفهومًـا وجود مبررات للميل العاطفي نحو الزوجة الجديدة، عبرت عنه الآية الكريمة ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ حيث يعني استحالة العدالة في الميل النفسـي والعاطفي، ولكنه ليس منطقيًّا ألّا يعدل الإنسـان في الجانب الممكـن، وهو العدالة في النفقة والرعاية وأداء الحقوق الشـرعية؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾.

مبرّرات تعدّد الزوجات:

وذكـر الصفـار المبـررات الحقيقية لتعـدّد الزوجات فـي المجتمعات الإنسـانية، مختصرًا لها بالنقاط التالية:

- عـدد الإنـاث أكثر من عـدد الذكور، وليس ذلك لسـبب زيادة مواليـد الفتيات علـى الفتيان دائمًا، وإنما أيضًا لتعرض الذكور للأخطار وأسـباب الموت أكثر كالحروب وحوادث العمل.
- المرأة أسرع بلوغًا وتهيّئًا للزواج من الرجل، فالفتيات اللاتي يولدن مع الفتيان

في سـنة واحدة، يتهيأنَ للزواج بيلوجيًّا وسيكيلوجيًّا قبلهم ببضع سنوات، كما هو معروف. وفي نفس الوقت فإن الاستعداد أسرع نضوبًا وخفوتًا عند المرأة، حيـث تتلاشـى قدرتها علـى الإنجاب، ولياقتها الجسـمية قبـل الرجل. لذلك أصبح مألوفًا أن يتزوج الرجل بامرأة تصغره بعدة سنوات.

- تمـرّ على المرأة فتـرات تعاني فيها مـن العوائق كأيام العادة الشـهرية، وبعض فترات الحمل، بينما لا يعاني الرجل من مثل ذلك.
- هناك نسـاء يفتقـدن أزواجهن لبعض الأسـباب، من وفاة أو طلاق، فلا يتيسّـر لهـن جلب اهتمام الرجـال كزوجة أولى، وقـد تكون المرأة مصابـة بالعقم أو أيّ مـرضٍ آخـر، ففي ظلّ نظام الزوجة الواحدة فقط، تصعب معالجة مثل هذه الحالات.

كلّ هذه الأسباب تنتج حالات العنوسة والحرمان من الزواج لعدد من النساء، كما قد تدفع الرجال للعلاقات غير المشـروعة، وهو ما تعاني منه المجتمعات الغربية الآن وبشكل مبتذل فاضح.

من أجل ذلك أمضى الإسـلام ما كان معمـولًا به من تعدّد الزوجات، ولكن ضمن حدود وضوابط.

الصفار في تصريح لـ«الجزيرة»:

الحوار الوطني مشروع حضاري وعلى العلماء والمفكرين تحمل مسؤولياتهم*

الدمام ـ حسين بالحارث:

رحّب فضيلة الشيخ حسن الصفار بإعلان صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز عن إنشاء مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني بعد موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز.

وقال الصفار في تصريح خاص لـ «الجزيرة» من مكان تواجده حاليًّا في سوريا: إن الشعب في المملكة كأيّ مجتمع إنساني تتنوع فيه الآراء وتتعدد المذاهب والتوجهات، وما دام الوطن للجميع ويرتبط به مستقبلهم جميعًا فمن الضروري المشاركة في تحمل المسؤولية تجاه الوطن بالتفكير والعمل من أجل التنمية والتقدم في ميادينها المختلفة سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا. ولمواجهة التحدّيات الخطيرة التي تعصف بالمنطقة.

وأضاف الصفار.. بأن الحوار الوطني هو الخطوة الأولى للمشاركة في تحمل المسؤولية ليتعمق الشعور بها عند الجميع، ولكي تتلاقح الآراء وتتكامل وجهات النظر بغية الوصول إلى الرأي الأفضل، ثم إنّ الحوار يساعد على بناء علاقات أفضل بين الأطراف المختلفة، حيث يتعرف بعضهم على بعض، ويكتشفون مساحات

---

* صحيفة الجزيرة الصادرة يوم الأحد ١٢ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ الموافق ١٠ أغسطس ٢٠٠٣م، العدد ١١٢٧٣.

الاتفاق الواسعة، ومحدودية موارد الاختلاف ومبرراتها، إن الله سبحانه وتعالى يذكر من فوائد التنوع بين البشر أن يتعارفوا وتطّلع كل جهة على ميزات وخصائص الجهة الأخرى، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

لقد رأينا النتائج المرّة حالة التباعد والقطيعة وكيف تشكلت أوهام وتصورات خاطئة عند كل طرف تجاه الآخر، والحوار وحده كفيل بتصحيح الرؤية والتقويم الموضوعي، كما يساعد الحوار على توفير مناخ الاعتدال والتوازن. ومن أخطر الآفات والمصائب التي تواجهها الأمة والوطن نمو التوجّهات المغالية المتطرفة التي أصبحت خطرًا على أمن الوطن واستقراره وعبئًا ثقيلًا على سمعة الإسلام والمسلمين في العالم.

ولكلّ هذه الحيثيات يكون انطلاق الحوار ضرورة إسلامية وطنية، ومن خلال انعقاد اللقاء الوطني للحوار الفكري بتاريخ ١٥-١٨/ ٤/ ١٤٢٤هـ في الرياض بدعوة ورعاية كريمة من سمو ولي العهد ـ حفظه الله ـ اتضح مدى الاستعداد والقابلية للوسط العملي والثقافي والرأي العام الوطني في البلاد للتجاوب مع هذا المشروع الحضاري. وتأتي الآن موافقة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله على إنشاء مركز دائم للحوار الوطني لتعطي لهذا المشروع الزخم المطلوب والفاعلية المرجوة رسميًّا وشعبيًّا.

واختتم الصفار تصريحه بدعوة العلماء والمفكرين والمثقفين أن يقوموا بواجبهم بتكثيف برامج التوعية والتثقيف في أوساط المجتمع لتكريس قيمة الحوار وتبيين أعماله وإنجاح مشروعه الحضاري ومعالجة الآثار السلبية لمرحلة القطيعة والتباعد التي نمت فيها كثير من شوائب النزاع والخلاف.

ودعاء الله أن يحميَ بلادنا من كلّ مكروه، وأن يديم عليها نعمة الأمن والإيمان.



٧

الشيخ الصفار يتهم أطرافًا مذهبية متشددة بتكريس الانقسام الشيعي السني في الأمة

اتّهم سماحة الشيخ حسن الصفار أطرافًا مذهبية متشدّدة منطلقة من أغراض سياسية بمحاولة تكريس ما وصفها «ثنائية» تناقض احترام أهل البيت والصحابة في الواقع الإسلامي.

جاء ذلك في محاضرة ألقاها الشيخ الصفار مساء الخميس (١/ ١/ ١٤٣٤هـ الموافق ١٥/ ١١/ ٢٠١٢م) في مستهل محاضراته العاشورائية التي تستمرّ على مدى عشر ليال بمسجد المصطفى في مدينة القطيف.

وأمام جمع حاشد قال سماحته: «السياسة تقف خلف تقسيم الأمة إلى أتباع لأهل البيت وأتباع للصحابة بينما البحث الدقيق والموضوعي لا يقود إلى تنافر بين الطرفين».

وأضاف أن «آل البيت وشيعتهم ليس لديهم موقف سلبي من عموم صحابة النبي أبدًا».

ورفض في السياق ذاته اتّهام شيعة آل البيت باتخاذ موقف سلبي من عموم الصحابة أو اتّهام عموم أهل السنة باتخاذ موقف سلبي من آل البيت.

واتّهم الشيخ الصفار أطرافًا مذهبية متشددة في الوسطين السني والشيعي بالسعي في محاولات تكريس ثنائية أهل البيت والصحابة في الواقع الإسلامي.

ومضـى يقـول إنّ هناك متطرفين في هذا الفريق أو ذاك يريدون إشـغال المسـلمين بهذا الانقسام عبر تقاذف الإساءات ضد أئمة أهل البيت وشخصيات الصحابة.

واتّهم سـماحته هذه الأطراف بالانطلاق من أغراض سياسـية في نزعتها التقسيمية للأمة.

وتابـع القـول إنّ تراث آل البيت الديني لم يكن يتجاهل الصحابة، وفي مقابل ذلك لـم يكن الصحابة على نقيض مع آل البيـت، فقد كان مع الإمام علي في صفين ٢٨٠٠ صحابيًّا.

وأوضح سماحته «نحن نقول حينما يكون هناك اختلاف وتمايز بين رأي أو موقف لأهل البيت وآراء لصحابة آخرين فإننا نجد أن من مسـئوليتنا الدينية والشـرعية أن نتبع آل البيت، لا أقلّ ولا أكثر».

وأوضـح أنّ النصوص الدينية كحديث الثقلين تدفع باتجاه ترجيح قول أهل البيت على من عداهم.

وفي سـياق موازٍ شـدد الشـيخ الصفار على ضرورة إيلاء أقصى الاهتمام لاختيار الفرد لقيادته الدينية.

وأردف أنّ مسـألة اختيار القيادة الدينية «مسألة خطيرة ولذلك ينبغي أن تُختار وفقًا للقيم والضوابط الشرعية وليس وفق الانتماءات والمحسوبيات والفئوية والقبلية».

ورأى بأن خطأ اختيار القيادة الدينية ينطوي على نتائج سيئة جدًّا ومدمّرة للفرد في دنياه وآخرته.

وختم بسلسـلة من المرويات والأحاديث من مصادر المسلمين التي تؤكّد أنّ اتّباع آل البيت للنجاة في الدنيا والآخرة.



٧

الشيخ الصفار: الإساءة للنبي الأكرم تستهدف تشويه الإسلام واستفزاز المسلمين

أرجع سماحة الشيخ حسن الصفار تعمّد أطراف غربية النّيل من شخصية النبي محمد ﷺ إنما يأتي بغرض تشويه النهضة الإسلامية الحديثة، والحدّ من انتشار الاسلام عالميًا.

وقال الشيخ الصفار في ثاني محاضراته العاشورائية بمسجد المصطفى في القطيف مساء الجمعة ٢ محرم ١٤٣٤هـ أن النهضة القائمة في أوساط المسلمين «تثير الرعب لدى الطامعين الذين يريدون الأمة مرتعًا لمطامعهم».

وقال سماحته: إن الإساءات الموجهة للنبي الأكرم، تدخل في إطار الحرب النفسية، التي يُراد من خلالها التأثير في إرادة الأمة.

وأضاف بأن الهجمة الاستفزازية ضد الاسلام، تأتي في سياق الرّد على الانتشار المتعاظم لهذا الدين، في مختلف بلاد العالم.

وتابع الشيخ الصفار بأن ما وصفها بالجهات الحاقدة يثيرها انتشار الإسلام، فتعمد إلى تشويه الإسلام، وإثارة المسلمين، ودفع بعض التوجّهات المتشددة نحو ارتكاب أعمال القتل وإثارة الفوضى.

وانتقد في السياق ذاته المجموعات الإرهابية «التي قدّمت صورة بشعة عن الإسلام باستهدافها الأبرياء في المساجد والأسواق».

مسارات التغيير

وقال الشيخ الصفار إن النبي الأكرم برع في مقاربة مسارات التغيير في قومه، ولخّصها في إثارة العقول، وزرع الطموح، وخلق كيان الأمة.

وأضاف بأن النبي أثار عقول الناس، من خلال محاربته الخرافات والأساطير التي درجوا سابقًا على تصديقها، والتسليم بها.

وتابع سماحته «لقد أطلق رسول الله العنان لعقول الناس وحثّهم على التفكير والنّأي عن تحكيم العواطف والأهواء».

وأضاف بأن النبي صنع مجتمعًا متآخيًا وطَموحًا، وقدّم لهم مشروعًا عالميًّا، بعد أن قضوا ردحًا طويلًا من الزمن في القتال فيما بينهم.

إرادة التغيير تصنع التاريخ

وقال الشيخ الصفار بأن التغيير الاجتماعي والسياسي، كما التطور العلمي، رهن بحركة البشر، وسعيهم نحو حياة أفضل.

وأوضح: إن «الواقع الراهن الذي تعيشه الأمة ليس قدرًا حتميًّا ولا واقعًا أبديًا بقدر ما هو نتاج قبول المجتمعات لهذا الواقع».

وأضاف القول «إنّ الناس إذا أرادوا أن يُغيِّروا واقعهم وبدأوا مسيرة التغيير في أعماق نفوسهم فإن التغيير سيتحقق حتمًا».

ومضى سماحته يقول «إنّ إرادة التغيير تصنع التاريخ».

وتناول الشيخ الصفار في السياق ذاته شخصيتي الإمام الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران، والشيخ حسن البنا مؤسّس حركة الإخوان المسلمين باعتبارهما مثالًا على قدرة الأفراد على تغيير مسار التاريخ، إن أرادوا ذلك.



الشيخ الصفار: أنظمة الاستبداد ساهمت في «تجهيل» الشعوب سياسيّا

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنّ الأنظمة الاستبدادية عملت طويلًا على «تجهيل» شعوبها سياسيًّا بغرض إحكام السيطرة عليها داعيًا في مقابل ذلك إلى الاهتمام بنشر الوعي السياسي.

وقال الشيخ الصفار خلال محاضرته العاشورائية الثالثة مساء السبت ٣ محرم ١٤٣٤هـ بمسجد المصطفى في القطيف «حاولت الأنظمة أن تبعد الناس عن السياسة حتى أصبحت السياسة منطقة خطرة في السّاحة العربية والإسلامية».

وأضاف أمام حشد غفير: «ابتعد الناس عن السياسة بسبب القمع وسياسة التجهيل».

وأضاف: إن أنظمة الاستبداد تدرك أنّ انتشار الوعي السياسي يدفع الشعوب نحو اتخاذ مواقف مخالفة للظلم والفساد.

وأردف بأنّ فساد الواقع السياسي، وارتباطه بأفعال المكر والغش والخداع، إلى جانب عزوف الملتزمين عن العمل السياسي، ساهما كذلك في ابتعاد عموم الناس عن مقاربة السياسة.

في مقابل ذلك حثّ الشيخ الصفار على نشر الوعي السياسي، الذي يُعرّف الناس بواجباتهم وحقوقهم، ويشركهم في بناء أوطانهم، ويجعلهم في منأى عن الاستغلال

من أيّ جهة.

واعتبر الاهتمام بنشر الوعي السياسي أمرًا يندرج ضمن مصلحة الوطن، والدفاع عن مصالح المجتمع.

وتابع القول: «لو كان هناك وعي بالقدر الكافي لدى الشباب السعودي، لأمكنهم تلافي استغلال التنظيمات الإرهابية لهم، وزجّهم في أُتون الصراعات العبثية».

وقال سماحته «لا بُدّ للفرد من أن يعي الجانب السياسي في واقعه؛ لأنّ السياسة ترتبط بمجمل جوانب حياته».

النأي عن التفسيرات الغيبية للأحداث

إلى ذلك دعا سماحة الشيخ الصفار الجمهور إلى امتلاك وعي سياسي لا يسمح بأن يستغفلوا بالتفسيرات الغيبية والعقدية للأحداث.

وقال سماحته بأن الوعي السياسي لا يعني مجرّد الحماس، أو الإلمام بآخر المستجدات والأخبار، بقدر ما يعني امتلاك القدرة على الفهم والتحليل الموضوعي العميق.

وحثّ في هذا السياق على صقل الوعي السياسي، من خلال القراءة والتثقيف الذاتي، وحضور المنتديات العامة، والانخراط عمليًّا في العمل السياسي.

كما دعا إلى النأي عن النزعة الطائفية في تحليل الأحداث سيما التي تضرب مناطق وفئات دينية ومذهبية معينة.

وأوضح سماحته بأن هناك توظيفًا سيئًا للنزعات المذهبية في التعبئة ضد الخصوم «لكن الدافع الأساس في ذلك ليس الدافع المذهبي وإنما الدافع السياسي».

ولفت إلى أن المصالح الخاصة والصراعات السياسية، والظروف المحيطة، هي التي تقف خلف مواقف مختلف الأطراف عند أيّ حدث.

وأرجع في السياق ذاته تفاوت مواقف أئمة أهل البيت من الأحداث المعاصرة لزمنهم؛ لاختلاف الظروف والملابسات في زمن كلّ منهم.



٧

الشيخ الصفار: الشعوب العربية اختارت طريقها ونرفض «نظرية المؤامرة»

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ ثورات الشعوب العربية اختارت «كتابة تاريخ جديد»، متّهمًا الأنظمة المستبدة بالترويج لنظرية المؤامرة لاحتواء هذه الثورات.

وقال تعليقًا على الثورات الأخيرة في المنطقة «إنّ الشعوب العربية بدأت في كتابة تاريخ جديد واختارت أن ترسم مسارًا مختلفًا».

جاء ذلك في محاضرته العاشورائية الرابعة التي ألقاها الشيخ الصفار بمسجد المصطفى في مدينة القطيف مساء الأحد ليلة الاثنين ٤ محرم ١٤٣٤هـ.

وأرجع سماحته جانبًا من أسباب اندلاع الثورات العربية إلى الاستبداد السياسي، وغياب الحريات والمشاركة السياسية، وانتهاك حقوق الانسان.

وأضاف بأن شعوب المنطقة باتت ترزح تحت الأزمات المعيشية والبطالة والفقر، بشكل بلغ حدّ الموت في قوارب الهجرة غير المشروعة للبلاد الأخرى.

وتساءل: ماذا نتوقع من الشعوب العربية التي تعيش تحت ضغط هذه المشاكل غير الثورة والغضب؟.

وأردف بأن الأمور في العالم العربي «لا يمكن أن تبقى على ما كانت عليه. حركة التاريخ تجري باتجاه التغيير».

وقال الشيخ الصفار بأن الشعوب العربية «بدأت في كتابة تاريخ جديد واختارت أن ترسم مسارًا مختلفًا»، معربًا عن تفاؤله بأن يقود هذا الحراك إلى التغيير في المنطقة برمّتها.

واستدرك بالقول «كلّ ما نأمله هو أن يجري التغيير بأقلّ قدرٍ من الخسائر وأقل مدى زمني ممكن».

ونرفض «نظرية المؤامرة»

إلى ذلك رفض سماحة الشيخ الصفار الركون إلى «نظرية المؤامرة» في تفسير الثورات العربية متّهمًا الأنظمة المستبدة بالترويج لهذه المزاعم.

وأوضح بأن الحكام دأبوا على إلقاء المسؤولية على أطراف خارجية، لغرض التضليل، وتبرئة أنفسهم من المسئولية، والتغطية على الأسباب الحقيقية لحركات الشعوب.

وقال إنّ ذلك يندرج ضمن المحاولات الحثيثة للتشويش على حركات الشعوب، وتشويهها، وقذف اليأس والإحباط، ومنع الشعوب الأخرى من التحرك.

وأضاف القول: «لا يحتاج الإنسان إلى جهد كبير؛ لأنْ يدرك أن هناك أسبابًا حقيقية تدفع الناس للتحرك، بل الغريب كيف تأخّر الناس في تحرّكهم».

وتمنّى على الحكومات العربية الانفتاح على شعوبها، والالتفات إلى معالجة المشكلات الحقيقية، والنأي عن المراهنة على القمع في احتواء المشاكل.

وتابع بأن «الإجراءات الأمنية والقمع والبطش لا يحلّ المشكلة.. ما يحلّ المشكلة هو بسط العدل».

وقال: إنّ شعوبنا انفتحت على العالم، وصارت تدرك مدى التفاوت الهائل على مختلف المستويات، بين أوضاعها السيئة، وأوضاع نظرائها في الأمم الأخرى.

ومضى يقول «لنْ يُجديَ القمع. لقد كسر الناس حاجز الخوف، وأصبحوا أكثر ثقة بأنفسهم، وقد أعطاهم التطور التكنولوجي فرصًا للتعبير عن إرادتهم وآرائهم».

ويدعو للصمود في وجه محاولات الاحتواء

ودعا سماحة الشيخ الصفار الشعوب العربية إلى التحلّي بالوعي، إزاء محاولات التشويش، التي تستغلّ بروز المشاكل التي تكتنف واقعها خلال مرحلة التغيير.

وأوضح: بأن الثورات في التاريخ أثبتت أن مراحل التغيير تشهد بروز مشاكل، إلى جانب دخول أطراف وإرادات مختلفة على خط الأزمات.

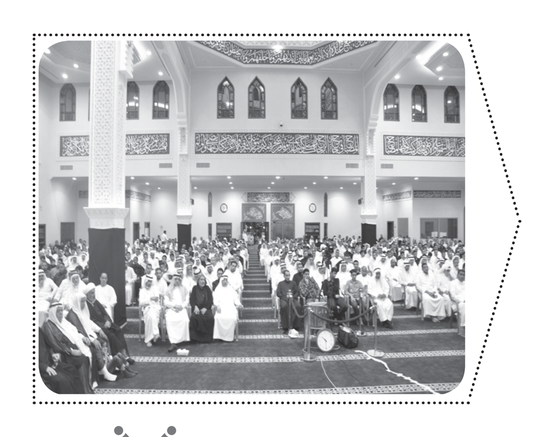
وتابع بأن على الشعوب أن تكون واعية حتى تقود حركتها بحكمة، وحتى لا تدفع خسائر أكثر من المطلوب.

وقال بأن الامتحان الذي يواجه الثورات هو الصمود في وجه محاولات الاحتواء.

وأضاف إن ثورات الربيع العربي تحتاج إلى وعي ونضج وحكمة، لمقاومة محاولات الاحتواء، حتى لا تسرق هذه الثورات أو تنحرف عن مسارها.

وأشار إلى أن دول الغرب ستفعل كلّ ما تستطيع حتى لا تخرج المنطقة العربية عن نفوذها.

واستدرك بأن «الغرب له إرادة، ولكن الشعوب لها إرادة أخرى، الغرب يخطط، والشعوب أيضًا ينبغي أن تخطط لمصالحها».



٧

الشيخ الصفار: الشعب مصدر السلطات.. لا من أيّ مصدرٍ آخر

شدّد سماحة الشيخ حسن الصفار على حقّ الشعوب في اختيار حكوماتها، معتبرًا الواقع السياسي في العالم الإسلامي اليوم بوجود حكومات جاءت بالقوة والانقلابات «من بقايا عصور الاستبداد».

وقال الشيخ الصفار «الشعب مصدر السلطات.. والشرعية لا تأتي إلا من الشعب لا من أيّ شيء آخر».

وأضاف بأن المنهج الصحيح هو أن يختار الناس حكوماتهم، وأن تأتي شرعية السلطة عبر الاختيار المباشر للناس.

جاء ذلك في محاضرته العاشورائية الخامسة التي ألقاها مساء الاثنين ليلة الثلاثاء ٥ محرم ١٤٣٤هـ بمسجد المصطفى في القطيف.

ورأى سماحته أنّ ما يعيشه المسلمون اليوم من الخضوع للأنظمة العسكرية، وحكومات الغلبة والقوة، إنما هو من بقايا عصور الاستبداد، وما ولدت من نظريات تبريرية خدمة للمستبدين.

وأضاف بأن مجمل الآراء الفقهية التي تُشرعن الاستيلاء على الحكم بالقوة، إنما جاءت ثمرة للحقبة الأموية التي أسّست لنهج الهيمنة على الحكم عن طريق الغلبة.

وأشـار في ذات السـياق إلـى خلوِّ النصـوص الدينية من أيّ أصل لمـا يدعى بأهل الحل والعقد، التي اتّكأ عليها الحكام المستبدّون في اكتساب الشرعية.

وقال سـماحته أمام حشـد غفير: إنّ «مصطلح أهل الحل والعقد إنما نحته الفقهاء من خلال الواقع والتاريخ».

فـي مقابل ذلك شـدّد الشـيخ الصفار على أنّ اختيـار الناس لحكّامهـا هو الأقرب للعقل ولمقاصد الشريعة.

وتساءل: «كيف يسوغ أن يأتي طرف لحكم الناس دون قبولهم ورضاهم».

وتابع سماحته بأن الله لم يمنح حتى الصفوة من الأنبياء الحقّ في فرض سيطرتهم على الناس بالقوة، بقدر ما حثّهم على نيل رضا الناس.

وأضاف القول بأن أئمة الإسـلام وعلى غرار الأنبياء، لم يتوسّـلوا العنف للوصول للسلطة، حتى لو كانت في متناول أيديهم.

ومضى سماحته في القول «ما عادت الشعوب الآن تقبل بشرعية السلطات القادمة عبر القوة والعنف، والانقلابات العسـكرية. كما لم يعد العالم يقرّ بأيّ شرعية عن هذا الطريق».

وضمن سـياق تناوله لوظائف الدولة اعتبر الشـيخ الصفار: حفـظ الأمن، والدفاع عن البلاد، وتحقيق العدل بين رعاياها، من أهم تلك الوظائف.

وأسف في هذا الصدد لتنامي ظواهر العنف والاعتداء والسطو المسلح في مناطق البلاد.

وانتقد في ذات السـياق تراخي الأجهزة المختصة في الاسـتجابة لشكاوى ضحايا العنف بمختلف أشكاله.



٧

الشيخ الصفار: الدستور التعاقدي ضمانة ضد الاستبداد

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار الحكومات العربية إلى صياغة دساتير عصرية، منبثقة من إرادة شعبية، رافضًا «تغطية الاستبداد والاستئثار» بذريعة وجود الكتاب والسنة.

واعتبر الشيخ الصفار أن «نقطة البداية» لحياة سياسية مستقرة في البلاد، هي وجود دستور منبثق من إرادة شعبية، ويكون مرجعية للدولة.

جاء ذلك خلال محاضرته العاشورائية السادسة التي ألقاها مساء الثلاثاء ٦ محرم ١٤٣٤هـ بمسجد المصطفى في القطيف.

وحثّ سماحته الحكومات على تنظيم انتخابات حرّة، وتأسيس هيئات شعبية منتخبة، تضع دساتير توافقية، ليكون الحكم قائمًا على أساس دستوري.

واستطرد أمام حشد غفير: بأن الدستور التعاقدي يشكل ضمانة ضد استبداد الحاكم، وينجي البلدان من مشاكل الاضطرابات والثورات.

وضمن سياق الثورات التي هزّت المنطقة أخيرًا، تمنّى سماحته على الدول التي لم تعصف بها رياح الربيع العربي المبادرة لإصلاح وضعها الدستوري عاجلًا.

وتسائل: «لماذا تنتظرون اللحظة التي تثور فيها شعوبكم».

إلى ذلك رفض سماحة الشيخ الصفار مزاعم الاكتفاء بالكتاب والسنة بديلًا عن الدستور التعاقدي، معتبرًا ذلك «غطاء للاستبداد والاستئثار».

وأضاف سماحته «لا بُدّ للبلاد من دستور مكتوب، يُعرّف المواطنين بحقوقهم، وينمّي وعيهم السياسي، ويُكرّس فكرة التعاقد بينهم وبين الدولة».

ورفض في السياق ذاته تصوير الدستور وكأنه خروج عن الكتاب والسنة.

وقال سماحته: إنّ الحكام الذين توالوا على الأمة الإسلامية بدءًا من الدولة الأموية «كانوا انتقائيين، يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، ويؤولون النصوص تبعًا لمصالحهم».

وتابع: إن الأمة الإسلامية عانت في تاريخها تحت عنوان الدين، من وصول حكام مستبدّين، استأثروا بمقدّرات الأمة، حتى صاروا يتصرفون بها كيفما شاؤوا.

وأضاف الشيخ الصفار: إنّ آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، لم تشكّل رادعًا للحاكم عن ممارسة طغيانه واستبداده واستئثاره بأموال المسلمين.

وضمن ذات السياق علّل سماحته بروز دعوات حثيثة من فقهاء ومفكرين لوضع دساتير تعاقدية مكتوبة تقيد السلطات وتضمن حقوق المواطنين.

وأشاد في هذا الصدد بدور الراحل جمال الدين الأفغاني، في التأسيس لمساعي قيام حياة دستورية في البلاد الإسلامية، حيث اصطدمت جهوده حينها بتعنّت الحكام.

كما نوّه بدور المرجعيات الدينية التي دعمت قيام دستور في البلاد الإسلامية، بدءًا من الشيخ النأئيني أوائل القرن الماضي، مرورًا بالإمام الخميني في إيران، وانتهاءً بالسيد السيستاني في العراق راهنًا.

وآمل الشيخ الصفار نجاح شعوب دول الربيع العربي، كتونس ومصر وليبيا، في الاتفاق على دستور توافقي.



٧

الشيخ الصفار يعتبر الديمقراطية «الأقرب لقيم وروح الإسلام»

اعتبر سماحة الشيخ حسن الصفار الديمقراطية أقرب النظم لقيم وروح الإسلام، قائلًا: بأنّ تحالف الاستبداد السياسي، مع التزمّت الديني، جعل من العالم العربي «قلعة الممانعة للديمقراطية».

وقال الشيخ الصفار: إن «الاستبداد السياسي هو المناقض لقيم الدين، بينما الديمقراطية هي الأقرب لروح الإسلام».

جاء ذلك خلال محاضرته العاشورائية السابعة التي ألقاها بمسجد المصطفى في القطيف مساء الأربعاء ٧ محرم١٤٣٤هـ.

ورأى سماحته بأن الاستبداد السياسي «هو المشكلة الأعظم» التي تواجهها الأمة الإسلامية اليوم. معتبرًا الديمقراطية رديفًا للشورى، وهي قيمة إسلامية، تواترت النصوص الدينية العديدة على التشديد عليها، وفقًا للشيخ الصفار.

وقال إن قيم الديمقراطية كما قيم الدين تحث على الشورى والمساواة، وتقف بالضدّ من الاستبداد السياسي.

وتابع أمام حشد غفير: إنّ الاستبداد السياسي يبدو أكثر استحكامًا في المنطقة العربية من أيّ مكان آخر، جرّاء تحالف الاستبداد السياسي مع التزمت الديني.

واستدرك بأن ما وصفها «قلعة الممانعة للديمقراطية» في العالم العربي والإسلامي بدأت في الانحسار شيئًا فشيئًا، ما يدلّل على أنّ المستقبل هو للديمقراطية.

وأضاف الشيخ الصفار: إن البشرية باتت تعيش اليوم مرحلة تجاوز الاستبداد السياسي، كما تجاوزت سابقًا مراحل الإقطاع السياسي، والاستعمار العسكري، وتجارة الرقيق.

وتابع بأن البشرية تشهد في الوقت الراهن توسيع رقعة النظم الديمقراطية عبر العالم، والقضاء في مقابل ذلك على الاستبداد السياسي، وحكم الأفراد أو الفئات.

وقال سماحته: إن قيم الإسلام تثبت أن الديمقراطية هي الأقرب إلى تمثل تلك القيم، خصوصًا في مقابل نظم الاستبداد السياسي.

ورأى أنّ الديمقراطية تُجسّد جوهر الدين المتمثل في قيام علاقة تشاركية بين المواطنين والسلطة، في صياغة القرارات والتشريعات.

وتناول في هذا السياق آراء عدد من كبار علماء ومفكري الأمة المؤيد لقيام نظم ديمقراطية، واعتبارها تجسيدًا مثاليًّا لقيم وروح الدين، وذلك ضمن سياق رفضهم للاستبداد السياسي.

وردًّا على الزاعمين بأن الديمقراطية كفر وبدعة، تنافي قيم الإسلام، تساءل سماحته: «وهل بدعة الاستبداد السياسي من الإسلام في شيءٍ».

وأضاف: إنّه إلى جانب الأمر التشريعي بالشورى، فقد كان الرسول الأكرم ﷺ يدأب في طلب المشورة من أصحابه، في أمور الشأن العام، في الحرب والسلم، ولربما تنازل عن رأيه نزولًا عند رأيهم.

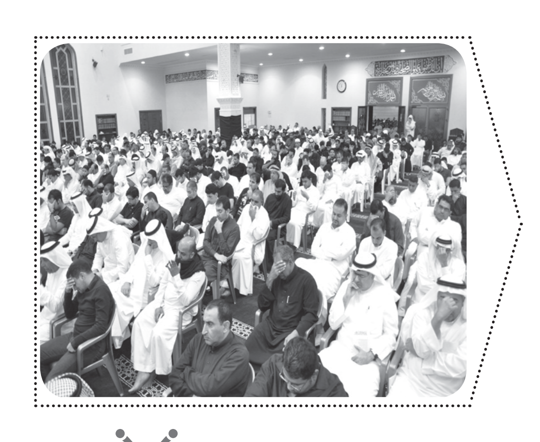
وقال سماحته إنّ النبي تنازل عن رأيه احترامًا لرأي الأغلبية من أصحابه، ضمن ملابسات غزوة أحد. كما فعل الإمام عليّ الشيء نفسه في أمر التحكيم في أثناء حرب صفين.

وأرجع حالة الممانعة للديمقراطية في أوساط المسلمين لتجذر نظم الاستبداد في الأمة الإسلامية.

ورأى في هذا السياق ألّا مُبرِّر موضوعيًّا للمخاوف من الديمقراطية باعتبارها منتجًا غربيًا، قائلًا بأنّ الدين يدفع الإنسان المؤمن للاستفادة من التجارب المفيدة لدى الآخرين، وأن المطلوب لنا من الديمقراطية آلياتها وليس خلفيتها الفكرية.

وأرجع معظم الاضطرابات والأزمات التي تعصف بالبلاد العربية إلى وجود «علاقة غير سويّة» بين الحكومات والشعوب.

وقال: إنّ بقاء العلاقة متوترة بين الحكومات والشعوب سيفتح المجال لتدخلات الأعداء.



٧

الشيخ الصفار ينتقد «تغوّل الدولة» وهيمنتها على المجتمع المدني

انتقد سماحة الشيخ حسن الصفار «تغوّل الدولة» في العالم العربي، من خلال فرض القيود المبالغ بها، والهيمنة على النشاط الأهلي، وعمل مؤسسات المجتمع المدني.

جاء ذلك خلال محاضرته العاشورائية الثامنة التي ألقاها بمسجد المصطفى في القطيف مساء الخميس ٨ محرم ١٤٣٤هـ.

واستغرب الشيخ الصفار حجم القيود والهيمنة الرسمية على سائر الأنشطة الأهلية، في مختلف المجالات التجارية والأدبية والدينية في دول المنطقة.

وأرجع السبب إلى «ريبة وتوجّس الأنظمة السياسية» في النشاط الأهلي التطوعي، سيّما إذا لامس الجانب السياسي والحقوقي «وكأنه ينازع الدولة سلطانها».

وانتقد سماحته ما وصفه بتغوّل الدولة، ورغبتها في الهيمنة على كلّ شيء.

وشدّد على حاجة بلادنا إلى فسح المجال أمام النشاط الأهلي الاجتماعي، الملتزم بالقوانين والأنظمة، وتجاوز حالة الشك والريبة المتبادلة بين الحكومة والمجتمع المدني.

وأضاف أمام حشد غفير: إنّ إعاقة النشاط الأهلي «لا يصب في مصلحة الدولة

والوطن».

وتابع: بأن العالم يعيش لحظة فرض فيها المجتمع المدني ذاته، حتى أصبح جزءًا من المواثيق والمعاهدات الدولية.

وقال إنّ المواثيق الدولية باتت تُشدّد على حقّ الفرد في تكوين الجمعيات، وحرية الأفراد في الانضمام إلى أيّ جمعية تطوعية، وتوفير الضمانات لحرية العمل التطوعي المنظم.

ومضى يقول: إنّ وجود المؤسسات والمنظمات الأهلية التطوعية هو مقياس قوة المجتمع.

واستغرب قلة الجمعيات الأهلية التطوعية في البلاد، مع كثرة النصوص الدينية التي تحثّ على التطوع في أعمال الخير.

وفي حين أشار إلى تجاوز أعداد الجمعيات الأهلية حاجز المئات من الآلاف في العديد من البلدان، لفت إلى أنّ عددها في السعودية بالكاد يتجاوز ٦٠٠ جمعية.

وأشار في ذات السياق إلى نظام الجمعيات الخيرية الذي رفعه مجلس الشورى السعودي إلى مجلس الوزراء لغرض إقراره «الذي لا يزال في الأدراج».

واستدرك بأن النظام المقترح «لا يرقى لمستوى ما تعيشه المجتمعات الأخرى من حرية العمل الأهلي».

الانخراط في أنشطة المجتمع المدني

إلى ذلك حثّ سماحة الشيخ الصفار على تفعيل أنشطة المجتمع المدني، داعيًا أفراد المجتمع إلى الانخراط على نحو أكبر في الأنشطة التطوعية تأسيسًا وعضوية.

وأضاف بأن قوة المجتمعات «لا تتحقق بالحماس والصياح والصراخ»، دون الاتّكاء على قوى حقيقية، متمثلة في وجود مؤسّسات مجتمع مدني قوية.

وتابع سماحته: إن وجود المؤسسات والمنظمات الأهلية التطوعية هو مقياس قوة المجتمع.

وإلى جانب القيود الرسمية، أرجع سماحته ضعف المجتمع المدني إلى انعدام التربية على النشاط الأهلي، وسيادة ثقافة الاتّكاء على الدولة، واستشراء روحية التواكل، وضعف الفاعلية.

في مقابل ذلك أبدى الشيخ الصفار تقديره للأنشطة الأهلية القائمة في المنطقة، مشدّدًا على الحاجة إلى المزيد من التوسع في هذه الأعمال.

وحثّ العاملين في الأنشطة الأهلية على عدم التوقف عند الاتّهامات والتشكيك في عملهم، وأن يكون ذلك حافزًا لمضاعفة العمل وتصحيح الأخطاء.

ودعا في ذات السياق إلى إنشاء المزيد من المؤسسات التي تستوعب طاقات الشباب والفتيات، وتواجه خطر الآفات الاجتماعية، كالخلافات الأسرية، والمخدرات، والسّرقات، والتفحيط.

وشدّد على الحاجة للجان ومنظمات تدافع عن السجناء والموقوفين، لغرض السعي في الإفراج عنهم، والاهتمام بعوائلهم.

كما دعا إلى تكثيف العمل لاحتواء خطر الفتنة الطائفية، من خلال تشكيل اللجان والمؤسسات، مُشيدًا بعمل لجنة التواصل الوطني في القطيف، التي تهدف إلى تعزيز التفاهم بين المكونات المدنية في البلاد.

وقال إنّ سيرة عاشوراء ينبغي أن تنعكس على سلوكنا وحياتنا؛ لأن أئمتنا كانوا يشجعون شيعتهم وتلامذتهم على رفض العزلة، والتواصل عوضًا عن ذلك مع المحيط الاجتماعي.

وأضاف: إن مناسبة عاشوراء تزرع قيم الخير في النفوس، وينبغي أن نخرج منها ونحن أكثر تصميمًا على خدمة مجتمعنا، من خلال الانخراط في العمل الأهلي.



٧

الشيخ الصفار يدعو إلى مجلس نيابي منتخب

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى قيام مجلس نيابي منتخب عوضًا عن مجلس الشورى المعيّن.

وقال الشيخ الصفار إنّ الشعب يتطلع إلى انتخاب ممثليه في مجلس نيابي وطني، يُجسّد إرادة الأمة، داعيًا في الوقت عينه إلى تشكيل المجالس المحلية بالانتخاب المباشر.

جاء ذلك خلال محاضرته العاشورائية التاسعة التي ألقاها بمسجد المصطفى في القطيف مساء الجمعة ٩ محرم ١٤٣٤هـ.

وأضاف سماحته: بأن المجلس النيابي، وإنْ سحبت بعض صلاحيات السلطة التنفيذية، إلا أنه سيوسّع من شرعيتها في نظر المواطنين.

وأضاف بأن تركز السلطتين التنفيذية والتشريعية بيد جهةٍ واحدة مدعاة للطغيان والاستبداد.

وقال إنّ المجلس النيابي المنتخب سيساهم في معالجة مشكلات البلاد، إلى جانب مهمّاته الأساسية، في سنّ القوانين والتشريعات، وإقرار الموازنة العامة، والرقابة على السلطة التنفيذية.

ووصف الشيخ الصفار الواقع النيابي في العالم العربي بالواقع المرير، نظرًا لشيوع

حالات التزوير، وخلل التوزيع العادل في الدوائر الانتخابية.

وفنّد سماحته حجج القائلين ببدعة البرلمان، معتبرًا وجود مجلس نواب منتخب أفضل تجسيد لمبدأ الشورى الذي شدّدت عليه النصوص الدينية.

واعتبر الشيخ الصفار اتّهام المجالس النيابية بالتصدّي للتشريع في مقابل التشريعات الإلهية «مغالطة وتحفّظًا وهميًّا لا أساس له».

كما ردّ سماحته على القائلين بعدم أهلية شعبنا لانتخاب ممثلين أكفاء، والمروجين للمخاوف من وصول جهات متشددة تحت قبة البرلمان، واصفًا تلك الحجج بأنها «غير سليمة».

وشدّد على أهمية أن تكون المملكة مثلًا يُحتذى في تطبيق مبدأ الشورى الإسلامي على شكل مجلس منتخب، خصوصًا وأن بها قبلة المسلمين، وهي الحاضنة للحرمين الشريفين.

وفي سياق موازٍ شدّد الشيخ الصفار: على حقّ المرأة في تولّي المراكز القيادية، والمناصب العامة، داعيًا إلى تجاوز الأعراف التي تمنع المرأة السعودية من ممارسة حقوقها.

وقال سماحته بأن «لا دلائل شرعية معتمدة» تمنع تولّي المرأة المناصب القيادية والعامة.

وتناول في السياق قصة بلقيس ملكة سبأ، التي وصف القرآن الكريم حكمتها وقدرتها على إدارة الدولة، قائلًا: بأنّ القرآن لم يورد القصص على سبيل التسلية وإنما لأخذ العظة والعبرة.



٧

الشيخ الصفار: المطلوب «حلّ سياسي» لمشكلة التمييز الطائفي

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى وضع حدٍّ لمشكلة التمييز الطائفي «الممنهج» من خلال «حلٍّ سياسي» ينتهي إلى تصحيح الأوضاع، وتجريم هذه الممارسة بأشكالها.

جاء ذلك خلال محاضرته العاشورائية الختامية التي ألقاها بمسجد المصطفى في القطيف مساء السبت ليلة العاشر من محرم.

ورفض الشيخ الصفار المزاعم القائلة بأن التمييز الطائفي يعود لتصرفات فردية، قائلًا: «ما عاد هذا الكلام يقنع أحدًا».

واستدرك بأنّ في المجتمع «مستوى شعبيًّا» من التمييز العنصري والمذهبي والقبلي الذي يدفع أفرادًا أو فئة للاعتقاد بأفضليتها على سائر الفئات، واصفًا تلك بالنزعة الشيطانية.

ووجّه في هذا السياق نقدًا لاذعًا لمروّجي الآراء الفقهية التي تعزّز العنصرية، والتمييز الطائفي، والطبقية القبلية بين أفراد الشعب. مُشدّدًا على مخالفة ذلك لتعاليم الإسلام.

وشدّد في مقابل ذلك على وجود تمييز عنصري «ممنهج» يطال على نحو أو آخر مكونات مذهبية وقبلية عديدة.

وأرجع جوهر مشكلة التمييز إلى أسباب داخلية و»خلل سياسي«، رافضًا في الوقت عينه إلقاء المسؤولية على أطراف خارجية.

وقال الشيخ الصفار: «لا ينبغي أن نخدع أنفسنا بالقفز على هذه المشكلة، وإلقاء مسؤوليتها على الخارج». مُبديًا في ذات السياق رفضه لأيّ تدخّلات خارجية.

ودعا سماحته أمام حشد غفير إلى «حلّ سياسيّ» يضع حدًّا لمشكلة التمييز الطائفي، يبدأ بالاعتراف بالمشكلة، والتحرك نحو تصحيح الأوضاع لدى الفئات المتضررة، وانتهاءً بتجريم هذه الممارسة بمختلف أشكالها.

وانتقد الشيخ الصفار حرمان فئة من المواطنين من الوظائف العليا في الدولة، وإهمال مناطق من التنمية المناسبة، وإفساح المجال للازدراء الطائفي عبر مختلف المنابر، ووسائل الإعلام المحلية.

وأوضح بأن الحلول الأمنية والجدالات المذهبية لا يمكن أن تشكل حلًّا للخروج من هذه المشكلة، مضيفًا بأن «الحلّ الأمني وقمع تطلّعات الناس يُعقّد المشكلة أكثر فأكثر».

واعتبر سماحته غضّ الطرف عن التمييز الطائفي، سيبقى مصدرًا للمشاكل والاضطرابات، خصوصًا في العصر الراهن، الذي يشهد ما وصفه بانفجار الهويات.

بناء القوة الإيجابية

إلى ذلك دعا الشيخ الصفار إلى ما وصفه بناء القوة الإيجابية، التي تعني الاهتمام بتنمية الكفاءات، وإنشاء المؤسّسات المحلية الفاعلة، عوضًا عن الانجرار نحو «المطبّ» الطائفي.

وخاطب سماحته الجمهور بالقول «مشكلتنا سياسية، ولكن يُراد إشغالنا بإبراز القضية وكأنها مشكلة مذهبية».

وأضاف: إن مشكلتنا ليست مع أيّ مذهب ولا مع أيّ طائفة «فلا ينبغي أن ننجرّ

نحـو الصـراع المذهبـي». مُنتقـدًا من وصفهـم بالحمقى المنشـغلين بالإسـاءة لرموز الطوائف الأخرى.

وحـثّ الشـيخ الصفار على الاسـتمرار في الحـراك المطلبي المشـروع، داعيًا في الوقت عينه إلى نقاش مفتوح بشأن أفضل السُّبُل لتحقيق تطلّعات الناس.

كمـا دعا إلى الانخـراط في النقاشـات الوطنية، والنأي عن الانكفـاء على الذات، ورفض العزل الطائفي التي يُراد حصارنا فيه.



٧

الشيخ الصفار: خطابنا العاشورائي مُوجّه للأمة

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ خطابه العاشورائي استهدف باستمرار مقاربة هموم الجمهور الأوسع في المنطقة، وعلى مستوى الأمة، منتقدًا تحجيم المنبر الحسيني ضمن الإطار المذهبي الضيّق.

جاء ذلك خلال ندوة مفتوحة عقدت بمكتب الشيخ الصفار مساء الخميس ١٥ محرم ١٤٣٤هـ الموافق ٢٩ نوفمبر٢٠١٢م للتعليق حول الخطاب العاشورائي الذي تناوله سماحته قبل أيام، خلال موسم عاشوراء.

وشدّد الشيخ الصفار خلال الأمسية التي حضرها مثقفون وشخصيات اجتماعية ودينية: على ضرروة أن يكون الخطاب المنبري إنسانيًّا جامعًا، منتقدًا تحجيم الخطاب الحسيني ضمن الإطار المذهبي الضيّق.

ورأى سماحته أن تنوّع الخطاب المنبري في المنطقة يمثل عامل إثراء دينيّ واجتماعيّ وثقافيّ وسياسيّ.

وقال سماحته إنّ خطابه العاشورائي استهدف باستمرار الجمهور الأوسع في المنطقة والوطن، وعلى مستوى الأمة.

وفي سياق موازٍ اعتبر سماحته الخطاب السياسيّ هو «الأقرب» للقضية الحسينية، لكونها ثورة على الظلم والاستبداد السياسي، ولم تأتِ إثْرَ خلاف فقهيّ أو كلاميّ.

وكشف بأن القبول الاجتماعي لخطابه العاشورائي السياسيّ هذا العام مثّل تحدّيًا، واضعًا ذلك ضمن التطور المستمر للخطاب الحسيني، وقابلية الجمهور لهذا الأمر.

ورفض سماحته ما وصفه بالصدام والإرهاب الفكريّ الذي يسعى لتأطير وتقييد خطاب وحركة الآخرين ضمن سياق أحاديّ منغلق.

وقال سماحته: «ينبغي الوقوف بوجه الوصاية والإرهاب الفكري تجاه الطّروحات والمنابر الأخرى».

وأعرب عن اعتقاده بأن السّاحة ستتجاوز سريعًا الخطابات الأحادية المنغلقة «وأن هذه الموجة ستنقشع».

ودعا في هذا السياق إلى انفتاح أوسع في الخطاب الحسيني، بما يسمح بتناول مختلف القضايا المحورية، وبثّ الوعي في أوساط الجمهور.

كما طالب بالتوحّد حول الهموم المشتركة على المستوى الوطني.

وضمن إجابته عن سؤال حول موقف علماء المنطقة من الأحداث في المنطقة، ومن الوحدة الوطنية، قال إنّ موقف العلماء «واضح وثابت» وعبّرت عنه عددٌ من البيانات.



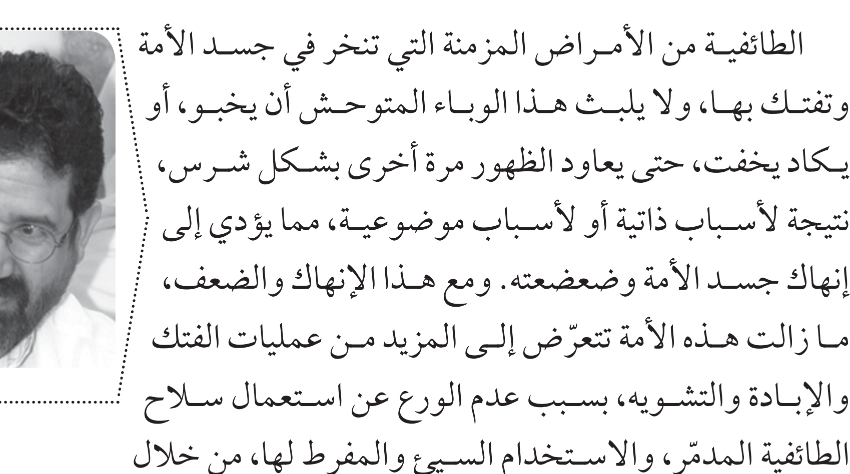




٧

الطائفية بين السّياسة والدين (قراءة في كتاب)

السيد إبراهيم الزاكي



الطائفية من الأمراض المزمنة التي تنخر في جسد الأمة وتفتك بها، ولا يلبث هذا الوباء المتوحش أن يخبو، أو يكاد يخفت، حتى يعاود الظهور مرة أخرى بشكل شرس، نتيجة لأسباب ذاتية أو لأسباب موضوعية، مما يؤدي إلى إنهاك جسد الأمة وضعضعته. ومع هذا الإنهاك والضعف، ما زالت هذه الأمة تتعرّض إلى المزيد من عمليات الفتك والإبادة والتشويه، بسبب عدم الورع عن استعمال سلاح الطائفية المدمّر، والاستخدام السيئ والمفرط لها، من خلال التحريض المذهبي والطائفي، إلى العمل على تغذية حالات الإقصاء والنبذ والتخويف والتشكيك وغيرها من أسلحة فتّاكة مزّقت حاضر الأمة وضيَّعت مستقبلها.

إن كتاب «الطائفية بين السّياسة والدين» لمؤلفه «الشيخ حسن بن موسى الصفار» الصادر عن «المركز الثقافي العربي» يحاول أن يرصد الكثير من المظاهر التي تتجلى فيها أمراض هذه الطائفية، وتوجيه النقد إليها، وتقديم الرؤى والحلول التي تساهم في تنفيس هذه المشكلة، وتسهم في حلّها. ومع أن المؤلف يشير إلى التبعات والأسباب

التاريخية التي تكمن خلف هذه المشكلة، ومسؤولية التراث في ترسيخ ثقافة الطائفية، إلا أنّـه لا يذهب بعيدًا في مساءلة هذا التـراث، أو العمل على تفكيكـه، فالكتاب غير معنـيٍّ بالماضـي وتحليله وتفسـيره ونقـده، بقدر ما هـو معنيّ بالحاضـر والتعاطي مع إشكالياته ومشكلاته وأحداثه التي تثقل كاهل الأمة.

وموضوعات الكتاب هي مجموعة من الكلمات والخطب والمقالات والحوارات التي كُتبت أو قيلت أو ألقيت في مناسبات حوارية وطنية أو دينية وتقريبية، وفي ظروف حسّاسـة وصعبـة مـن تاريخ الأمـة، خصوصًا بعـد احتلال العـراق، وانفجار المسـألة الطائفيـة فيـه وتفاقمها، وخطر انفلاتهـا وانتقالها إلى بيئات أخـرى مجاورة، إن لم يتم حصارها ووأدها فـي مكانها ومهدها، وتحصين البيئات الوطنية الأخرى من الانجرار إلـى متاهاتها المظلمة، من خلال رفع مسـتوى المناعة الدينيـة والأخلاقية، التي تمنع جميع القوى والأطياف من الوقوع في شراكها البغيضة.

إنّ مشـكلة الطائفيـة ومـا يرافقهـا من أذى وضـرر يصيب الإنسـان والمجتمع، لن يتـم فهمها ومعرفة أبعادها وانعكاسـاتها، بالإضافة إلى مصادر نشـأتها، والسـعي إلى اجتثـاث جذورهـا والتخلّص منهـا، إلا من خلال طرق وأسـاليب الحـوار المختلفة، على أنّ المشـكلة هنا تكمن في أنّ أهل الحوار والمؤمنين به، والمنتسـبين إلى مدرسة الحـوار، والمنتمين إلى ثقافتها، هـم قلة، على الرغم من دعوة الدين وحثّه الدائم على التمسـك بهذا النهج والاقتداء به، لما يختزنه مفهـوم الحوار من ثروة هائلة لا تنضب، حيث تحتاج إلى من يكتشفها ويستثمرها الاستثمار الأمثل، ليس فقط من أجل حاضر هذه الأمة ومسـتقبلها، وإنما أيضًا من أجل ماضيها، ماضيها الذي يحتاج منّا المراجعة والتقييم والنقد واستخراج العبر، وكلّ ذلك بالطبع من خلال التفكير والتفكر، والحوار النقديّ الخلّاق.

مـن الممكـن والطبيعـي أن يختلف أيّ أحدٍ مـع الكاتب وأفـكاره ورؤاه، وهو أمر طبيعـي ولا ضَير فيه، بل هو أمر مستحسـن ومطلوب ومرغوب فيه؛ لما في الاختلاف

والتعـدد من فوائـد جمّة لا تُحصى. ومـا يميز المؤلف ضمن هذا الإطار أنه شـخصية حوارية، ومتمرّسة في هذا الشأن وذو خبرة عالية، تُجيد أصول الحوار وفصوله، نتيجة ما راكمته من تجربة وممارسـة امتدّت سـنين طويلة، تحولت إلـى خبرة عريقة، قلّ أن تجدها عند غيره ممن لم يخوضوا مثل هذه التجارب الحوارية، أو لم يُطوّروا إمكانات وأدوات الحوار في ذواتهم وشخصياتهم.

إنّ من الأشياء الأخرى التي تميّز الكاتب أنه صاحب رؤية ومشروع واضح المعالم والخطوط، ولا يصعب على أيّ متابع إمكانية معرفة هذه الرؤية ومعاينتها وتلمّسها من خـلال أقواله وكتاباته وممارسـاته وأفعاله، وهو الأمر الذي يُمكّـن الجميع من رصده ونقده ومحاسـبته حين نحاسـب ونحتسب، سـواء كان ذلك بالكلمة والقول والكتابة، أو بالحـوار المباشـر والصريح مع صاحـب هذه الروية، فالذين يتصدّون للشـأن العام وقيادة المجتمع وتوجيهه ليسـوا ملائكة، ولا ينبغي لهم أن يكونوا كذلك، بل هم بشـر يُصيبون ويخطئون، وما علينا إلا أن نراقب ونرى وننتقد ونحاسب، بعيدًا عن لغة القوة والتجريـح والتسّـفيه، بـل من خلال الكلمـة الطيبة والقول الحسـن وقـوة المنطق، لا بمنطق القوة.

لقد أثار الكتاب عددًا من القضايا والمسائل، أو المشكلات والإشكاليات التي تمرّ بهـا الأمة، بالإضافة إلى ما ضمّه الكتاب بين دفتيه من أفكار متعددة، تناثرت وتوزعت علـى طول الكتاب وعرضه، التي يمكن أن توضع ضمن محاور منفصلة. وقد حاولت فـي هـذه المقاربة أن أرصـد أبرز الأفكار الـواردة فيـه، وإبرازها وتصنيفهـا والإضاءة عليهـا، ليس حسـب فصول الكتاب وموضوعاته، وإنما حسـب تنوع الأفـكار الواردة فيـه، وجمعها ووضعهـا ضمن محاور وخطوط عريضة، مـع التعقيب عليها من خلال إثارة ما يمكن من تساؤلات عنها وفيها وحولها.

1- مشكلة الطائفية بين ما هو سياسيّ وما هو دينيّ

يتحدث المؤلف حول أزمة الطائفية في مجتمعاتنا بشكل واضح وصريح ومباشر،

ولا يخلو من الجرأة. ويمكن تلخيص رؤية الكاتب في هذه المسألة على الشكل التالي: وهو أن تراثنا وتاريخنا مليء بالكراهية والبغضاء بين أتباع الطوائف والمذاهب والملل والنحل، وهذه الأرضية من الخلاف والنزاع تظلّ خافته وكامنة. إلا أن هذا التراث الخلافي، لا يعمل ويثار ويُفعّل ويتم تحريكه، إلا بتأثير القرار السياسيّ، الذي يتحكم في مسألة إثارة التوتر والتشنج المذهبي، والدفع بها إلى درجة الفتن. أما إذا ارتأت القوى والأطراف السياسية المتصارعة والمتقاتلة أن هذه الفتن ليست في صالحها أو من مصلحتها، فإنها سوف تضع حدًّا لها، وتسعى إلى الاتفاق فيما بينها على وضع حلٍّ لإخماد أوار الفتنة، ووضع الحلول المناسبة لحلها، والتخفيف من حالة التوتر المذهبيّ، والميل إلى ضبط الأوضاع حتى لا تنزلق إلى مستويات يصعب التحكم بها أو السيطرة عليها.

لذلك فإنه حين تكون العلاقة بين أتباع المذاهب توافقية وطبيعية، فإن تقارب الآراء السياسية والبرامج الاجتماعية، والتوافق في المصالح، سيكون هو المؤثر في تشكيل التحالفات والتجمعات، بغضّ النظر عن الانتماء المذهبي والاختلافات العقائدية، ففي أتباع المذهب الواحد، هناك تنوّع في الاتجاهات السياسية، واختلاف في المدارس الفكرية، وتضارب بين مصالح الفئات لهذه الجماعة أو تلك.

إلا أن هناك من يُوظّف الدين في إذكاء النزاع الطائفي، وفي إذكاء أواره، وصبّ الزيت على النار، باسم الدفاع عن العقيدة والمذهب، وذلك من أجل أهداف ومصالح سياسية؛ لذلك فإن مسألة العنف الطائفي مرتبطة ومحكومة بالقرار السياسي أكثر مما هي مرتبطة بالحالة الأهلية الشعبية ذات الخلفيات الدينية المذهبية. والمؤلف يشير في مقدمة كتابه إلى أن مشكلة الطائفية في مجتمعات الأمة يصنعها ويمدّها عنصران رئيسان، الأول سياسيّ، والثاني دينيّ. ويتمثل العنصر الأول في اعتماد سياسة التمييز الطائفي بين المواطنين، وتشجيع حالات الصراع المذهبي لأغراض سياسية، بينما يتمثل العنصر الآخر في نهج الخطاب الدينيّ حين يعتمد التعبئة المذهبية، بالتركيز

على نقاط الخلاف، والاستدعاء الدائم للتاريخ والتراث من أجل تغذية المشاعر المذهبية، والتحريض ضدّ الآخر، ومما يثير قلق الكاتب أن هذين العنصرين، يعملان اليوم بشكل محموم لتأجيج الصراع الطائفي في أكثر من موقع في ساحة الأمة، متسائلًا: هل ما حدث في العراق لا يكفي للعظة والاعتبار؟!

وعلى الرغم من أن الكتاب يحمل عنوان الطائفية بين السياسة والدين، إلا أن الأفكار الواردة حول هذه الإشكالية لا تنحصر ضمن محور أو فصل معيّن ومخصص لهذه القضية، حيث يمكن قراءة رؤية الكاتب مبثوثة وموزعة على كثير من صفحات وموضوعات الكتاب، ومع ذلك فإن القارئ يلحظ دقة التوصيف للمشكلة، وجذور مرض هذه الطائفية، ومكامن الخلل في واقع الأمة اليوم، وعمق الأزمة التي تعيشها.

المؤلف يعتقد بأن عجز مجتمعاتنا عن التعايش والتحضر والتقدم والتطور كالمجتمعات الأخرى المتقدمة، على الرغم من تنوعها القومي والعرقي والديني والمذهبي والثقافي والتاريخي، يرجع إلى وجود خلل عميق يتمثل في أمرين، الأول يتمثل في فقدان النظام العادل الصالح، الذي يساوي بين الناس في الحقوق على اختلاف أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم، والأمر الثاني يتمثل في ثقافة التحريض على الكراهية، والتعبئة المتبادلة في أوساط أتباع كل مذهب تجاه المذهب الآخر، حيث تخفت وتختفي ثقافة التسامح، ويرتفع منسوب حالة التشنج والتعصب والكراهية للآخر المختلف في المذهب، والاتجاه الفكري، وإيغار الصدور ضدّه.

إنّ من أهم المشكلات التي تواجه عالم المسلمين وتبعدهم عن التقارب، هي مشكلة الاستبداد السياسي والديني، كما يستنتج المؤلف، ودائمًا ما تتعثر خطوات الوحدة والتقارب بسبب العوامل السياسية، من خلال إثارة الخلافات وتغذيتها خدمه لأهداف مبطنة، حيث يساهم العامل السياسي أو المصلحي بشكل عام في تحويل اختلاف الرأي إلى مبرر للنزاع والاحتراب، حيث ينحاز إلى بعض الآراء ويسعى إلى فرضها على الناس، ويقمع الرأي الآخر، أو يستخدم بعض العلماء والفقهاء كواجهات

لإضفاء الشرعية على حكمه، أو يستفيد من افتعال الخلافات الدينية لإشغال الأمة بها عن واقعها السياسي.

كما أن العامل المذهبي أو التوجّهات المذهبية ذات النزعة المتطرفة أيضًا دائمًا ما تكون حجر عثرة وتقف دون التلاقي والتعاون والتعاضد، وتعرقل مسيرة الوحدة والعمل الجماعي المشترك، عبر فرض آرائها ومحاربة الرأي الآخر بأساليب الإرهاب الفكريّ، والتسقيط الاجتماعيّ، أو باستخدام القوة والعنف، كما أنها لا تكف عن التركيز على قضايا الخلاف وتضخيمها، وخلق أجواء من الشحن والتعبئة الجماهيرية، ضد الآخرين ممن لا يتفقون معها أو لا ينسجمون مع خياراتها.

عندما لا يتقي علماء الدين وفقهاء المذاهب الدينية ويتورّعون من خدمة الأجندة السياسية، ويضعون حدًّا لثقافة التعبئة المذهبية، ويستبدلونها بثقافة التسامح والوحدة والتقريب، والدفع باتجاه خلق واقع التواصل والتداخل والتعاون بين أبناء الأمة، وإلا فإنهم سيصبحون أدوات صغيرة في خدمة العامل السياسيّ وخططه ومآربه.

إذا كانت المشكلات الطائفية والأمراض المصاحبة لها، لا تترعرع إلا في ظلّ الاستبداد السياسيّ والإرهاب الفكريّ، فإن أجواء الحرية والانفتاح، وارتفاع مستوى المشاركة الشعبية السياسية، وتحقيق مفهوم المواطنة، وقبول التعددية، واحترام الرأي الآخر كلها كفيلة بتبديد أجواء الطائفية الملبّدة بكل الأمراض الخبيثة والمؤذية، وستكون هذه القيم النبيلة والرفيعة والالتزام بها هي الأرضية والضمان لحالة التقارب والوحدة، كما يمكن تلخيص وإجمال وجهة نظر المؤلف حول طرق وأساليب تفكيك غلواء المشكلة الطائفية وتبديدها.

2- في مظاهر المشكلة الطائفية

يمكن ملاحظة مظاهر المشكلة الطائفية التي تطفو على سطوح مجتمعاتنا من خلال تصاعد نبرة الخطاب المذهبيّ المتطرف، عبر فتاوى التكفير، وبيانات التخوين،

وشيوع خطابات التحريض على الكراهية، وتبادل الاتّهامات وحالات العداء بين أبناء الدين الواحد، وانتهاك حقوقهم المادية والمعنوية، وحوادث العنف والعدوان، واتّساع حالات النزاع والاحتراب والإرهاب والعنف الداخلي والخارجي. بالإضافة إلى ما نشاهده من تمييز بين المواطنين على أساس قوميّ ومذهبيّ، وسياسات الإلغاء والإقصاء والتمييز بين المواطنين على أساس انتماءاتهم.

بالإضافة إلى ذلك، ما نشهده من انتشار واسع في المواقع الإلكترونية التي تمارس دور التحريض المذهبي الطائفي، وتعبئة أبناء الأمة ضد بعضهم بعضًا، وكذلك الدور السلبي الذي يقوم به الإعلام الفضائي المذهبيّ الذي ينشر ثقافة التعبئة المذهبية، من خلال ما يبثّه من برامج تساهم في تأجيج الفتنة والخلاف والنزاع.

والسؤال: إلى أيّ مدى أصبحت هذه الأمراض متغلغلة في روح وجسد هذه الأمة؟ وهل هناك من أمل يُرجى في شفائها من هذا المرض العضال؟

3- في جذور أمراض الطائفية

هناك إشارات متعددة في الكتاب تشير إلى أن أساس وجود المشكلة الطائفية وبذورها، يكمن فيما ورثناه من تراث وثقافة وأنماط علاقات، حيث يمتلئ تاريخنا وتراثنا الإسلامي بالأوراق الصفراء، والجراح الدامية، حيث هناك تراث ضخم من الجدل المذهبي، والسّجالات والمساجلات والمماحكات والمناظرات والجدل الكلاميّ العقديّ التي شغلت الأمة قرونًا كثيرة، وأنتجت ثقافة من التعبئة المتبادلة، كما أنتجت النزاعات والصراعات، وهو الأمر الذي تجد فيه الاتجاهات المتعصبة فرصتها المناسبة في تمزيق صفوف الأمة، عبر التعبئة وإثارة الضغائن والأحقاد، وفتح ملفات الخلافات العقدية والفقهية، مستدعية كلّ ما في التراث والتاريخ من رصيد للكراهية المتبادلة والصراع المذهبيّ.

ومن هنا تبرز أهمية مراجعة هذا التراث، كما يشير المؤلف، وتنقية الثقافة

المتداولة بين المسلمين، من آثار وشوائب عصور التخلف، والصراعات الطائفية. إلا أن السؤال ونحن نتحدث عن هذه المشكلة: هل نحن اليوم ضحايا هذا التراث وأسارى له؟ وكيف يمكن لنا مراجعة هذا التراث، ومن أين نبدأ، ومن هو المناط به عملية المراجعة؟ وهل يمكن اليوم فعلًا مراجعة هذا التراث؟ ألا يمكن أن تسبب لنا هذه المراجعة مشكلات أكثر، ومصاعب أكبر مما هو موجود؟

4- في الحلول لمشكلة الطائفية

يشير المؤلف أن خريطة الطريق لحلّ مشكلة الطائفية لن تتحقق إلا من خلال نشر ثقافة التسامح والتعايش السلمي، والتعارف الموضوعي، والفهم المتبادل، وقبول التعددية، والاعتراف بالآخر، والقبول بالتنوع والتعدد المذهبيّ، واحترام الرأي الآخر، والاحترام المتبادل بين الطوائف، وحسن الظن في الآخرين، وإقرار حقوق المواطنة والأخوة الإسلامية، واعتماد مفهوم المواطنة والمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، وتبنّي قضية حقوق الإنسان، ونبذ المشاحنات والمهاترات المذهبية والطائفية، وإقرار التعددية الفكرية والسياسية، بالإضافة إلى تجريم التحريض على الكراهية، والتأكيد على حرمة دم كلّ مسلم وعرضه وماله، أو الإساءة من أيّ طرف للآخر بالتكفير، أو التحريض، أو النيل من رموزه ومقدّساته، مع حقّ كلّ طرف بأن يطرح رأيه ورؤيته.

إنه لمن الجميل أن تشيع هذه المفاهيم والرؤى بيننا، وتتحول إلى جزء من ثقافة الفرد فينا ومن سلوكه أيضًا، فمن الناحية النظرية لا أحد ينكر أهمية العلاقة والتعايش بين أتباع المذاهب والتعاون فيما بينها لخدمة الجوامع المشتركة والمصالح العامة، وذلك عن طريق إشاعة روح التسامح، وثقافة التعددية، والتزام أخلاقيات الحوار العلمي، والاختلاف المشروع، إلا أنّ السؤال الملح ونحن نطرب لهذه المفاهيم، هو الخوف من أن تظلّ مفاهيم مجرّدة ومتعالية يمكن أن تقال أو تكتب وتدغدغ المشاعر، وتشطح بالخيال والأحلام، لكن من جانب آخر يصعب تنزيلها على أرض

الواقع، الذي يشهد انشقاقات وتمزّقات لا تبشر بأن تتحول هذه المفاهيم والرؤى إلى نهـج حقيقيّ يتبع، أو تصبح منهجًا للحيـاة يقتدى، وإنما هي مجرّد أقاويل وأحلام من الصعب الوصول إليها ويستحيل تحقيقها؟

5- أصالة المفاهيم الحديثة

تَصمُ أسماعنا اليوم مقولات ومفاهيم جديدة وحديثة، ودائمًا ما تستعمل على نطاق واسع على ألسن أكثر النخب بكلّ أنواعها وأشكالها، وتقام لها الندوات والمؤتمرات، ولا تخلو وسـائل الإعـلام المختلفة من التحدّث عنها وتسـليط الضوء عليها، وتقديم التحقيقات حولها، والسؤال: لماذا هذا الاهتمام المبالغ فيه حولها، هل هو نتيجة تأثير الحضـارة الغالبة في هذا الزمن الذي يضطرنا إلى اقتباسـها واسـتيرادها والتزوّد منها، نتيجة ما نعانيه من تردٍّ حضاريّ وتخلف ثقافيّ، أم أن الأمر هو حالة طبيعية تحدث بين الشـعوب والأمم من خلال الاحتكاك والتبادل الثقافي، خصوصًا في ظلّ انتشـار وقوة وسائل الإعلام والاتصال الحديثة؟

عندما تطرح اليوم وتثار مفاهيم وموضوعات التعددية والحرية والتسامح وحقوق الإنسـان، وغيرهـا من مفاهيـم، تقفز إلى الذهن الكثير من الأسـئلة حـول مدى أصالة هـذه المفاهيم، ليس فقط في تراثنا الدينيّ، وإنمـا أيضًا في الدين ذاته، وهل النصوص الدينيـة المعتبرة تحتوي هذه المفاهيم وتزخر بها، وهل هذه المفاهيم الجديدة تمتلك جذورًا راسـخة في الفكر الإسـلامي، خصوصًا ونحن نعرف أن المساحة الأوسع من تاريخنا كانت مسرحًا للاستبداد والأحادية، كما يؤكّد المؤلف ذلك، وأن القسم الأكبر من الثقافة الرائجة في أوساطنا تغذّي حالات التشدّد، وإقصاء الآخر وإلغائه، حيث إنّ ذلـك يترك الانطباع والتصور أن ذلك هو الأصل والطبيعي في تراثنا الإسـلامي كفكر وتشريع ؟!

يقـول المؤلف: إنـه بحث موضوع التعددية والحرية في الإسـلام، ووجد أن هناك عـددًا هائلًا من النصـوص الدينية من آيـات محكمات وأحاديث وروايـات تؤكّد هذا

المفهـوم كمنهج ومسـارٍ في نظـام الاجتماع الإسـلاميّ، إلا أنه عندما سـادت عصور التخلف اختفت عناوين كثيرة لمبادئ وتشـريعات إسـلامية أساسية، تحت ضغط هذا الواقع المتخلف المناقض لتلك القيم والمبادئ والتشـريعات، لكن حين أفاقت الأمة على واقعها الفاسـد، كما يضيـف المؤلف، وتحركت تطلعـات التغيير والإصلاح في نفـوس أبنائها، وانفتحت الأمة من جديد على مفاهيم دينها، عادت لسـاحة الأمة تلك العناويـن الغائبـة والمغيّبة، كعنوان حقوق الإنسـان، وحقوق المـرأة، والديمقراطية، والتعددية، والحرية، والشفافية، وسيادة القانون، وإلى غيرها من عناوين إسلامية أصيلة قد أُغفلت، وأصبح البعض ينظر إليها بريبة، كأنها أفكار دخيلة، ومفاهيم مستوردة.

والسـؤال: لماذا غابت هذه المفاهيم والقيم، أو لماذا غُيِّبت واندثرت طوال قرون عديدة، ولماذا سـاد وانتشـر الطغيان والاسـتبداد والجور السياسـيّ والدينيّ، وسادت المفاهيم المغلوطة وانتشـرت الظواهر السـلبية، وهل الابتعاد عـن القيم وانتهاكها هو أسـاس المشـكلة التي تنخر في البنية التحتيـة لبناء هذه الأمة، وما هـو العمل من أجل اسـتعادة هذه القيـم من المجهول وإعـادة زرعها في نفوس وقلوب وعقـول أبناء هذه الأمة؟

يؤكّد المؤلف دائمًا أنّ الدين يدعو إلى الرحمة والسلم والسلام والتسامح والإخاء والمحبـة، وأن هـذه القيم هي قيم أصيلة في الدين. والسـؤال: أيـن يذهب هذا الدين، وها نحن نرى انتشار قيم التشدّد والغلو والتعصب والتطرف والإرهاب باسم الإسلام والدين، فمن أين جاء هذا الفهم ولماذا انتشر؟ وهل هناك في الدين ونصوصه ومفاهيمه ما يحثّ ويشـجع ويستحسـن هذا السلوك، أم أنّ المسـألة هي مجرّد فهم واجتهاد في فهـم الدين، وهل هـذا الاجتهاد مقبول وله مؤيّدوه، أم هو فهم خطأ للنصوص الدينية، وهو اجتهاد غير مقبول ومنبوذ جملة وتفصيلًا، وكيف يمكن تعرية وتحجيم هذا الفهم الخطأ للدين من جانب، ونشر وتوسيع قاعدة الإسلام الوسطي من جانب آخر؟

6- الطائفية بين الأمس واليوم

يقارن الكاتب بين حال الطائفية السائدة اليوم، وما يحدث من جدل مذهبيّ وصراع طائفيّ وإثارة للفتن والصراعات، بما حدث منها في سابق العصور والقرون السالفة بقوله، إنّ المقارنة تكشف عن وجود اختلاف كبير بينهما، ففي سابق العصور كانت هذه النزاعات تحدث في ظلّ حضارة إسلامية صاعدة ومتطورة ورائدة حيث كانت الأمة في موقع الصدارة والقوة بحيث إنّ مثل هذه المشكلات لم تكن تطفو أو تبرز بتلك الحدّة أو ذاك الصخب، أما اليوم وفي ظلّ هذا الواقع المتردّي والمتخلف والهزيل الذي تعاني فيه الأمة من نقص المناعة الدينية والأخلاقية والحضارية، فإنه يؤدي إلى إصابتها بالعلل والأسقام مع أدنى هبّة ريح، والانجرار والانزلاق إلى متاهات الطائفية البغيضة.

فإذا كانت الدولة الإسلامية في عصور صعودها وقوتها لم تتأثر بذاك القدر من تداعيات المشكلات الطائفية، واستطاعت احتواءها، كما قال المؤلف، فلماذا لم تعمل هذه الدولة على حلّ هذه المشكلات في حينه، وتضع الحلول الجذرية لها أثناء مرحلة قوتها، ولماذا ورّثتنا تلك الدولة هذه المشكلات ونحن الذين نعاني اليوم من الذلّ والهوان والضعف الداخليّ والعدوان الخارجيّ، حيث تتكالب علينا الأمم الأخرى. وإذا كانت الأمة لم تحلّ مشكلاتها وأزماتها أثناء قوتها، فهل يمكن لها أن تحلّها في ظلّ ضعفها وتخلفها؟

7- الاستثمار الخارجي في الضعف الداخلي

عندما تعاني أمة من الأمم ضعفًا داخليًّا مزمنًا، وعدم قدرة على حلّ مشاكلها، ووضع الحلول لها، بل تزداد وتستفحل يومًا بعد يوم، فإن هذه الحالة من التردي هي البيئة المناسبة التي تُغري الآخرين للتسلل والتغلغل واحتلال أرضها واستغلالها والطمع في خيراتها وثرواتها، خصوصًا عندما تكون هذه الأرض زاخرة بالثروات

الهائلة والإمكانات الضخمة.

إنـه لمن الطبيعي أن تتربص القوى الأجنبية بنـا الدوائر، وتكيد لنا المؤامرات، من أجـل الهيمنة على إرادتنا والسـيطرة على أراضينا وثرواتنا، إلا أن السـؤال: لماذا تتيح أمتنا الفرصة للإرادة الخارجية، للنفاذ إلى قلب نسيجنا الاجتماعي، والتلاعب بإرادتنا وإمكاناتنا وثرواتنا وخيراتنا؟

وعلى الرغم من حقيقة وجود مؤامرات الأعداء، وعدم الشك في خطط الاستكبار والاسـتعمار، إلا أن ذلـك الاختراق لـم يكن ليتحقق، كما يشـير المؤلف، لولا وجود الأرضيـة الخصبـة التـي تتقبـل تلك البـذور السـيئة، والتـي تمنحهم الفرصـة لتحقيق مبتغاهـم، ثـم يضيف، إنه ما لم يكن هناك اسـتعداد داخلي، فـإن المؤامرات والخطط تفشـل، لذا فمن الواجب التركيز على حلّ المشـكلات الداخلية، وأن نكون على قدر كافٍ من الحصانة والاسـتعداد للتصدي ومواجهة الفتن، وعدم إتاحة الفرصة للأعداء للنفـاذ مـن خلال نقاط ضعفنـا والثغرات التي ترهـق كاهلنا، فالمجتمـع الصحيح من الأمراض والأسـقام، الـذي يملك الوعي والنضـج الروحي والثقافـي، لا يجد هؤلاء الأعداء طريقًا ومنفذًا يعبرون منه لإلحاق الأذى أو الضرر به.

أما في حالة ما كانت جبهتنا الداخلية تعاني من الضعف والهوان والتشـوّه، وتنتشر فيها أمراض الطائفية، ويسـودها الشـحن والتعبئة الطائفية والمذهبية، من خلال رواج فتاوى التكفير وبيانات التشـكيك والتجريح وخطـب التحريض وإثارة الضغائن، التي تخلق أجواء التشنج والخصام والتباعد بين أبناء الأمة الواحدة، فإن هذه الأمراض كما يؤكـد المؤلف، هـي الأرضية الخصبة الحاضنة لبذور الفتن التي تسـاعد الأعداء على تحقيق هدف تمزيق الأمة وإشغالها بخلافاتها.

لذلـك مـن المهم سـدّ المنافذ والثغـرات داخل سـاحة الأمة، وتعطيـل دور قابلية الاستجابة، من خلال نبذ الخلاف والفرقة وعقلية الاستحواذ والوصاية وفرض الرأي علـى الآخريـن، والتعامل مـع الواقع كما هـو دون إلغاء طرف لآخر، بـل بالتعاون في

الأصول والمشتركات، وفي تحقيق المصالح المشتركة، مع احتفاظ كلّ طرف بقناعاته ومتبنياتـه، مع العمل بشـكل مشـترك في بناء مجتمعاتنـا وأوطاننا بعيدًا عن الانشـغال بالخلافات المذهبية على حساب التنمية والتقدم العلمي والتكنولوجي.

يتسـاءل المؤلـف فـي نهايـة المطـاف، إن كان يقبل منا الشـرع أو العقـل، أن نبقى منشـغلين بخلافـات أكل عليهـا الدهـر وشـرب، وأن نعطـيَ الفرصة للأعداء ليشـقوا صفوفنا من خلال هذه الخلافات، وليغزوا أوطاننا بشـعار حماية هذه الأقلية المذهبية أو تلك، أو بمبرر الدفاع عن الحريات الدينية وحقوق الإنسان؟

عندمـا يكـون النـزاع والاحتراب الداخلي سـببًا يـؤدي إلى توقف مسـيرة التنمية، وضيـاع الثـروات والإمكانـات والقدرات والطاقـات، ويعطي فرصة للقـوى الأجنبية للتدخل والهيمنة على مقدرات أمّتنا، وبسـط النفـوذ فيها، فكيف يمكن جمع وتوحيد أبناء هذه الأمة، المتعددة الطوائف والمذاهب، على مشروع إنساني وحضاريّ واحد، يسـتهدف بناء مجتمع متماسـك، ويحمل في مضمونه رسالة الحرية والعدل والكرامة لكلّ البشرية، ويبشرهم بها ويدعوهم إليها؟

8- في النقد الذاتي

لعـلّ من المسـائل المهمـة التي يقاربهـا الكتاب هي مسـألة النقد الذاتـي، وأهمية مراجعة الذات واكتشـاف شـوائبها، ونقـاط الضعف والثغرات فيهـا، وأن يكون هناك جرأة في مناقشـة الثقافـة المذهبية، والتراث الذي تنهل منه وتسـتند إليه، خصوصًا بما يرتبـط بمسـألة التحريض على الآخـر والعلاقة معه؛ لأن ثقافتنا الدينية السـائدة – كما يشـير المؤلف – مشـبّعة فـي طرحها المذهبي بمـا يدعو إلى التباعـد والتنافر بين أتباع المذاهـب الإسـلامية. ومع أن نقـد الآخر وإبراز عيوبـه وأخطائه والتشـهير بها يعتبره البعـض عمـلًا بطوليًّا وفتحًـا مبينًا ودفاعًا عن الدين والعقيـدة، إلا أنهم من جانب آخر يتجنبون نقد ذواتهم ولا يجرؤون على مساءلة ومراجعة تراثهم، حيث يكاد يكون ذلك خطًّـا أحمـر لا يمكن تجـاوزه، ويصل الأمر إلى حـدّ تجريم النقد الذاتي، أو ممارسـة

حرية التعبير عن الرأي داخل كلّ مذهب، وإذا ما تجرأ أحد على التصريح برأيه ووجهة نظره، عُدَّ ذلك نوعًا من التنازل للطرف الآخر، ومساومة على العقيدة والمبدأ.

9- العقلية الأحادية

لعلّ أحد الإشكاليات التي يعاني منها العقل المسلم، هي في الادّعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة، وأنه ينفرد دون غيره بها. إن سيادة العقلية الأحادية التي تُلغي الآخر وتهمشه، من الكوارث التي أهلكت الحرث والنسل، وفاقمت من المشكلات الحضارية في مجتمعاتنا، وأدّت بها إلى التراجع والتخلف عن ركب الحضارة الإنسانية، ويرى المؤلف أنّ المشكلة في الصراع والتنافس المذهبي يتمثل في الموقف من وجود رأي آخر، حيث يرى كلٌّ في نفسه الأهلية والمكانة والحقّ في فهم الدين وتفسير نصوصه، وأن على الآخرين الانقياد له، والإذعان لأمره، والأخذ برأيه، وإلّا فإنهم مخالفون وخارجون عن العقيدة، ويجوز التصدّي لهم ومواجهتهم بشتى الوسائل والطرق. والمؤلف يذهب إلى أن الخلاص من مثل هذه العقلية يحتاج إلى إقرار مبدأ التعددية والاعتراف بالرأي الآخر واحترامه، واعتماد نهج الحوار ومقارعة الحجة بالحجة، دون إساءة أو عدوان، بل بالحوار والجدال بالتي هي أحسن.

والسؤال: إذا كانت هذه هي العقلية السائدة والمهيمنة والمتغلغلة في النسيج الفكري والثقافي، وفي الوعي العام في مجتمعاتنا، فكيف يمكن تصور الخروج من هذه الكارثة من خلال الدعوة إلى تغيير نمط التفكير وإقرار هذه المفاهيم الجديدة، وهو الأمر الذي يعني تغيير شامل للثقافة السائدة واستبدالها بأخرى تتواءم والتطورات الفكرية والثقافية الحادثة في عالم اليوم؟، على أن السؤال الأكثر أهمية، هو: كم من الوقت نحتاجه من أجل الوصول إلى هذه الثقافة الجديدة؟

إنه لمن المؤكد أن مسألة المراجعة ونقد الذات من الأمور الصعبة والموضوعات الحسّاسة التي تحتاج إلى الجرأة والشجاعة لسلوك هذا الطريق المحفوف بالمكاره، إلا أن السؤال: ما قيمة العودة إلى الماضي واستدعائه، وما هو المردود المرجو من

مراجعة كهذه قد تُكلِّف الكثير من الوقت والجهد، وأيضًا للثمن الكبير الذي يمكن أن يدفعه من يجرؤ على دخول عشّ الدبابير؟ وهل المردود من هذا النقد يستحقّ كلّ هذا الثمن المدفوع؟

10- دور النخبة الإيجابي في التصدي للمشكلات الطائفية

دائمًا ما يشير الكتاب ويتطرق إلى دور النخبة في مسألة الطائفية، وحساسية وخطورة هذا الدور وأهميته، حيث يؤكّد المؤلف أن من واجب العلماء والدعاة أن يُنذروا من تصل لهم دعوتهم من خطر الطائفية الزاحف، وأن يجهروا بكلمة الحقّ في الدعوة إلى الوحدة والتقارب والتآلف ومجابهة باطل التفرقة والتمزق والانقسام، والمساهمة في نشر الوعي والتبشير بثقافة الوحدة والتقارب بين أبناء الأمة والوطن، ووضع حدٍّ للتعبئة المذهبية، والعمل على عدم ترك السّاحة للمتشدّدين والجاهلين من الذين يثيرون المشاكل والفتن، وتوجيه أنظار أبناء الأمة لهموم الحاضر وللبناء والتنمية الشاملة في أوطانهم. كما أن من واجبهم تحمل مسؤولية تذكير الأمة بمبادئ دينها وتوعيتها بأخطار التحدّيات المحدقة بها، وتبصيرها في مواجهة الفتن والشبهات. كما تلعب اللقاءات والتواصل بين النخب دورًا مهمًّا في تنقية الأجواء فيما بينها، وخلق حالة من الودّ، وتفتح المجال لخلق حوارات معمّقة وجادّة تتمخّض عن توصيات وتوجّهات وقيم يمكن التبشير بها في أوساط تيارات كل فئة.

11- في دور النخبة السلبي

إذا كان هناك دور إيجابي يجب أن تمارسه النخبة المسؤولة، فإن الواقع المعيش لا يخلو من نخب لا هَمّ لها إلا إثارة الشكوك والاتهامات ضد دعاة الوحدة والتقريب، لتبرير تقاعسها وكسلها وانكفائها، أو لاستفادتها واستغلالها الواقع السيئ والفاسد والسلبي الذي تمرّ به الأمة من أجل تمرير أغراضها وتنفيذ مآربها، فهي لا تجيد غير لغة التعبئة الطائفية، وإنتاج خطابات تعبوية مغرضة، وإثارة المشاعر ودغدغة العواطف

المذهبية، حيث ترى أن إصدار الفتاوى التكفيرية، وإثارة الكراهية تكليفًا شرعيًّا، مما يؤدّي إلى تأجيج المشاعر وتعبئتها، وإثارة الضغائن والأحقاد، وفتح ملفات الماضي السحيق وخلافاته العقدية والفقهية، وتجميع أوراق السقطات والأخطاء، وكلّ هذا يؤدي في نهاية الأمر إلى خلق وإيجاد مناخات تبعث على الفرقة وتعمق الخلافات، وتدفع باتجاه التصادم بين أبناء الأمة، والانزلاق إلى أوحال الفتنة ومتاهاتها السوداوية الكالحة.

ولعلّ السؤال، بعد أن رأينا هذين النموذجين، هو: كيف يمكن التصدّي لدعاة الفرقة والفتنة وتعريتهم وفضحهم والتحجيم من دورهم، وفي المقابل كيف ينمو ويزداد عدد أفراد النخبة المسؤولة والجادة، وما هي طرق وأساليب تطويرها وتنميتها والرقي بممارساتها وأدوارها؟

12- دور النخبة في التواصل

يشير الكتاب إلى أن هناك إشكالية في التواصل بين علماء ومثقفي المذاهب الإسلامية، وأنها ضيقة وفي حدودها الدنيا، حيث لا تتناسب مع تطلّعات وحدة الأمة، في ظلّ الانتكاسات الصعبة والانكسارات المؤلمة التي تمرّ بها، حيث تنكفئ النخبة على ذاتها، حيث تستغرقها وتستهلكها قضايا وشؤون مجتمعاتها الداخلية، وتتذرع بمختلف الأسباب والمبررات الفكرية والنفسية والاجتماعية للعزوف عن الانخراط في هذا المجال الحيوي. والمؤلف يدعو إلى التفكير في هذه المسألة ومعالجة هذه الحالة من خلال برامج الحوزات والجامعات والمراكز الدينية، وأن يكون مجال التقريب والتواصل جزءًا من برامج ودروس هذه الجامعات والمجمعات الدينية.

والسؤال: لماذا تفضل النخبة، المُعوَّل عليها ممارسة دور التواصل والتقريب، حالة الانكفاء على الذات، وما هي أسبابها ومبرّراتها في عدم الاهتمام والعزوف عن العلاقة مع الآخر، وإقامة العلاقات والصداقات وتبادل الزيارات؟ وما هي جدوى الانفتاح والتواصل مع الآخرين، وما هي آثار ذلك الآن ومستقبلًا؟

إذا كان هنـاك من أهمية وضـرورة للعلاقة مع الآخر والتواصل معه، لانعكاسـات هـذا الأمـر الإيجابية علـى أوضاع النـاس الحياتية والأمنيـة، فلماذا هـذا العزوف عن الانخراط في ممارسـة هذا الدور، هل هو نتيجـة النقص في ثقافة التواصل والتقريب، أو بسـبب الانطباعـات السـلبية عـن مؤتمـرات ومحافل التقريـب، أم أن هنـاك نقصًا فـي الكـوادر المؤهلة لممارسـة هذا العمل، وكيـف يمكن العمل علـى تأهيل وتطوير الكفاءات المناسبة للقيام بهذا الدور؟

إذا كان هناك عزوف وانكفاء وعدم رغبة أو حماس عند الكثير من النخب للمشاركة في جهود التقريب ونشـر ثقافة التسـامح، بالإضافة إلى النقص في الكفاءات المؤهلة، أو قلّـة عددهـا، فهل يعني ذلـك أن حلم التقـارب والتقريب والتسـامح والتعايش في سِـلمٍ وحبٍّ ووئام، هي مجـرّد أحلام طوباوية لن تتحقق مهما عمل العاملون وسـعى السـاعون، وأن الجهـات الأكثر تطرّفًا وتعصّبًا هي التي سـوف تملأ السـاحة بحركتها وفعلها وصوتها؟

13- ازدواجية الخطاب

كم هو مقدار التناقض الذي تعيشـه الكثير من النخب، والازدواجية التي تمارسـها في سـلوكها وممارسـاتها وأقوالها، وكم هم هؤلاء الذين يقولون أشـياء في العلن، إلا أنهـم لا يلتزمـون بها في ممارسـاتهم، أو يمارسـون أشـياء تتناقض مع مـا يدعون إليه مـن قيـم وفضائل، أو تراهم يقولون أشـياء لك وأمامك، لكنهم مـن خلفك يقولون ما يخالفـه. إن هذا السـلوك عمل ممقوت من أيّ أحدٍ، إلا أنه أكبـر مقتًا عندما يصدر من النخـب التي تدَّعي توجيه الناس وإصلاحهـا، وتدعو في العلن، أو في الغرف المغلقة إلى الالتزام بقيم التقارب والتعايش والتسامح والتآخي والتآزر، إلا أنها عمليًّا لا تلتزم أقوالها، وهو الأمر الذي يفقد هؤلاء المصداقية عند عامة الناس، وتجعلهم يُشـكّكون في أقوالها وخطابها، أو في أعمالها وسلوكها.

إنّ هـذه الحالة من الازدواجية في الخطاب والتناقض في السـلوك والممارسـات

مـن القضايـا التي أثارها المؤلف في بعض فقرات الكتاب، مشـيرًا إلى أنه ليس مقبولًا أن يتحـدث البعض منا في جلسـات الحـوار بلغة الوحدة الدينيـة والوطنية، وأن يظهر الاحتـرام للرأي الآخـر، ويدعو إلى مواجهة الأخطار المحدقة بالدين والوطن، فإذا ما عاد إلى وسـط جمهوره وتيّاره، خضع للأجواء السـائدة، مـن تجاهل الآخر، والدعوة إلى إلغائه، واسـتخدام لغة التشـدّد والتزمّت، مضيفًا أن تياراتنا تعيش آثار ثقافة التعبئة ضـدّ الآخـر، وأن على النخبة مواجهة هذه الثقافة بنشـر ثقافة التسـامح، والتزام العدل والإنصـاف، والتحلّي بالجرأة للارتقاء بمسـتوى الناس إلى آفاق أخلاق الإسـلام، لا الانجرار مع التوجّهات الهابطة والخضوع لضغوطها.

إنّ تجاوز مشـكلات الخلافات الدينية والمذهبية، والسـعي إلى حلّها وتجاوزها، من خلال الالتقاء والتحاور، سـيكون أمرًا صعبًا على تلك النخب التي نهلت من ثقافة التحريـض على الكراهية والتعبئة والتجييش ضد الآخر والمختلف، الذين سـعوا إلى تربية الأتباع وتثقيفهم على هذه الثقافة سنين طويلة، حيث يصعب عليهم الإعلان عن آرائهم بشكل علني وجريء وصريح؛ لأنّ هذا الأمر سيؤدي إلى إثارة الأتباع وغضبهم ونفورهم، بسـبب كونه، من وجهة نظرهم، خروجًا عن الديـن والثوابت والمعتقد، أو لكون هذه النخبة مارست الخداع والتضليل معهم.

الانسـجام مع الذات والصدق معها يتطلّب الجرأة على إعلان الحقيقة والتمسـك بها على الرغم من الثمن الذي يمكن أن يدفعه الإنسـان من رصيده وسـمعته وحجمه ومكانته، فعندما يكون الإنسـان أو العالم واثقًا من نفسه ومن الاستنتاجات التي وصل إليها بعـد البحث والمراجعة والتدقيق، فلن يكون من النزاهة إخفاء الحقيقة وحجبها، حتى وإن كان هناك الكثير ممن يختلفون مع هذه الاسـتنتاجات الجديدة؛ لأنه بالتأكيد لن يعدم الأمر ممن يمكن أن يسـمعوا القول الجديد ويحاوروه ويناقشـوه وإذا اقتنعوا به أخذوه، إلا أنّ المهم سواء قبل الناس هذا الرأي أو رفضوه، ألّا يتم ذلك إلا بالحوار والجدل بالتي هي أحسـن، بعيدًا عن لغة العنف، وعنف الكلمة؛ لأن القناعة التي تأتي

بالقصر والإكراه، لا تلبث أن تتلاشى بعد حين.

إذا كان أمـر إعلان الحقيقة والإعلاء من قيمتها شـيئًا يحتـاج إلى جرأة وتضحيات صعبة، إلا أن خوف النخبة من فقدان الشعبية وتشتت المريدين من حولها، من الأسباب التي تحول دون هذه الجرأة، والمؤلف كونه رجل دين وصاحب خبرة وتجربة في هذا المجال يكشف أن الساحة الدينية لا تخلو من حالات المنافسة الداخلية بين الاتجاهات والشخصيات الدينية، حيث يخشى العلماء الراغبون في الانفتاح على الآخر، استغلال منافسـيهم للأمر في ساحتهم الداخلية، للتشكيك في صلابتهم المذهبية، ويشرح ذلك بقوله: إنه التقى شخصيًّا مع عدد من علماء السنة والشيعة، ووجد لديهم رؤية طيبة في هـذا الاتجاه، لكنهم يعتذرون عن عدم إعلان رأيهم، أو إظهار علاقتهم وتواصلهم مع علماء من المذهب الآخر، مراعاة لمشاعر جمهورهم، وخوفًا من استغلال منافسيهم.

إنّ مـا يحول بيـن المرء والتصريح بالحقيقة والجهر بها، هـو ضعف الثقة بالذات، أو لعـدم امتلاكها ما يكفي من الخلفية الثقافية والعلمية التي تسـند قناعاتها، أو ضعف المنطق الذي تتكئ عليه في تناولها للقضايا المطروحة، أو هشاشـة اللغة والأسـلوب والتجربة الحوارية التي لا تمتلك من عدّتها وأدواتها ما يؤهّلها لقابليه النجاح والتفوق في التعاطي مع الحوار بكلّ جدارة واقتدار.

14- من الأقوال إلى الأفعال

دائمًـا ما يُعاب علينا أننا ظاهرة صوتية، نكثر مـن الكلام والصراخ بعيدًا عن الفعل والإنجـاز، نتيجـة عجزنا وكسـلنا، وعدم بذل الجهد فـي تحويل ما نقولـه إلى أفعال. والمؤلف يقول: إننا دائمًا ما ننشـغل كثيرًا بالكلام عـن الوحدة، كمفهوم وفكرة عامة، وكعنـوان وشـعار عريـض، إلّا أننـا لا نقترب من الحديـث عن آليـات وأدوات الحالة الوحدويـة، فإذا لم نجتهد في وضـع خارطة طريق توصلنا إلى الوحدة والتقارب، ولم نبحث في الخطوات العملية التي يجب اتّخاذها لإنجاز الهدف المطلوب، فإن المسألة ستبقى مجرد حبر على ورق دون أن يتحقق شيء على أرض الواقع.

والكاتب يؤكّد أنه دون الانتقال إلى البرامج العملية، والخطوات التنفيذية، لتفعيل مكاسب اللقاءات والحوارات، وتطبيق توصياتها، وبلورة إرادة التقارب والوحدة، بالمناقشة الصريحة، والحوار الموضوعي، فإنها ستصبح مجرّد كلام في كلام، وعملية روتينية مكررة في تبادل كلمات الإطراء والمجاملة، حيث تفقد هذه الاجتماعات بعد ذلك وهجها، وتضعف مصداقيتها أمام كلّ المتطلّعين للإصلاح والتغيير والتطوير.

15- نتائج العمل

إنّ عملية التغيير الاجتماعي، ونشر ثقافة التعدد والتسامح والتعايش، وقبول الآخر واحترام رأيه، ونقل مستوى الوعي إلى مستوى الحصانة الفكرية والثقافية، التي تمنع الانجرار إلى حالة التخاصم والتباعد والجفاء والإقصاء والإلغاء وممارسة التطرف والعنف والإرهاب، هي ليست أمورًا يمكن تحقيقها بين عشية وضحاها، وإنما القضية تحتاج إلى زمن ووقت حتى تبدأ عمليات التحول والتغيي. وفي الكتاب يمكن ملاحظة هذه الرؤية من خلال إشارة المؤلف إلى أنه ليس من المتوقع إنهاء آثار ومضاعفات فترة طويلة من سوء الفهم والجفاء بين عشية وضحاها؛ لأنّ هناك من تربَّوا على منهج التعصّب، وارتبطت مصالحهم بالأحادية والغلو.

ومع إدراك المؤلف هذه الحقيقة، وصعوبة تحقيق التغيير المرتجى، واحتمال أن يستغرق فترات طويلة من الزمن، إلا أنه وفي عديد من مواضع الكتاب يصر ويؤكّد ويحث على العمل والكفاح والنضال في سبيل تحقيق هذا الهدف مهما كان تواضع النتائج، ومهما عظمت المشكلات وكبرت المصاعب. وتتحلى نبرة المؤلف في هذا الإطار دائمًا بالتفاؤل وعدم الإحباط، والمهم - كما يقول - ألَّا نسمح للانتكاسات التي تحدث بين فترة وأخرى أن تتحول إلى حالة إحباط ويأس في النفوس، أو أن تؤديَ إلى التراجع في العزيمة، أو الخفوت في مستوى التطلّعات التي يؤمن بها شريحة من أبناء هذه الأمة.

إذا كانت الأهداف والرؤى والمشاريع لا تتحقق إلّا من خلال وجود برامج

وخطط تحدّد الوسائل والطرق لتحقيقها، بالإضافة إلى وجود الكوادر المؤهلة للقيام بتنفيذ المشروع، ومع الأخذ بعين الاعتبار إمكانية حدوث مشكلات ومصاعب ذاتية وموضوعية تؤدي إلى تعطيل أو تأخير التنفيذ، أو حتى إلقائه، إلّا أنّ السؤال، هو: ماذا سيكون عليه الأمر والوضع في حال لم يكن هناك، لا مشاريع ولا خطط ولا كفاءات ولا هم يحزنون؟

16- التشدّد الشيعي

هل التسامح والتعايش والتقريب والوحدة وغيرها من مفاهيم وقيم هي أمر مستجدّ وطارئ ومستحدث، أم هي أمور متأصّلة في بنية ثقافة الإنسان المسلم وحياته، أم أنّ القضية هي على العكس من ذلك، حيث إنّ هذه القيم ذات جذور عميقة وصلبة في ثقافة الإنسان المسلم، وأن أمر التشدّد والغلوّ والتطرف وكلّ هذه القيم السلبية هي الأمر الطارئ والدخيل على فكر وثقافة الأجيال الجديدة، وهل يمكن القول أيضًا: إنّ الدين يمتلك قيمًا رفيعة وخلّاقة، إلّا أن المشكلة تكمن في هذا الإنسان الذي لم يستطع استيعاب وفهم هذه القيم وتربية نفسه عليها وممارستها بشكل إنساني في الواقع المعيش؟

عندما عاشت أمّتنا في غابر الأزمان فترات مليئة بالصعاب والمشكلات الناتجة عن الاحتراب الداخلي والفتن بين أطيافها المتعددة، حيث سادت وهيمنت وخيمت أجواء الظلام والتخلف وشريعة الغاب، فإنه بالتأكيد لا يخلو هذا التاريخ، وما فيه من تراث، من فترات عمَّ فيها النور الضوء، وساد وانتشر فيها الضياء. على أن هذا الماضي بكل ما فيه من نور أو ظلام، يحتاج منّا إلى المعرفة والدراسة والعلم والمراجعة، من أجل القيام بعمليات الفرز والتقييم، ومن ثم الإجابة عن كلّ الأسئلة التي يمكن أن ترد على العقل، ليمكن بعد ذلك الأخذ والترك من هذا التراث والإرث المنقول.

والحاضر هو أيضًا لا يخلو من المشكلات والعيوب، سواء كانت مستجدة تفرزها حركة الواقع المعيش، أو كانت نتيجة انتقال إرث ثقافي ورثناه من السّابقين، الذين

عاشـوا فترات وظروف حتمت عليهم اجتهادات واسـتنتاجات تتوافق والمراحل التي عاشوا فيها، إلّا أنها قد لا تتفق مع العصر والزمن الحاضر، الذي حدثت فيه الكثير من التطـورات والتغيـرات المادية والثقافية، ما يجعل أمر فهم الحاضر واسـتيعابه ضرورة ملحّة حتى يمكن القيام بعملية المواءمة بين الدين والدنيا بطرق خلّاقة.

إنّ عمليات المراجعة والتقييم أمر مطلوب ليس فقط من جهات دون أخرى، وإنما هـو أمـر مطلوب وملحّ من الجميع دون اسـتثناء، ولا يحسـبنّ أحدٌ أن هـذه المراجعة وعمليـات محاسـبة الـذات تعنـي تدمير الـذات، أو أنهـا تراجـع، أو تنازل عـن القيم والمبـادئ، وإنمـا هـي مراجعـات لا تأتـي إلّا من موقف قـوة واقتدار، لإزالـة ما علق بالذات من شوائب وآثار من تلك الفترات الخاوية من تاريخ أمتنا الكبرى.

والمؤلف يلاحظ في أحد موضوعات الكتاب أن السّاحة الشيعية، حيث هو ينتمي إليها، لا تخلو من اتجاهات متشدّدة مذهبيًّا، لقناعاتها الفكرية، أو لنهج تعصّبي، أو ردّ فعل لتطرف من الجهة الأخرى، هذه الاتجاهات الشيعية المتطرفة، تشكل ضغطًا على خطّ الاعتدال الشيعي العام، بدغدغتها للمشاعر الطائفية، وطرح نفسها كسور حصين للدفاع عن العقيدة وحمايتها، وهي بطروحاتها المغالية، ونيلها من رموز الطرف الآخر، انطلاقًا من فهمهـا لقضية التولّي والتبرّي، تعطي المبررات والأوراق لجهات التطرّف السني، وهكذا تستمر لعبة الفعل ورد الفعل، بين جهتي التطرف الشيعية والسنية، على حساب مصلحة الدين والأمة، مما شكل ضغطًا على دعاة التقريب والاعتدال، ويعوّق مسيرتهم.

من الممكن فهم واسـتيعاب ما أشـار إليه المؤلف من أن التشـدّد والغلو والتطرف مـن جهـة ضد أخـرى، يولـد ردّ فعل مقابـل من الجهـة المقابلة، يتّسـم أيضًـا بالعنف والتطـرف، إلا أن ما ينبغي فهمه وتوضيحه وشـرحه من قبل المؤلف: ما هو المقصود بالقناعـات الفكرية، أو النهـج التعصّبي، والطروحات المغاليـة الناتجة عن فهم قضية التولي والتبري، الذي يولد التطرف في الساحة الشيعية، فهل هذا التشدّد هو أمر طارئ

ومؤقّت، أم له أسس بنيوية متوارثة صعبة التغيير؟

لقد أشـار المؤلف فـي موضوع آخر من الكتـاب، إلى أن هناك انبعاثًا لتيار سـلفي شـيعي، يركز علـى قضايا الخلاف ويضخّمها، ويجدّد طروحـات الغلو والمبالغة، في بعض القضايا الولائية الشعائرية، مما يربك السـاحة الشـيعية الداخلية، ويقدم صورة منفرة عن المذهب للآخرين، ويعطي الذرائع للمتطرفين من الجهة الأخرى، ضدّ أتباع أهـل البيت فـي مختلف المواقـع، ويضيف المؤلـف: إنّ نمو هذا التيار سـيكون على حسـاب أصالة مدرسـة أهل البيـت، ويزيد في تعقيـد العلاقة مع بقية المسـلمين، كما سينفّر الشرائح المثقفة الواعية من أبناء الشيعة.

كمـا أشـار المؤلف إلى أن النيل من رموز الطرف الآخـر يُعقّد من العلاقة بين أبناء هذه الأمة، ويسبب الحرج الشديد، ويعطي الفرصة والمبرر للجهات المتطرفة لتعميق الشرخ والهوة بين الطوائف. وإذا كان من حقّ الشيعة أن تكون لهم رؤيتهم وقناعتهم ـ كما يقول المؤلف ـ فإنه ليس من حقّهم الإسـاءة إلى رموز ومقدّسـات الطرف الآخر؛ لأن ذلـك يُشـكّل انحرافًا عن تعاليم الديـن وآدابه، ويؤدي إلى الفتـن وتخريب وحدة الأمة. ودعا إلى معالجة جريئة لهذا الأمر من قبل المرجعية الدينية والجهات القيادية، وإلّا فـإن مسـيرة التقريب تبقـى متعثّـرة، وأرضية الفتنة سـتبقى خصبة أمـام الطامعين والمغرضين.

وقـد دعا المؤلف إلى تسـليط الأضـواء على بواعث هـذا التيار السـلفي في البيئة الشـيعية ودوافعـه، والحـذر مـن تغلغلـه في الحـوزات والمؤسسـات الدينيـة، ودعم توجّهات العقلانية والاعتدال والانفتاح. وأن يكون للعلماء وكبار المرجعيات دور في ترشـيد توجّهات الجمهور، وتشـجيع جهود التقريب والوحدة، والدعوة إلى التسامح والتقارب والتعايش، والانتصار لخطّ الاعتدال، وكبح جماح جهات التطرّف والتشدّد.

17- هل التقارب والتعايش يعني تقديم تنازلات على حساب العقيدة والمذهب

هـذه من الإشـكاليات التي أثارها الكتـاب وحاول المؤلـف معالجتها ضمن أحد موضوعاته متسـائلًا: هـل الوحدة بين المسـلمين لا تتحقق إلا بإلقـاء طرف لآخر، أو اندماجه فيه، وهل هذا الأمر يمكن أو يعقل، وعندما تخبرنا تجربة القرون الماضية منذ بزوغ شـمس الإسـلام إلى يومنا هذا، أن هذا الأمر لن يتحقق، فهل نظلّ نصرّ ونقضي أوقاتنـا وحياتنـا فـي أمر وقضايا سـوف تسـتهلك كلّ حياتنا وأعمارنـا دون أيّ مردود يذكـر، أم أن المسـألة تحتاج منّا إلى التفكير والوعي وبُعـد النظر، والتخطيط لحاضرنا ومسـتقبلنا بطرق يكـون مردودهـا الإيجابي لصالح الدين والإسـلام والإنسـان مهما كانت عقيدته وانتماؤه؟

يذكـر المؤلـف أنّ هنـاك متحفّظيـن على دعـوات الوحـدة والتقريب في الوسـط الديني، يثيرون مشـاعر القلق من تقديم التنازلات للطرف الآخر على حسـاب العقيدة والمذهـب، إلّا أن المؤلـف يدحض هذا القلق والتوجس غير المبرر بقوله: إن العلماء الوحدوييـن منـذ بدايـة مسـيرة التقريب فـي هذا العصـر تحدّثـوا بأن غـرض الوحدة والتقريب هو تحقيق التعايش بين أبناء الأمة، وتوفير أجواء الاحترام المتبادل، والسعي للتعاون في خدمة المصالح المشتركة.

لذلـك فإنّ الوحـدة والتقريب لا تعني التحول من مذهب إلـى آخر، ولا هي تنازل مـن أحد عن معتقداته وآرائه؛ لأنّ أمور العقيدة والدين لا تقبل المسـاومة، وهي شـأن قلبي يسـتعصي على الإخضاع، وإذا كان هناك من شيء يجب التنازل عنه فهو الإساءة والعدوان وإثارة خطابات التحريض والكراهية والتكفير، وكلّ الممارسـات والأفعال والأقوال، التي تؤدي إلى إضعاف الأمة وتشـتيتها، وينزلق بها إلى الدرك الأسـفل من الهاوية.

إذا كانت الوحدة والتقارب والانفتاح لا تعني التنازل عن أيّ شيء من المعتقدات علـى الإطـلاق، إلّا أنه يمكـن تقديم التنـازلات، كما يقول المؤلف، في الممارسـات

العبادية والخارجية، اتّقاءً للسوء والأذى، أو من أجل صيانة أجواء التعايش، وجلب المحبة وحفظ وحدة المسلمين ودفع الضغائن، ومع ذلك فإنه من المهم في هذا العصر على دعاة الوحدة والتقريب نشر ثقافة حرية الاعتقاد، ومعارضة أيّ قيود على الشعائر والممارسات الدينية؛ لأنّ عالم اليوم لا يقبل تقييد الحريات الدينية.

إنه لمن المؤكّد أن تغيير نمط التفكير عند عامة الناس، ودعوتها إلى تقبل الآخر واحترام آرائه ومعتقداته، يحتاج إلى عمل كبير وجهد فعَّال ومتواصل، لا ينحصر في النقاشات والحوارات بين النخب داخل الغرف المغلقة فقط، وإنما تحتاج إلى ممارسات عملية على أرض الواقع، من خلال نزول هذه النخبة إلى الناس وتوعيتهم، ليس فقط من خلال إخبارهم وإعلامهم بنتائج مؤتمرات كهذه، وإنّما أيضًا من خلال ربط هذه النتائج والأفكار والرؤى الجديدة بتأصيلها دينيًّا، وذكر الحوادث والشواهد التي تثبت أن الدين أو التراث الديني، يزخر بالقيم والأفكار والممارسات الإنسانية الخلّاقة، التي عاش فيها أبناء الدين الواحد في ظلّ أجواء المحبة والتعاون والتكاتف والتآزر من أجل مصلحة هذه الأمة.

18- تجديد الخطاب الديني

إنّ وصف واقع حال الأمة والتحدث عن ظواهرها السلبية وتحديدها لهو أمر بالغ الأهمية، إلّا أن الأهمّ من ذلك هو البحث عن الجذور التي تكمن خلف هذه الظواهر ومعرفة مصادرها، فهل مشكلة الأمة اليوم تكمن في النصوص أم هي تكمن في النفوس؟ أم أن المشكلة تكمن في فهم النصوص وتفسيرها، أم في عودتنا إلى ما ورثناه من تفسيرات للنصوص قدّمها الأسلاف والأوائل؟

إنّ كثيرًا من الإشكاليات والصراعات الطائفية التي تعانيها الأمة اليوم، ناتج عن الإرث الثقافي الذي خلفته النخب الدينية التي تصنع الأفكار والاجتهادات والرؤى، حيث اتّسمت هذه الثقافة بطابع التعبئة والتحريض ضدّ الآخر، وإيغار الصدور بالأحقاد، مما يؤدي إلى زيادة التباعد والفرقة بين الناس، وتقف حجر عثرة أمام أيّ

جهـود للتقريـب والوحدة، إلّا أن هذه الإشـكاليات المزمنة والراسـخة فـي الثقافة لن تحـلّ إلّا من خلال تحديث الخطاب الديني وتجديـده، وهو الأمر الذي يتطلب ـ كما يقول المؤلف ـ تحديث عقليات المنتجين للخطاب الديني. وهذا يقودنا ـ كما يضيف المؤلف ـ للحديث عن أوضاع الحوزات العلمية والجامعات، والمعاهد الشرعية التي تُخرِّج القضاة والدعاة والمبلغين، حيث إنّ المناهج الدراسـية في الحوزات والمعاهد الدينيـة تحتـاج إلـى الكثير مـن التطويـر، بحيث تعيد الإسـلام إلـى أصالتـه وتتجاوز تراكمـات الخلافـات والصراعـات المذهبيـة، وتتجـاوز عقلية الأسـر لآراء السـلف والعلماء الماضين، وأيضًا أن يكون في هذه المناهج انفتاح على الفكر البشري، فليس كلّ ما أنتجه البشـر فـي المجتمعات الأخرى باطل وكفر، وإنمـا فيه ما هو مفيد وعلينا أن نستفيد منه.

فهل تقرّ المؤسسـة الدينية بوجود نقص في تكوينها وبنيتها، وهل تتقبل هذا الطرح وتتجاوب معه، وما هي ردود فعلها على ما يمكن أن يُوجَّه لها من نقد؟



الأب زحلاوي عن كتاب «التسامح وثقافة الاختلاف»:

7

رؤية واضحة في زمن ملتهب

لقد طالعت هذا الكتاب بارتياح كبير، وبمنتهى التأني، ففيه من صفاء الروح، ووضوح الرؤيا، وسلاسة التعبير، وموضوعية المعالجة، وحسن الاستشهادات، وصدق التحليل، وشجاعة الاستنتاجات والمقارنات، ما يدهش القارئ... الذي لم يُتح له أن يعرف مؤلفه!

أما وقد أُتيح لي أن أتعرّف إليه، منذ ما يقارب سبع سنوات، فلم أفاجأ. فقد وجدته في الكتاب، كما عرفته خلال ثلاثة لقاءات كانت لي معه، يصعب عليَّ نسيانها.

أوّلها كان إبان حوار مدهش حقًّا، دار بيننا في ندوة ضمتنا على شاشة التلفزيون العربي السوري، ونزل أثناءها، شيئًا فشيئًا، منزلة الأخ والقريب، في قلبي.

ثانيها كان إبان زيارة جاءني فيها، بُعيد الندوة، إلى مكتبي في كنيسة سيدة دمشق، بدمشق. وتبيّن لي، عبر أسئلته الكثيرة والمباشرة، مدى حبّه للحقيقة، وصدق انفتاحه على «الآخر».

وكان ثالثها لقائي به في مركزه، بمجمع السيدة زينب، بالقرب من دمشق، حيث استقبلني في بساطة ابن الصحراء ونبله.

وإني لأرى أن هذا الكتاب أحاط بموضوع «التسامح وثقافة الاختلاف»، البالغ الدقة والحساسية، إحاطة هادئة إنسانية وشاملة، في زمن تلتهب فيه، لأدنى الأسباب، المشاعر والألسنة، بل والعقول، وقد تجلّى فيه ما يمتلك من معرفة واقعية وعميقة،

للنفس البشرية، وهي معرفة تجمع بين أدقّ التفاصيل وأبرز النتائج، الإيجابية منها والسلبية، وذلك لا على الصعيد الشخصي والجماعي وحسب، بل الوطني والإنساني أيضًا. كما أنه يبدي مرونة موضوعية ونادرة، في أمور دينية هامة، دفعته للتذكير بأن خدمة الناس واحترامهم يأتيان في مرتبة «أهم العبادات» في الإسلام.

كلّ ذلك ينساب عبر فصول تترابط عضويًّا وتتكامل، وفي لغة واضحة محببة، يحرص معها المؤلف على تدعيم آرائه واستنتاجاته، بمراجع دينية وعلمية واجتماعية، لا تقلّ عن ثلاثة وخمسين مرجعًا.

ويطيب لي أن أشير إلى ميزتين جليّتين لديه: الأولى، وهي أنه يتقن تجنّب التكرار والاجترار، والثانية أن استشهاداته كلّها، ولا سيما استشهاداته بآيات القرآن الكريم، جاءت وجيزة، وافية، وملائمة.

وقد يأخذ عليه بعض الباحثين أو النقّاد أو القرّاء، إعراضه المتعمّد عن كلّ ما من شأنه أن يثير جدلًا حول ما أشار إليه من تأخّر المجتمعات الإسلامية، وهو المطّلع، دون أدنى شكّ، على ما كان عليه المجتمع الإسلامي والحضارة العربية، من تطور فكري وديني واجتماعي وفلسفي وعلمي، يوم كان الغرب لا يزال يحبو على دروب الحضارة.

إلا أني أرى أنه تلمّس بذلك، في صدق وجرأة، بعض الثغرات الأساسية في المجتمعات الإسلامية، وفتح ما يبدو لي، على صعيد الحرية الفكرية بكافة أبعادها، وعلى صعيد المبادرة، الفردية والجماعية، آفاقًا واسعة، لا يجوز إغفالها بعد اليوم، ويجدر بكل من يتولى السلطة في هذه المجتمعات، إنْ على صعيد البيت أو المؤسسات العامة، أو على صعيد الدولة، أن يطيل التأمل الصادق فيها، قبل أن يستبعدها، ليبقي واهمًا الوضع الراهن على حاله، وإلّا استبعد ذاته ومجتمعه من الحياة الفاعلة في التاريخ.

وفي هذا السياق بالذات، أطرح في ختام هذا التقديم الوجيز، سؤالًا ملحًّا، فرضته عليَّ مرات كثيرة، قراءتي لهذا الكتاب بالذات، كما كانت قد فرضته عليّ قراءة العديد من الكتب العربية والأجنبية، التي تناولت الإسلام وتاريخ المسلمين والعرب. وإني لأرى في هذا السؤال ما يمسّ في الصميم كلّ إنسان عربي، مسلمًا كان أم مسيحيًّا؛

لأنه يمسّ قناعاته الأساسية، كما يطال مبرّر وجوده ودوره في عالم يهدّد حتى قدرته على البقاء...

السؤال:

لئن كان الإسلام يدعو، كما جاء في هذا الكتاب وفي غيره من الكتب، في مبادئه الأساسية، للإيمان بالله في حرية، وللتعامل مع «الآخر»، كل «آخر»، ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ويدعو لبناء أسرة يتكافل فيها الرجل والمرأة في احترام متبادل، كما يدعو لإقامة مجتمع لا تمييز فيه سوى تمييز الطاعة لله، وحبّ الخير للآخرين، فما الذي أقعد المسلمين، وبالتالي الإسلام، دون المضيِّ قُدماً وصُعداً، بما كان قد بدأه وأنجزه في حقبة طويلة من الخلافة الأموية، وفي حقبة هامة أخرى من الخلافة العباسية؟

عسى أن يحمل جواب المؤلف أو غيره من الباحثين، ما يساعد المجتمعات الإسلامية، وبالتالي العربية، على التحرر أخيراً ممّا يكبّلها وممّن يكبّلونها، كي تستعيد حضورها وفعاليتها على مستوى الحضارة والتاريخ.

الأب الياس زحلاوي*

دمشق في ١٦/ ٢/ ٢٠١٠م

* وُلِدَ عام ١٩٣٢ في دمشق، تلقى تعليمه في سورية ولبنان، وواصل دراسته للفلسفة واللاهوت في القدس، وعلم النفس في جامعة ليون بفرنسا. الأب زحلاوي عضو في اتحاد الكتاب العرب منذ العام ١٩٧٣، وهو عضو أيضاً في جمعية المسرح، وقد اختير عضواً في اللجنة الشعبية لدعم الانتفاضة منذ تأسيسها في شهر أيار ٢٠٠١، وكتب في شؤون كثيرة، أهمها الشأن الفلسطيني.

من مؤلفاته:

١. عرب مسيحيون أو مولد إيمان، مطبعة الأديب، دمشق، ١٩٦٩.

٢. حول الإنجيل وإنجيل برنابا، المطبعة البولسية، لبنان، ١٩٧١.

٣. المجتمع والعنف (مترجم)، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٦.

٤. شهود يهوه، من أين وإلى أين؟ مطبعة دار العلم، دمشق، ١٩٩١.

٥. من أجل فلسطين، دار عطية، بيروت، ٢٠٠٤.

٦. الصوفانية خلال ٢٥ عاماً (ثلاثة مجلدات)، دار المجد للطباعة والنشر، ٢٠٠٩.



لمحة على خطاب الشيخ الصفار

مصطفى المزعل

يوفّر موسم عاشوراء فرصة مميزة للاستزادة الفكرية والثقافية والروحية لدى الناس، ليس فقط حول قضية الإمام الحسين، بل في شتى جوانب الحياة، سلسلة من المحاضرات المتنوعة يُعدّها الخطباء خصيصا لهذا الموسم الاستثنائي، لينشرو ما لديهم من علم وثقافة لعامة الناس، وعادة ما تكون مجالس عاشوراء ذات خصوصية مذهبية، أي إنّ الخطاب المطروح يكون محدّدًا بنطاق ضيق، وموجّه للمجتمع المحليّ وقضاياه، وهو أمر جيّد ومطلوب، لكن الاستغراق في هذا الجانب، وحكر المنبر الحسيني ضمن أطرٍ ضيّقة، يُعدّ إضعافًا له، فالمطلوب هو تعزيز الخطاب العام الموجه للأمة، الذي يهتم بطرح مواضيع تشغل الرأي، العام وتجعل خطابنا يتعدّى الأطُر الضيقة، ليصل لنطاقات أوسع، فرسالة الحسين ﷺ رسالة عالمية، وليست حكرًا لطائفة معينة.

خطاب سماحة الشيخ حسن الصفار في موسم عاشوراء لم يخرج عن نطاق قضية الحسين ، لكنه خرج من الحدود الضيقة للمنبر التقليدي، ووجه خطابًا مرتبطًا بشكل مباشر بثورة الحسين، وموجّهًا للأمة يحاكي همومها، ويصب في الوقت نفسه في همٍّ من هموم مجتمعنا، وهو الهمّ السياسي، هذا النهج وهذا الخطاب ليس جديدًا على سماحته، فالمتابع لخطبه وكتبه يُدرك تمامًا أن الطرح الإصلاحي السياسي الهادئ

البعيد عن الصدامات الاجتماعية والحكومية، هو نهج متأصّل في فكره، وليس بالأمر الجديد، وإنما أعطى الشيخ هذا العام مساحة أكبر للجانب السياسي، وقدم سلسلة من المحاضرات السياسية العميقة، بأسلوب سلس تستوعبه الشريحة العظمى من الناس.

اختار الصفار الحديث حول مواضيع مهمة على الصعيد السياسي، كالحديث عن الدستور، وأهمية فصل السلطات، والمجالس النيابية، والتمثيل الشعبي، وغيرها من المفاهيم السياسية التي ينبغي لمجتمعات الوطن العربي استيعابها، وخصوصًا في ظلّ الأوضاع السياسية الراهنة، التي تتطلب مستوى عاليًا من الوعي، إذا ما أرادت المجتمعات الخروج من أزماتها الراهنة، لترتقي لمصاف الدول المتقدمة ديمقراطيًّا، التي تمتلك مجتمعات مدنية واعية ونشطة، هذه المجتمعات لم تصل لما وصلت إليه بانقلاب عسكري، أو ثورة في «يوم وليلة»، بل وصلت بجهود متراكمة، وثورة من الحراك الفكري، والنشاط المدني، الذي أفرز مجتمعات ناضجة وواعية بحقوقها وواجباتها السياسية، في مجتمعنا نحن بحاجة ماسة لبذل المزيد من الجهد، للرقي بمستوى الوعي السياسي والنشاط المدني.

الخطاب المنبري هو أحد الأدوات المهمة، التي يجب أن تُستثمر بالشكل المطلوب، لإعطاء المجتمع جرعات ثقافية فكرية، في المجال الذي يلامس هموم الناس، ويحاكي الأوضاع الراهنة، هذا الخطاب الذي نتحدث عنه يصب في الدرجة الأولى في مصلحة المجتمعات، لكن الحكومات الذكية هي التي تُنصت بأذنٍ مصغية لآراء المفكرين في بلادها، وتأخذ بالنصيحة، خصوصًا عندما يتجاوز الخطاب وضع اليد على الجرح إلى توفير علاج لهذا الجرح، فخطاب الشيخ الصفار لم يكتفِ بالإشارة للخلل، بل تعدّى ذلك ليقدم حلولًا عملية مبنية على تأصيل إسلامي، وتجارب ناجحة للمجتمعات المتقدمة ديمقراطيًّا.



٧

في معنى تثقيف الجمهور سياسيًّا*

محمد أحمد آل محسن

يرى كثير من الجمهور الشيعي أن منبرهم أصبح مادة متقدمة في الخطاب الحسيني، بحيث تجاوز العديد من الخطباء الحالة التقليدية، ليقدموا محاضرات علمية وثقافية وفكرية تواكب العصر وتطوراته. لذلك كان المنبر الحسيني في القطيف «وما واكبه من فعاليات» هذا العام استمرارًا لحالة الحراك الخطابي المتنوع كمًّا ونوعًا.

رجل الدين البارز الشيخ حسن الصفار وحده غرّد هذا العام «وبشكل واضح» خارج السرب الحسيني الكلاسيكي الحزين، متوجّهًا نحو الخطاب السياسي الواضح، سياسي ولكن ليس بمعناه التعبوي للجمهور، بل من خلال طرح مواضيع أطلق عليها «بث الوعي السياسي»، حيث يرى الرجل الذي يعتبر أول رجل دين شيعي ينغمس بهذا الشكل في المجال السياسي، أنّ ما ينقص الشيعة هو الاهتمام بالسياسة، السياسة هذه هي التي خرج من أجلها الحسين، لطلب الإصلاح في أمة جدّه لا من أجل الحكم.

ولا ريب بأنّ قضية غياب الوعي السياسي لدى أغلب الناس، تقع بالدرجة الأولى على الحكومات العربية، التي كرّست مبدأ تجهيل الناس، كخطوة أولى في سبيل انكفاء الشعوب نحو الهموم الخاصة، وترك الشؤون السياسية «لولاة الأمر» لأن أنظمة الاستبداد كما يقول الصفار «تدرك أن انتشار الوعي السياسي يدفع الشعوب

---

* شبكة راصد الإخبارية.

نحو اتخاذ مواقف مخالفة للظلم والفساد».

الخطاب العاشورائي لم يغب عنه الهمّ السني الشيعي والفتنة ثالثهما، لاسيما وهو الضليع في هذا الشان الذي كتب وألّف فيه العديد من الكتب، من بينها كتاب «السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل»، هذه العلاقة هي ما يحذر منه الصفار في أهمية امتلاك وعيٍ سياسي لا يسمح للسنة والشيعة بأن يتم استغفالهم بالتفسيرات الغيبية والعقدية للأحداث. وهذا ما يؤكّد اهمية النأي عن النزعة الطائفية في تحليل الأحداث، سيمّا التي تضرب مناطق وفئات دينية ومذهبية معينة. الصفار يعتقد أن هناك توظيفًا سيئًا للنزعات المذهبية في التعبئة ضد الخصوم «لكن الدافع الأساس في ذلك ليس الدافع المذهبي وإنما الدافع السياسي».

ويبقى الحدث الأبرز في السنتين الأخيرتين عربيًّا هو «الربيع العربي»، الذي حاز على نصيب كبيرٍ من خطب الشيخ الصفار خلال فترة هذا الربيع، من هنا يشير الصفار إلى أن ثورات الشعوب العربية اختارت «كتابة تاريخ جديد» متّهمًا الأنظمة المستبدة بالترويج لنظرية المؤامرة لاحتواء هذه الثورات. مُرجعًا جانبًا من أسباب اندلاع الثورات العربية إلى «الاستبداد السياسي وغياب الحريات والمشاركة السياسية وانتهاك حقوق الإنسان». والشعوب العربية بحسب الصفار الذي صدر له مؤخّرًا كتاب «الحسين منهج الإصلاح والتغيير» باتت ترزح تحت الأزمات المعيشية والبطالة والفقر بشكل بلغ حدّ الموت في قوارب الهجرة غير المشروعة للبلاد الأخرى. فماذا نتوقع «من الشعوب العربية التي تعيش تحت ضغط هذه المشاكل غير الثورة والغضب!».

ويرفض الشيخ الصفار الركون إلى «نظرية المؤامرة» في تفسير الثورات العربية «فالأنظمة المستبدة هي من تقوم بالترويج لهذه المزاعم». وهذا ما دأب عليه الحكام في إلقاء المسؤولية على أطراف خارجية لغرض التضليل، وتبرئة أنفسهم من المسؤولية، والتغطية على الأسباب الحقيقية لحركات الشعوب. إشارات الصفار السياسية من خلال الربيع العربي كان لها انعكاس واضح من خلال الحديث بطريقة

واضحة عن أن «الشعب مصدر السلطات.. والشرعية لا تأتي إلا من الشعب لا من أيّ شيءٍ آخر». وإن المنهج الصحيح هو «أن يختار الناس حكوماتهم وأن تأتي شرعية السلطة عبر الاختيار المباشر للناس». هذا الكلام يشير بشكل أو بالآخر لأهمية ما برز يطرح بشكل واضح خصوصًا على المستوى الخليجي «بالملكية الدستورية»، الملكية الدستورية هذه يشرحها صاحب كتاب «المشكل الطائفي والمسؤولية الوطنية» بأن المنهج الصحيح هو «أن يختار الناس حكوماتهم وأن تأتي شرعية السلطة عبر الاختيار المباشر للناس».

مرارة الواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم من الخضوع للأنظمة العسكرية، وحكومات الغلبة والقوة، إنما هو من «بقايا عصور الاستبداد وما ولدت من نظريات تبريرية خدمة للمستبدين». وهذا ما أكّده الشيخ الصفار بشكل صريح إلى أن «مجمل الآراء الفقهية التي تُشرعن الاستيلاء على الحكم بالقوة إنما جاءت ثمرة للحقبة الأموية التي أسّست لنهج الهيمنة على الحكم عن طريق الغلبة.

الشيخ الصفار الذي ألّف سابقًا كتاب «الوطن والمواطنة - الحقوق والواجبات» يقول إنّ من وظائف الدولة هو حفظ الأمن، والدفاع عن البلاد، وتحقيق العدل بين رعاياها. مُعرّجًا من خلال محاضراته العاشورائية لمسألة الدستور «كنقطة بداية لحياة سياسية مستقرة»، وأن مزاعم الاكتفاء بالكتاب والسنة «غطاء للاستبداد والاستئثار». ولم يَنْسَ أن يخاطب الحكام بالقول «لماذا تنتظرون اللحظة التي تثور فيها شعوبكم». الصفار أشاد ببروز دعوات حثيثة من فقهاء ومفكرين لوضع دساتير تعاقدية مكتوبة تقيد السلطات وتضمن حقوق المواطنين. ومنهم جمال الدين الأفغاني والمرجعيات الدينية التي دعمت قيام دستور في البلاد الإسلامية بدءًا من الشيخ النأئيني أوائل القرن الماضي مرورًا بالإمام الخميني في إيران وانتهاء بالسيد السيستاني في العراق راهنًا.

وأفرد الصفار محاضرة كاملة للحديث عن أهمية الديمقراطية، معتبرًا الديمقراطية أقرب النظم لقيم وروح الإسلام، قائلًا بأن تحالف الاستبداد السياسي مع التزمّت

الديني جعل مـن العالم العربي «قلعة الممانعة للديمقراطية». وهذا انعكس أيضًا على «تغـوّل الدولـة» فـي كلّ مفاصل الحيـاة «وحجم القيود والهيمنة الرسـمية على سـائر الأنشـطة الأهلية في مختلف المجالات التجاريـة والأدبية والدينية في دول المنطقة». مُرجعًا السبب إلى «ريبة وتوجّس الأنظمة السياسية» في النشاط الأهلي التطوعي سيّما إذا لامس الجانب السياسي والحقوقي «وكأنه ينازع الدولة سلطانها».

لكـن اللافـت في خطـاب الصفار هي قـوة نبرته في تسـمية الأمور بأسـمائها، من المطالبة «ولو على مضض» بالملكية الدسـتورية وانتخاب مجلس نواب «شورى» من قبل الشـعب مباشـرة، لكن الأهمّ في خطاب الصفـار هي القيمة المدنيـة التي أفاضها على خطابه في عاشـوراء، مستشهدًا بالكثير من القوانين والأفكار والأسبقية «الغربية» فـي مفاهيم الدول والمجتمعات الحديثة، وهذا ما يؤكّـده من أن هذه المفاهيم والقيم هي في الأصل يتبنّاها الإسلام، وإن كانت بمصطلحات وتعاريف مختلفة. في النتيجة حاول رجل الدين الشيعي الأكثر بروزًا والأكثر «إثارة» داخل مجتمعه من تسيير «المنبر الحسيني» مجدّدًا لصالحه، فالعارفون بالشيخ الصفار يعرفون كيف يستطيع الرجل أن يُسـوّق مشـروعه من خلال الربط المثير بين القضايا المعاصرة والمنبر الحسيني، ومن ثم ترك التحليل للآخرين.



الشيخ الصفار: الاصطفاف الطائفي خطر على الأوطان والأمة

أبدى سماحة الشيخ حسن الصفار تخوّفه من تصاعد اللغة الطائفية، وتنامي الاصطفاف الطائفي بين مكونات الأمة الإسلامية، داعيًا إلى تغليب لغة العقل، والحوار بين المسلمين، للحدّ من هذه الظاهرة التي وصفها بـ «المقيتة القاسمة للبنية الاجتماعية».

وأكّد سماحته أن الاصطفاف الطائفي يمزّق الأمة، ويبعد الإنسان عن العدل والمساواة، وهما قيمتان أساسيتان في الدين الإسلامي.

وقال خلال استقباله في مكتبه بالقطيف لبعض أعضاء ديوانية العطار الكويتية (الأربعاء ٢٧/ ٢/ ١٤٣٤هـ الموافق ٩/ ١/ ٢٠١٣م) أن الكويت كانت تمثل نموذجًا للتعايش الحضاري بين أبنائها، وأن اختلاف مكونات المجتمع الكويتي منحه قوة ليعيش في تفاعل ثقافي واجتماعي، وليكون قدوة لبقية المجتمعات العربية والإسلامية.

وأضاف: إننا أصحاب رسالة ولنتمكن من توصيل رسالتنا للناس فلا بُدّ أن نتواصل، وألا ننكفئ على أنفسنا، كما أن التلاقي يزيل الشكوك والأوهام، ويصحح الصورة بين الطرفين.

وأبان الشيخ الصفار أنّ أهل البيت هم قدوتنا في إرساء قواعد السلم الاجتماعي،

فقد وجّهوا شيعتهم للاندماج مع الأمة ليكونوا جزءًا من مكوناتها، ولا يكونون وجودًا منفصلًا.

واستنكر الخلط الموجود عند بعض الشيعة بين الموقف الصارم لأهل البيت من الحكام الظالمين، وبين موقفهم التعايشي مع جمهور الأمة، فإن أهل البيت ﷺ حثّوا شيعتهم للعيش مع الناس كافة، بل دعو شيعتهم ليكونوا أفضل من في بلدانهم أخلاقًا وكفاءة وإخلاصًا.

وطالب الشيخ الصفار بالامتثال لأوامر أهل البيت، الذين يدعون شيعتهم «كونوا لنا زينًا، ولا تكونوا علينا شينًا».

وتعجّب من قول البعض أن ما نقوم به هو ردّ فعل على الذين بدؤوا الإساءة، وكأنهم نسوا آيات القرآن الكريم التي تحثّ على الترفع عن ردّ الإساءة بالإساءة كقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾، فإن استخدام الآخر لأسلوب بذيء لا يُبرّر لي استخدام نفس الأسلوب «فكلّ إناءٍ بالّذي فيه ينضح».

وأضاف سماحته: كما أن لهذا الطرف مبرّرًا للإساءة للآخر، كذلك للآخر مبرّراته وأدلته التي يستقوي بها لتبرير إساءته، لذا على كلّ طرف أن يحترم الآخر ولا يُسيء له أو لرموزه.

وفي موضوع متصل تحدث سماحة الشيخ الصفار عن الوضع العلمي والثقافي في منطقة القطيف، حيث تشهد محافظة القطيف بكلّ مُدُنها وقُراها، حراكًا ثقافيًّا وأدبيًّا متميزًا وفعّالًا.. ومن أهم مؤشّراته وجود الحوزات والمنتديات الثقافية والأدبية، وحجم الإنتاج الثقافي والأدبي، وإصدار منتظم لمجلات فكرية وثقافية وتراثية.

هذا وقد تحدّث كلٌّ من الأستاذين صباح العطّار وزيد العطّار عن الأجواء السياسية والاجتماعية في الكويت، وخصوصًا في هذه الفترة الحرجة التي تمرّ بها المنطقة.



مثقفون كويتيون يزورون الشيخ الصفار

الشيخ الصفار: الإنسان الذي يشعر بقيمته يكون أقدر على الإبداع

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه صباح الخميس ٥/ ٣/ ١٤٣٤هـ الموافق ١٧/ ١/ ٢٠١٣م مجموعة من المثقفين والناشطين اجتماعيًّا من الكويت، قدّموا ضمن برنامج أعدّه الفنان التشكيلي عبد العظيم الضامن للتعريف بالمنطقة وعلمائها ومثقّفيها وتراثها.

وقد بدأ سماحة الشيخ الصفار كلمته بالترحيب بالضيوف الكرام، مُشدّدًا على أهمية التواصل لما للتواصل من ثواب عظيم، وأثرٍ في تبادل الخبرات والتجارب.

ثم تحدث سماحته عن حاجة الطاقات والكفاءات في بلداننا إلى بيئة مشجعة، تساعد على النمو والبروز، عكس ما هو موجود من خمول للطاقات، وذبول للكفاءات.

وأضاف: هذا يتضح من خلال غياب أسماء من مجتمعاتنا العربية والإسلامية عن منصات التتويج في الجوائز العالمية، كجائزة نوبل مثلًا، وحضور أسماء تنتمي إلى مجتمعات أخرى.

وعن سبب وجود الاكتشافات والاختراعات والصناعات عند الغربيين، وتحولنا إلى مجتمعات استهلاكية، قال سماحته: إنّ ذلك يعود إلى العامل السياسي، فالشعوب والمجتمعات التي تعيش ضمن أنظمة تشعرها بأهميتها وبقيمتها، ويكون المجال مفتوحًا أمامهم، وحرية التفكير والتحرك مكفولة لكافة أفرادها، يكون إنسانها أقدر

على الإبداع والفاعلية والنشاط.

وأضاف: أما الشعوب التي تعيش في ظلّ انظمة استبدادية تكاد تحصي عليها حتى أنفاسها، فإنها شعوب لا ينتظر للطاقات أن تنمو وتتفجّر فيها.

وأبان الشيخ الصفار: أنّ للثقافة التي يتربى الإنسان عليها في عائلته، ويسمع أصداءها في جنبات مجتمعه دورًا في نموّ مواهبه، وبروز طاقاته.

وقال سماحته: إننا نواجه تحدّيًا عظيمًا وهو معرفة الثقافة الصحيحة التي من خلالها نستطيع النهوض، أسوة بالأمم الأخرى، ولا يكون ذلك إلا بإعادة الحياة لثقافة العلم والعمل.

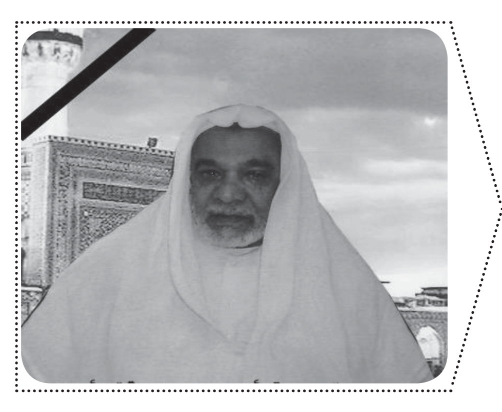
وأضاف: إننا ننتمي إلى دين عظيم، وإلى مدرسة أهل البيت، وهي كما نعتقد فيها عمق الدين وجوهره، لكن هذه الثقافة السائدة بيننا هل هي الثقافة الإسلامية التي أرادها الله، وقال بها أهل البيت؟

وقال: إنّ الغربيين تأملوا في الطبيعة، واستطاعوا أن يُسخّروها في خدمتهم، بينما انشغلت أمّتنا بالغيبيات، وكأن المطلوب منا أن نعمل للآخرة فقط، ناسين قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

وأبان أنّ الثقافة التي تُكرّس تجاهل الكون، وسنن الطبيعة، وقيمة العلم، هذه ثقافة متهمة، وهي تخالف الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وأشار الشيخ الصفار: إلى أن الأمم الأخرى عرفت كيف تدير شؤون حياتها، وتواصل تطورها، في حين أصاب الأمة ارتداد فأصبحنا نأخذ تعاليمنا في إدارة شؤوننا من الأعراف والتقاليد، وليس من الدّين.

وشدّد على حاجة المجتمع إلى انتفاضة لإعادة النظر والتجديد في ثقافتنا، لإزالة العوائق التي تحول بيننا وبين التقدم والتطور، لنكون في مصافّ الأمم الأخرى.



الشيخ الصفار مؤبّنًا الملا منصور المقابي:

٧

للخطباء دور كبير في تعزيز القيم الدينية

أكّد الشيخ حسن الصفار أهمية دور خطباء المنبر الحسيني في تعزيز القيم الدينية في المجتمع، وتوثيق الصلة بين الناس وخالقهم، الذي يريد لهم الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة.

وقال: إنّه لا ينبغي للخطيب أن يُضيّع وقت الناس في تفاصيل الأحداث التاريخية، على حساب معالجة ما يعانونه من أزمات ومشاكل اجتماعية وأخلاقية، في حياتهم الحاضرة، داعيًا إلى الأخذ بمنهج القرآن الكريم، في ذكر قصص الأنبياء والأولياء، بالتركيز على مواقع العبرة والتأسّي، حيث يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾.

وأشار سماحته إلى ضرورة تحلّي الخطيب بالالتزام القيمي والأخلاقي، في سلوكه ومعاشرته للناس، ليكون قدوة لهم، وله مصداقية فيما يطرح من مواعظ وإرشادات.

مُشيدًا بشخصية الفقيد الراحل الخطيب الملا منصور بن أحمد المقابي، في حفل تأبينه بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاته، الذي أقيم في حسينية المناميين في القطيف ليلة الثلاثاء ١٩ صفر ١٤٣٤هـ.

وذكر الشيخ الصفار أن الخطيب الملا منصور الذي ولد سنة (١٣٥٨هـ) كان مُعلّمًا للقرآن والكتابة والقراءة لأبناء المجتمع شطرًا من حياته، ونذر نفسه لخدمة المنبر الحسيني طيلة عمره الذي امتدّ ٧٦ سنة، وكان حسن الأخلاق والمعاشرة مع الناس، حتى اختاره الله بعد شهور من معاناة المرض، في اليوم الثامن من المحرم عام

١٤٣٤هـ.

وقد أشـاد سـماحته بالتزام الفقيد بالمشاركة في صلاة الجماعة «هذه الشعيرة التي لم تأخذ موقعيتها في مجتمعاتنا بالمستوى المطلوب».

ودعا العلماء والخطباء إلى القيام بحملة توعوية لحثّ أبناء المجتمع على الالتزام بصلاة الجماعة، وألّا يتخلّى أيّ خطيب أو طالب علم عن حضوره شخصيًّا في صلاة الجماعة، ليكون في ذلك خير تحفيز للناس.



٧

عوامل النهوض بالمجتمعات

ألقى سماحة الشيخ حسن الصفار كلمة بمناسبة ذكرى مولد النبي محمد ﷺ بجامع الرسول الأعظم بصفوى مساء يوم الاثنين الموافق ١٦/ ٣/ ١٤٣٤هـ حول عوامل نهضة المجتمعات. وبدأ الصفار كلمته بذكر أربعة عوامل تؤدي إلى النهوض الإيجابي للمجتمعات:

- التطلّع والأمل.
- إثارة العقل.
- الفاعلية.
- العمل الجمعي.

وأوضح سماحته أن نهضة الأمم تبدأ بوجود تطلّع، وهو عادة ما تعطيه القيادات لشعوبها، وهو المحفّز للعمل الجادّ والتفاعل الإيجابي.

واستشهد الشيخ بدول نهضت بتطلّعها وتطوّرها، ووصلت لأهدافها المنشودة، كاليابان وماليزيا وسنغافورة وتركيا.

وحذّر الصفار من انتشار (الخرافات) التي أصبحت تهيمن على قسم من مجتمعات العالم الإسلامي، وتسعى لتدميره ووصفها أنها: (ابتلاء كبير أصاب المجتمعات الإسلامية وتعطّلت بسببه العقول) ونتج عنه الاستسلام والخنوع لقدر ليس من صنع

الإنسان نفسه.

وتابع الصفار حديثه حول قيام رسول الله ﷺ بوضع أول وثيقة دستورية، تعزّز الحالة الوطنية للتعايش الإنساني في المدينة المنورة، دخل فيها المسلمون واليهود في حالة منتجة، باعثة للعمل والبناء والتواصل بين الأطراف.

وأكّد حفظه الله: أن الخالق سبحانه (يُعطي العاملين بقدر أعمالهم) وعليهم أن يجدّوا في أعمالهم ويتفاعلوا معها، كي تنتج وتنمو، وهذا لا يكون إلّا بالعمل الجمعي، والبحث عن المشتركات في العمل، وترك الاختلافات جانبًا.

وأشار إلى حالة التشنج الطائفي القائمة في العالم الإسلامي اليوم، وانعكاسها السلبي على الأمة، واصفًا ما يحدث بأنه من فعل مأزومين يحاولون تفجير الأزمات بين طرفي الأمة من السنة والشيعة، دون الوصول إلى أيّ مكاسب أو أهداف، وهي حالة عقيمة لا فائدة ترجى منها.







٧

شخصيات وطنية وخليجية في ضيافة لجنة التواصل الوطني بالقطيف*

- اليامي: لأول مرة أصلّي جماعة مع أتباع ثلاثة مذاهب إسلامية

- النبهان: قطفت الحبّ من عيونكم.. فلكم منّي كلّ الودّ والحبّ

استضافت لجنة التواصل الوطني بالقطيف يوم الخميس العشرات من الشخصيات الوطنية والخليجية، في جولة على المواقع الأثرية، ولقاء أبرز الفاعليات الاجتماعية في القطيف.

الضيوف الذين جاؤوا من أربع دول خليجية، وخمس مناطق سعودية، حضروا في الأصل للمشاركة في حفل «القطيف.. عالمية الإبداع» الذي نظمته مساء الأربعاء لجنة التكريم الأهلية في القطيف.

وتضمنت قائمة الضيوف أكاديميين، ورؤساء هيئات ثقافية، وكتّابًا، ومسؤولين سابقين، وفنانين، وإعلاميين، وناشطين، ووزيرًا سابقًا، وعضو مجلس تشريعي.

وتضمن برنامج الاستضافة جولة على المناطق الأثرية والتراثية في القطيف، إلى جانب حضور أبرز الفاعليات الاجتماعية في المنطقة.

وخلال الجولة أعرب سالم اليامي أحد ضيوف لجنة التواصل الوطني، عن ارتياحه

* شبكة راصد الإخبارية ١٦ / ٢ / ٢٠١٣م.

بالقول: «إنّها المرة الأولى التي يصلي فيها جماعة في مسجد ضم أتباع ثلاثة مذاهب إسلامية محترمة في حالة تُعبّر عن الوحدة والتآلف».

وأضاف: تفاجأت بعمل الشباب القطيفي «الشريان الشرقاوي» الذي يعمل بصمت وبدون ضجيج.

وقال الفنان الكويتي جاسم النبهان عن القطيف: «قطفت الحبّ من عيونكم.. فلكم منّي كلّ الودّ والحبّ» مُوضّحًا أنني أشعربربحي جائزة كبيرة وهي «محبة القطيف»، فكلّ ما قرأته عنها تحقق اليوم، ورأيته عن قرب.

وأشاد الفنان الكويتي أحمد إيراج بمبادرة لجنة التكريم قائلًا: القطيف هي الأمّ التي تكرّم أولادها الذين رفعوا رأسها، وإنني تمنيت أن أكون أحد أبنائها، مؤكّدًا أن مثل هذا التكريم يُعدّ محفّزًا لبقية أبناء القطيف لرفع رأس أمّهم وللحظي بالتكريم.

وتمنّى الدكتور صالح الصفار من الكويت أن يزور أبناء القطيف دولة الكويت، موضّحًا أنه تعرف على الكثير عن القطيف خلال هذه الزيارة.

وأثنى الدكتور حسن حجره من مدينة جدة أن حالة الود التي تجمع أبناء القطيف هي الدافع في المشاركة والانضمام لمثل هذه المبادرات التي هي سمة بارزة في أهالي القطيف.

وعبّر الضيوف عن ارتياحهم بمبادرة لجنة التواصل، مؤكّدين عن استمتاعهم بالبرنامج، الذي ينمّ عن روح الوحدة المترسّخة في نفس أبناء القطيف.

وتضمّن برنامج الاستضافة لقاءً جمع ضيوف القطيف في مكتب الشيخ الصفار بنخبة ضمّت نحو ١٥٠ شخصية من المثقفين والناشطين وعلماء الدين ورجال الأعمال.

وأكّد الشيخ حسن الصفار خلال اللقاء على أهمية المبادرات التي ترسّخ مفاهيم الوحدة بين أفراد الوطن الواحد، مُشدّدًا على دور اللجان الأهلية في توثيق عُرى التواصل.

وقال رئيس لجنة التواصل الوطني يحيى قريش: «أمام ما تمرّ به المنطقة من تجاذبات طائفية على المستوى الإقليمي والمحلي، لا خيار لنا إلا أن نقترب من بعضنا ونتعرف على هموم وآمال وتطلّعات بعضنا، ونبني بذلك وطننا الحبيب بعيدًا عن أجواء الاحتقان ضمن إطار عمل مدني أهلي».

وأوضح قريش أنّ احتفاء لجنة التواصل الوطني بضيوف لجنة التكريم الأهلية، يأتي ضمن فعاليات اللجنة والعمل المشترك بين اللجان في المنطقة.

وأضاف أن ما وصفه بالهدف السامي للجنة التواصل الوطني، هو بلورة مشروع الوحدة الوطنية في إطارها الأهلي.

وقال عضو لجنة التواصل الوطني الأستاذ علي البحراني: إنّ غرض اللجنة «التعريف بطبيعة المكوّن الداخلي للمجتمع السعودي القائم على التنوع والتعددية».

وعن أهمّ أهداف اللجنة أوضح البحراني: أنها تعمل على تبديد الكثير من الالتباسات والهواجس، وتصحيح الصور والمفاهيم النمطية الخاطئة التي تحول دون تفعيل التواصل الحقيقي بين أبناء الوطن.

وأضاف بأنّ اللجنة التي تأسّست منذ أربع سنوات بشقّيها الرجالي والنسائي، تسعى نحو الانفتاح على شركاء الوطن، وإذابة الحواجز بين أطيافه وفئاته المختلفة، عبر تبادل الخبرات والرؤى والتجارب.

يُشار إلى أن لجنة التواصل الوطني بالقطيف سبق لها استضافة المئات من الضيوف من مختلف مناطق المملكة والخليج، لزيارة المنطقة، والمشاركة ضمن أبرز الفعاليات الثقافية والاجتماعية.









الشيخ الصفار متحدّثًا في افتتاح ملتقى الوقف الجعفري في الكويت

7

الحكومات تتحمّل مسؤولية التأزّم الطائفي

بدعوة من الأمانة العامة للأوقاف/ إدارة الوقف الجعفري في دولة الكويت شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الملتقى الرابع للوقف الجعفري الذي انعقد في الكويت بتاريخ ١-٣ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ الموافق ١١-١٣ فبراير ٢٠١٣م.

وقد افتتح المؤتمر صباح يوم الاثنين ١١ فبراير برعاية من أمير دولة الكويت حيث مثّله بالحضور وإلقاء كلمة عنه وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور شريدة المعوشرجي، الذي رحّب بالضيوف وأشاد بالملتقى باسم أمير الكويت وحكومتها، وحضر حفل الافتتاح عدد من الوزراء والنواب، وحشد من الإعلاميين والمثقفين ورجال الدين ورجال الأعمال.

وألقى سماحة الشيخ حسن الصفار كلمة الضيوف في حفل الافتتاح، وشارك في أعمال الملتقى التي استمرت ثلاثة أيّام عدد من العلماء والباحثين من الكويت والعراق ولبنان والأحساء والقطيف. حيث دارت البحوث حول معالجة بعض قضايا الوقف على ضوء التطورات المعاصرة من الناحية الفقهية والإدارية والاجتماعية.

وقد التقى الشيخ الصفار على هامش الملتقى عددًا من العلماء والفضلاء المشاركين وتبادل معهم الرأي حول الأوضاع التي تمرّ بها المنطقة في ظلّ المتغيرات الدولية والإقليمية.

كما لبّى الشيخ الصفار الدعوة لزيارة عدد من الديوانيات الكويتية، كديوانية الحاج

جـواد بوخمسـين، وديوانية المعرفي، وديوانيـة الكاظمي، وديوانية السـيد محمد باقر المهري، وألقى كلمة في الحسينية الجعفرية مساء يوم الأربعاء ١٣ فبراير.









٧

الشيخ الصفار يشارك في افتتاح مجلس السيدة الجبران بحيّ الشاطئ

شـارك سماحة الشيخ حسن الصفار مسـاء يوم الخميس (٢٥ ربيع الأول ١٤٣٤هـ الموافـق ٧ فبراير ٢٠١٣) في افتتاح مجلس السـيدة أم محمّـد الجبران في منطقة حيّ الشاطئ بالقطيف.

وفي بداية حديثه بارك سـماحته للحضور ذكرى ميلاد الرسـول الأكرم ﷺ وميلاد حفيـده الإمـام الصادق عليه السلام، داعيًا اللـه أن يكون هذا المنزل الجديـد منزل خير وبركة، مؤكّداً أن خير ما يستفاد من المنزل الرحب والواسع هو إحياء مجالس الذكر، ومجالس أهل البيت عليهم السلام والتواصل بين المؤمنين.

وبـدأ الشـيخ الصفار كلمتـه بالحديث المروي عـن الإمام الصـادق عليه السلام: «تزاوروا فـإنَّ فـي زيارتكم إحيـاءً لقلوبكم، وذكـرًا لأحاديثنـا، وأحاديثنا تعطـف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم» مشيـرًا إلى أنّ هذا أمر من الإمام الصادق للناس بأهمية وفائدة الزيارة بين المؤمنين.

وأشار إلى أنّ الإنسان يقوم بأداء بعض المستحبات من صوم وصلاة وحج وعمرة وزيارة، يقوم بتلك الأعمال ابتغاء مرضات الله، وسـعيًا نحو الثواب، وزيارة المؤمنين هو مورد جليّ من موارد كسـب الثواب، وقال سـماحته: إنّ الإنسان بشر، فكلّما كانت

علاقته بمحيطه أكثر دفئًا وأكثر حيوية، فهو يعيش الراحة في أعماق نفسه.

وأكّد سماحته أن التزاور بين الناس يحيي المشاعر الإيجابية، والأحاسيس الطيبة في النفس، مؤكّدًا في السياق نفسه إلى أهمية أن تكون زيارات المؤمنين لبعضهم بعضًا ليس من أجل تضييع الوقت فيما لا فائدة فيه، بل المؤمنون الحقيقيون عندما يزورون بعضهم بعضًا يغتنمون الفرصة بذكر أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

وشدّد سماحته إلى الحاجة إلى تعاطف المؤمنين بعضهم ببعض، وأن تكون أواصر الصلة بينهم وثيقة، وهذا ما تركّز عليه أحاديث أهل البيت، التي تركز على الإخوة، وحسن الظن، وجميل التخاطب بينهم، فلا يوجد في أحاديث أهل البيت ما يدعو للبغضاء والتشاحن والريبة بين الناس، لذلك فالأخذ بتلك الأحاديث هي منارة ونجاة للناس في الدنيا والآخرة.

وأشار سماحته إلى أهمية هذه المجالس بين الناس، خصوصًا في الأحياء الجديدة، فسابقًا كانت البيوت والناس متداخلين مع بعضهم بعضًا، وكأنهم أسرة واحدة، لذلك كانت العلاقة بينهم مترسّخة، ومع التوسع العمراني أصبح هناك تنوع في هذه المناطق الجديدة، من عدة مدن وقرى يجتمعون في حيّ واحد، وما يحتاجونه هو وجود مجالس تجمعهم، يتعاونون فيها من أجل توفير خدماتهم، والاهتمام بمشاكلهم وهمومهم.



7

تغطية الصحف الكويتية لمشاركة الشيخ الصفار في ملتقى الوقف الجعفري الرابع

صحيفة الآن الإلكترونية: 11 فبراير 2013م

في كلمة له خلال الملتقى الوقفي الجعفري:

الشيخ الصفار: انعقاد المؤتمر في هذه الظروف رسالة إيجابية

أكّد الشيخ حسن الصفار من السعودية في كلمته: أهمية تجديد وتطوير البحوث الفقهية، والخطاب الديني المتصل بقضايا الوقف، لتواكب تطورات الحياة، وتغيرات القوانين، والأوضاع الاقتصادية، والحاجات التنموية في المجتمع.

واعتبر أنّ انعقاد هذا الملتقى في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به الأمة والمنطقة، حيث تعصف بها محاولات إثارة الفتن الطائفية، والنزاعات والخلافات الداخلية، يمثل رسالة إيجابية وحدوية قيّمة يحتذى بها.

ورأى الصفار: أنّ الوحدة الوطنية هي التحدّي الأكبر أمام شعوبنا وأوطاننا، في هذا المقطع الزمني، حيث تواجه مختلف الشعوب والأوطان محاولات التمزيق والنزاعات البغيضة، داعيًا الحكومات إلى تجسيد مفهوم المواطنة، وتطبيق المساواة بين المواطنين دون أيّ تصنيف.

ودعا العلماء والمفكرين والدعاة، الى مواجهة تيارات التعصب والتطرف،

التي تنشـر العداوة والبغضاء بين المسـلمين، بإصدار فتاوى التكفير واسـتباحة الدماء والأعـراض، والنيل من المقدسـات، والرموز المحترمة للمذاهـب، والتحريض على الكراهية.

جريدة السياسة: 12 فبراير 2013م

خلال افتتاح أعمال الملتقى الوقفي الجعفري الرابع:

الشيخ الصفار: الوحدة الوطنية هي التحدّي الأكبر أمام شعوبنا وأوطاننا

أكّد الشـيخ حسـن الصفار من السـعودية في كلمته أهمية تجديد وتطوير البحوث الفقهية، والخطاب الديني المتصل بقضايا الوقف، لتواكب تطورات الحياة، وتغيرات القوانين، والأوضاع الاقتصادية، والحاجات التنموية في المجتمع.

واعتبر أنّ انعقاد هذا الملتقى في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به الأمة والمنطقة، حيـث تعصف بها محـاولات إثارة الفتـن الطائفية، والنزاعات والخلافـات الداخلية، يمثل رسالة إيجابية وحدوية قيّمة يحتذى بها.

ورأى الصفـار أن الوحـدة الوطنيـة هي التحـدّي الأكبر أمام شـعوبنا وأوطاننا، في هـذا المقطـع الزمني، حيـث تواجه مختلف الشـعوب والأوطان محـاولات التمزيق، والنزاعات البغيضة، داعيًا الحكومات إلى تجسـيد مفهوم المواطنة، وتطبيق المساواة بين المواطنين دون أيّ تصنيف.

ودعـا العلمـاء والمفكرين والدعاة، إلى مواجهة تيـارات التعصب والتطرف، التي تنشـر العـداوة والبغضـاء بين المسـلمين، بإصـدار فتاوى التكفيـر، واسـتباحة الدماء والأعـراض، والنيل من المقدسـات، والرموز المحترمة للمذاهـب، والتحريض على الكراهية.

صحيفة الشاهد: 12 فبراير 2013م، العدد 1588

تحت شعار «حضارة وأصالة» افتتاح ملتقى الوقف الجعفري:

الشيخ الصفار: الوحدة الوطنية هي التحدّي الأكبر أمام شعوبنا.

ألقى كلمة الضيوف الشيخ حسن الصفار من علماء القطيف في المملكة العربية السعودية، أكّد فيها أهمية تجديد وتطوير البحوث الفقهية، والخطاب الديني المتصل بقضايا الوقف، لتواكب تطورات الحياة، وتغيرات القوانين، والأوضاع الاقتصادية، والحاجات التنموية في المجتمع.

واعتبر أن انعقاد هذا الملتقى في هذا الظرف العصيب، الذي تمرّ به الأمة والمنطقة، حيث تعصف بها محاولات إثارة الفتن الطائفية، والنزاعات والخلافات الداخلية، يمثل رسالة إيجابية وحدوية قيمة.

وأشار إلى أن الكويت برعايتها وإقامتها الملتقى الوقفي الجعفري الرابع، تؤكّد أنها دولة بكلّ شعبها ومواطنيها بمختلف مذاهبهم وانتماءاتهم، وأن أبناءها يحظون باحترام حكومتهم، التي تيسر لهم إدارة شؤون دينهم، وفق معتقداتهم ومذاهبهم.

ورأى الصفار أن الوحدة الوطنية هي التحدّي الأكبر أمام شعوبنا وأوطاننا، في هذا المقطع الزمني، حيث تواجه مختلف الشعوب والأوطان محاولات التمزيق، والنزاعات البغيضة.

ودعا الحكومات إلى تجسيد مفهوم المواطنة، وتطبيق المساواة بين المواطنين دون أيّ تصنيف، مطالبًا العلماء والمفكرين والدعاة، لمواجهة تيارات التعصب والتطرف، التي تنشر العداوة والبغضاء بين المسلمين، بإصدار فتاوى التكفير، واستباحة الدماء والأعراض، والنيل من المقدسات، والرموز المحترمة لهذا المذهب أو ذاك، والتحريض على الكراهية.

صحيفة الكويتية: 11 فبراير 2013

انطلاق فعاليات ملتقى الوقف الجعفري الرابع: الشيخ الصفار يلقي كلمة الضيوف

ألقى كلمة الضيوف الشيخ حسن الصفار من علماء القطيف في المملكة العربية السعودية، وأكّد فيها أهمية تجديد وتطوير البحوث الفقهية، والخطاب الديني المتصل بقضايا الوقف، لتواكب تطورات الحياة، وتغيرات القوانين، والأوضاع الاقتصادية، والحاجات التنموية في المجتمع.

واعتبر الشيخ الصفار أن انعقاد هذا الملتقى في هذا الظرف العصيب، الذي تمرّ به الأمة والمنطقة، حيث تعصف بها محاولات إثارة الفتن الطائفية، والنزاعات والخلافات الداخلية، يمثل رسالة إيجابية وحدوية قيمة.

وأشار إلى أن دولة الكويت، برعايتها وإقامتها الملتقى الوقفي الجعفري الرابع، تؤكّد أنها دولة بكلّ شعبها ومواطنيها بمختلف مذاهبهم وانتماءاتهم، وأنّ أبناءها يحظون باحترام حكومتهم التي تيسر لهم إدارة شؤون دينهم وفق معتقداتهم ومذاهبهم.

ورأى الصفار أن الوحدة الوطنية هي التحدّي الأكبر أمام شعوبنا وأوطاننا في هذا المقطع الزمني، حيث تواجه مختلف الشعوب والأوطان محاولات التمزيق والنزاعات البغيضة.

صحيفة الوطن: 11 فبراير 2013م

افتتاح ملتقى الوقف الجعفري الرابع:

الشيخ الصفار: يجب تجديد البحوث الفقهية المتصلة بقضايا الوقف لتواكب تطورات الحياة

ألقى كلمة الضيوف الشيخ حسن الصفار من علماء القطيف في المملكة العربية السعودية أكّد فيها أهمية تجديد وتطوير البحوث الفقهية والخطاب الديني المتصل

بقضايا الوقف لتواكب تطورات الحياة وتغيرات القوانين والأوضاع الاقتصادية والحاجات التنموية في المجتمع معتبرًا أنّ انعقاد هذا الملتقى في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به الأمة والمنطقة حيث تعصف بها محاولات إثارة الفتن الطائفية والنزاعات والخلافات الداخلية يمثل رسالة إيجابية وحدوية قيمة، وليس غريبًا على الكويت أن تحتضن مثل هذا اللقاء الديني العلمي التنموي، فقد كانت الكويت سبّاقة إلى الكثير من المبادرات الحضارية الرائدة.

وأشار إلى أنّ الكويت برعايتها وإقامتها ملتقى الوقف الجعفري الرابع يؤكّد أنها دولة بكلّ شعبها ومواطنيها بمختلف مذاهبهم وانتماءاتهم وأن أبناءها يحظون باحترام حكومتهم التي تيسر لهم إدارة شؤون دينهم وفق معتقداتهم ومذاهبهم.

ودعا الحكومات إلى تجسيد مفهوم المواطنة وتطبيق المساواة بين المواطنين دون أيّ تصنيف مطالبًا العلماء والمفكرين والدعاة لمواجهة تيارات التعصب والتطرف التي تنشر العداوة والبغضاء بين المسلمين بإصدار فتاوى التكفير واستباحة الدماء والأعراض والنيل من المقدّسات والرموز المحترمة لهذا المذهب أو ذاك والتحريض على الكراهية.

وتمنّى الصفار الخروج من هذا الملتقى بأعظم فوائد التعارف والتواصل وبحصيلة معرفية علمية تنتظرها ساحة الأمة، داعيًا إلى ضرورة التجديد والتطوير في الأبحاث الفقهية والخطاب الديني ليواكب تطورات الحياة ومتطلّبات المجتمع المعاصر، موضّحًا أنّ العمل الأهلي التطوعي أصبح ميدانًا أساسيًّا في تنمية المجتمعات البشرية وخدمة مصالحها في مختلف المجالات.

صحيفة الجريدة: 12 فبراير 2013م، العدد 1876

ومن جهته ألقى كلمة الضيوف الشيخ حسن الصفار من علماء القطيف في المملكة العربية السعودية أكّد فيها أهمية تجديد وتطوير البحوث الفقهية والخطاب

الديني المتصل بقضايا الوقف لتواكب تطورات الحياة وتغيرات القوانين والأوضاع الاقتصادية والحاجات التنموية في المجتمع.

واعتبر الشيخ الصفار أنّ انعقاد هذا الملتقى في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به الأمة والمنطقة حيث تعصف بها محاولات إثارة الفتن الطائفية والنزاعات والخلافات الداخلية يمثل رسالة إيجابية وحدوية قيمة.

ورأى الصفار أن الوحدة الوطنية هي التحدّي الأكبر أمام شعوبنا وأوطاننا في هذا المقطع الزمني حيث تواجه مختلف الشعوب والأوطان محاولات التمزيق والنزاعات البغيضة.

جريدة الوسط الكويتية: 12 فبراير 2013م

خلال افتتاح الملتقى الوقفي الجعفري الرابع:

الصفار: الكويت دولة يحظى أبناؤها باحترام حكومتهم التي تيسر لهم إدارة شؤون دينهم وفق معتقداتهم ومذاهبهم.

من جهته ألقى كلمة الضيوف الشيخ حسن الصفار من علماء القطيف في المملكة العربية السعودية أكّد فيها أهمية تجديد وتطوير البحوث الفقهية والخطاب الديني المتصل بقضايا الوقف لتواكب تطورات الحياة وتغيرات القوانين والأوضاع الاقتصادية والحاجات التنموية في المجتمع.

واعتبر الشيخ الصفار أنّ انعقاد هذا الملتقى في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به الأمة والمنطقة حيث تعصف بها محاولات إثارة الفتن الطائفية والنزاعات والخلافات الداخلية يمثل رسالة إيجابية قيمة.

وأشار إلى أن دولة الكويت برعايتها وإقامتها الملتقى الوقفي الجعفري الرابع يؤكّد أنها دولة بكلّ شعبها ومواطنيها بمختلف مذاهبهم وانتماءاتهم وأن أبناءها يحظون باحترام حكومتهم التي تيسر لهم إدارة شؤون دينهم وفق معتقداتهم ومذاهبهم.

ورأى الصفار أن الوحدة الوطنية هي التحدّي الأكبر أمام شعوبنا وأوطاننا في هذا المقطع الزمني حيث تواجه مختلف الشعوب والأوطان محاولات التمزيق والنزاعاتالبغيضة.

ودعا الحكومات إلى تجسيد مفهوم المواطنة وتطبيق المساواة بين المواطنين دون أيّ تصنيف مطالبًا العلماء والمفكرين والدعاة لمواجهة تيارات التعصب والتطرف التي تنشر العداوة والبغضاء بين المسلمين بإصدار فتاوى التكفير واستباحة الدماء والأعراض والنيل من المقدسات والرموز المحترمة لهذا المذهب أو ذاك والتحريض على الكراهية.

عالم اليوم: 12 فبراير 2013م

من جانبه أكّد الشيخ حسن الصفار من السعودية في كلمته أهمية تجديد وتطوير البحوث الفقهية والخطاب الديني المتصل بقضايا الوقف لتواكب تطورات الحياة وتغيرات القوانين والأوضاع الاقتصادية والحاجات التنموية في المجتمع.

واعتبر أنّ انعقاد هذا الملتقى في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به الأمة والمنطقة حيث تعصف بها محاولات إثارة الفتن الطائفية والنزاعات والخلافات الداخلية يمثل رسالة إيجابية وحدوية قيمة يحتذى بها.

ورأى الصفار أنّ الوحدة الوطنية هي التحدّي الأكبر أمام شعوبنا وأوطاننا في هذا المقطع الزمني حيث تواجه مختلف الشعوب والأوطان محاولات التمزيق والنزاعات البغيضة داعيًا الحكومات إلى تجسيد مفهوم المواطنة وتطبيق المساواة بين المواطنين دون أيّ تصنيف.

ودعا العلماء والمفكرين والدعاة إلى مواجهة تيارات التعصب والتطرف التي تنشر العداوة والبغضاء بين المسلمين بإصدار فتاوى التكفير واستباحة الدماء والأعراض والنيل من المقدسات والرموز المحترمة للمذاهب والتحريض على الكراهية.

جريدة النهار الكويتية: 12 فبراير 2013م، العدد 1780

الصفـار: مطلوب نبـذ العنف والتعصب والتطرف وتجسـيد الوحدة وتعزيز الولاء والانتماء للوطن

مـن جهتـه ألقـى كلمـة الضيـوف الشـيخ حسـن الصفـار مـن علمـاء القطيف في المملكة العربية السـعودية تمنّـى فيها الخروج من هذا الملتقـى بأعظم فوائد التعارف والتواصـل وبحصيلـة معرفية علمية تنتظرها سـاحة الأمة، داعيًا إلـى ضرورة التجديد والتطويـر في الأبحاث الفقهيـة والخطاب الديني ليواكب تطـورات الحياة ومتطلّبات المجتمع المعاصر، موضحًا أن العمل الأهلي التطوعي أصبح ميدانًا أساسـيًّا في تنمية المجتمعات البشرية وخدمة مصالحها في مختلف المجالات، مشيرًا إلى أن منظمات المجتمع المدني اليوم احتلّت موقع الشـراكة مع الحكومات على المسـتوى العالمي وانتزعـت لهـا حصانـة في معظـم دول العالـم التي تقرّ بحـق أبناء الشـعوب بالانتظام والتعاون لخدمة مختلف الأغراض والمصالح المشروعة.

وأضاف الصفار: أنّ الدين الإسـلامي كان سـبّاقًا ورائدًا في تحفيز الاندفاع الذاتي في نفس كلّ إنسـان مؤمن ليبادر إلى خدمة الحياة والبشـر وإعلاء القيم النبيلة الفاضلة وأن يبـذل مـن جهده ووقته ومالـه طلبًا لثواب الله وعطائه، مشـيرًا إلـى أن الوقف من أهـمّ تجلّيات التوجيه الديني في حياة المسـلمين حيث أقبل الميسـورون وأهل الخير مـن أبناء الأمة فـي مختلف العصور والبقاع على تجييـش تحبيس جزء من ممتلكاتهم وأموالهـم لتكون مصدرًا للإنفـاق والصرف على مختلف الحاجـات الدينية والعلمية والاجتماعية، متابعًا: أن محدودي الدخل لم يغفلوا ذلك الجانب أيضًا فيعمل ويكدح حتى إذا ما بنى له بيتًا وامتلك مزرعة صغيرة يعيش منها فإنه يُصيّرها وقفًا لتكون صدقة جارية بعد وفاته.

وأوضـح الصفـار أنّ الثروة الوقفيـة أصبحت ضخمة ببركة التوجيـه الديني وروح البـذل والعطـاء التي زرعها الإسـلام فـي نفوس أبنائـه التي تحتاج إلـى حماية ورعاية

وتنميـة وانطلاقًا من أساسـها الديني فـلا بُدّ وتباين التشـريعات الدينيـة التي تحتاجها وجـود الرعايـة والتنميـة للوقف في هذا العصـر مع تغير القوانيـن واختلاف الأوضاع الاقتصادية.

وأشـار الصفـار إلـى أنّنـا بحاجة إلـى خطـاب دينـيّ يحفّز لتوسـعة رقعـة الوقف وتنويع مجالات أغراضه ومقاصده لخدمة التنمية الاجتماعية الشـاملة من مؤسسـات البحـث العلمـي وتمويـل الجامعـات ومكافحة الأوبئـة والأمراض وتشـجيع الإبداع والإنجاز وحماية البيئة إلى جانب الأغراض المألوفة في أوسـاطنا الدينية كالمسـاجد والحسـينيات والشعائر المقدّسـة، مشيرًا إلى أنّ الحاجة ماسّـة إلى بحث مستحدثات المسائل التي ترتبط بأحكام الوقف والتي نتوقعها في هذا الملتقى العلمي المبارك وأن يُزوّدنا العلماء والمفكرون بدراساتهم وأبحاثهم للإجابة عن التساؤلات المطروحة..

وأضـاف أنّ واقع مجتمعاتنـا وأوطاننا وما يواجهه في الوقـت الحاضر من تحدّي الحفاظ على وحدتها الإسلامية والوطنية حيث يعيش أكثر من بلدٍ ومجتمع خطر التمزّق والانقسـام والاحتراب الداخلي باسـتغلال التنـوع المذهبي أو القومـي أو الاختلاف السياسـي موضّحًـا أنه يهتـم بالتركيز على مدى خطورة اسـتغلال التنـوع المذهبي في إشـارة إلـى الفتنة الطائفية وتمزيق شـمل الأمـة؛ لأنه من أخطر التحدّيـات التي تواجه الشـعوب، وبيّن أن الأمة احتضنت هذا التنوع المذهبي منذ العصر الإسـلامي الأول، فهو ليس أمرًا جديدًا ولا طارئًا بل كان مصدر ثراء علميّ وفكريّ ومظهرا لحرية الرأي وشرعية الاجتهاد.

وتابـع: لقد عاشـت مجتمعاتنا الإسـلامية ومنهـا الخليجية متآلفـة متحابة متعاونة فـي ظلّ هذه التعدديـة المذهبية، لكنها اليوم تواجه امتحانًا جدّيًّا للحفاظ على وحدتها بسـبب تصاعد التوجهات التعصبية المقيتة، مسـتدركًا: وإذا كان الجميع مسـؤولًا في مواجهـة هـذا الخطـر الداهم وخاصـة العلمـاء والمفكريـن وذوي الرأي فإنّ القسـط الأكبر من المسؤولية يقع على عاتق الحكومات والأنظمة السياسية في بلاد المسلمين

بـأن تكـون الحكومة في كلّ بلـدٍ دون أيّ تحيّز مذهبي أو تمييز طائفـي باعتماد مفهوم المواطنـة والمسـاواة بين المواطنين ومنـع وتجريم أيّ تحريض علـى الكراهية وإثارة العداوة والبغضاء.

وأكمل: ومن هنا يأتي التقدير والإكبار لدولة الكويت الكريمة لإقامتها هذا الملتقى للوقف الجعفري الذي جاء انطلاقًا من أن مواطنيها الشيعة هم جزء لا يتجزأ من وطنهم وشـعبهم وأن لهم الحقّ في إدارة شـؤونهم الدينية ومنها الوقف وفق أحكام مذهبهم، كما يتمتعون برعاية الدولة التي تمكّنهم من التعبير عن مجهودهم وحضورهم الوطني.

ولفـت إلى أنها رسـالة معبّـرة في ظلّ ظروف المنطقة الحاسـمة وتؤكّـد دور دولة الكويت الرائد في إيمانها بالوحدة الإسـلامية والوطنية ووفائها لشـعبها الذي دافع عن وطنه في السّراء والضّرّاء بشيعته وسنته وصنع ملحمة خالدة في ردّ العدوان على كيانه واسـتقلاله، فبارك اللـه للكويت هذا التعايش والتماسـك الوطنـي وحفظها وكلّ بلاد المسلمين من الفتن والاضطرابات.

جريدة الصباح الكويتية: 12 فبراير 2013م، العدد 1484

الصفـار: لا بُـدّ مـن تجديـد البحوث الفقهيـة والخطـاب الديني المتصـل بالوقف لتواكب تطورات الحياة

ومـن جهتـه، ألقى كلمـة الضيوف الشـيخ حسـن الصفار مـن علمـاء القطيف في المملكـة العربية السـعودية أكّد فيها أهمية تجديد وتطويـر البحوث الفقهية والخطاب الدينـي المتصل بقضايا الوقف لتواكب تطورات الحيـاة وتغيرات القوانين والأوضاع الاقتصادية والحاجات التنموية في المجتمع.

واعتبر الشـيخ الصفار أن انعقاد هذا الملتقى في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به الأمة والمنطقة حيث تعصف بها محاولات إثارة الفتن الطائفية والنزاعات والخلافات الداخلية يمثل رسالة إيجابية وحدوية قيمة.

وأشار إلى أن دولة الكويت برعايتها وإقامتها الملتقى الوقفي الجعفري الرابع يؤكّد أنها دولة بكلّ شعبها ومواطنيها بمختلف مذاهبهم وانتماءاتهم وأن أبناءها يحظون باحترام حكومتهم التي تيسّر لهم إدارة شؤون دينهم وفق معتقداتهم ومذاهبهم.

ورأى الصفار أنّ الوحدة الوطنية هي التحدّي الأكبر أمام شعوبنا وأوطاننا في هذا المقطع الزمني حيث تواجه مختلف الشعوب والأوطان محاولات التمزيق والنزاعات البغيضة.

ودعا الحكومات إلى تجسيد مفهوم المواطنة وتطبيق المساواة بين المواطنين دون أيّ تصنيف مطالبًا العلماء والمفكرين والدعاة لمواجهة تيارات التعصب والتطرف التي تنشر العداوة والبغضاء بين المسلمين بإصدار فتاوى التكفير واستباحة الدماء والأعراض والنّيل من المقدّسات والرموز المحترمة لهذا المذهب أو ذاك والتحريض على الكراهية.



٧

الشيخ الصفار يحتفي بمبدعي القطيف ولجنة التكريم وضيوفها

احتفى سماحة الشيخ حسن الصفار في مكتبه ظهر يوم الخميس (٢٦ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ الموافق ٧ فبراير ٢٠١٣م) بضيوف مهرجان «القطيف.. عالمية الإبداع» الذي أقامته لجنة التكريم الأهلية بالقطيف لتكريم ثلاثة عشر مبدعًا من أبنائها كرّموا عالميًّا.

وقد شكر سماحة الشيخ الصفار في بداية كلمته الحضور، وقال: إنّها نعمة كبيرة أن يوفّقنا الله للاجتماع في هذا اليوم المبارك، وكلّه ببركة الأخوة الأعزاء في لجنة التكريم الأهلية بالقطيف والأخوة المكرّمين.

وأشار إلى أهمية وجود الكفاءات والقدرات في المجتمعات. فإن قوة كلّ مجتمع بمستوى الكفاءات من أبنائها، وإذا ما أراد مجتمع القوة والمستقبل المشرق، فعليه أن يهتم بأبنائه، ويفجّر طاقاتهم، والتكريم وسيلة من وسائل التحفيز لنيل الكفاءة والمواقع المتقدمة في مختلف المجالات.

وأضاف سماحته: علينا ملاحظة قيمة العمل الجمعي. فهذه اللجنة أهلية، وكم نحن بحاجة إلى برنامج العمل الأهلي، أن تكون هناك منظّمات للمجتمع المدني. صحيح أنّ الحكومات تضع العراقيل والعقبات، ولا تفسح المجال لقيام اللجان والمؤسسات الأهلية، فهي تؤمّن كلّ شيء، وتهيمن على كلّ شيء.

وأبان أن مجتمعاتنا تزخر بالكفاءات، وفي نفوس الناس تطلّعات يريدون أن

يخدموا وطنهم ومجتمعهم، لكن مع الأسف هذه الأنظمة لا تفسح المجال أمام الناس، فكلّ شيء تحت هيمنة الدولة وإشرافها.

وأوضح الشيخ الصفار أنّ في القطيف نشاطًا أهليًّا واجتماعيًّا وحقوقيًّا وثقافيًّا ومختلف الأنشطة، «ولا نزال نشعر بالحاجة لوجود المزيد؛ لأنّ هناك حاجات للمجتمع، ولأنّ هناك كفاءات تتطلع لممارسة دورها في خدمة مجتمعها».

وعن فائدة اللقاءات والتواصل مع الناس قال سماحته: لا ينبغي أن تعيش كلّ منطقة وكأنها معزولة عن المناطق الأخرى، ولا ينبغي أن يكون التنوع الفكري أو المذهبي سببًا للقطيعة بين الناس، التنوع إثراء وخير ونعمة في كل مجتمع، علينا أن ننفتح على بعضنا بعضًا، صحيح أننا ابتُلينا بجماعات تريد إقامة الحواجز بين أبناء الأمة الواحدة، بسبب الاختلافات الفكرية والمذهبية، ولكن انتشار الوعي عند الناس سيعيننا على تجاوز هذه الحواجز المصطنعة.

وأبدى سروره من تواجد أبناء من الوطن الواحد، من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والرياض، وجدة، والقصيم، ونجران، والدمام، والأحساء، ومختلف المناطق، للمشاركة في برنامج تكريم المبدعين في القطيف، وقال: إننا نجتمع ونتعاون على البرّ والتقوى، وخدمة المجتمع، وهذا شيء جميل ومبهج.

وطالب شعوب مجلس التعاون الخليجي بألّا ينتظروا التوجّهات الرسمية، فعليهم أن يبادروا ويتواصلوا في الكويت والبحرين وعمان وقطر والإمارات، ففي كلّ بلد هناك تجارب وآراء وتاريخ وكفاءات، ينبغي أن ننفتح على بعضنا بعضًا، وكذلك على بقية البلدان العربية والإسلامية، معلّلًا ذلك بأن مجلس التعاون الخليجي لم يحقق التطلعات في الواقع العملي بما يخدم شعوب هذه المنطقة، حسب اعترافات المسؤولين أنفسهم، فبعد مضيّ سنوات على إقامته، والإعلام الذي يصحب قممه، لكن المواطن لا يلمس شيئًا من تطلّعاته التي تجعل أبناء هذه المنطقة يعيشون كشعب واحد.

مداخلات

بدأت المداخلات بمداخلة الأستاذ أسامة الصايغ ـ من إدارة الأوقاف الجعفرية بدولة الكويت قال فيها: باسمي وبالنيابة عن الأخوان من الكويت وبقية المناطق أتقدّم بالفعل بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للإخوان أعضاء لجنة التكريم الأهلية بالقطيف، على هذا الجهد الرائع والمنظم، الذي بالفعل يدلّ على الوعي المؤسّسي للإخوان في القطيف، ولعلّ هذا يندرج على وعيهم لأهمية التكريم، كما تفضل سماحة الشيخ لشرائح مختلفة من المنطقة، بالفعل لعلّهم يكرّمون دوليًّا ولكن يحتاجون التفاتة من هيئات المجتمع المدني المحلي.

وتحدّث السيد منصور الغافلي، ناشط اجتماعي من الأحساء: مؤكّدًا ضرورة الاهتمام بالعمل الأهلي مستشهدًا بتجربته في نادي القارة الرياضي وجمعيتها الخيرية.

مداخلة (الأستاذ توفيق اللواتي) عضو مجلس الشورى في سلطنة عمان:

أتقدّم بجزيل الشكر لسماحة الشيخ الصفار على هذه الدعوة الكريمة، وكذلك لجنة التكريم لدعوتنا للحضور والمشاركة بين إخواننا وأهلنا في بلدنا الثاني. طبعًا هي تجربة ممتازة، ونأمل أن تتكرر على مستوى الخليج، حتى لو على الصعيد الرسمي لم يكن حسب المتأمّل، ولكن نأمل على المستوى الأهلي، وأن نتجاوز الحواجز المصطنعة. طبعًا أنا أعتبر نفسي من أبناء هذه المنطقة ولا أحتاج لدعوة. شكرًا لكم وأتمنى أن نلتقيكم في سلطنة عمان.

مداخلة الفنان جاسم النبهان من الكويت:

للقطيف علاقة بأحد الأحبّة، وهو خالد الفرج، ولها تأثير على شعره، قرأت عن القطيف في ديوانه، والحمد لله أن الله مدّ لي في العمر، وجئت لأهل القطيف ورأيتهم بهذه الحفاوة الرائعة. أن أقوم لأكرّم أحد المبدعين الشباب، أنا قمت بتكريم جيل كامل، وأعطيته دفعه قوية بنفس الوقت، إذا كان اليوم كرم زميلي وأخي من الوسط

الـذي أنتمي إليه وهو الأخ عبد الناصر الزاير هـذا الرجل العصامي، فقد واكبت حياته منذ دخوله المعهد، فهو تكريم لي أنا ولشريحتنا من الفنانين.

مداخلة الشيخ محمد العطية:

خلاصة القول الشكر الذي نرفعه للجنة التواصل الوطني، ولجنة التكريم الأهلية، لا بُدّ أن يتبعه شكر لكلّ الداعمين، ومن هؤلاء الداعمين الحضور من مختلف المناطق من المملكة وخارجها، حفظهم الله تعالى. ولا بُدّ من الشكر إلى أبرز من يضع بصمته في كلّ فعالية اجتماعية، إنه سـماحة الشـيخ حسـن الصفـار الذي يكون بـارزًا في كلّ قضية تمسّ المجتمع، سـواءً من الناحية الفكرية أو الوطنية. لذا لا بُدّ من وضع النقاط على الحروف لحرص اللجنتين الكريمتين وسماحة الشيخ على الإصرار على الوجود المتنـوع من الضيوف الكـرام في منطقة القطيف، إنّ وجودهم ليـس جزءًا من التكريم فحسـب، بل هـذا الوجود لنصنـع وحدة وطنية إسـلامية نعلو بها على الصوت الشـاذّ الذي يحاول تفتيت الأمة. أعتقد أن واحدة من ثمرات اللقاء الكريم أن نشدّ على أيدي بعضنا لرفع صوت الاعتدال ليكون هو الصوت المسموع.

مداخلة الدكتور محمد آل محروس (أحد المكرمين):

واقعًا لـم نشـعر بأننا مكرّمون، بل جزء مـن منظمي المهرجان، خصوصًا مع وجود الضيـوف الكرام من مناطق المملكـة، ودول الخليج، والتكريم الحقيقي هو أننا ننتمي لهـذه الأرض الطيبة. والكلمة التي أقولها باسـم المكرمين هو الشـكر للضيوف ولكم جميعًا.

مداخلة الأستاذ فاضل العماني:

تُقاس المجتمعات والشـعوب والأمم بما تُقدمه للحضارة الإنسانية، من إبداعات وإنجازات وخدمات، تُسهم في ازدهار وارتقاء ونماء البشرية. تلك هي طبيعة التجربة الإنسـانية الحقيقية، بكلّ ما تحفل به من انعطافـات وتحولات وتمظهرات، منذ عصر

الإنسان الأول وحتى وقتنا الراهن. وفي المقابل، تُفضل مجتمعات وأمم أخرى خاصة في العالم الثالث، أن تسكن الظلّ، وتعيش الهامش، وتعشق النسيان؛ لأنها لا تمتلك إرادة الحاضر أو جرأة المستقبل، ولا تملك أدوات وآليات التطور والتحديث والتنمية. التكريم يُمثّل تحريضًا صريحًا على التميز والتفوق، وتحفيزًا إيجابيًّا على البذل والإصرار والإخلاص، كذلك، يُعتبر التكريم بمختلف أشكاله ومستوياته، دعوة صادقة لاستمرار الجهد ومواصلة العطاء، سواءً للمكرمين أو مختلف أفراد وشرائح المجتمع، كما يُمثل التكريم استثمارًا ذكيًّا في طبقة المبدعين والمميزين الذين يُحققون التنمية الشاملة والمستدامة للوطن.. شكرًا للشيخ الصفار وللجنة التكريم ولكلّ الضيوف، شكرًا لكم جميعًا.

مداخلة الفنان عبد الناصر الزاير:

أعجز عن الشكر للجنة والضيوف الكرام، وهذا التكريم حملنا المسؤولية أكثر وأكثر، فهو وضعنا في ضوء خاص، لذلك أشعر بالمسؤولية أكثر، وتقديم ما هو مفيد أكثر للمجتمع، وكلمات الشكر قليلة لو قلتها لمن نظّموا ولمن دعانا. أشكركم، أشكركم.

يُشار إلى أن لجنة التكريم الأهلية، وهي الجهة المنظمة لهذا الاحتفال، قد تأسست عام ١٤٢٧هـ، وكرّمت خلال سنواتها الخمس العديد من الشخصيات والجمعيات والمؤسسات، إيمانًا منها بأهمية التكريم، كصيغة مُثلى للشكر والوفاء والتقدير لمبدعي الوطن.

أما النجوم الـ١٣ التي كرّمتها اللجنة، فهم: الدكتورة أمل الصنَاع، المعلمة شهزلان الصفار، الدكتور جعفر آل توفيق، الدكتور حسام الحبيب، المهندس سعيد المبارك، المهندس عادل العوامي، الفنان عبد العظيم الضامن، الفنان عبد الناصر الزاير، الدكتور علي آل حمزة، الدكتور محمد المرهون، المهندس محمد أبو فور، الدكتور محمد آل محروس، المهندس نوري آل شبيب.

وكان للجنة التواصل الوطني دور أساس في استقبال ضيوف المهرجان وإدارة برنامج زيارتهم.

كما حضر دعوة الغذاء التي أقامها الشيخ الصفار في مكتبه على شرف الضيوف والمكرّمين ولجنة التكريم عدد من شخصيات البلاد من القطيف والدمام والأحساء.







مشاركًا في مهرجان الرحمة المهداة الأول في الكويت

٧

الشيخ الصفار: الرسول وضع أول وثيقة تؤسّس لحالة التعايش الوطني

بدعوة من اللجنة المنظمة لمهرجان الرحمة المهداة الأول في الكويت، شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الندوة المقامة في حسينية دار الزهراء، وذلك يوم الأربعاء ١٨ ربيع الأول ١٤٣٤هـ الموافق ٣٠ يناير ٢٠١٣م.

وقد أكّد سماحته: أن حاجة المجتمعات الإسلامية لإحياء مناسبة ميلاد النبي ﷺ ليس لتلاوة المدائح في حقه، وقد مدحه الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بأجمل المدائح.

وأضاف: إننا بحاجة إلى إحياء هذه المناسبات، من أجل الاستلهام من سيرة الرسول الأعظم ﷺ، وجعلها خارطة طريق لخلاص الأمة مما تعيشه من مشكلات، على جميع الصُّعد السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

وأوضح: أن نهضة الأمم تبدأ بوجود تطلّع، وهو عادة ما تعطيه القيادات لشعوبها، وهو المحفّز للعمل الجادّ والتفاعل الإيجابي، مستشهدًا بدول نهضت بتطلعها وتطورها، ووصلت لأهدافها المنشودة كاليابان وماليزيا وسنغافورة وتركيا.

وتابع الصفار حديثه حول قيام رسول الله بوضع أول وثيقة دستوريه تعزّز الحالة الوطنية للتعايش الإنساني في المدينة المنورة دخل فيها المسلمون واليهود في حالة منتجة باعثة للعمل والبناء والتواصل بين الأطراف.

وأكّـد أن الخالـق سـبحانه «يعطى العاملين بقـدر أعمالهم» وعليهـم أن يجدّوا في أعمالهـم ويتفاعلوا معها كي تنتج وتنمو، وهذا لا يكون إلّا بالعمل الجمعي، والبحث عن المشتركات في العمل، وترك الاختلافات جانبًا.

أكّد الشيخ حسن الصفار وجود مأزومين يحاولون تفجير الأزمات يبن طرفي الأمة من السـنة والشـيعة، دون الوصـول إلى أيّ مكاسـب أو أهداف، وهي حالـة عقيمة لا فائدة ترجى منها، مشـيرًا إلى حالة التشـنج الطائفي القائمة في العالم الإسلامي اليوم، وانعكاسها السّلبي على الأمة.

وحذّر الشـيخ الصفار من انتشـار «الخرافات» التي أصبحت تهيمن على قسـم من مجتمعات العالم الإسلامي وتسعى لتدميره.

ووصف الخرافات بأنها «ابتلاء كبير أصاب المجتمعات الإسلامية وتعطّلت بسببه العقول» ونتج عنه الاستسلام والخنوع لقدر ليس من صنع الإنسان نفسه، مبيّنًا لأربعة عوامـل تؤدي إلى النهوض الإيجابي للمجتمعات وهي التطلع والأمل، وإثارة العقل، والفاعلية، والعمل الجمعي.

هذا وقد شارك في الندوة التي كانت بعنوان: «الأبعاد الاجتماعية في حياة الرسول ﷺ» كلٌّ من: الشيخ عباس آل جابر، والشيخ كاظم العمري، وتمّت تغطيتها عبر قناتي الفرات العراقية والكوت الكويتية.





جزائري يكتب عن الانفتاح عند الشيخ الصفار

عبد الباري أحمد الدخيل



صدر للكاتب الجزائري موراد غريبي موراد كتاب «الانفتاح نهج المعرفة والتعايش» مسلّطًا الضوء على الاشتغالات الفكرية والاجتماعية لـ«الانفتاح» عند سماحة الشيخ حسن الصفار معتمدًا على كتابات الشيخ الصفار ومحاضراته.

عن «الانفتاح» يقول المؤلف: هذا العنوان الذي يوحي بالبركة والشفافية والوضوح والحضور والمقابلة والإيجاب والرغبة في اللقاء والمصارحة، فهو فعالية لوظيفة مفهوم الفتح باصطلاحاته كلّها، ومن الممكن القول إن الانفتاح هو تمكّن ثقافة الفتح من وظيفتها الحضارية...

ثم يضيف: عنوان الانفتاح، أسعى في هذه السطور لإثارته من خلال أفكار أحد أعزّ المفكرين وعلماء الدين على نفسي، وممن تشرفت بالتعلّم في رحاب شخصيته الإسلامية المنفتحة وفكره الرّحب، للانفتاح على قضايا الأمة، واليوم أستأذن سماحته أن أرافقه في مشوار تنبيه الأمة بعناوين ثقافتها الأصيلة، ليكون التغيير سليمًا وصحيحًا، وتنتقل ثقافتنا في جوّها الخاص من حال الجمود والتنظير إلى الدّيناميّة

والواقعية الرّساليّة ... إنه عالم الدّين السعودي والمفكر الإسلامي سماحة الشيخ حسن بن موسى الصفار.

ففي العديد من كتاباته ومحاضراته يؤكد الشيخ الصفار على نقطة جوهرية واستراتيجية في وعي ثقافة الانفتاح على الآخر، تتحدّد في قضية نقد الذات، وترتبط أيضًا بوعي حقيقة العصبية وما يتفرّع عنها من تنميط وتعميم وصولًا إلى قبول ضرورة التعايش بعد وعي حقيقة التنوع، وإيضاحًا لهذا المرتكز الأساس في بناء وعي ثقافي رصين عن الانفتاح، أرى أهمية استدراك تحليلات الشيخ الصفار لكلا البعدين (التعصّب والتعايش) حتى تتضح لنا أكثر ماهيّة الانفتاح.

ينطلق سماحته بأسلوبه التربوي الرّحب - كعادته - ليثير دفائن العقول للقضايا والأفكار والتّصورات التي كرّست التخلّف في أوساط مجتمعات أمتنا، حيث يقول: «إن التزكية المطلقة للذات وتجاهل نقد الآخرين، مهما كانت أغراضهم منه، تحرمنا التقدم والتطور، وتفوّت علينا فرص الإصلاح والتغيير...».

يتناول المؤلف مشروع الانفتاح عند الشيخ حسن الصفار عبر بوابات يَعدّها لتقريب الفكرة:

- حقيقة أزمة الانفتاح.
- ما هية الانفتاح على الآخر.
- الانتقال من كهف التعصب إلى فضاء التعايش.
- سمات الانفتاح.



٧

عبد المجيد العبدالله يحتفي بالشيخ الصفار

لبّى سماحة الشيخ حسن الصفار دعوة رجل الأعمال الوجيه عبد المجيد العبدالله، الذي احتفى بالشيخ الصفار في مزرعته بالأحساء، ظهر يوم الأربعاء ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٤هـ الموافق ٢٧ فبراير ٢٠١٣م بحضور حشدٍ من شخصيات الأحساء من العلماء والوجهاء.

وبعد ترحيبه بالشيخ الصفار طلب العبدالله من سماحة الشيخ إلقاء كلمة بالمناسبة.

فتحدث الشيخ الصفار مؤكّدًا على أهمية التواصل الاجتماعي؛ لما فيه من تعزيز للمشاعر الإيجابية في النفوس، وتنمية للنوازع الخيّرة، ولأنّ التواصل يتيح الفرصة للتكافل والتعاون، وتدوير الآراء والأفكار، من أجل تطوير وإصلاح واقع المجتمع.

كما طالب رجال الأعمال بتشجيع الحراك الاقتصادي الاستثماري في المجتمع، ببذل الخبرة والتجربة لأبناء مجتمعهم، وتحفيزهم نحو العمل الحرّ، بدل الاعتماد على الفرص الوظيفية التي أصبحت نادرة.

وأشار سماحته إلى ضرورة نشر ثقافة التسامح، ورفض التوجهات التعصبية، وإثارة الشحناء والبغضاء؛ لأنّ الإسلام دين المحبة والاحترام، وتعاليمه تؤكّد رعاية مشاعر الآخرين، وعدم الإساءة إليهم.

وقال: إنّ أيّ فكرة تزرع البغضاء والأحقاد بين أبناء المجتمع الإسلامي، هي فكرة شيطانية؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ مضيفًا:

إنه من المؤسـف أن يدّعي البعض أن الدين يأمره بانتهاك حرمات الآخرين المخالفين لـه في الرأي، والتعدّي على حقوقهم ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَـاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

كما زار الشيخ الصفار مجلس الحاج عيسى السلطان في قرية المنصورة، وسماحة الشـيخ حسـين الراضي، ومجلس الحاج عبـد المنعم الحبابي فـي العمران، ومجلس الحاج علي محمد العيثان في القارة، ومجلس الحاج سـعدي البقشي، وسماحة السيد محمد باقر الجبيلي في الجبيل.







صحيفة الشرق: العبد الله يحتفي بالشيخ الصفار ورجال أعمال*

شـرَّف عـدد من المشـائخ ورجال الأعمـال من محافظة الأحسـاء ومدينـة الدمام ومحافظـة القطيـف حفـل الغـذاء الذي أقامـه رجل الأعمـال عبد المجيد بن سـلمان العبدالله، في مزرعة الحمدانية بمحافظة الأحسـاء، وتقدّمهم حسـن الصفار، وحسين العايش، وحسـين الراضي، ورجال الأعمال غسّان النمر، وباسم الغدير، وعبد الجبار بومـرة، وعبد الحميد الملا، وأمير الخواجة، ومحمد الخرس، وإبراهيم العوض. وتمّ تناول أطراف الحديث حول عدد من المواضيع الاجتماعية بعد مأدبة الغذاء.

* صحيفة الشرق المطبوعة العدد رقم (٤٥٦) صفحة (١٤) بتاريخ (٠٤-٠٣-٢٠١٣).



٧

العلامة فضل الله في ضيافة الشيخ الصفار*

استقبل الشيخ حسن الصفار بمكتبه عصر الخميس (١ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ الموافق ١١ أبريل ٢٠١٣م) العلامة السيد علي فضل الله، الذي يزور المنطقة بغرض أداء واجب العزاء في الراحل آية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي.

وبعد كلمة ترحيبية ألقاها الشيخ الصفار بحضور نخبة من المثقفين وعلماء المنطقة، ألقى السيد فضل الله كلمة شكر فيها الشيخ الصفار، وتناول فيها جانبًا من أوضاع المنطقة.

وأشار العلامة فضل الله في كلمته إلى الظروف الحسّاسة التي تعيشها المنطقة، مشيرًا إلى تزايد الحاجة إلى نهج الانفتاح والاعتدال الذي عدّ الشيخ الصفار أحد روّاده.

وأضاف سماحته: إن سيرة أهل البيت تشدّد باستمرار على نهج التعايش والانفتاح مع الآخرين، لخدمة قضايا الأمة، والنأي عن التقوقع على الذات، أو النزاع والتقاطع.

وأكّد فضل الله ضرورة التمسك بالوحدة الإسلامية ولمّ الشمل، خصوصًا في ظلّ الاستقطاب الطائفي الذي تشهده المنطقة على المستوى الإقليمي.

زيارة العلامة فضل الله، وهو نجل المرجع الديني الراحل السيد محمد حسين

---

* جهينة الإخبارية ١٣ / ٤ / ٢٠١٣م

فضـل اللـه للمنطقة، تأتي بغـرض أداء واجـب العزاء في آيـة الله الراحل الشـيخ عبد الهادي الفضلي.

ورافق السيد فضل الله العلامة الشيخ علي حلاوي والعلامة الشيخ حسين الخشن في اللقاء الذي جمع كذلك حشدًا من علماء ومثقفي المنطقة.

وكان مكتب الشيخ الصفار شـهد خـلال اليوميـن الماضيين حركة كثيفـة، لوفود وشـخصيات علمائيـة بـارزة، حضرت للقاء الشيخ الصفـار فور عودته مـن العاصمة الرياض، بعد غياب دام نحو عشرة أيام.







٧

الشيخ الصفار يدعو إلى خدمة الناس وتلمّس حاجاتهم استلهاماً من سيرة أهل البيت عليهم السلام

صادق راضي العلي

استضافت بلدة المنصورة بمحافظة الأحساء سماحة الشيخ حسن الصفار يوم الخميس: ٢١/ ٦/ ١٤٣٤هـ الموافق ٢ مايو ٢٠١٣م

حيث أمّ المصلين صلاة الظهرين في جامع الإمام الصادق.

وكانت لسماحته كلمة ألقاها بعد الصلاة مباشرة بمناسبة ذكرى ميلاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

تطرق خلالها إلى مكانة السيدة الزهراء ودورها الفعّال في تربية أبنائها، والعناية المميزة التي يوليها لها رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأردف قائلًا بأننا حينما نُقدّس أهل البيت وحينما نحبّ أهل البيت، ذلك لأنهم كانوا التجسيد الأعلى والأكمل للقيم السامية في هذه الحياة.

مبيّنًا بأنّ هذا التقديس يستدعي الاقتداء والعمل بسيرتهم المباركة، وليس فقط باعتبارهم متحفًا ننظر إلى لوحاته بإعجاب، وإنما هي منهج يجب أن نترسّم خطواته في حياتنا.

مضيفًا بقوله: لا يكفي بأن نعجب بشخصيات أهل البيت وأن ننبهر بسيرتهم، وإنما

يجب أن تتحول سيرتهم إلى خارطة طريق لنا في هذه الحياة.

ودعـا المجتمع إلـى تلمّس حاجـات الناس، والسّـعي من أجـل خدمتهم، وذلك استلهامًا من سيرة أهل البيت عليهم السلام.

وأوضـح سـماحته بأنّ من يوالـي أهل البيت يجـب أن يكون متجـاوزًا لذاته، وأن يُكـرّس وجوده وحياتـه لخدمة الناس، وأن يفكّـر في الفقراء والضعفـاء والمهمومين والمكروبين، وأن يعمل من أجل خدمة كلّ الناس، وهذا مصداق للدعاء الوارد «اللهمّ أدخلنا في كلّ خير أدخلت فيه محمدًا وآل محمد».

مؤكّداً بأن من تحكمه الأنانية، وتسيطر عليه الـروح المصلحية، ويبخل على أبناء مجتمعه من عطائه وجهده وعمله ونشـاطه، حتى وإن أظهر حبّه وعشـقه لأهل البيت، وانبهـاره بسـيرتهم، فإن بينـه وبين أهل البيت مسـافة طويلة، عليـه أن يتجاوزها، حتى يكون في طريق الاقتداء بأهل البيت.

وأشـار سـماحته بأننا في هذا العصر أمام تحدّيات كبيرة ومشـاكل كثيرة، ينبغي لنا أن نؤكّد هذا المبدأ في مناسباتنا وفي تجمّعاتنا، باعتبارها فرصة لتجديد العهد مع أهل البيت، وترسّم سيرتهم، والسعي من أجل الاقتداء بهم.

موضّحًـا بـأن من يملـك جاهًا أو موقعيةً فـي المجتمع، فعليه أن يُسـخّر هذا الجاه وهـذه المكانـة في خدمة مجتمعه وفي تطوير مسـتوى الأداء عند النـاس، كما ورد في الحديث الشـريف: «إن الله ليسـأل العبد يوم القيامة في جاه كما يسأله عن ماله، فيقول له: عبدي أعطيتك جاهًا فهل نصرت به مظلومًا أو أغثت به ملهوفًا».

مضيفًـا بقولـه: علينـا الاقتداء بأهـل البيت في حبّهـم للناس، وفي سـعيهم لخدمة النـاس، وفـي حملهم لهمـوم الناس بيـن جوانحهم، وفـي داخل وجدانهـم، حتى مع الأعـداء الذين كانوا يُسـيئون إليهم وينالون منهم، كان أهل البيـت يفيضون عليهم من حبّهم وفضلهم؛ لأنهم يتخلّقون بأخلاق الله تعالى.

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه شيعة أهل البيت، بأن يكونوا بركة على من جاورهم، وأن يكونوا مقتدين بسيرتهم ومنهجهم في تعاملهم مع الناس، وفي رسم الصورة الساطعة لطريقهم وسلوكهم المستقيم.

ولبّى الشيخ الصفار دعوة غذاء أقامها على شرفه الوجيه الحاج محمد الخرس (أبو هاني) حضرها جمع من العلماء والشخصيات من الأحساء والدمام والقطيف، وكان في طليعتهم: أصحاب السماحة السيد علي السيد ناصر السلمان، والشيخ محمد اللويم، والشيخ حسن الشيخ باقر أبو خمسين، والشيخ حسين العايش، والشيخ حسين الراضي، والشيخ موسى أبو خمسين، والشيخ عادل أبو خمسين، والشيخ عبدالله الياسين، والشيخ جواد الجاسم، والسيد محمد رضا السيد طاهر السلمان، والسيد موسى الهاشم، والشيخ عبد الجليل البن سعد، والشيخ عبد الجليل الأمير، والشيخ حسن الراضي، والشيخ حسن عبد الهادي أبو خمسين والدكتور الشيخ محمد جواد الخرس، والشيخ جواد الخليفة والشيخ عبد العزيز القضيب.







في محاضرته بختام موسم منتدى الثلاثاء الثقافي الشيخ الصفار:

أيّ ثقافة نريد في المجتمع السعودي ؟

اختتم منتدى الثلاثاء الثقافي بالقطيف موسمه الثالث عشر باستضافة رجل الدين البارز سماحة الشيخ حسن الصفار، وذلك مساء يوم الثلاثاء ٤ رجب ١٤٣٤هـ الموافق ١٤ مايو ٢٠١٣م، في أمسية تحت عنوان «أيّ ثقافةٍ نريد في المجتمع السعودي؟».

في بداية الأمسية، قدّم عضو اللجنة المنظمة للمنتدى الأستاذ موسى الهاشم عرضًا مرئيًّا حول منجزات المنتدى خلال موسمه الثالث عشر، مستعرضًا أبرز محاضرات هذا العام التي بلغت ٢٧ محاضرة شارك فيها ٣٦ ضيفًا، وتنوعت مواضيعها في مجالات الثقافة والإعلام والأدب والسياسة والحقوق والفنّ والتعليم. كما أقام المنتدى خلال هذا الموسم أربعة عشر معرضًا فنيًّا في مجالات التشكيل والتصوير الفوتغرافي وفنّ الكاركتير لفنانيين وفنانات من أبناء المنطقة عرفوا بتجاربهم الفنية. واستضاف المنتدى ٢٠ نشاطًا اجتماعيًّا لمؤسّسات وأفراد لهم مساهمات مختلفة لتطوير وتنمية المجتمع. وأعقب ذلك نقاش مع الحضور تناول عدة مقترحات وأفكار لتطوير عمل وبرامج المنتدى.

في كلمته الافتتاحية، تحدث مدير الأمسية الأستاذ زكي البحارنة عن أزمة الثقافة والفكر في المنطقة العربية والصراعات الاجتماعية وانعكاس ذلك على المشهد الثقافي المحلي، إذ يبدو ذلك جليًّا على شبكات التواصل الاجتماعي وفي الإقبال على معارض الكتاب وتزايد مؤتمرات الحوار الرسمية والأهلية وتعدّد المنتديات الثقافية، وهو مايدفع الى طرح التساؤل؛ أيّ ثقافةٍ نريد في ظلّ هذه التحدّيات

والتوجهات المتباينة.

بدأت المحاضرة بإشارة الشيخ حسن الصفار إلى العلاقة الجدلية التي تجمع الثقافة بالواقع الاجتماعي، وارتباطهما الوثيق، فالثقافة رغم تأثرها بالواقع المعيش، فهي المؤثر الأساس في تكوين أيّ صورة للواقع الاجتماعي، إذ إنها تساهم في تشكيل سلوك الأفراد ونظرتهم عن واقعهم، وعمّا يدور حولهم. وأضاف: إنّ تقويم الواقع الثقافي والتفكير في سمات الثقافة المطلوبة يتطلب تشخيص المرحلة التي يعيش المجتمع ضمن إطارها، حيث إنّ لكلّ مرحلة لونها الثقافي الخاصّ؛ فالعيش في مرحلة الانكسار تؤدي بالمجتمع إلى دوامة التبرير وانتشار الغيبيات وتفشي ثقافة المؤامرة ونظرياتها بعكس مرحلة التطلّع.

وأكّد الشيخ الصفار أن المجتمع المحلي يعيش مرحلة نهضة وتوثب للتقدم والتغيير والسعي للأفضل، مدلّلًا على ذلك بوجود العديد من المؤشرات، منها ارتفاع مستوى التعليم، والإقبال على التعليم العالي، وانتعاش الأنشطة الثقافية والفكرية، وارتفاع حصيلة إنتاج وطباعة الكتب وبيعها وكثرة المنتديات الثقافية، بما في ذلك وجود التطلعات السياسية التي تزداد بروزًا في المجتمع، وتوجّهه نحو التغيير والتطوير فيما يتعلق بواقعه السياسي، حيث أصبح أفراده أكثر ثقة وأكثر رغبة في التعبير عن الآراء والأفكار والتطلّعات.

وعلى ضوء ما ذكره سابقًا، تساءل الشيخ الصفارعن الثقافة التي يحتاجها المجتمع في هذه المرحلة، وعن التحدّيات والصعوبات التي تواجهه أثناء خوضه فيها، مبيّنًا وجود صراع حادٍّ بين اتجاهي النهضة والركود. وأوضح أن هناك مقاومة لثقافة التغيير والإصلاح من قبل المؤسسات ذات المصلحة لإبقاء الواقع على ما هو عليه في هذه المرحلة. وبيّن الشيخ أن متطلبات الثقافة الجديدة التي يحتاجها المجتمع في هذه المرحلة يمكن أن تتركز في اتجاهات ثلاثة.

الاتجاه الأول: يتلخّص في تأكيد ثقافة الأمل والتفاؤل والثقة بالذات التي تنمي القدرة على الاستمرارية والكفاح الطويل، وذلك يُعدّ من متطلبات مرحلة النهوض،

مستشـهدًا بثورات الربيع العربي التي عزّزت الأمل لدى المجتمعات العربية، وزرعت الثقـة في ذواتهـا، على الرغم من أن هناك من يبث ثقافة اليـأس والإحباط، ويدعو إلى الفشـل وتشـويه التجارب، وتفسـيرها بالمؤامرة التي تنشـر الفوضى، مؤكّـدًا أن حالة التغيير القائمة تمرّ في سـياقها الطبيعي، وإن شابتها العقبات، وأنه ليس من سبيل لعودة الاستبداد، ولا إصلاح دون تضحيات.

أمـا الاتجـاه الثانـي، فعبّر عنـه الصفـار بالتوجه المسـتقبلي، الذي يهتـم بالتجديد والنظرة المسـتقبلية، والاسـتفادة من التجـارب والعبر، التي يزدحم بهـا التاريخ، بدلًا من التوقف عندها والانشـغال بها، مشـدّدًا على ضرورة الخـروج من كهوف التاريخ، وإعمال العقل، دون التنكر للقناعات والمعتقدات. وشدّد على أهمية البعد عن الجدل الطائفي الذي يدخل ضمن سـياق الانشـغال بالماضي، عوضًا عن الاهتمام بالحاضر، والملاحظ بوضوح في الفضائيات والمنابر الدينية المنشغلة بنبش التاريخ.

وطالب الشيخ الصفار في حديثه حول التوجّه الثالث للثقافة بتعزيز ثقافة المسؤولية الجماعيـة ونبـذ ثقافة التواكل والتراخـي، فلكلِّ فردٍ في المجتمـع دوره الفاعل، الذي يسـتوجب العنايـة والتقدير لأيّ جهدٍ أو مبادرة تهدف لإعـلاء قيمة المجتمع، وخدمة الأفـراد فيه، بغضّ النظرعن الانتمـاءات والتوجهات المختلفة. وأكّد في هذا السـياق موقفـه ووقوفـه مع التنوع والتعددية فـي طرح الأفكار والتوجهات العامة. وأشـار إلى أن ثقافـة التواكل وإلقاء المسـؤولية على الآخرين تسـبب في ضيـاع حقوق المجتمع، وتخلـق حالة مـن الضعف وعـدم الإنتاجية فيه، بينمـا الثقافة المسـؤولة تحرك جميع عناصر وأفراد المجتمع للعمل بجدٍّ من أجل تطويره وتنميته.

وفي معرض إجابته عن أسئلة الحضورالتي بدأها الأستاذ جعفر النصر، متحدّثًا عن واقع المنبر الحسـيني الذي ما عاد مواكبًا لعجلة سـيرالمجتمع، وهو يُعدّ أحد مصادره الثقافية، بيّن الشـيخ الصفار أن المنبر الحسـيني بدأ يتغيّر نوعيًّـا، رغم أن ذلك لم يملأ كلّ الحيز الذي يجب أن يشغله، وأنّ للجمهور اتجاهاته وتأثيره في ذلك، بحيث يقوم بفرض توجّهات محدّدة على الخطيب.

فيما تناول الشيخ حسين الصويلح المسؤولية الملقاة على عاتق المجتمع المحلّي، الـذي تشـرّف بنزول آخر الرسـالات السـماوية، ودورها المفتـرض أن تلعبه في ريادة النهضـة، بـدلًا مـن التركيزعلى نقض وتشـويه ثقافـات المجتمعات الأخـرى، ليجيبه الشـيخ الصفار بأن نزول الرسـالة السّـماوية لا يعطي أيّ امتيازات دائمة للمجتمعات، وأن ذلك مرهون بدورها وموقعها.

وتناول الكاتب حسـين العلق في مداخلته الأنظمة الاسـتبدادية، والطبقات الدينية المتخلفـة، التي اعتبرها من أهمّ أسـباب التخلف التي تعاني منها المجتمعات العربية، فأوضح الشـيخ الصفار أنّ وجود أنظمة سياسـية قمعية، يتطلـب إظهار ثقافة نهضوية، وأفكار تنويرية، لتجاوز الضغوط السياسـية. وردًّا على تعقيب الأستاذة هدى القصّاب حول توجّه بعض المربيات لنشـر ثقافة الغيبيات في الوسط الطلابي، وتساءل الكاتب فاضل العماني عمّا يواجه المنشغلين بالثقافة من أصحاب النفوذ وسلطة المجتمع، بيّن المحاضر: وجود اتجاهين حول الثقافة الغيبية، اتجاه تقليدي وآخر تنويري، وأنّ هناك ضعفًـا في جرأة الثقافـة التنويرية، وأنّ ذلك يعود إلى سـلطة المجتمع القوية والمؤثرة والخوف والتراجع، رغم تبنّي أكثر الناس للأفكارالتنويرية.

أمـا الكاتب علي شـعبان فقـال إنّ المنتديات والأنشـطة الاجتماعيـة هي جزء من الحالة الثقافية، لكنها تتعثر بسبب الانشقاقات والخلافات الداخلية، فأوضح المحاضر أن التشظّي ينبغي ألّا يُحبط العاملين عن مواصلة العمل والنشاط.

وفـي الختـام تحدّث راعي المنتدى المهندس جعفر الشـايب عن مسـيرة المنتدى طوال ثلاثة عشـر عامًا الماضية، شـاكرًا جميـع المحاضرين والمشـاركين في فعالياته وأنشطته، ومعبّرًا عن رغبة جادّة في تطوير برامج المنتدى في المواسم المقبلة، لتجاوز المصاعب والعقبات التي لا يخلو منها مثل هذا النشاط.



أكّد الصفار خلالها على أهمية المبادرات الفردية

٧

منتدى الثلاثاء يختتم موسمه الثالث عشر بـ «أيّ ثقافة نريد ؟»

أفراح جعفر ـ صحيفة الشرق ١٦ / ٥ / ٢٠١٣م

اختتم منتدى الثلاثاء الثقافي موسمه الثالث عشر باستضافة المفكر الشيخ حسن الصفار، مساء أمس الأول، في محاضرة حملت عنوان «أيّ ثقافة نريد؟». وأشار الصفار خلال حديثه في الأمسية إلى جدلية العلاقة بين الواقع الذي يعيشه الإنسان والثقافة، التي تعتبر مؤثّرًا أساسيًّا في تشكيل صورة أيّ واقع اجتماعي يشكل سلوك الأفراد، مؤكّدًا أنّ الثقافة تتأثر بالواقع المعيشي، الذي يفرز بدوره ألوانًا من الثقافات، ويُعزّز من التوجهات الثقافية، كما أنه ينهي بعض أنواع الثقافات التي تسود لفترة ما وتنتهي، مؤكّدة العلاقة الجدلية بينهما.

ونبّه الصفار إلى أننا حين نريد أن نقرر سمات الثقافة في أيّ مجتمع أو واقعة، فإنه يجب علينا تشخيص المرحلة التي يعيشها هذا المجتمع، لافتًا إلى أن بعض الثقافات صالحة لمرحلة ليست لغيرها من المراحل، وأخرى تناسب حالات الركود والانكسار، التي تناسب الانشغال بالقضايا الماضية، وقال إن مرحلة النهوض والتطلع تُعزّز لونًا آخر من الثقافة، تناسب هذه المرحلة وتُعزّزها لدى المجتمع، مضيفًا أنه عادة ما ترافق هذه المرحلة صراعات بين الركود والنهوض، معتبرًا ذلك ينطبق على مجتمع المملكة.

ولفت الصفار في حديثه إلى مؤشّرات هذه الثقافة، مبيّنًا أن أبرزها إقبال الناس على التعليم، خصوصًا عن بعد، رغم استقرار أحوال أغلب الناس، كما أنّ هناك مؤشّرات أخرى فنية، ثقافية، وسياسية. ورأى أن ثقافة النهوض، هي ما يفتح أبواب الأمل والتفاؤل والثقة بالذات أمام الناس، مُشدّدًا على ضرورة أن تتحلّى بالاستمرارية وجهود الجماعة، وقال إنّ مشكلة مثقّفينا أنهم ينظرون لكهوف التاريخ ويعيدونها للحياة، بينما يجب أن نوجّه الناس للمستقبل دون التنكر للتاريخ، لذلك نحتاج لمن يدرس ويجتهد ويصل لمراحل متقدمة في العلم، ويجب على كلّ مجتمع أن يجد نسخته الثقافية بنفسه.

كما وجه الصفار أفراد المجتمع إلى أهمية تعزيز ثقافة المسؤولية لديهم، ليشعر كلّ فرد بمسؤوليته تجاه مجتمعه، في مقابل نبذ ثقافة التواكل ورمي المسؤولية والتقليل من شأن الفرد ومبادراته.

وينتقد انشغال الأفراد بالقضايا المذهبية عوضًا عن أمور المستقبل

وانتقد الشيخ حسن الصفار انشغال بعض الأفراد بالقضايا المذهبية والجدل الطائفي، بدلًا من اهتمامهم بأمور المستقبل، والتجديد في الأفكار التي تصبّ في مصلحة المجتمع.

ونفى الصفار في ختام الموسم الثقافي الثالث عشر لمنتدى الثلاثاء، بأن المطلوب هو التنكر والاستغناء عن الموروث الديني من معتقدات وقيم، موضّحًا أننا يجب ألّا نتوقف عندها فتُلهينا عن التفكر في المستقبل.

وأشار الصفار في الأمسية التي كانت بعنوان «أيّ ثقافة نريد في المجتمع السعودي» إلى وجود علاقة جدلية بين الثقافة والواقع، مبيّنًا أن الثقافة إحدى المؤثرات التي تؤثر في تشكيل الواقع الاجتماعي الذي قد يفرز ألوانًا متعددة لثقافات وقد يلغي بعضها.

وأكّد في الأمسية التي شهدت حضورًا كبيرًا من رجال الدين، والمثقفين، والنخب

الاجتماعية من الجنسين، على ضرورة تحديد المرحلة التي يشهدها المجتمع، فما يكون صالحًا لمرحلة ما ليس بالضرورة أن يناسب المرحلة الأخرى.

وأوضح الصفار، العضو في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين: وجود نوعين من الثقافة، هما ثقافة الركود والانكسار، وثقافة النهوض والتطلع، مؤكّدًا أننا في مجتمعنا المحلي نعيش مرحلة النهوض، التي تثبتها المؤشّرات والدلائل المتنوعة.

واستدلّ الصفار في الأمسية التي افتتحها الأستاذ زكي البحارنة، على مرحلة النهوض بارتفاع مستوى التعليم، والإقبال على التعليم العالي، مثمّنًا انتماء بعض الموظفين إلى مقاعد الدراسة رغبة في حصولهم على مناصب أفضل.

وأضاف بأن الإقبال الكبير على المنتديات، ووجود شريحة كبيرة من الكتّاب، التي بدأت في نشر فكرها في الصحف الخليجية، هو مؤشّرات مرحلة النهوض التي نعيش.

وأكّد الصفار أننا اليوم نعيش مرحلة صراع وشدّ بين ثقافتي النهوض وثقافة الصراع، موضّحًا أننا ولكي نختار نوع الثقافة التي نريدها لمجتمعنا، لا بُدّ من التركيز على ثلاثة سمات ضرورية.

وشدّد الصفار على السمة الأولى، التي يرى أهمية التأكيد عليها، وهي ثقافة الأمل والتفاؤل والثقة، منوّهًا بأن هناك ثقافة في المقابل وعلى النقيض منها تنادي بتكريس ثقافة اليأس والإحباط.

وبيّن أن مرحلة التغير تحتاج إلى وقت وتضحيات وأثمان، في سبيل الإصلاح الاجتماعي، مطالبًا بأن تسود ثقافة النفس الطويل في المجتمع، ومؤكّدًا على أن التغير والإصلاح لا يحدث بين ليلة وضحاها.

واعتبر الصفار بأن العيش في كهوف الماضي، والتغنّي بأمجاد القرون الأولى، والتشبّث بالأفكار القديمة، هي إحدى المشكلات التي تواجه مجتمعنا، مستشهدًا بأننا لو قارنا بين ما تبثه القنوات الفضائية، وما يُسطّره الكتّاب في المواضيع التي تتناولها،

لوجدنا تفوّقًا واضحًا وملموسًا لمواضيع فيها اجترار للماضي والخلاف المذهبي، بدلًا من التفكير بأمور المستقبل والتخطيط إليه.

وأشار إلى أهمية تعزيز ثقافة المسؤولية لكلّ فردٍ في المجتمع، موضّحًا بأن على الجميع الشعور تجاه الوطن والمجتمع بالمسؤولية.

وأشار أنه على النقيض من هذه الثقافة توجد ثقافة التواكل والتفرج، التي مفادها بأن الوجهاء وكبار الدولة هم الملزمين بالتفكير، وتحمل المسؤولية، والتي علينا عدم الركون إليها.

وطالب الصفار في ختام كلمته على ضرورة تشجيع المبادرات التي تسعى إلى الاهتمام بقضايا الافراد، واحترام كلّ الإنجازات وتقديرها، وعدم اللجوء إلى التشكيك في النيّات مؤكّدًا أن الكبير هو الكبير بعطائه لمجتمعه.

يُشار أن المنتدى الذي يرعاه المهندس جعفر الشايب اختتم موسمه الثالث عشر بهده الندوة، بعد مسيرة عطاء كان قد استضاف هذا الموسم ٣٦ محاضرًا، و٢١ نشاطًا اجتماعيًّا، وأقام ١٤ معرضًا شخصيًّا وفنيًّا، بينما كان قدم ٢٧ محاضرة تنوّعت في محتوياتها ما بين الثقافية والدينية والسياسية والطبية والأدبية.







الشيخ الصفار في مشاركته في تأبين الدكتور الشيخ الفضلي:

٧

الإصلاح في الفكر الديني: ضرورة تواجه عقبات

في أربعين العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي تحدّث الشيخ حسن الصفار عن المهمة التي نذر الفقيد حياته لها وهي مهمة الإصلاح والتجديد في الفكر الديني، ووصفها بأنها مهمة ملحّة وصعبة، فهي ملحّة؛ لأنها تعني السعي لمعرفة حقائق الدين، والتأكد من الفهم الصحيح لنصوصه وتعاليمه. حيث لا يجوز الاعتماد على فهم السابقين بالمطلق، فالمعاصرون من أبناء الأمة مكلّفون بالاجتهاد في فهم دينهم، وبذل الجهد في استنباط أحكامه ومفاهيمه، كما أن السابقين كانوا مكلّفين بذلك، فالاجتهاد واجب على الأمة في كلّ عصر كما يؤكّد الفقهاء.

والتحدّيات الكبيرة التي يواجهها الفكر الإسلامي في هذا العصر تفرض المراجعة والبحث، فالحضارة الغربية المهيمنة على العالم، جعلت كلّ الحضارات والثقافات في موضع المساءلة والتحدّي، وأصبح الإسلام في نظر الكثيرين يتحمّل مسؤولية واقع التخلف والانحطاط الذي تعيشه الأمة. إلّا أن يكون هناك سوء فهم أو سوء تطبيق للدين، وهذا ما يجب أن تكشفه مهمة الإصلاح والتجديد.

من ناحية أخرى، فإنّ تطور العلم والمعرفة في المجتمع الإنساني، لا بُدّ وأن ينعكس أثره على حقل العلم الديني، لطبيعة التداخل بين المعارف والعلوم.

وأشار الشيخ الصفار في كلمة ألقاها في الحفل الذي أقيم بهذه المناسبة في مسجد الإمام عليّ في المبرّز بالأحساء، مساء يوم الأربعاء ١٢ رجب ١٤٣٤هـ الموافق ٢٢ مايو ٢٠١٣م إلى الصعوبات التي تواجه مهمة الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي، وقال: بأنها تنبع من جهات خارجية لا تريد للإسلام أن يستعيد دوره في حياة الأمة،

وأن يبقى في موضع الانكفاء والاتّهام، لتتاح الفرصة لهيمنة فكر وحضارة الغرب.

لكن المواجهة الداخلية هي الأشدّ ضراوة؛ لأن في الوسط الديني تيّارًا عريضًا يرفض الإصلاح والتجديد، ويعيش هاجس القلق على ثوابت الدين، عبر الانغلاق والانكفاء، وتقديس الموروث من آراء وعادات وتقاليد وأساليب.

وفرّق الشيخ الصفار بين حقّ هذا التيار المحافظ في التعبير عن آرائه ومواقفه وهواجسه وبين أسلوب الإساءة والتهريج التي يعتمدها بعضهم ضدّ أيّ جهدٍ إصلاحي، أو شخصية إصلاحية، حيث يشهرون سلاح التشكيك والاتّهام في الدين، والتخوين في المقاصد والأهداف.

ودعا الشيخ الصفار الواعين في الوسط الديني، ممن يؤمنون بالإصلاح والتجديد، إلى الجرأة والثقة بالنفس في طرح آرائهم، وألّا يتراجعوا أمام ضغوط التيار الآخر، وأن يتحمّلوا شيئًا من التضحية دفاعًا عن حقائق الإسلام، وخدمة لمصلحة الأمة، مستشهدًا بالفقيد الراحل الدكتور الفضلي، الذي استمرّ في مشاريعه للتجديد في مناهج الحوزات العلمية، وفي طرح آرائه التي قادته إليها الأدلة دون خوف أو تردّد، كما وقف إلى جانب جهود الإصلاح وأعلام التجديد، مدافعًا عنهم، ومشيدًا بدورهم وكفاءتهم، متحمّلًا الاتّهامات والإساءات.

مضيفًا: إن الدكتور الفضلي أنموذج لعالم الدين الإصلاحي، الذي يمتلك العمق العلمي، والخبرة التخصصية، وهي شرط ضروري للقيام بمهمة التجديد والإصلاح.

كما طالب الشيخ الصفار المجتمع بحماية حقّ التعبير عن الرأي، ورفض محاولات الإرهاب الفكري، فالرأي يواجه بالرأي، والفكرة بالفكرة، أما الاتّهام في الدين، والتشكيك في النيّات، والتجريح الشخصي، فهذا انتهاك للحرمات، وخروج عن جادّة الورع والتقوى.

وقد حضر الحفل حشدٌ كبير من العلماء والمثقفين، من الأحساء والدمام والقطيف، وتحدّث في الحفل سماحة السيد علي السيد ناصر السلمان، والشيخ محمد العبّاد، والشيخ عبد الكريم الحبيل، وعددٌ من الفضلاء والشعراء، وعرضت مشاهد توثيقية عن حياة الفقيد الراحل.



٧

رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة واجب إنسانيّ وعمل عباديّ

استقبل الشيخ حسن الصفار صباح الثلاثاء ١١ رجب ١٤٣٤هـ الموافق ٢١ مايو ٢٠١٣م إدارة مركز إيلاف لرعاية وتأهيل المعوقين، في مدينة صفوى، حيث استمع منهم إلى عرض عن واقع ودور المركز في هذه الخدمة الانسانية.

وقد شكر الشيخ الصفار المعلّمات والأخصائيات والمدرّبات العاملات في المركز على زيارتهنّ، مثمّنًا ومقدّرًا الجهد الذي يبذلنه في خدمة هذه الشريحة من أبناء المجتمع.

وتحدث سماحته عن أهمية إثراء البعد الإنساني في شخصية الإنسان، وتنمية صفة الرحمة والعطف والمحبة لبني البشر، وخاصة ذوي الاحتياجات الخاصة، مشيرًا إلى ما تؤكّده النّصوص الدينية من أن الرحمة بالناس هي السبيل لنيل رحمة الله تعالى.

ودعا العاملات في هذا المجال إلى استحضار نية التقرب إلى الله تعالى في عملهنّ، فهو ليس مجرّد عمل مهني وظيفي، بل هو عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى لنيل الأجر والثواب. فالذهاب إلى العمل فيها ليس أقلّ ثوابًا من الذهاب إلى المسجد أو الحسينية أو العمرة أو الزيارة، بل قد يكون أفضل وأعظم أجرًا.

مشيرًا سماحته إلى ضرورة الصبر والتحمّل في التعامل مع هذه الشريحة؛ نظرًا لظروفهم الخاصّة، حيث ابتلاهم الله تعالى، ليمتحن المجتمع بهم، ذلك لأنّ إهمالهم

يحاسب الله تعالى عليه، والاهتمام بهم واجب إنسانيّ ودينيّ.

وأهاب الشيخ الصفار بالعاملات في مركز إيلاف للاجتهاد في تطوير أداء المركز وتوسعته، ليكون مؤسسة نموذجية، لا ينبغي أن يقلّ الاهتمام بها من قبل المجتمع عن الاهتمام بالمساجد والحسينيات وسائر المشاريع الاجتماعية.

كما أكّد ضرورة نشر ثقافة الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة، استجابة لتعاليم الدين، وتكريسًا للبعد الإنسانيّ والحضاريّ في المجتمع.



في ذكرى ميلاد الإمام عليّ في احتفال التوبي

الشيخ الصفار: التشيّع لعليّ بسلوك منهجه القويم

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنّ التشيّع للإمام عليّ لا يكون بالشعارات، ولا بممارسة الطقوس الشكلية، بل بسلوك منهج علي والسير على دربه، إذ لا يكفي أن تكون شيعة لعليّ في الحسينية، بل عندما تضغط عليك الشهوات والمغريات فتتذكر عليًّا وتلتزم سلوكه.

وأضاف: إن لعليٍّ شأنًا مهما تحدّث الخطباء والعلماء والأدباء والشعراء فإنهم لا يصلون إلى مستوى هذا الشأن، فلا يستطيع أيّ أحدٍ أن يُوفيَ عليًّا حقّه من المدح والثناء، لذلك فإنه لا يريد منّا مدحًا، وإنّما أن نلتزم نهجه.

وقال الشيخ الصفار: يحقّ لنا أن نفرح في ذكرى ميلاد الإمام عليّ لكن ذلك لا يكفي؛ لأنّ علينا مسؤولية تجاه أمير المؤمنين ﵇، بحيث نصل إلى منزلة نستحقّ بها أن نُدعى أننا شيعة لعليّ.

وأشار إلى أنّ التفاخر والاعتزاز بالتشيّع لعليّ، يُوجب على الإنسان أن يرتقيَ لكي يكون أهلًا لهذا الفخر والاعتزاز.

وعن المقياس الذي يُريدنا أن نكون عليه أمير المؤمنين ﵇ قال سماحة الشيخ الصفار: إنه وضع لنا مقياسًا، وقال في خطابه الموجّه لشيعته، ليكونوا في مستوى الاقتداء به: «أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ

أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد».

وأوضح سماحته في الحفل الذي أقامته لجنة الزهراء بالتوبي مساء الخميس (١٣ رجب ١٤٣٤هـ الموافق ٢٣ مايو ٢٠١٣م): إنّ الإمام يطلب من شيعته الالتزام بهذه الصفات الأربع (وَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد)، فهذه الصفات تؤهّل كلّ مدّعٍ أنه من شيعة عليّ ومؤتم به.

وأبان الشيخ الصفار أنّ على كلّ محتفٍ بهذه المناسبة العظيمة، أن يُكاشف نفسه، أين موقعه من عليّ بن أبي طالب؟ هل يستحقّ أن يصف نفسه بأنه شيعة عليّ، إذ المسألة ليست مسألة انتماء قبليّ، أو ادّعاء، أو العيش في مظاهر وطقوس نتفاعل معها.

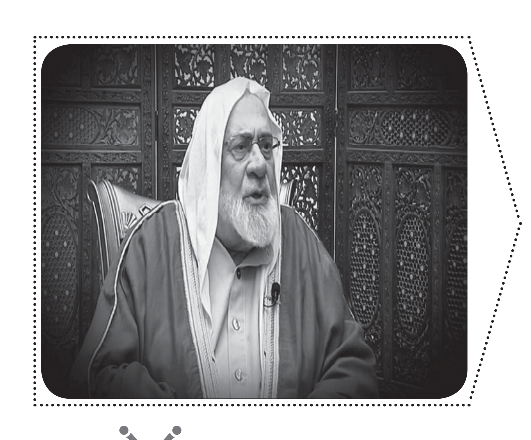
وأضاف: إنّ المسألة مسألة التزام، وتعهّد، فالإمام يريد من المدّعي للتشيّع أن يوقع معه معاهدة أن يسير على طريقه، وأن يلتزم هديه، فإذا التزمت هذه الاتفاقية أخذ بيدك إلى الجنة، وسقاك من حوض الكوثر.

وتابع سماحته: إنّ الرّوايات جاءت تصف شيعة عليّ بأنهم من «عفّ بطنه وفرجه واشتدّ جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه».

وتساءل: ماذا يعني أن يعفّ البطن؟ مجيبًا: يكون ذلك بألّا تأكل شيئًا حرامًا، وألّا تكسب مالًا حرامًا، فمن يدّعي أنه من شيعة عليّ ثم لا يختلف عنده أن يكسب المال من طريق حلال أو حرام، فهذا مدّعٍ كاذب.

وعن (عفّة الفرج) قال سماحته: يعني ذلك الصمود في وجه الشهوات والأهواء، مع هذه الأجواء الموبوئة، فإذا كنت شيعة لعليٍّ بن أبي طالب فإنّ تشيّعك لا يظهر من خلال حضور الاحتفالات فقط، وإنّما بالتمسّك بالعفة في مواجهة الشهوات، والإغراءات والأهواء.

وأضاف: إنّ من يوالي عليّ بن أبي طالب فعليه أن يتقمّص شخصية عليٍّ التي تمثل الجدّ والاجتهاد، والعمل الدائم، ما كان عليٌّ يبحث عن راحة، ولا يقبل لنفسه الكسل والتواني، فهو القائل: «إنْ نمت النهار ضيّعت رعيتي، وإنْ نمت اللّيل ضيّعت نفسي».



الشيخ الصفار معزّيًا بالشيخ الشّاويش:

٧

نذر حياته لخدمة المعرفة والتراث الإسلامي

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بالعالم السّلفي الشيخ زهير الشاويش، الذي التحق بالرفيق الأعلى السبت ٢٣ رجب ١٤٣٤هـ الموافق ١ يونيو ٢٠١٣م في بيروت، مبيّنًا أنه «رحمه الله» كان يتحلّى بالخصال الكريمة، كعشق العلم والمعرفة.

وقال سماحته خلال اتصال بنجل الراحل الأستاذ بلال زهير الشاويش: كان رحمه الله عاشقًا للعلم، وقد نذر نفسه لخدمة التراث الإسلامي، بتحقيق ونشر عدد كبير من الكتب العلمية.

وأوضح الشيخ الصفار أن الراحل الشاويش كان ملتزمًا المنهج السّلفي، وكان منفتحًا على الآخرين من علماء المذاهب الإسلامية، حيث كان وثيق الصلة والعلاقة بالإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله.

وأبان الشيخ الصفار أنّه رحمه الله كان يمتلك مكتبة من أضخم المكتبات الشخصية في العالم الإسلامي، حيث تضمّ آلاف المخطوطات.

وكان الشيخ الصفار قد زار الشيخ الشاويش في منزله ببيروت قبل سنوات، كما لم ينقطع التواصل بينهما عبر الهاتف في المناسبات.

من جهته أعرب الأستاذ بلال الشاويش عن خالص تقديره، وشكر العائلة لمواساة الشيخ الصفار لهم بوفاة فقيدهم الغالي، تغمّده الله بواسع رحمته.



٧

الشيخ الصفار يدعو الزعامات الإسلامية إلى تدارك خطر الصراع الطائفي

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار الزعامات الإسلامية إلى تدارك «الهاوية الخطرة من الصراع الطائفي» بين أبناء الأمة في العديد من السّاحات الإسلامية.

وقال الشيخ الصفار «إنّ أجواء الأمة باتت ملبّدة بغيوم النزاع الطائفي المذهبي، التي يشتدّ أوارها وخطرها في ميدان الاختلافات السياسية، كما في العراق ولبنان وسوريا».

وفي لقاء صحفي مع موقع التعاون الدولي لأبناء الشيعة (شفقنا) دعا سماحته القيادات الإسلامية إلى تدارك ما وصفها بالهاوية الخطرة من الصراع الطائفي.

واعتبر الشيخ الصفار العلاقة مع محيطهم الإسلامي هي أبرز التحدّيات التي تواجه الشيعة في الوقت الراهن.

وعلل ذلك بالقول: إنّ القوى السياسية التي كانت تستأثر بالسلطة والحكم، لا تريد فسح المجال أمام مشاركة القوى الأخرى التي كانت مهمّشة كالشيعة، إلى جانب وجود التوجّهات الدينية المتشدّدة التي تحكمها العقلية الطائفية الإقصائية.

وأرجع جانبًا من أسباب التجاهل لحقوق الشيعة في بعض البلاد العربية، إلى غياب مفهوم المواطنة «ولذلك تجور على حقوق مواطنيها من الشيعة وغيرهم».

فـي مقابل ذلك أسِـفَ سـماحته لبـروز تيّار داخـل المجتمع الشـيعي يتجاوب مع الجهـود المعاديـة لوحدة الأمة، وينشـر الآراء والأفكار الاسـتفزازية، تحـت مبرّر رد الفعل على التطرف المقابل.

ومضـى يقـول: إنّ على الشـيعة بشـكل خاصّ أن يتحلّـوا بالحكمـة والحذر، وأن يتمسّكوا بنهج أئمتهم في التزام الصبر وتقديم المصالح الإسلامية الكبرى.

إرادة التجديد

وقال سماحة الشيخ الصفار: إنّ من التحدّيات التي يواجهها الشيعة في عالم اليوم هو امتلاك إرادة التجديد في ثقافتهم الدينية.

وأعـرب عـن اعتقاده بـأن الثقافة السـائدة فـي المجتمع الشـيعي هي نتـاج «أزمنة ماضيـة، وبيئة كانت تعاني الأزمات والقهر والضغوط، فيما باتوا يعيشـون اليوم عصرًا جديدًا، وأصبحوا قوة مؤثرة يحسب لها حساب».

وتابـع سـماحته: إنـه بالرغم من تغيّـر الواقع الشـيعي إلى الأفضل، إلّا أنّ مسـاحة واسـعة من الشيعة لا زالوا يُصرّون على ثقافة الماضي المصبوغة بلون القهر والأسى، وتتحفّظ معظم أوساطهم الدينية على محاولات التطوير والتجديد الثقافي.

ودلّل على ذلك بالمعاناة والضغوط الداخلية التي يواجهها المصلحون والمجدّدون من علماء الشيعة، للتخلّي عن طروحات النقد والتجديد.

الإعلام الشيعي

وأعرب الشـيخ الصفار عن عدم رضاه من الإعلام الشـيعي معتبـرًا إيّاه إعلامًا «لا يُحقّق الرضا وليس بالمستوى المطلوب».

وقال سـماحته: إنّ الإعلام الشـيعي «في معظمه إعلام يجترّ الأفكار القديمة، ولا يبدع أفكارًا جديدة، كما أنه يتشبّث بالأساليب التقليدية، ولم يستجب لتحدّي التطوير

في الوسائل والأساليب إلّا بمقدار محدود».

وضمن تقييمه لمدى نجاح الإعلام الشيعي في إيصال رسالة أهل البيت إلى العالم رأى سماحته:

«إنّه نجاح محدود؛ لمحدودية الإعلام الشيعي كمًّا، وخاصّة على صعيد اللغات العالمية الحيّة، ولضيق أفق معظمه نوعًا ومضمونًا».

ورأى الشيخ الصفار: أنّ قسمًا من الخطاب الشيعي المعاصر يدعو للفخر؛ لتركيزه على القيم الإنسانية العظيمة، والمفاهيم الإسلامية الأصيلة، فيما رأى القسم الآخر أنّه «يبعث على الأسى والألم.. ويعطي صورة مشوّهة لمذهب أهل البيت».

وعلّل بأن القسم الأخير «يتحدّث بلغة طائفية استفزازية للآخرين، إضافة إلى تركيزه على الجوانب الطقوسية، وتضخيم الأمور الجانبية والقشرية، على حساب الجوهر والمضمون في مدرسة أهل البيت».

الشيعة في العالم

وقال الشيخ الصفار: إنّ الثقافة السائدة في أوساط المسلمين الشيعة تدعو إلى التسامح والانفتاح، وحسن العلاقة مع أتباع سائر الديانات، انطلاقًا من الفهم السليم لمبادئ الإسلام وتعاليم أهل البيت.

وتناول في السياق ذاته العلاقة الإيجابية للمسلمين الشيعة ضمن محيطهم الديني في مختلف أنحاء العالم.

ولغرض تطوير العلاقة مع أتباع الديانات الأخرى، اقترح سماحته: الاهتمام بالدراسة المقارنة بين الأديان، وتعزيز ثقافة التسامح والانفتاح، وما وصفها بالجدّية في التعاون مع أتباع الديانات الأخرى، فيما يخدم البشرية، ويعلّي القيم الفاضلة.



٧

الشيخ الصفار في ضيافة مسابقة سيدة جمال الأخلاق

ضمن برنامجها في التواصل مع الفعاليات المختلفة في المجتمع، استضافت مسابقة سيّدة جمال الأخلاق سماحة الشيخ حسن الصفار في اجتماعها العمومي.

وقد كان في استقبال سماحته أعضاء مجلس إدارة المسابقة من رؤوساء اللجان وأعضاء المسابقة.

وفي اللقاء، رحّبت الأستاذة خضراء المبارك (المدير التنفيذي للمسابقة) في كلمتها بزيارة سماحة الشيخ حسن الصفار، واستعرضت الأنشطة التي تقوم بها المسابقة خلال الدورة الحالية، وما تم إنجازه حتى الآن، مستعرضة بعض الإنجازات الجديدة لهذا العام.

تلا الكلمة الترحيبية عرض مرئي يشرح عمل المسابقة، منذ بداية الترشح وحتى التتويج، وما تمرّ فيه المتسابقات من تدريب، ومن مراحل تقييم مختلفة. كما عرضت الأستاذة عربة النصر المسار التدريبي لهذا العام، وما احتوى من ورش تدريبية متنوعة.

بعد ذلك، تفضّل الشيخ بكلمة توجيهية للأعضاء، مُثنيًا على روح العمل المعطاءة والمتفانية التي يتمتع بها أعضاء إدراة المسابقة، ومتمنّيًا لهم المزيد من التوفيق في خدمة مجتمعهم، وقد تضمّنت كلمة سماحته جملة من النقاط، بدأها منوّهًا أن المؤسسات الأهلية الاجتماعية تُعَدّ مظهرًا مهمًّا من مظاهر قوة المجتمعات، لذا علينا السعي لإقامتها. مشيرًا إلى أنّ للساحة النسائية دورًا هامًّا في المجتمع، لذا فإن

المـرأة لا بُـدّ أن تكون واعية بدورها، مطالبة بحقوقها، وسـاعية للقيـام بالدور المناط بها، فالجميع يعلم بما تتمتع به المرأة من إمكانات، وأنها بحاجة إلى مبادرات، وانتزاع الفـرص، وألّا تكتفـي بالمطالبة، بل يجب أن تخلق واقعًـا جديدًا، وتتصدّى للعقبات. موصيًـا سـماحته بأهمية التبليغ للقيم الإخلاقية، ومؤسسـة سـيّدة جمال الأخلاق من المؤسسـات الرائدة في السـعي للتبشـير بالقيم، والدعوة إليها، مما يسـاهم في خدمة الأفكار الحضارية ودعمها.

ثم أثنى سـماحته على مشـروع المسـابقة قائـلًا: (إنّكم رفعتـم رأس المنطقة عاليًا حينما سجّلتم هذا الإبداع باسم المنطقة).

وتفضّـل بجملـة مـن المقترحـات التطويريـة، كان أهمهـا: تطوير المسـابقة لتهتم بحقول أخرى، كالتبشير بقيم النجاح في الحياة الزوجية، والزواج الناجح، وكيف نبدع فكرة تشـجع النجاح في الحياة العائلية، وحسـن الإدارة، أيضًا في مجال التربية، كيف نبشّر بقيمة نجاح الأم وإخراج أجيال ناجحة.

مضيفًـا أهميـة تكثيف التواصل الوطني من خلال هذه المؤسسـة الاجتماعية، عبر ترويـج الأفـكار الأخلاقيـة للمجتمعات الأخرى، فمشـروع مسـابقة سـيدة الأخلاق مشروع إنساني، يجب ألّا تعيقه الحدود الجغرافية.

وفـي نهايـة كلمته فتح بـاب النقاش و الحوار مـع الأعضاء، منوّهًا أنّ كل مشـروع يجب على القائمين عليه التحلّي بالصبر، والاسـتمرار في تحقيق الأهداف المرسومة، في سبيل تطوير المشروع، وإنْ كان هناك من يريدون تثبيط العاملين، فالنجاح لا بُدّ له من تضحيات.

وفي ختام الزيارة تقدّم مجلس الإدارة بشـكر سـماحته بالمبادرة بزيارة المسـابقة، التي تعكس ثقة تفخر بها المسابقة.

كما أبدى سـماحته سـعادته بهذا اللقاء لهذا المشـروع الرائد والمتميـز، متمنّيًا أن يبقى التواصل بين المشروع وسماحته.

داعيًا بالمزيد من التوفيق والسداد للمشروع وللقائمين عليه.



الشيخ الصفار يفتتح مهرجان العلوم والتقنية في القطيف*

افتتح الشيخ حسن الصفار مهرجان العلوم والتقنية الثالث بالقطيف، بتوافد كبير من زوار المهرجان ليلة الخميس ١٧ شعبان ١٤٣٤هـ.

ويضم المهرجان ستة أركان علمية، هي: الفيزياء، الكيمياء، الفلك، الأحياء، العلوم والمعرفة، عالم البحار، وركن للتعلم النسائي.

ويهتم الركن النسائي بالعلوم المبسّطة للأطفال تحت سنّ المدرسة، وبداية مراحل الدراسة، كما يتعلم الطفل بعض الأعمال الفنية اليدوية الممكن تنفيذها في المنزل.

وتوافدت النوادي الموسمية منذ اليوم الأول قبل الافتتاح بشكل رسمي، كنادي الجارودية الموسمي.

وذكر مصطفى طويلب المدير التنفيذي لنادي الجارودية، سمعنا بالمهرجان من خلال الزملاء، وسعينا للحضور ضمن أحد أنشطتنا خلال البرنامج الصيفي التدريبي، المرتبط أصلًا بالعلوم على أنواعها.

وينوّه مشرف عام المهرجان كمال الناصري: أن المهرجان يصبّ في إطار تقريب العلوم من المجتمع بطريقة سهلة محببة، من خلال دورات متواصلة طوال العام في

* جهينة الإخبارية ٢٨ / ٦ / ٢٠١٣م

الروبوت، والدوائر الكهربائية ومختلف أنواع العلوم.

يُذكر أن الشيخ حسن الصفار يعتبر أحد الوجوه العلمية الدينية على مستوى العالم العربي، وله نشاطاته كأحد مؤسّسي حوار الأديان في المملكة.





٧

الشيخ الصفار مؤبناً الراحل الطويل: كان ناصحًا صادقًا وموجّهاً مخلصًا



نعى سماحة الشيخ حسن الصفار أمام جموع المصلين بعد صلاة الجمعة، الخطيب الشيخ الملا عليّ الطويل رحمه الله الذي توفي ودعا المؤمنين للمشاركة في تشييعه مشيدًا بأخلاقه وخدمته للمنبر الحسيني.

وكان سماحة الشيخ الصفار قد كتب مشيدًا بالخصال الكريمة للفقيد الراحل الذي امتاز بمكارم الأخلاق والاجتهاد في طلب العلم، والانفتاح على جميع الأطياف.

وقال: كان «رحمه الله» حريصًا على «التثقيف الذاتي وعشق المعرفة»، حيث لم يمنعه فقد البصر عن طلب العلم، ولا قلة اليد عن اقتناء الكتاب.

وأضاف: كان حريصًا على الاطّلاع على أيّ كتاب يقع في يده، ويُصغي بانتباه شديد لمن يقرأ عليه، ويحاول أن يفصل نفسه عن الأحاديث الأخرى التي تدور بين الحاضرين، حتى لا تؤثر على تركيزه، ويطلب من القارئ أن يعيد قراءة بعض السطور والجمل.

وأشار إلى أنه شخصيًّا، تلقى منه «رحمه الله» بعض الاتصالات، ليناقشه في بعض ما قرأ من كتاباته، أو سمع من خطاباته عبر المذياع، مشيدًا بموضوعيته في النقاش «فقد يقبل وجهة نظرك أو يخالفك الرأي فيها».

وذكر سماحته أن المنبر الحسيني لم يكن في وعي الراحل الطويل مجرّد مهنة أو حرفة، وليس مجرّد مصدر رزق، بل هو مسؤولية ورسالة، «لذلك تراه يستعدّ لخطابته، فلا يقرأ دون تحضير وإعداد، ويحفظ النصوص بإتقان، ويلقيها على المستمع بعناية وذوق».

وأشاد برفض الملا الطويل كثرة المجالس إذ إنّه «رحمه الله» يقتصر على مجلسين أو ثلاثة في كلّ موسم، عدا بعض السنوات القليلة التي تجاوز فيها هذا النهج.

وأضاف: لاحترامه المنبر قرر لنفسه التقاعد قبل سنوات، حيث قلّص التزامه الخطابي، مقتصرًا على مجلس واحد في موسم المحرّم، في حسينية البيات، بضغط شديد من أصحاب المجلس والمستمعين.

وأوضح أنه رحمه الله قد اعتذر حتى عن هذا المجلس الوحيد، مبرّرًا تقاعده بأنه قد كبُر وتعب، واحترامه للمنبر لا يسمح له بأن يقرأ دون أن يجد في نفسه القدرة والحيوية الكافية.

وعن حبّ الناس وحسن المعاشرة التي كان يتصف بها الراحل رحمه الله قال الشيخ الصفار: إنه في غاية الشعبية والبساطة، يستقبل زائريه بحفاوة واحترام، ويشدّ على يد مصافحيه، ويسأل من لم يعرفه عن اسمه وعائلته وبلده. ويدعو الناس لزيارته، ويبادل كلّ أحد الفكاهة والظرافة، ويتواصل مع الناس في أفراحهم وأتراحهم.

وأضاف: كان رحمه الله يرفض الدخول في الصراعات والخلافات، ويبدي الاحترام لكلّ المراجع والعلماء، واختلافه مع أحد في الرأي لا يدفعه لمقاطعته أو الإساءة إليه، وقد يناقشه في رأيه لكن بأدب واحترام.

مؤكّدًا وجوب الالتزام بهذا الخلق الرفيع وخاصة في الوسط الديني، الذي يعاني من كثرة الخلافات والصراعات، بسبب تعدد الانتماءات المرجعية، واختلاف الآراء والتوجهات، التي تدفع ببعض عناصر هذا الوسط إلى إظهار العداء لمن يخالفه الرأي، وقد تصل إلى حدّ التجاوز على الحدود والحقوق، بانتهاك حرمات الآخرين، والسعي لإسقاط شخصياتهم، وتشويه سمعتهم، والدعوة إلى مقاطعتهم، لا لشيءٍ إلّا الاختلاف في التوجه والرأي.

وختم بالترحم على الفقيد الذي عافاه الله من هذا المرض الأخلاقي الوبيل الذي يسخط الربّ، ويثقل النفس بالأحقاد، ويسيء إلى العلاقات الاجتماعية.



٧

الشيخ الصفار مرحّباً بمنتدى «كلّنا للوطن»: الوطن لكلنا

في حضور حاشدٍ من المثقفين ورجال الأعمال استقبل الشيخ حسن الصفار في مكتبه مساء يوم الجمعة ١٠ رمضان ١٤٣٤هـ الموافق ١٩ يوليو ٢٠١٣م الدكتور عبد العزيز بن تركي العطيشان، عضو مجلس الشورى والراعي لمنتدى «كلّنا للوطن» الذي أطلقه الدكتور السيد عبد العزيز الحسن.

وقد رحّب الشيخ الصفار بالدكتور العطيشان مشيدًا باهتمامه بالوحدة الوطنية، وتأكيد التواصل بين شرائح المواطنين، على مختلف مناطقهم ومذاهبهم وتوجّهاتهم.

وأكّد الشيخ الصفار أهمية شعار المنتدى «كلّنا للوطن» بأن يخلص المواطن لخدمة وطنه، ورعاية مصالحه، وحفظ أمنه واستقراره.

مشيرًا إلى أن الوجه الآخر لهذا الشعار هو «الوطن لكلّنا» بأن ينعم المواطنون جميعهم بخيرات وطنهم، دون إقصاء أو تمييز، فالجميع شركاء في الوطن، يتساوون في الحقوق والواجبات.

وتحدّث الشيخ الصفار عن الحاجة إلى المبادرات الكثيرة والجادّة على المستوى الوطني، لمواجهة الفتن الطائفية التي تعصف بالمنطقة العربية، من أجل تمزيق شعوبها، وهدر إمكاناتها في الصراعات والنزاعات الداخلية، لتقسيم المقسّم من بلاد المسلمين.

بدوره شكر الضيف سعادة الدكتور عبد العزيز بن تركي العطيشان لسماحة الشيخ حسن الصفار حسن استقباله وضيافته، كما شكر الحاضرين لحفاوتهم، مشيرًا إلى أنه سبق له زيارة الشيخ الصفار قبل ثمان سنوات، وأنه قرأ كتبه في التنوع التعايش والتعددية والحرية، مبديًا إعجابه بما تضمنته من أفكار وأطروحات وحدوية رائعة.

وأشار الدكتور العطيشان إلى ما تعيشه دول أخرى تحيط بنا من فتن واضطرابات، أفقدتهم أمنهم واستقرارهم، ومكّنت الأعداء من النفوذ إلى بلادهم، وأن علينا أن نعمل لتحصين بلادنا من هذه الفتن والأخطار.

وتحدّث عن تجربة الأمريكيين في تجاوز الحالة العنصرية، وكذلك جنوب أفريقيا، مشيرًا إلى أن ذلك لم يتحقق بين عشية وضحاها، وإنما احتاج لمسيرة طويلة. مبديًا أمله وتفاؤله في قدرة بلادنا بقيادتها الحكيمة، وشعبها المعطاء، على تجاوز الأخطاء والثغرات، ومواصلة السير على طريق التنمية والتطور، مركّزًا على أولوية العمل على إصدار قانون لتجريم الإساءة والتحريض على الكراهية بين المواطنين، وأنه تلقّى تشجيعًا من الجهات العليا في البلاد، ومن إمارة المنطقة الشرقية، لطرح المبادرة في التواصل وتعزيز الوحدة الوطنية.

مطالبًا الجميع بالتكاتف وتأكيد الولاء الوطني، وعدم الإصغاء إلى دعاة الفتن والتفرقة، والمحرضين على الكراهية والبغضاء.

وشرح الدكتور السيد عبد العزيز الحسن الذي أطلق حملة منتدى «كلّنا للوطن» قبل شهور، منطلقات المنتدى والأهداف التي يسعى إليها في تنمية الوعي الوطني، وتكثيف مبادرات التواصل بين أطياف المواطنين.

وقد شارك عدد من الحاضرين بمداخلات تصبّ في سياق الترحيب بالمبادرة، وتوجيهها نحو المسار العملي، لمعالجة مشاكل التفرقة والتمييز التي يعاني منها المواطنون على أساس طائفي أو مناطقي أو قبلي.

وكان من المداخلين الأستاذ فؤاد نصر الله، والدكتور عبد العزيز الحميدي، والحاج عبد ربّ الرسول شهاب، والمهندس نبيه البراهيم والأستاذ علي العباس.



في احتفال بصفوى

٧

الشيخ الصفار: إحياء ذكرى ميلاد الإمام الحسن باستحضار سيرته

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى استحضار سيرة الإمام الحسن عليه السلام في التعامل الاجتماعي، فقد عرف عليه السلام بحليم أهل البيت، وهي من أبرز صفاته، حتى اعترف له بها أعداؤه، وعلى أتباعه ومحبّيه أن يقتدوا به في هذا المنهج.

وأضاف: إننا نعيش ضمن دوائر اجتماعية لا نجد بالضرورة ما يسرّنا منها، فالعلاقات تحكمها رغبات وشهوات ومصالح، وقد أودع الله سبحانه فينا قوة الغضب لحماية ذواتنا، إذا واجهها ما يستفزّها، وتراه خطرًا على مصالحها.

وقال: إن سيرة الإمام الحسن وتوجيهاته ترشدنا إلى أن نتحكم في الاستفزازات التي تواجهنا ضمن العلاقات الاجتماعية، وكيف نتحكم بالقوة الغضبية.

وأضاف: «قيل للإمام الحسن: ما الحلم؟ قال عليه السلام: كظم الغيظ وملك النفس»، أي أن يسيطر الإنسان على نفسه حينما يواجهه الآخر بتصرف مستفزّ، ذلك أن غريزة الغضب تتحرك عنده لتحميه من الاستفزاز الموجّه إليه.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها ضمن احتفال أقيم بمناسبة ميلاد الإمام الحسن، في مسجد الإمام الحسين في صفوى بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٤٣٤هـ الموافق ٢٤/ ٧/ ٢٠١٣م.

ودعا الشيخ الصفار إلى تغليب لغة العقل للاسترشاد بنوره، في حال التعبير عن الانزعاج والغضب، وعدم ترك المجال مفتوحًا لهذه القوة لتتحكم بحياة الإنسان، بل يجب التدرّب على عكس ذلك.

واعتبر أن ترك المجال مفتوحًا للقوة الغضبية، لتتحكم في تصرفات الإنسان، قد تدخله في متاهات، وتخلق له عداوة لأتفه الأسباب، فبعض المواقف يجب التغاضي عنها.

وحثّ سماحته إلى التمعّن في سيرة أهل البيت في التعامل مع المحيطين، كالأبناء والآباء وباقي المجتمع، فالبطولة ليست في الغضب بل في التحكم فيه.

وقال: نسمع عن قصص يدمى لها الجبين، كضرب أو شتم يصدر من ابن لأبيه أو أمه، أو لزوجته أو أحد أطفاله، إنهم أمانة ويجب مراعاة الله في التعامل معهم، والإحسان إليهم.

وعن التعامل مع الآخر المختلف الذي يستفزّ الإنسان بالشتم والتكفير قال سماحته: إن أهل البيت علمونا بسيرتهم أن البطولة ألّا ننزلق في حرب الشتم والسباب، بل بالتمسك بقيم الإسلام العظيمة.

وأضاف: من يريد الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام فلا بُدّ أن يتبع أسلوبهم الذي هو هدي القرآن، وتتمثل فيه قيم الإسلام.

وأشار إلى أننا كمحبين للإمام الحسن عليه السلام يجب أن نقرأ حلم الإمام الحسن عليه السلام كمنهج في التسامح الاجتماعي، ونعمل على تأهيل المجتمع بهذه الصفة.

واستشهد الشيخ الصفار بقصة يذكرها التاريخ عن حلم الإمام الحسن عليه السلام، إذ يروى أنه اجتاز على الإمام شخص من أهل الشام ممن غذّاهم معاوية بالكراهية والحقد على آل البيت فجعل يكيل للإمام السبّ والشتم، والإمام ساكت لم يرد عليه شيئًا من مقالته، وبعد فراغه التفت الإمام فخاطبه بناعم القول، وقابله ببسمات فياضة بالبشر قائلاً: «أيها الشيخ: أظنك غريباً؟ لو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أطعمناك وإن كنت محتاجًا أغنيناك، وإن كنت طريدًا آويناك».

وأضاف سماحته: وما زال الإمام عليه السلام يلاطف الشامي بهذا ومثله ليقلع روح العداء والشرّ من نفسه حتى ذهل ولم يُطق ردّ الكلام، وبقي حائرًا خجلًا كيف يعتذر للإمام وكيف يمحو الذنب عنه؟ وطفق يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

في تأبين السيد عبد الرضا الشخص

٧

الشيخ الصفار يدعو لإنشاء بيوت خبرة بالشأن الاجتماعي



دعا سماحة الشيخ حسن الصفار كفاءات المجتمع إلى تدوين وكتابة تجاربهم، كما دعا المهتمين بالشأن العام إلى الاستفادة من تجارب من سبقهم وعدم إهمالها، وإلى إنشاء بيوت خبرة في الجانب الاجتماعي، على غرار الموجود في الجانب الاقتصادي.

وقال سماحته: إننا بحاجة إلى الاستفادة من تجارب السابقين لنا في العمل الاجتماعي، واستثمار تجاربهم التي بذلوا من أجلها الغالي والنفيس، ودفعوا ثمنًا لها مشاكل ومعاناة وآلالم، وذلك استجابة لقول أمير المؤمنين ﵇: عليك بمجالسةِ أصحابِ التجارب؛ فإنّها تُقَوَّم عليهم بأغلى الغَلاء، وتأخذُها منهم بأرخَصِ الرُّخْص.

جاء ذلك خلال حفل التأبين الذي أقامه مركز نبأ الثقافي، لتأبين الأديب السيد عبدالرضا بن السيد باقر الشخص (١٣٥٢هـ-١٤٣٤هـ) في مجلس الرضا بسيهات مساء يوم الاثنين (٢٧/ ٩/ ١٤٣٤هـ الموافق ٥/ ٨/ ٢٠١٣م).

وأبان سماحته: أن في الأمم المتقدمة يستفاد من الطاقات والكفاءات في مختلف المجالات، ومن امتلك خبرة أو تجربة فإن تلك الأمم تهتم بالاستفادة من خبرته وتجربته، أما في الأمم المتخلفة فإن الطاقات تهدر، والكفاءات تتجاهل، ومن أهم الكفاءات التي ينبغي أن يستفاد منها تلك الكفاءات التي تمتلك التجارب، وتمتلك الخبرة الاجتماعية.

وتابع: يجب أن نستفيد من رجالات المجتمع المخضرمين المعايشين للأوضاع، علينا أن نستشيرهم، وأن نأخذ برأيهم، ونستضيء بتجاربهم، ففي واقعنا الاجتماعي نجد شخصيات لها معرفة وخبرة، قد لا تتصدّى للشأن العام لسبب أو لآخر، لكن لا ينبغي تجاهل أو إهمال خبرتها.

وقال: إننا نجتمع اليوم لتأبين هذا السيد الفقيد (أبي عدنان) ويمكننا أن نتحدث عن جوانب عدة من شخصيته، حيث كان أديبًا، وناشطًا اجتماعيًّا، وعالمًا حضر عدداً من الدروس الحوزوية، وقد حضر البحث الخارج عند كبار العلماء كالسيد الخوئي، كما أنه قدّم للمجتمع أبناءً أبرارًا أخيارًا.

وأضاف: لكنني أحبّ أن أتحدّث عن جانب خبرته، فقد استفدت منه على هذا الصّعيد، فقبل حوالي ربع قرن من الزمن، كنت مجاورًا لمقام عقيلة الطالبيين زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السلام، وكان الفقيد يتردّد على تلك المنطقة، ويقيم فيها في كلّ عام بضع شهور، وهناك تعرّفت عليه، فوجدت فيه كنزًا من الخبرة الاجتماعية.

وأشار سماحته إلى أن المجتمع الديني يحتاج إلى خبرة مثل هذا الراحل؛ لأن التجارب لم تكن مكتوبة، ويفتقد الكثيرون منابع الاستفادة من الخبرة، عن واقع المجتمع الديني، إلّا من أتيحت له الفرصة أن يقترب من أحد منابع تلك الخبرة والمعرفة، كالراحل أبي عدنان رحمه الله.

وعن سبب تكوّن الخبرة عند السيد عبدالرضا الشخص، قال الشيخ الصفار: إن ذلك يرجع إلى انتمائه إلى بيت أحد كبار العلماء الذي كان محورًا في النشاط الديني والعلمي في النجف الأشرف، وكان ثقة العلماء والمراجع، فقد كان أبوه الحجة السيد

باقر الشخص (١٣١٥هـ - ١٣٨١هـ) متداخلًا ومنفتحًا على بيوتات المراجع، لذا أصبح مجلسه مجلس خبرة استفاد منه الفقيد الراحل، فنسج خيوطًا من العلاقة والمعرفة العميقة مع بيوتات الشخصيات والزعامات والمرجعيات.

وقال الشيخ الصفار: كنت أبحث عن شخص له خبرة بأبعاد الأحداث في مجتمعنا الشيعي، وفي الحوزة العلمية، وفي المجال المرجعي، والمجال الاجتماعي؛ لأن الإنسان يرى عناوين وأوضاع وشخصيات، لكنه لا يرى أو يدرك ما خلفها، أو أبعادها، وتكونها وخريطتها.

وأعرب سماحته عن إعجابه بشخصية الراحل؛ لأنه كان موضوعيًّا متّزنًا في نقله وتحليله للأحداث، وقال: كنت ألحظ في طرحه وعرضه للأمور الكثير من الموضوعية، والكثير من التقوى، فالمحكّ المهم في معيار التقوى أن يكون الانسان صادقًا وموضوعيًّا عند حديثه عن الآخرين، فلا يُقلّل ولا يغالي ولا يستنقص من الآخرين، وإن اختلف معهم في الاتجاه والمصلحة.

وفي مجال آخر تحدّث سماحته عن تمتع الفقيد بالاهتمام بنشر المحبّة بين الناس، وقال: إننا نرى لونين من الناس، لونًا يبشرون بثقافة المحبّة، يقربون القلوب إلى بعضها بعضًا، ويدفعون الناس نحو التآخي والتآلف والتعاون والتقارب، وعلى النقيض من ذلك نرى أشخاصًا يقومون بدور سلبي، ينشرون ثقافة الكراهية، يوغرون قلب هذا على هذا، ويستثيرون هذا على ذاك، وينقلون الكلام السيئ بين الناس، وهذا دور قذر.

وأضاف: الإنسان المؤمن لا ينبغي أن يسمح لنفسه أن يكون ناشرًا للكراهية والبغضاء بين الناس؛ لأن هذا الدور دور شيطاني، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، وما يريده الله وتثاب عليه أن تؤلف بين الناس وتقرب بين القلوب.

وقد حضر الحفل عدد من العلماء والأدباء والشخصيات الاجتماعية من الدمام والقطيف والأحساء.



٧

الشيخ الصفار: إننا بحاجة إلى سدّ الثغرات ونشر ثقافة المحبة

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بالجهود التي تبذل لتعزيز التواصل، وتعزيز الوحدة الوطنية.

وقال إننا بحاجة إلى ثقافة المحبة مقابل المحرّضين على الكراهية، وأن نتعاون جميعًا لسدّ الثغرات التي تدعو للخلافات والنزاعات.

وطالب سماحته بالعمل على سدّ الثغرات التي ينفذ منها الأعداء، حتى يوجدوا حالة الخلاف، والتنافر بين أبناء المجتمع الواحد، والوطن الواحد.

وأبدى تفاؤلًا بالجهود التي تسعى لإصدار قانون لتجريم كلِّ من يثير الكراهية والنفور بين أبناء المجتمع الواحد، ومعاقبة من يمارس التمييز بين أبناء الوطن لأيّ سببٍ من الأسباب.

وأضاف: أعتقد أن الظرف الآن أصبح مؤاتيًا أكثر مما سبق لاستصدار مثل هذا القانون، وللوقوف أمام من يحاول تمزيق لحمة المجتمع.

وختم الشيخ الصفار مداخلته بشكر كلٍّ من شرف القطيف بحضوره، داعيًا إيّاهم لتكرار هذا الحضور في كل مناطق المملكة.

جاء ذلك خلال أمسية «كلّنا للوطن» التي استضافها منتدى حوار الحضارات

بمحافظة القطيف بمنزل الإعلامي فؤاد نصر الله مساء الاثنين ٢٧/ ٩/ ١٤٣٤هـ.

وقد تحدث في الندوة عدد من أعضاء مجلس الشورى والوجهاء والمثقفين والإعلاميين، منهم: عضو مجلس الشورى الدكتور عبد العزيز العطيشان، وعضو مجلس الشورى الأستاذ محمد رضا نصر الله، وأمين عام منتدى «كلّنا للوطن» عبد العزيز الحسن، وعضو مجلس الشورى السابق الكاتب نجيب الزامل، ومدير عام دار اليوم للإعلام الأستاذ صالح الحميدان، وشيخ عشيرة الحسن من بني خالد حمد بن فارس الحسن الخالدي، والدكتور توفيق السيف، ورجل الأعمال عبد اللطيف النمر، والأستاذ باقر الشماسي والأستاذ أحمد أبو السعود.



٧

السلفيون والشيعة

جعفر الشايب

هناك كثير من التجارب الحوارية التي جرت بين رموز وشخصيات دينية ومثقفة سلفية وشيعية في المملكة طوال العقد المنصرم، ومنها انطلق الباحث عبد الباري الدخيل لتوثيق أجزاء كتابه (السلفيون والشيعة: تجربة حوار).

الكتاب الذي يقع في أكثر من ٣٠٠ صفحة يحتوي على مادة ثرية يمكن أن تكون مرجعًا لرصد أبعاد هذا الحوار وآفاقه وانعكاساته على الصعيد الاجتماعي. وفي ظلّ التوتر الطائفي الذي يسود المنطقة، فإن أطروحة الكتاب تأخذ بُعدًا إيجابيًّا في التعاطي مع هذا الملف الساخن في هذه المرحلة.

يفتتح الدخيل كتابه بالتأكيد على التمثل بقيم الإسلام وتعاليمه، وضرورة تقديم أنموذج للوحدة والتعايش والتسامح، لاستيعاب تنوع مجتمعنا المذهبي والقبلي والمناطقي. ويتصدر الكتاب مقالة سابقة للشيخ حسن الصفار تحت عنوان (السلفيون والشيعة: نحو علاقة أفضل) نالت وقت نشرها رواجًا وتفاعلًا، لما ورد فيها من أطروحات جريئة وناقدة.

وكان الصفار قد تناول فيها دعوة الشيعة إلى ضبط الانفعالات ومنع أيّ إساءة للرموز الإسلامية، كما دعا السلفيين إلى الكفّ عن فتاوى التكفير وخطابات التحريض.

الكتاب استعرض لقاءات وحوارات متعددة بين علماء الطرفين في مناطق متعددة من أرجاء الوطن، كان من بينها ما أكّده الشيخ عبد الرقيب القحطاني في لقاء تضمنته إحدى ندوات منتدى الثلاثاء الثقافي في القطيف، وفيه أكّد القحطاني ضرورة تنظيم

لقاءات دورية تجمع علماء ودعاة المذاهب الإسلامية لتنمية القواسم المشتركة وضبط الاختلافات. كذلك استعرض الكتاب حديث الشيخ عوض القرني في لقاء آخر عن أهمية تأسيس علاقات جديدة بين طوائف الأمة المسلمة، وضرورة بنائها على الحوار الصحيح والمعرفة الدقيقة، مؤكّدًا أهمية تحاكم بعضنا بعضًا إلى الواقع كما هو، وليس كما نتوهّمه أو نفترضه، ولا كما كان قبل مئات السنين.

وكان مما استشهد الدخيل به أيضًا كلمة الدكتور مسفر القحطاني في وصف فكرة التعايش بين السنة والشيعة بالمقبولة، مؤكّدًا عدم وجود خلاف حول هذه الفكرة، حاصرًا المشكلة في الذهنية الصلبة التي نشأنا عليها، التي نعجز أن نقبلها أو نتصرف فيها.

كما ذكر تشديد الدكتور عدنان الشخص على الحاجة لمخاض فكري قبل أيّ إجابة حسّاسة في موضوع التقريب، معلّلًا بالدور الذي يؤهّله ذلك إلى قيام نموذج عالمي إسلامي، يوفّق بين وحدة الأمة ومقبولية التنوع.

الكتاب الذي دوّن خمسة عشر لقاء واستضافة تقريبيًا، تنقلت بين القطيف والرياض وجدة، وشارك فيها شخصيات معروفة من قبيل الشيخ عدنان الزهراني، الشيخ محمد صالح الدحيم، الدكتور محمد النجيمي، الشيخ عبد الرحمن المحرج، الشيخ عيسى الغيث وغيرهم، أقول إنّ هذا الكتاب وثّق فضلًا عن ذلك لقاءات مفصلية متعلقة. من اجتماع الشيخ حسن الصفار مع الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، إلى مبادرة وثيقة العيش المشترك التي خرجت بعد حوارات متواصلة بين شخصيات سلفية وشيعية منهم الشيخ الصفار والشيخ عبد المحسن العبيكان، مرورًا بغيرها من لقاءات لا تقلّ عنها أهمية وأثرًا.

في طيّات هذا الكتاب تم تسجيل مبادرات ومواقف وطنية ناضجة، اتسمت بالتسامح والحوار، وكنا نتأمل أن تأخذ مداها العملي على أرض الواقع، إلّا أن التطورات السياسية في المنطقة، وما تبعها من تعبئة طائفية، حرفت المسار لاتجاهات بدت أكثر تشدّدًا وتطرّفًا.

لهذا فإن المسؤولية الملقاة على عاتقنا جميعًا، هي إعادة إحياء هذه التجارب وتنشيطها محلّيًّا، بعيدًا عن تأثيرات الصراعات الإقليمية حماية لوطننا ومجتمعنا.



٧

الشيخ الصفار: يُفترض في حملة القرآن أن يُجسّدوا تعاليمه

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار حملة القرآن الكريم الاقتداء برسول الله ﷺ الذي كان خُلُقُهُ القرآن الكريم.

وقال سماحته: المفترض في حملة القرآن الكريم أن يُحبّبوا الناس للقرآن، وأن يُجسّدوا أخلاقه.

وأضاف: من المتوقع من سلوك حملة القرآن، ومن ممارساتهم وأعمالهم، أن تكون تجسيدًا لمفاهيم القرآن وتعاليمه، في محبّة الناس، وفي العمل من أجل خدمتهم، ونشر الهداية في أوساط المجتمع.

جاء ذلك في كلمة مسجلة أذيعت خلال الحفل الذي أقامته دار الصحابي الشهيد حبيب بن مظاهر الأسدي للقرآن الكريم بالكويت، ختامًا لفعاليات شهر رمضان المبارك ولبرنامج القرآن الكريم، ولتكريم المشاركين فيها وذلك مساء الثلاثاء ٢٨/ ٩/ ١٤٣٤هـ الموافق ٦/ ٨/ ٢٠١٣م

ووصف المكرّمين في هذا البرنامج بأنهم «يجتمعون على مائدة القرآن، وقد شرّفهم الله سبحانه وتعالى بأن أصبحوا من حملة القرآن وخدمته، والسّاعين إلى نشره».

وبشّرهم الشيخ الصفار بأن رسول الله ﷺ قد أمر الناس بأن يحبّوهم، وأن ينشروا

محبتهم، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «أيّها الناس، أحبّوا أهل بيتي وأحبّوا حملة القرآن».

وتساءل سماحته: لماذا يطلب الرسول من الناس أن يحبوا حملة القرآن؟

معلّلًا ذلك بأن حبّ حملة القرآن يشـوّق الناس إلى القرآن، ويقرّبهم له، ويدفعهم لكي يسيروا في سلك هؤلاء الحملة.

وأضاف: ولأن حملة القرآن يفترض فيهم أنهم يجسّدوا تعاليم القرآن، وهم الذين يقتدون برسول الله ﷺ الذي جاء في صفته أنه (كان خُلُقُهُ القرآن).

وختم الشـيخ الصفـار كلمته بشـكر القائمين على هذا المشـروع، وخـصّ بالذكر الحاج حسن قمبر، مؤسس الدار، متمنّيًا منهم ألّا ينسوه من الدعاء.



٧

ينسبون التكفير للإسلام.. فأين يقف من التعددية الثقافية والحرية الشخصية والعامة ؟!*

زينب الطحان

هـذا الكتـاب «التعدديـة والحرّية فـي الإسـلام ـ بحث في حريـة المعتقـد وتعدّد المذاهب»، للشيخ السعودي حسن الصفار، عن مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي في بيروت، وضمن سلسـلة الدراسات الحضارية، يعالج مسـألة الحرية والتعددية في الإسـلام، ويحـاول الإجابة عن سـؤال: أنه من منظور إسـلامي على مسـتوى العقيدة الإسلامية، وعلى مستوى الشريعة الإسلامية، هل ينظر الإسلام إلى التنوع في المجتمع البشـري، وإلى التنوع في داخل عالمه الخاص، الذي قد يصل إلى التعارض معه على مستوى الفكر، وعلى مستوى العقيدة، هل ينظر إليه على أنه أمر مشروع أم لا؟.

يقول الشـيخ محمد مهدي شـمس الدين (رحمه الله) – كما في المقدمة – قرأت الكتاب، وأهنىء فضيلة الشيخ الجليل على توفيق الله له في إنجاز هذا العمل، الذي يشقّ طريقًا في مجال غير مطروق في الأبحاث الفقهية والفكرية الإسـلامية. ويتابع الشـيخ شمس الدين: «الكتاب فيما أعتقد يلبّي حاجة ماسّة ومتنامية في مجتمعاتنا الإسلامية،

---

* موقع قناة المنار نشر بتاريخ ٨/ ٩/ ٢٠١٣م.
http://www.almanar.com.lb/adetails.php?eid=577223&cid=41&fromval=1

التـي تعصف بها خلافات مذهبية وطائفية، وخلافات بين المسـلمين الملتزمين، وبين المسـلمين الذي يعملـون في الحقل السياسـي، على خلفيات من داخـل أطرٍ تنظيمية غيـر إسـلامية، ذات طابع قومي أو غير قومي، وكذلك بعـض المجتمعات تعصف بها الخلافـات الدينيـة بين المسـلمين وغيرهم، إن هذا الكتاب وأمثالـه من الأبحاث التي تشرح وجهة نظر الإسلام الرحبة والمنفتحة للتعايش مع الأغيار يلبّي حاجة ماسّة».

أعتقـد أنه مـن الصعب إضافة نقد بنّاء لهذا الكتاب، بعد ما أدلى به الشـيخ شـمس الديـن. إذ يعـدّ مفهـوم التعددية والحرية السياسـية مـن الموضوعات الحسّاسـة التي أخذت أبعادًا مختلفة في الأدبيات الإسـلامية، منذ نحو قرن، على يد شـخصيات دينية وسياسـية، والـذي أثـار هذا الموضوع هـو لغط يثار حـول مفهوم التعددية السّياسـية، ومدارات الحرية داخل الثقافة الإسلامية، التي لا يمكن فصلها عن مراجعها ومراكزها الدينيـة التقليديـة وهـو لغط أثـاره العلمانيـون بدعوتهم المسـتميتة لفصـل الدين عن السياسـة وإبعاد الدين عن مناحـي الحياة الأخرى، من اجتماعية واقتصادية وسياسـية وحصره في زوايا ضيقة يسهل السيطرة عليه، وإحجامه عن التفاعل مع مفردات الحياة بما يوافق المنهجية العلمانية !..

الحرية الدينية من أسس الإسلام:

الكتـاب، الذي يقع فـي أربعة فصول، يتعرض في بحث شـامل لمختلف جوانب هذه القضية. طرح الفصل الأول قضايا أساسـية كانت كمقدمة للبحث مثل «الإنسـان والديـن؛ «لا إكراه في الدين»؛ «كيف انتشـر الإسـلام؟»؛ «الإسـلام والحرية الدينية»؛ «الحوار لغة التعامل»، أكّد فيها أنّ الإسلام يبني مجتمعه ونظامه السّياسي على أساس الحريـة الدينية، فهـو يعرض مبادئه ويبيّـن أحكامه، والناس بعد ذلـك أحرار في قبوله أو رفضـه ﴿...فمـن شـاء فليؤمـن ومن شـاء فليكفـر..﴾ [سورة الكهف، الآيـة ٢٩]. ويثبت الكاتـب عبر عرض تاريخي كيف أن الإسـلام نظم تشـريعات ووضـع قوانين لحماية أتبـاع الأديان الأخرى، سـواء الوضعية أو السّـماوية، وللتعامل معهم فـي إطار الدولة

الإسلامية، وهذا ما حصل في تاريخ الإسلام، ويقول السيد محمد الشيرازي: «وهذا هو الذي عمله الرسول ﷺ فإنه لما ظفر بأصحاب بدر وكانوا مشركين لم يقتلهم، بل أخذ منهم الفداء، وتركهم على شركهم، فلم يجبرهم على الإسلام، وكذلك فعل بأهل مكة فإنه ﷺ قال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».. إلى غير ذلك مما لا يخفى على من له أقلّ إلمام بتاريخ الرسول».

الإسلام دين عقل وعلم:

الفصل الثاني يدخل في تفاصيل عنوان الكتاب، إذ يدخل إلى موضوعات «التعددية في حياة البشر»؛ حديث عن الوحدة»؛ «لا للإرهاب الفكري». نتوقف عند القضية الأهمّ وهي الإرهاب الفكري، التي نجد لها مصاديق في هذه الأيام في منطقتنا العربية. كان جميلًا من الكاتب عرضه في بداية الأمر كيف كانت الكنيسة في أوروبا تضطهد الفكر المتطور، والمفكرين والعلماء، وحتى الرهبان الذين كانوا يكشفون عن حقيقة جمود الكنيسة، وفرضها لآرائها بالقوة على الشعب، وعدّد حالات مختلفة عن اضطهاد هذه الكنيسة لهؤلاء، وكيف أحرقتهم وعذبتهم، ليأتي حديثه أنه في هذه الأثناء كان الإسلام يبني دولته وحضارته المجيدة على أساس الحرية والتسامح والعلم.

وكان يركّز على أهمية العقل والتفكر، إذ يقول الإمام عليّ عليه السلام: «والعقل أفضل الموجود»، ورسول الله يقول: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له». وليس أبلغ دليل على ذلك الحركات الفكرية والاجتهادية التي نشطت في الأمة العربية، بعدما سادت ثقافة الإسلام وتعاليمه، إذ شهد في عصور لاحقة حركة ترجمة كبرى، لثقافات الغرب وأوروبا، والاستفادة ما أمكن من إبداعاتها. وكان جليًّا التفوق العلمي والحضاري الذي أنجزه المسلمون العلماء في ميادين العلم، على اختلاف الصُّعد والمجالات، حيث عاد وتلقّفها العالم الغربي، الذي لم يتمكن من نهوضه العلمي الواسع لولا تلك الترجمات العلمية، التي قام بها المستشرقون في تلك العصور.

هناك بعض المسلمين يفسّرون الإسلام على طريقتهم...من هنا يثبت الإسلام أنه

دين علم وعقل، ويؤمن بكل ما ينادي به التطور الإنساني، ما دام لمصلحته ولمصلحة بناء الإنسان. وفي ظلّ هذه الإنجازات كان هناك حركة التسامح واحترام الرأي. فليس في الإسلام محاكم للتفتيش، ولا يحقّ لأحدٍ أن يمارس دور الوصاية والرقابة، على أفكار الناس ونيّاتهم ومشاعرهم. من هنا حارب الإسلام كلّ ما ينتمي للتكفير بصلة، إذ يدّعي البعض لنفسه أن الإسلام ينحصر فيما يراه ويفهمه هو، وأن من يخالفه في ذلك الفهم أو المذهب هو كافر. إنه من الروعة أن تعلم أن رسول الرحمة ﷺ حذّر من أن يُشهر مسلم على أخيه المسلم سلاح التكفير، ففي الحديث الصحيح: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما». وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ملعون ملعون من رمى مؤمنًا بكفر، ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله». وهناك أحاديث شريفة أخرى يوردها الكاتب، ويستدلّ بها على عظمة الإسلام في تقدير الرأي الآخر، والدعوة إلى محاورته، ومناقشته بالكلمة الحسنة. من هنا لم تكن مفهوم «الكلمة الحسنة» أو مبدأ التسامح مجرّد فكرة نظرية، بل كانت سياسة ونظامًا اجتماعيًّا طبّقه الرسول ﷺ والإمام علي في حكمهما.

يعالج الفصل السادس، جملة قضايا متعلقة بتعدد الأديان والمذاهب، الديانات وتعدّد المذاهب؛ العوامل والأسباب؛ التعامل بين المذاهب. يذهب الكاتب للقول: إن العامل الفكري يشكّل السبب الرئيس في تعدّد المذاهب في الدين الواحد، وحتى تعدّد الفرق في المذهب الواحد، وأن هذا العامل يرجع إلى تفاوت مستويات الإدراك والمعرفة مما يحدث تباينًا في فهم معتقدات الدين والمذهب. وإن الانشقاق يحصل غالبًا بعد وفاة النبي أو المؤسّس، وعلى أساس ذلك الاختلاف الفكري يقع التعارض في المواقف السياسية. ويسرد الكاتب بطريقة ممتعة كيف حصلت الانشقاقات في الأديان ومن ثم في المذاهب، وهو بذلك قدّم للقارئ فائدة كبيرة على صعيد توعيته بأساليب الخدع والمكر، لتحوير الأديان والمذاهب، أهمها طرق اليهودية التي استفحلت في توثيق العقيدة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ، حتى وصل الأمر بمعاوية أن استعان بيهودي، أعلن إسلامه مخفيًا عمق إيمانه باليهودية، ليكون مرشدًا له في حكمه..!.

الإسلام يواجه التكفير والتعصب الطائفي:

«لا للتكفير»، هو المحور الأول في الفصل الرابع من الكتاب وعنوانه «المذاهب الإسلامية: أصول مشتركة»، ويكاد يكون أهم المحاور، بعد «المتعصبون يشهرون سلاح التكفير»؛ التعصب والإرهاب الطائفي، الانفتاح الفكري بين المذاهب الإسلامية. الأصول المشتركة بين المذاهب واسعة القاعدة والفروع، رغم أن الخلاف بينها أخذ منحى سلبيًّا في فترات من التاريخ، ويُعاد إحياؤها في هذه الأيام، مع بروز ظاهرة التكفير مجدّدًا على الساحة بقوة. يؤكد الكاتب أن هذه الأصول لو عومل بها من شأنها أن تكون ضمانة كبيرة لحفظ وحدة الأمة الإسلامية. ويعدّد هذه الأصول وفي مقدمتها أصول العقيدة، والقرآن الكريم. وعرج الكاتب على بعض المسائل الخلافية، التي تم اختلاقها بعد النبي ﷺ، وصولًا إلى مسألة التكفير، التي ابتدعها الخوارج في عهد الامام علي ؏. وكانت هذه أكبر فتنة وقعت في الإسلام وما تزال آثارها إلى اليوم.

مقام الإمام الصادق ؏ في مكة وهو نبراس العلم في «التعصب والإرهاب الطائفي»، يسرد الكاتب مدرسة أهل البيت في هذا الجانب مركّزًا على عهد الإمام الصادق ؏، إذ يؤكّد في سيرته كيف كان الإمام يعلّم طلابه أهمية احترام الرأي الآخر من المذاهب، وأن يفتوا الناس كلًّا على مذهبه، وألّا يفرضوا عليهم مذهب أهل البيت بقوله: «انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك». ويروي شواهد عديدة من سيرة الإمام في هذا المضمار. كلُّ ذلك ليقول: إنّ الإسلام الأصيل ليس متعصّبًا لآرائه، بل هو ينفتح على الرأى الآخر ويناقشه وحتى يستفيد منه.

ويقع بعض المسلمين في اجتناب فكر الآخر والتقوقع على نفسه، وتغذّي هذا اللغط عقليات إسلامية ترى أن سلامة الدين وصيانة المجتمع يبتني على توخي الحذر، وأخذ الحيطة من التشاكل والتجانس مع الثقافة السياسية الغربية وهي ثقافة عمودها التعددية السياسية والحرية السياسية، وركيزتها العمل الحزبي بشكل عام،

فضلًا عن مناهج الاقتصاد الحرّ، الذي لا يجد قبولا تامًّا لدى المؤسسة الإسلامية، وتعتقد أن مساوئ التعددية السياسية أكثر من منافعها فلا تستسيغه، إضافة إلى وجود عقليات إسلامية مختلفة المستويات الثقافية والعلمية تعتقد أن التعددية السياسية من الأمور المستحدثة الطارئة على الدين وهي من الشبهات، وبعضهم يضعها على حدّ البدعة والابتداع في دين الله من المحرمات الموجبة لغضب الربّ.

يؤكد هذ الكتاب أن التعددية والحرية في الإسلام مكفولتان بدلالة:

النصوص الشرعية الواقفة على جعلية التنوع والاختلاف في حياة البشر وإقرار الرسالة الإسلامية وقادة الإسلام وأئمّته بهذا التنوع والاختلاف في مصاديقه المختلفة، من قبيل قوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾[سورة الإسراء، الآية ٨٤].

فطرية التعدّد والجعل التكويني للتنوع في كلّ زاوية من زاوية الكون والحياة، فالفطرة تحكم بالتعدّد والتنوع، والعقل يقرّان أنّ التنوع أمر قائم.

الواقع الخارجي حاكٍ عن هذا التنوع، فلا نجد شيئين يتطابقان مئة في المئة، فالتوأمان يتشابهان من حيث الشكل الخارجي، ولكن لكلٍّ هويته الخاصة به وشخصيته، فإبهام كلّ واحدٍ يختلف عن الآخر، وتفكيره ونظرته للحياة تختلف هي الأخرى، بل إن التجمعات البشرية واختلافها من حيث اللغة واللون والمعتقد، هي من أبرز مظاهر التعدّد والتنوع في الواقع الخارجي الظاهر للعيان.

جعلية التعدّد والاختلاف تجرّ الباحث من باب أولى إلى القول بأصالة الحرية وذاتيتها، واندكاكها في كينونة الإنسان، فمن مصاديق قوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾، الحرية الذاتية؛ إذْ إنّ الإقرار بهذه الحقيقة التي يوردها النّص الشريف، وما يتضمنه من معانٍ سامية، لا يتم دون الإقرار والقول بجعلية الحرية في الإنسان؛ لكون الإنسان قد هداه الله السبيل، وبيّن له الصالح من الطالح، وترك له الخيار، ومبدأ الخيار يقتضي توفر الحرية.

ثم إنّ العقل السليم يدلّنا على أصالة الحرية، ولكن لا الحرية المطلقة، إذ ليست هناك حرية مطلقة؛ لأنّ إطلاق الحرية مدعاة إلى عدد من المفاسد، التي تأتي على حرية الآخرين، وهذه مفسدة أكبر لا يتم دفعها إلّا بوضع ضوابط وكوابح، قال بها معظم المفكرين المسلمين والغربيين قديمًا وحديثًا.

كما أنّ واقع الحال يبرز حقيقة وأهمية الحرية، عند المقارنة بين مجتمع تحكمه الحرية، وآخر يحكمه الاستبداد، فلا مناص من التمايز والقبول بأهمية الحرية رغم أنّ بعض المجتمعات من وجهة نظر إسلامية يعيش حرية منقوصة أو حرية مغالية، ولكن في الحالتين فإنّ الاستبداد مفسدة وضرر أكبر لا يمكن القبول به رغم بعض مضارّ الحريات المغالية أو المنقوصة.

خلاصة الأمر:

إنّ القول بجعلية التعدد والتنوع في الكون والإنسان، ومجمل الحياة البشرية، يقود إلى القول بحتمية الحرية فضلًا عن أصالتها، فالتعدد والتنوع يحكم بحرية المرء بفعل أيّ شيء لا يخالف الشرع أو القانون أو العرف، أي العمل في دائرة حريته الذاتية، فردًا كان أو جماعة، فالتعددية السّياسية وهي من صور التعددية تنفتح على حرية سياسية إذْ لا تعددية سياسية من غير حرية سياسية، ولا حرية سياسية من غير تعدّدية سياسية.

«نواقص» الكتاب:

رغم أن هذا الكتاب يُعدّ من الدراسات القليلة في باب التعددية السياسية في الإسلام، إلّا أن أهمّ ما يعاب عليه هو عدم خوضه في التجارب الحديثة المعاصرة، واقتصر بحثه على عهود صدر الإسلام وحقب بني أمية وآل العباس. وفي باب «خطورة التكفير» يكتفي بسرد حوادث حول كيفية تعامل الإمام علي مع الخوارج أصحاب هذه الظاهرة، دون الولوج إلى الشّرخ الذي أحدثوه في الأمة، التي ما تزال تنزف منه إلى اليوم، ويبتعد عن الزمن المعاصر وتطبيقاتها، وما أكثر أمثلتها. كما أنه لا

يُعرّج على العديد من القضايا التي يُتهم بها الإسلام، بأنه آحادي الثقافة يمايز الآخرين ويسمّيهم «أهل الذمة» ويفرض عليهم «دفع الجزية»، وغيرها من القضايا التي يستغلّها أعداء الإسلام للنيل منه.



٧

رئيس تحرير جريدة اليوم يلتقي الشيخ الصفار في منزله*

التقى رئيس التحرير عبد الوهاب بن محمد الفايز الشيخ حسن موسى الصفار في منزله بالقطيف، وجرى خلال اللقاء استعراض العديد من الموضوعات الإعلامية، ودور «اليوم» في تعزيز الثوابت والقيم، وتطلعاتها إلى مواصلة تطوير برامج توعوية للشباب، وملء أوقاتهم بالبرامج الهادفة.

وتحدث رئيس التحرير عن خطط وبرامج دار اليوم للإعلام، وتطلّعاتها لتطوير العمل الصحفي، وتحديث أساليبه، والنهوض به إلى أفضل المستويات، وذلك عبر الشراكة مع كلّ المكونات الوطنية، وتغطية جميع الأنشطة والفعاليات الاجتماعية والثقافية في المنطقة الشرقية.

وأشاد الشيخ الصفار بأسرة تحرير «اليوم» متطلّعًا إلى دورها الريادي في خدمة الوطن والمجتمع، مشيرًا إلى أهمية الوحدة الوطنية، وتأكيد التواصل بين شرائح المواطنين.

وتحدث الشيخ الصفار عن الحاجة إلى المبادرات الكثيرة والجادّة على المستوى الوطني، لمواجهة الفتن الطائفية التي تعصف بالمنطقة العربية، من أجل تمزيق شعوبها، وهدر إمكاناتها في الصراعات والنزاعات الداخلية، مطالبًا الجميع بالتكاتف وتأكيد

* صحيفة اليوم ٩ / ٩ / ٢٠١٣م.

الـولاء الوطني، وعـدم الإصغاء إلى دعاة الفتن والتفرقـة، والمحرّضين على الكراهية والبغضاء.

يشار إلى أن الزيارة كانت بتاريخ يوم الاثنين ٢٦ شوال ١٤٣٤هـ الموافق ٢ سبتمبر ٢٠١٣م.



٧

لقاء خادم الحرمين الشريفين

بدعوة من الديوان الملكي شارك الشيخ حسن الصفار ضمن وفد كبير من الأحساء والقطيف والمدينة المنورة، في حفل استقبال خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز لجمع من الأمراء والمسؤولين والعلماء وشخصيات من مختلف أنحاء الوطن، ظهر يوم الأحد ٢٣ ذو القعدة ١٤٣٤هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ٢٠١٣م بمناسبة اليوم الوطني في الديوان الملكي بجدة.

وقد اغتنم عدد من أعضاء وفد الأحساء والقطيف الفرصة للحديث مع بعض الأمراء والوزراء والمسؤولين في الديوان الملكي عن هموم المواطنين في المنطقة ومتابعة مطالبهم وقضاياهم.

زيارة الشيخ عبد المقصود خوجة

قام سماحة الشيخ حسن الصفار بزيارة للأديب الشيخ عبد المقصود خوجة في دارته بجدة مساء يوم السبت ٢٢/ ١١/ ١٤٣٤هـ الموافق ٢٨ سبتمبر٢٠١٣م للاطمئنان على صحته.

وقد دعا الشيخ عبدالمقصود خوجة عددًا من الشخصيات الأدبية والاجتماعية في جدّة على شرف سماحته كان من بينهم وزير الحج الأسبق معالي الدكتور محمود سفر، ووزير الدولة سابقًا معالي الدكتور مدني علاقي، ومدير عام فرع وزارة الخارجية في

جدة الأستاذ السفير محمد أحمد طيب، ورئيس تحرير صحيفة عكاظ الدكتور هاشم عبده هاشم، ورئيس تحرير صحيفة البلاد الأستاذ علي حسون، والناشط المعروف الأستاذ محمد سعيد طيب، والصحفي والكاتب المعروف الدكتور عبدالله مناع، والأستاذ في جامعة الملك عبدالعزيز الدكتور عاصم حمدان، والكاتب الصحفي المعروف نجيب عصام يماني، ورجل الأعمال المهندس الدكتور سامي عنقاوي، ورجل الأعمال الأستاذ فاروق محمد سعيد خوجه، ورجل الأعمال المهندس محمد سعيد عبدالمقصود خوجه، ورئيس تحرير صحيفة الشرق سابقًا الأستاذ قينان الغامدي، ورجل الأعمال الأستاذ محمد عمر العامودي.

كما رافق الشيخ الصفار في زيارته كلٌّ من: الأديب السيد عدنان العوامي، والمهندس جعفر الشايب، والمهندس شاكر نوح، والمهندس نبيه البراهيم، والمهندس عيسى المزعل، والوجيه عبدالله السيهاتي، والوجيه عبد الرسول شهاب، والأساتذة ماجد عبد العال، وأمين العقيلي، وميثم الفردان.

وتناول الجميع طعام العشاء على مائدة الشيخ عبد المقصود خوجة، وكان اللقاء فرصة لتداول الأفكار والآراء حول الهموم الوطنية والإسلامية.

زيارة الشيخ أحمد بن باز

وفي مساء يوم الأحد ٢٣/ ١١/ ١٤٣٤هـ قام الشيخ حسن الصفار بزيارة للشيخ أحمد بن عبد العزيز بن باز، برفقة المهندس جعفر الشايب، والأستاذ ميثم الفردان، وكان اللقاء مناسبة لمناقشة قضية التجديد في الفكر الإسلامي، والعلاقة بين طوائف الأمة، ومواجهة التشدّد والانغلاق.

دعوة الدكتور زهير السباعي

كما لبّى الشيخ الصفار دعوة الدكتور زهير بن أحمد السباعي، عضو سابق في مجلس الشورى، لتناول طعام العشاء مساء يوم الأحد ٢٣/ ١١/ ١٤٣٤هـ والحديث

مع مجموعة من الشباب المهتمين بالشأن الإسلامي والوطني، حيث طلبوا من الشيخ الحديث عن تجربته في المجال الاجتماعي، وطرحوا بعض التساؤلات عن العلاقات المذهبية، وقد رافق الشيخ الصفار كلٌّ من: الأستاذ فايز جواد الزاير، والمهندس جعفر الشايب، والأستاذ ميثم الفردان.

وفي ذات المساء زار الشيخ الصفار الإعلامي الأستاذ عبد العزيز قاسم في منزله.

لقاء وزير الحج الدكتور بندر الحجار

في صباح يوم الاثنين ٢٤/ ١١/ ١٤٣٤هـ التقى الشيخ حسن الصفار معالي وزير الحج الدكتور بندر الحجار، في مقرّ الوزارة بجدة، ودار الحديث حول الاستفادة من موسم الحج الفريضة العظيمة، في تعزيز وحدة الأمة، ومواجهة نزعات التكفير والتعصب.

دعوة الدكتور إيّاد مدني

ولبّى الشيخ الصفار دعوة الدكتور إياد مدني، وزير الإعلام السابق، والأمين العام الجديد لمنظمة التعاون الإسلامي، لتناول طعام الغذاء في منزله بجدة، حيث تم تداول الآراء والأفكار عن دور المنظمة في مواجهة التحديات الخطيرة للإسلام والأمة، ومن أبرزها الصراعات الطائفية وتيارات العنف والتطرف.



٧

تاروت: الشيخ الصفار يشيد بعطاء الراحل الدكتور عصام عباس

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بجهود وعطاء الدكتور العراقي عصام عباس الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى بتاريخ ١٣/ ١١/ ١٤٣٤هـ، مؤكّدًا أن الراحل الذي قضى سنينًا طويلة في سوريا، وفي جوار مقام السيدة زينب عليها السلام قدم أنموذجًا مشرقًا في العمل والنشاط.

وثمّن الشيخ الصفار جهد الراحل في إقامة مهرجان السيدة زينب عليها السلام الولائي السنوي، الذي يقام في ذكرى ولادتها، حيث يحضر الحفل سنويًّا العديد من الشخصيات من مختلف أنحاء سوريا، وكان يحرص على دعوة ممثلي مختلف الأديان والمذاهب.

مضيفًا أن الحفل الذي كان الدكتور الراحل يتبنّاه ويشرف عليه، أصبح مع مرور الوقت مناسبة ثقافية عامة، وأصدر مجلة سنوية سمّاها «النجمة المحمدية» تجمع مقالات ودراسات عن السيدة زينب عليها السلام.

كلام الشيخ الصفار جاء خلال مشاركته في مجلس الفاتحة الذي أقامته عائلة المعتوق في «حسينية الحاج محمود درويش بأرض الجبل بتاروت» على روح الدكتور عصام عباس.

مبيّنًا أن الدور الذي كان يقوم به الدكتور عصام عباس وهو فرد يوازي عمل

مؤسّسات.

وتحدث الشيخ الصفار عن أخلاق الراحل، مؤكّدًا أنه كان يتحلى بأخلاق طيبة مع الجميع، وكان على تواصل معه حتى الفترة الأخيرة التي سبقت وفاته، كما تجمعه مع الراحل رسائل كثيرة متبادلة.

مشيرًا أن للدكتور عباس ديوان شعر حول السيدة زينب وأهل البيت بعنوان (نفحات ولائية).

مضيفًا أن الفترة الأخيرة ورغم الأحداث في سوريا، إلّا أن الدكتور الراحل كان مصرًّا على التواجد في منطقة السيدة زينب. وقد دفن أخيرًا بجوارها تغمّده الله بواسع الرحمة، وألهم ذويه الصبر والسلوان.



الجبيل: حفلة تنازل عن «دية» تتحول إلى مهرجان لـ«اللحمة الوطنية»*

محمد الداوود

تحوّل لقاء كان من المفترض أن يقام لتكريم عائلتين تنازلتا عن دية اثنين من أبنائهما، إلى حوار وطني «بامتياز» بعد أن تجاذب المجتمعون الحديث عن «الروابط الوطنية، ونبذ الطائفية، والمناطقية، والقبلية بمختلف صنوفها» فيما دعوا خلالها إلى أهمية الالتزام بـ«التعايش المشترك بين الأطياف الوطنية، وتعزيزها وتبادل الزيارات بين أبناء الوطن الواحد».

وكانت قبيلة شمر، قد أقامت، أول من أمس، في مدينة الجبيل الصناعية حفلةً، تكريمًا لعائلتي آل تريك والبندري، بعد تنازلهما عن شابّ تسبب في وفاة اثنين من أبنائهما، في حادثة مرورية وقعت قبل ثلاثة أشهر، في مدينة الجبيل الصناعية. فيما قررت القبيلة، التي ينتمي إليها الشاب المتسبب في الحادثة، إقامة هذه الحفلة التعريفية بهدف «تعريف المجتمع بروح وسماحة المجتمع في القطيف، ودورهم في التنازل عن حقهم جرّاء هذه الحادثة، وشكرهم على هذا الموقف النبيل، وموافقتهم الفورية على التنازل»، الذي تمّ من دون مقابل مالي، بناءً على رغبة ذوي المتوفين، الذين أصرّوا على أن يكون التنازل «لوجه الله تعالى».

---

* جريدة الحياة، ١٢ / ١٠ / ٢٠١٣م

وأكّدت قبيلة الشـمري فـي حديثها، إلى أن نيّتها إقامة هـذا الحفلة في مدينة حائل «إلّا أنـه مراعـاة لظروف الجميع وتجنّبًا لمشـقة السـفر، حال دون ذلك، مـا دعانا إلى استدعاء أهلنا وأحبّتنا في حائل لحضورهم في الجبيل، لإقامة هذا الحفل» وأشـاروا في كلمتهم إلى «هذا الموقف غير مستغرب على أهالٍ كرام كأهالي القطيف، خصوصًا عائلتـي آل تريك والبندري الذين تركوا زخرف الحياة وبريقها لأجل رضا الله»، وأكّد مخلف الشمري إلى أن «ما قام به أهل القديح وأهل القطيف الكرام، هو بمنزلة رسالة تسـامح جميلة، تُجسّد المعنى الحقيقي للأخوة الإسـلامية والوطنية، بغضّ النظر عن الاختلافـات المذهبية»، مشـيرًا إلى أهمية «تنامي الحسّ الوطنـي على أصوات الفرقة ويجب عدم الإنصات لأصوات النشاز».

فيما أكّد الشيخ حسن الصفار أهمية «ترسيخ مفاهيم العفو، وحفظ حقوق الجوار، فـي ظلّ الحاجة الماسّـة إلى هذه الروح»، مشـيرًا إلى أن «المبالغة فـي أمر الدّيات أمر مرفوض، وهذه مخالفات تواجه الشـريعة ويجب نبذها». مقدّرًا الروح التي تحلّت بها عائلتا آل تريك والبندري في التنازل عن الدية، وتغليب الأخوة والروح الوطنية بينهما.

مـن جهته، قال محمـد آل تريك (والد المتوفـى): «وقع التنازل لوجـه الله تعالى، دون النظر إلى أيّ شيءٍ آخر»، وقال: «جميعنا معرّضون لمثل هذه الحوادث العرضية، ومن المؤلم جدًّا أن أدعو الأخوة في قبيلة شمر أن يجهدوا أنفسهم في السعي وتجميع مبلغ الدية، وطالما ولدي رحل إلى رحمة الله، ونحن كذلك راحلون، ولن نرحل إلى الله سوى بقطعة قماش بيضاء».

وأضـاف «أنا مقتنع تمامًا بتنازلي عن مبلغ الدية، وتنازلـت لوجه الله، وأصدقكم القـول أنـا لا أملك منـزلًا، ولكن عزّتي وقناعتـي دفعتني إلى عدم اشـتراط الدية؛ لأن الحادثـة لـم تكن متعمدة»، وشـدّد علـى أن «تنازلنا عن الأخ الشـمري هـو لوجه الله تعالى، ولإيصال رسالة عن شهامتنا ونبل أهل القديح والقطيف».

وكانـت عائلتـا البندري، وآل تريك، أعلنتا عن تنازلهما عن الشـاب بدر الغليسـي

الشـمري، الذي تسـبب فـي حادثة مروريـة وقعت في مدينـة الجبيـل الصناعية، أدت إلـى وفـاة اثنين من أبنائهما: علي آل تريك، وأحمد حسـن منصـور البندري. فيما نجا الشمري من الموت.

وأعلنت العائلتان عن تنازلهما أثناء قيام وفد من قبيلة شمر، بزيارة العائلتين، وتقديم العزاء في المتوفين. وقال معتوق آل تريك، وهو عمّ أحد المتوفين، لـ «الحياة»: «طلبوا منّـا التنازل عن المتسـبب في الحادثة، فما كان منّـا إلّا الموافقة على ذلك، بكلّ رحابة صدر. وتم الانتهاء من إجراءات التنازل أمام الجهات المختصة».

وبـرّر آل تريك، تنازلهم «الفوري» بـأن الحادثة «غير مقصودة، وربما يتعرض لها، أو يتسـبب فيها أيّ إنسـان»، مضيفًا أن «تنازلنا لأخوتنا وأهلنا من قبيلة شمر، تم بعد أن قامـوا بزيارتنـا في مجلس العزاء في بلـدة القديح، وتقديم العـزاء، وطلبوا منا التنازل، فاسـتجبنا لهم قربة إلى الله تعالى، وترسـيخًا لمفهوم التسـامح الاجتماعي بين أطياف المجتمع الواحد».

وأردف معتـوق، «تحدثـت مع أخي (والد الشـابّ المتوفى) حـول ما عرضه علينا وفد قبيلة شـمر، من اسـتعداد لدفع الديـة والتعويض جرّاء هذه الحادثـة، إلا أننا اتفقنا على التنازل قُربة إلى الله تعالى، ومن دون مقابل»، مضيفًا «نريد إيضاح حجم التسامح لدى أبناء القطيف عمومًا، والتأكيد على اللحمة الوطنية والاجتماعية». وأشـار فرحان الشـمري إلـى «دور تسـامح أهالـي القديح في التنـازل عن هـذه الدية ترسـيخًا لمبدأ التسـامح وإظهارًا للوحدة الوطنيـة»، وقال: «ذهبنا إلى أهالـي المتوفين بعد الحادث، وكان برفقتهـم رجل الأعمال عبد ربّ الرسـول الشـهاب. وبعد انتهـاء العزاء وقبل أن ينصرف أهل الشـمري أبلغتهـم العائلتان الكريمتان بأن يعتبروا أنـه لم تحصل حادثة، ولـم يتوفَّ لهم أحد، وسـيذهبون إلـى الجهات المعنيـة لإنهاء الإجراءات بأنفسـهم. وفعـلًا تـمّ ما وعدوا به وأنهوا إجراءات التنازل لـدى المحكمة والمرور. فجزاهم الله خيـر الجـزاء على ما فعلوا من معروف، وعن تنازلهم عن حقّهم دون أيّ تدخل من أيّ

جهة أخرى».

وأوضح أن «هذا التصرف يدلّ على ترابط أبناء المملكة وتوادّهم وحبّهم لفعل الخير مهما أرجف المرجفون الطائفيون. وهذا الفعل بمنزلة حجر ألجم أفواه مثيري الطائفية الباحثين عمّا يفرّق فقط» مضيفًا «الحمد لله الذي جعل بداية الحادث حزنًا وأسًى على الجميع ونهايته بهجة وألفة بين أبناء الوطن رغم اختلاف المذهب. وهذا مصداق قوله تعالى: (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)».



٧

قبيلة شمر تحتفل بعائلتي البندري وآل تريك لتنازلهما عن المتسبب في مقتل ابنيهما*

احتفلت قبيلة شـمر بمدينة الجبيل الصناعية مسـاء الخميس، عائلتا البندري، وآل تريـك مـن أهالي القديح بالقطيف، التي أعلنتا عن تنازلهم عن الشـاب بدر الشـمري، الذي تسبب في حادثة مرورية وقعت في مدينة الجبيل الصناعية، أدت إلى وفاة أبنائهم.

وأعلنـت العائلتـان عن تنازلهمـا دون مقابل أثناء قيـام وفد من قبيلة شـمر، بزيارة العائلتين، وتقديم العزاء في المتوفين، قبل ثلاثة أشهر.

وحضر الحفل بعض مشـايخ وأفراد قبيلة شـمر، ومن سـعى بالإصـلاح من أعيان قبيلة بني خالد، وكذلك حضور أهالي المتوفيَن استجابة لدعوة قبيلة شمر، ليمكنوهم ردّ شيءٍ من جميلهم.

وهـدف الحفـل الـذي أقامته قبيلة شـمر وحضـره عدد مـن الوجهاء مـن محافظة القطيف «تعريف المجتمع بروح وسماحة المجتمع القطيفي، ودورهم في التنازل عن حقّهم جراء هذه الحادثة، وشـكرهم على هذا الموقف النبيل وموافقتهم الفورية على التنـازل»، الذي تم مـن دون مقابل مالي، بناءً على رغبـة ذوي المتوفين، الذين أصرّوا على أن يكون التنازل «لوجه الله تعالى».

وأكّد الشـيخ حسـن الصفار خـلال الحفل، أن التسـامح والعفـو والتواصل وعدم

* جهينة الإخبارية ١٢ / ١٠ / ٢٠١٣م

التطـرف يعزّز الوحدة الوطنية التي يدعو لها خادم الحرمين الشـريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله.

وأشـاد بموقـف العائلتين اللتين تنازلتـا لوجه الله تعالى، وأضاف «كثيرًا ما نسـمع عـن عوائـل تتنازل مقابل الملايين في الدم، وهذا إسـراف في طلـب الدية، وبعيد كليًّا عن الشـرع، فيما تصرّ العائلتان مشكورتين على التنازل من دون أن تأخذ المال بما في ذلك الدية الشرعية، وأصرّتا على أن يكون تنازلهما لوجه الله تعالى بشكل خالص».

وتابع «إنّ السـرور والمحبة تنعش مشـاعرنا ونحن نرى أبنـاء المجتمع يتواصلون فيمـا بينهـم، ويُجسّـدون قيم الأخـلاق ومبادئ الديـن التي أمـر الله بها، وهـي العفو والتسامح والتواصل، وحفظ حقوق الجوار، وما أحوجنا لمثل هذه القيم ونحن نعيش في عصر اشتدّ فيه توجه الناس نحو المادة».

وأوضح أنّ «بلادنا تقوم على أساس مبادئ الدين وأساس مفاهيم الكتاب والسنة، والناس يتجهون فيها إلى الخير، ولكن النفوس البشرية في كثير من الأحيان تغفل بعض هذه المبادئ، ونرى أصوات العلماء والموجهين وهي تدعو الناس لعدم المغالات في الديات».

وأشار «حينما نجد أن هناك سعيًا للصلح نجد من يبالغون بطلب عشرات الملايين، وهذا يخالف ما توجهنا له الشريعة، وما يأمرنا به الدين، ويجب ألّا تنتشر هذه الظاهرة، ومن هنا نقدر هذه الروح التي تحلت بها العائلتان».

وتابع «إنّ تنازل العائلتين من دون أخذ المال يدلّ على تشـبعهم بالقيم الإسـلامية الأصيلـة فجزاهـم اللـه خيـرًا، ونأمل أن تنتشـر هـذه الحالة فـي المجتمـع، وألّا تنمو المغالات في الديات التي أصبحت الناس تئنّ منها».

وأضاف «يجب أن نصر في هذا الوطن على توحّدنا وعلى وحدتنا الوطنية، ونحن نعيش في ظلّ قيادة تدعونا للتوحّد والوحدة وإلى الحوار، وخادم الحرمين الشـريفين

أنشأ مركز الحوار الوطني، وأمر بإنشاء مركز الحوار بين المذاهب الإسلامية».

وبيّن «إذا كانت القيادة في الوطن تدعو بهذا الاتجاه، ونحن كمسلمين ديننا يأمرنا بالتوحد والتلاحم والتكافل والتماسك، وذلك جليّ كما في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، ثم قال إن التقوى هاهنا، وأشار لصدره ثلاث مرات».

وألقى الشيخ مخلف دهام الشمري كلمة أهالي قبيلة شمر، وشكر العائلتين على تنازلهما، وأضاف «إننا نشكر الأخوة محمد منصور التريك، ومحمد حسن البندري، فهما رمز التسامح والكرم والوفاء السّاعين إلى الثواب والخير فجزاكم الله وشهداءكم جنة الفردوس الأعلى»، مشيرًا إلى أن ما نشاهده اليوم يجسّد الوحدة.

وبعدها ألقى رجل الأعمال عبد ربّ الرسول شهاب قائلًا: إنه من الواجب السعي لتقريب الأخوة، والصلح بين أهالي الدم، وهذا العفو من أسمى آيات النخوه والشيمة، في السعي بالمعروف، وإصلاح ذات البين، وهذه صفة المسلم الحقّ.

لتختتم بكلمة الغليسات ألقاها نيابة عنهم سعود الغليسي رحّب فيها بالحضور، وشكر فيها أهالي المتوفين، وكلّ من سعى بالإصلاح، ودعا الله أن يديم على مملكتنا نعمة الأمن والأمان، في ظلّ قيادتنا الرشيدة، وأن يبارك فيها، ويبقيها شامخة بالتوحيد والسنة.

وحضر الحفل بعض مشايخ وأفراد قبيلة شمر، ومن سعى بالإصلاح من أعيان قبيلة بني خالد، وكذلك حضور أهالي المتوفَين استجابة لدعوة الغليسات، ليمكنوهم ردّ شيءٍ من جميلهم، مقدّمين شكرهم عن قبيلة شمر عامة، والغليسات خاصة لأهالي القديح بمحافظة القطيف، وعلى التسامح والكرم والوفاء وتنازلهم لوجه الله تعالى.

وكانت عائلتا البندري، وآل تريك، أعلنتا عن تنازلهم عن الشاب بدر الغليسي الشمري، الذي تسبب في حادثة مرورية وقعت في مدينة الجبيل الصناعية، أدّت إلى

وفـاة ابنيهمـا: علي آل تريك، وأحمد حسـن منصـور البندري. فيما نجا الشـمري من الموت. وأعلنت العائلتان عن تنازلهما أثناء قيام وفد من قبيلة شـمر، بزيارة العائلتين، وتقديم العزاء في المتوفين.



٧

الشيخ الصفار يندد بالإساءة إلى صحابة النبي وزوجاته*

جعفر الصفار

دان الشيخ حسن الصفار إهانة الرموز الدينية واعتبرها «أمرًا مرفوضًا جدًّا»، مستنكرًا بشدة «التطاول على صحابة النبي وزوجاته»، وقال إن «هذا التصرف مدانٌ ومستنكر، وهو مخالف لما أمر به أهل البيت شيعتهم». وهاجم الشيخ الصفار من وصفهم بتيّار البذاءة والإساءة الى رموز أهل السنّة، قائلًا: إنهم يقومون بدور مشبوه لتبرير أعمال القتل والإرهاب التي يرتكبها التيار التكفيري.

وأضاف أمام حشد من أهالي القطيف أمس الجمعة إنّ «الأمة باتت تعاني من وجود تيارين خطرين على وحدتها، تيار التكفير والإرهاب الذي نشأ وسط أهل السنة، وتيّار البذاءة والإساءة الى رموز أهل السنّة الذي تشكل حديثًا وسط الشيعة»، مضيفًا أن كبار المرجعيات والرموز الشيعية أدانت بشدة ممارسات هذا التيار، واعتبروه مخالفًا لمدرسة أهل البيت، وخارجًا على توصيات الأئمة في العلاقة مع أطياف الأمة.

وأشار الصفار إلى الفتوى الصادرة من المرجع الأعلى السيد علي السيستاني، التي أدانت تصرفات أفراد هذا التيار الذين خرجوا في حيّ الأعظمية ببغداد، وأساؤوا لرموز أهل السنة، مُشدّدًا على أن غرض تيار الإساءة لرموز السنّة هو التغطية على

* صحيفة اليوم ١٢/ ١٠/ ٢٠١٣م

الممارسات العنفية لتيار التكفير والإرهاب «فهم بتصرفاتهم الحمقاء يغطون على التيار التكفيري، ويبررون له أمام الرأي العام وسط أهل السنّة». وأفاد بأن الغرض الآخر لتيّار البذاءة هو تأجيج الفتنة الطائفية، بالإمعان في الإساءة لأكثر الرموز الدينية احترامًا في أوساط أهل السنّة، لتحقيق الاستفزاز الأقصى في صفوفهم، لافتًا إلى أن الغرض الأخير هو إفشال المساعي المتعثرة أساسًا للتقريب والوحدة بين أطياف الأمة، التي يقف خلفها العقلاء والمعتدلون السنّة والشيعة.

وتابع: «إنّ القوى المعادية للأمة هي من ترعاهم وتدعمهم؛ لأنّ هذا يخدم مخطّطاتها وأهدافها»، مستدركًا بأن هذا التيار يحظى كذلك بدعم بعض «الحمقى والموتورين» الباحثين عن موطئ قدم، وزيادة الاتباع في أوساط الشيعة، عبر «**دغدغة**» المشاعر المذهبية والطائفية المتنامية في ظروف الفتن والنزاعات.

وجدّد الشيخ الصفار دعواته إلى العلماء والباحثين لتنقية التراث الإسلامي، قائلًا «نحتاج إلى تنقية التراث، وتعطيل الألغام الموجودة فيه، وإلا ستنفجر بواقع الأمة»، معربًا عن أمله في تكثيف المراجع الدينية والعلماء والدعاة أدوارهم في توعية الأمة وتحذيرها من الانخداع والانسياق خلف تيار التكفير والإرهاب من جهة، وتيار البذاءة والإساءة على الجهة المقابلة. وزاد في حديثه: إنّ الأمة أحوج ما تكون للوحدة والتقارب، لا سيّما في موسم الحج، وفي هذا الظرف الحسّاس الذي تعيش فيه مرحلة انتقالية، تأمل أن تتجاوز معها واقع الاستبداد والهيمنة الأجنبية، والعبور نحو الحكم الرشيد.



وقف على الاستعدادات النهائية لانطلاق مهرجان الدوخلة التاسع

الشيخ الصفار يزور مهرجان العمل التطوعي الثالث بأرض مهرجان الدوخلة

قام سماحة الشيخ حسن الصفار مساء يوم الأربعاء ٥/ ١٢/ ١٤٣٤هـ بزيارة مهرجان العمل التطوعي الثالث، والذي يقام على أرض مهرجان الدوخلة بشاطئ كورنيش سنابس، بجزيرة تاروت بمحافظة القطيف.

وحضر الشيخ الصفار جزءًا من الأمسية الحوارية التي استعرضت تجارب عدة مؤسسات تطوعية وفاعلة في المجتمع، حيث ألقى سماحته كلمة بالمناسبة، أبدى فيها سعادته وفخره بوجود هذه الأنشطة والفعاليات، مشيدًا بمهرجان العمل التطوعي الذي استمرّ لمدة شهر.

وأضاف قائلًا: «إننا نقف أمام منجز كبير ومهم جدًّا على صعيد ثقافة التطوع، مضيفًا أنّ التطوع لا يكفي فيه الحثّ الديني على ثقافة التطوع فقط، إنما ينبغي أن يتحول إلى ثقافة تعالج مختلف هذه الجوانب، من دفع وتحفيز ومناقشة للمشاكل وتفكير في التطوير والتنمية».

وتطرق الشيخ الصفار إلى أنه في الخطاب الديني هناك حثٌّ على الأعمال العبادية من الحج والصلوات والعبادات المستحبة، لكن في المقابل لا نجد نفس الاهتمام في الحثّ على الإقبال على العمل الاجتماعي والأعمال التطوعية.

وقال: إن هذا راجع إلى ضعف التركيز على النصوص التي تحثّ على خدمة

النـاس، رغم أنها لا تقلّ أهمية عن النصوص التـي تتحدث عن العبادات، وهذا راجع للتقصيـر في التحفيز والدفع بأهمية التطوع وخدمة الناس، رغم أنّ هذه الأمور عظيمة عند الله عزّ وجلّ.

وأمـل سـماحته أن توضع الأفكار التـي طرحها المهرجان في تنـاول الجميع، كي يسـتفيد منهـا العلمـاء والخطبـاء والموجهون، ويسـتفيد منهـا المجتمع بشـكل عام. متضرّعًا إلى الله تعالى أن يجزل العطاء والثواب للقائمين على مثل هذه الأعمال.

وخـلال زيارتـه لمهرجـان العمـل التطوعـي، تفقّد الشـيخ الصفار الاسـتعدادات النهائية لانطلاق مهرجان الدوخلة السـنوي التاسـع، الذي ينطلق في التاسـع من شهر ذي الحجة. حيث اطّلع على الاسـتعدادات النهائية للقرية التراثية للمهرجان، كما زار خيمة القرآن الكريم، والمنزل الآمن وسائر مواقع المهرجان.



تصريح الشيخ الصفار لجريدة الشرق

٧

القيادات السنية والشيعية مطالبة بالتصدي للفتنة الطائفية*

في إجابة للشيخ حسن الصفار مساء يوم السبت ٧ ذو الحجة ١٤٣٤هـ الموافق ١٢ أكتوبر ٢٠١٣م على اتصال من جريدة الشرق التي تصدر من الدمام في المملكة العربية السعودية قال ما نصه:

«أطالب المراجع والقيادات الدينية السنية والشيعية بأن تتحمل مسؤوليتها أمام الله والأمة والتاريخ، وأن تتصدّى لهذا الإجرام والفتنة الطائفية، فشعوب الأمة اليوم في مرحلة انتقالية، لتجاوز الاستبداد الداخلي والهيمنة الأجنبية.

ويُراد للفتنة الطائفية أن تشكّل حالة إرباك في مسيرة شعوب الأمة، وأن تستنزف جهودها وإمكاناتها في هذا المستنقع القذر.

ولأن محرّك هذه الفتنة مقولات وشعارات تنتسب إلى الدين، فإن المراجع الدينية هي المعنية والمسؤولة عن إبطال هذه المقولات، وتبيين زيف هذه الشعارات.

إنه لا يصح السكوت أبدًا عن التفجيرات وأعمال العنف، وممارسات الإرهاب الطائفي، كما يحدث في العراق الآن يوميًّا، من استهداف مساجد وحسينيات وأسواق وتجمعات شعبية.

---

* http://www.alsharq.net.sa/lite-post?id=969919

ولا يصح السكوت عن فتاوى التكفير، واتّهام اتباع المذهب الآخر بالشرك والمروق من الدين.

كما لا يمكن القبول بالإساءة إلى رموز تحترمها أكثرية الأمة. إنّ الإساءة إلى أهل البيت أو أمّهات المؤمنين أو الصحابة، عمل محرّم، ومنكر فظيع، يتنافى مع واجب الاحترام المتبادل للرموز والمقدسات، والأحاسيس والمشاعر، ويؤجج الفتنة، ويثير الضغائن.

وليس مقبولًا أبدًا أن تفكر بعض القيادات الدينية في مراعاة مشاعر المتحمسين والمتعصبين من حولها، على حساب تبيين حقائق الدين، وحفظ مصالح الأمة.

وقد يتعرّض من يدعو إلى الوحدة والتقارب والتسامح إلى مختلف الاتّهامات، من قبل المتشددين في طائفته، بأنه يجامل على حساب المذهب، أو يتنازل عن المعتقدات، أو يتجاوز حدود الولاء والبراء، لكن المخلص لدينه ومجتمعه، يجب أن يتحمّل دفع هذا الثمن، لتبرء ذمته أمام الله تعالى وأمام التاريخ».

مرجعيات شيعية تتحد ضدّ الطائفية والإساءة إلى الصحابة*

توسّعت دائرة الإدانة والاستنكار في الأوساط الشيعية للاعتداءات غير المسؤولة التي صدرت عن متعصّبين شيعة في الأعظمية ببغداد، قبل أيام، وأساءت إلى السيدة عائشة، والخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما.

وأفتى المرجع الشيعي السيد علي السيستاني ضدّ «هذا التصرف» ووصفه بأنه «مدان ومستنكر جدًّا وعلى خلاف ما أمر به أئمة أهل البيت شيعتهم». فيما أكّد المسؤول الإعلامي عن مكتب السيد السيستاني في لبنان حامد الخفاف لـ «الشرق» أن المرجعية تقف ضدّ ما يُسيء إلى الرموز الإسلامية، أو إلى مقدّسات جميع المذاهب بلا استثناء، مشيرًا إلى أن الفتوى الأخيرة صدرت في هذا السياق.

وفي السياق ذاته طالب رجل الدين الشيعي الشيخ حسن الصفار، من محافظة القطيف، «المراجع والقيادات الدينية السنية والشيعية بأن تتحمّل مسؤوليتها أمام الله والأمة والتاريخ، وأن تتصدّى لهذا الإجرام والفتنة الطائفية، فشعوب الأمة اليوم في مرحلة انتقالية، لتجاوز الاستبداد الداخلي والهيمنة الأجنبية». وقال الشيخ الصفار لـ «الشرق» إنّ الفتنة الطائفية يراد لها أن «تشكّل حالة إرباك في مسيرة شعوب الأمة، وأن تستنزف جهودها وإمكاناتها في هذا المستنقع القذر».

* صحيفة الشرق ١٣ / ١٠ / ٢٠١٣م.

وأضاف: إن «محرّك هذه الفتنة هو مقولات وشعارات تنتسب إلى الدين»، مشدّدًا على أن المراجع الدينية هي المعنية والمسؤولة عن إبطال هذه المقولات، وتبيين زيف هذه الشعارات». وقال: «لا يصحّ السّكوت أبدًا عن التفجيرات وأعمال العنف، وممارسات الإرهاب الطائفي، كما يحدث في العراق الآن يوميًّا، من استهداف مساجد وحسينيات وأسواق وتجمعات شعبية». كما «لا يصحّ السكوت عن فتاوى التكفير واتّهام أتباع المذهب الآخر بالشرك والمروق من الدين». وقال الصفار: «كما لا يمكن القبول بالإساءة إلى رموز تحترمها أكثرية الأمة. إن الإساءة إلى أهل البيت أو أمهات المؤمنين أو الصحابة، عمل محرّم، ومنكر فظيع، يتنافى مع واجب الاحترام المتبادل للرموز والمقدسات والأحاسيس والمشاعر، ويؤجج الفتنة ويثير الضغائن».

وكان الصفار قد هاجم بشدة، في خطبة الجمعة الأخيرة، من وصفهم بتيار البذاءة والإساءة إلى رموز أهل السنّة، وقال «إنهم يقومون بدور مشبوه لتبرير أعمال القتل والإرهاب التي يرتكبها أصحاب التيار التكفيري».

وفي خطبة الجمعة التي ألقاها في مدينة القطيف؛ قال الصفار: إنّ «الأمة باتت تعاني وجود تيارين خطيرين على وحدتها، تيار التكفير والإرهاب الذي نشأ وسط بعض أهل السنة.. وتيار البذاءة والإساءة إلى رموز أهل السنّة الذي تشكّل حديثًا وسط بعض الشيعة». ووصف تيار الإساءة لرموز أهل السنّة بأنه «الوجه الآخر لخط التعصّب».

وشدّد على أن غرض تيار الإساءة لرموز السنّة، هو التغطية على الممارسات العنيفة لتيار التكفير والإرهاب «فهم بتصرفاتهم الحمقاء يغطون على التيار التكفيري، ويبررون له أمام الرأي العام وسط أهل السنّة». وجدّد الشيخ الصفار دعواته إلى العلماء والباحثين لتنقية التراث الإسلامي، قائلًا: «نحتاج إلى تنقية التراث، وتعطيل الألغام الموجودة فيه، وإلا ستنفجر بواقع الأمة».

وتأتي هذه الإدانة امتداداً لمواقف مرجعيات شيعية، وقفت ضدّ الإساءة للرموز

الإسـلامية بلا استثناء، مُفتية بحرمة التعرض للصحابة وزوجات النبي ﷺ، التي حاول بعض المتعصبين الشـيعة التجرؤ عليها في مواقف سـابقة. وسبق للمرشد الروحي في إيـران السـيد علـي الخامنئي أن أفتى بحرمة الإسـاءة لـزوج النبي الأكـرم أمّ المؤمنين السـيدة عائشـة، أو النيل من الرموز الإسـلامية لأهل السـنة والجماعـة. وكانت فتوى خامنئـي قد صدرت بعد الإسـاءات التي وجهها رجل الدين الكويتـي المقيم في لندن ياسر الحبيب للسيدة عائشة.

وقـال الخامنئي، فـي فتواه، «يحرم النيل مـن رموز إخواننا السـنة، فضلًا عن اتهام زوج النبي بما يخلّ بشرفها، بل هذا الأمر ممتنع على نساء الأنبياء، و«خصوصًا سيّدهم الرسول الأعظم». وفي تصريحات أخرى صرّح الخامنئي بأن «الشخص الشيعي الذي يسيء لمقدسات أهل السنة عميل للعدو حتى وإن كان جاهلًا».



٧

الصفار يهاجم تيار البذاءة والإساءة الى رموز أهل السنّة*

هاجم الشيخ حسن الصفار بشدة من وصفهم بتيار البذاءة والإساءة الى رموز أهل السنة، الذين يقومون بدور مشبوه لتبرير أعمال القتل والإرهاب التي يرتكبها التيار التكفيري، جاء ذلك خلال خطبة الجمعة في مدينة القطيف. وقال الصفار: إنّ الأمة باتت تعاني من وجود تيارين خطرين على وحدتها، تيار التكفير والإرهاب، وتيار البذاءة والإساءة الى رموز أهل السنة، وأضاف: إن غرض تيار الإساءة لرموز السنة هو تأجيج الفتنة الطائفية، بالإمعان في الإساءة لأكثر الرموز الدينية احترامًا في أوساط أهل السنة، لتحقيق الاستفزاز الأقصى في صفوفهم، والغرض الآخر هو إفشال المساعي المتعثرة أساسًا، للتقريب والوحدة بين أطياف الأمة، التي يقف خلفها العقلاء والمعتدلون السنة والشيعة.

وحول حقيقة من يقف خلف تيار البذاءة والإساءة إلى رموز أهل السنة، قال: إنهم مدعومون من القوى المعادية للأمة الإسلامية، وأنّ القوى المعادية للأمة هي من ترعاهم وتدعمهم؛ لأنّ هذا يخدم مخططاتها وأهدافها، كما أن هذا التيار يحظى بدعم بعض الحمقى والموتورين الباحثين عن موطئ قدم، وزيادة الأتباع في أوساط الشيعة، عبر دغدغة المشاعر المذهبية والطائفية المتنامية في ظروف الفتن والنزاعات، وأضاف: إن الأمة أحوج ما تكون للوحدة والتقارب سيما في موسم الحج وفي هذا الظرف الحسّاس الذي تعيش فيه.

---

* جريدة عكاظ ١٣ / ١٠ / ٢٠١٣م.



٧

الشيخ السعودي حسن الصفار: تكفير الشيعة والإساءة إلى رموز السنّة خطران على الأمة*

الأمـة باتت تعاني من وجود تيّارين خطرين علـى وحدتها، تيار التكفير والإرهاب الذي نشـأ وسـط أهل السـنة، وتيار البذاءة والإسـاءة الى رموز أهل السنّة الذي تشكل حديثًا وسط الشيعة

شَنّ رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار هجومًا عنيفًا على مجموعة شباب يمارسون الإساءة للرموز السنية، بهدف تحقيق فتنة في العالم الإسلامي، واصفًا إيّاهم بـ «تيار البذاءة والإساءة».

وقـال الصفـار فـي خطبة الجمعة فـي محافظة القطيـف إنّ «هـؤلاء يقومون بدور مشبوه لتبرير أعمال القتل والإرهاب التي يرتكبها التيار التكفيري».

وأضاف أن «الأمة باتت تعاني من وجود تيارين خطرين على وحدتها، تيار التكفير والإرهاب الذي نشـأ وسـط أهل السـنة، وتيار البذاءة والإسـاءة الى رموز أهل السـنّة الذي تشـكل حديثًا وسـط الشـيعة»، وتابع إن «تيار الإسـاءة لرموز أهل السـنّة الوجه الآخر لخط التطرف في الشـيعة»، مشـيرًا إلـى أن «كبار المرجعيات والرموز الشـيعية أدانت بشـدة ممارسـات هذا التيار واعتبروه مخالفًا لمدرسـة أهل البيت وخارجًا على توصيات الأئمة في العلاقة مع أطياف الأمة».

* صحيفة الأخبار العراقية ١٣ / ١٠ / ٢٠١٣م.

وأشـار فـي السـياق ذاتـه إلـى الفتوى الصـادرة مـن المرجـع الأعلى السـيد علي السيسـتاني، التـي أدانـت تصرفات أفراد هـذا التيار الذيـن خرجوا في حيّ الأعظمية ببغداد، وأسـاؤوا لرموز أهل السنة، وتابع «غرض تيّار الإساءة لرموز السنّة هو التغطية على الممارسـات العنفية لتيـار التكفير والإرهـاب، فهم بتصرفاتهـم الحمقاء يغطون على التيار التكفيري، ويبررون له أمام الرأي العام وسط أهل السنّة».

وأكّـد الصفار أمام حشـد مـن المصلين «إنهـم يخدمون أعداء أهـل البيت وأعداء الشيعة».

وتابـع «الغرض الآخـر لتيار البذاءة هو تأجيج الفتنة الطائفية بالإمعان في الإسـاءة لأكثـر الرمـوز الدينيـة احترامًا في أوسـاط أهل السـنّة لتحقيق الاسـتفزاز الأقصى في صفوفهم».

وأضاف «الغرض الأخير هو إفشـال المساعي، المتعثرة أساسًا، للتقريب والوحدة بين أطياف الأمة التي يقف خلفها العقلاء والمعتدلون السنّة والشيعة».

وعـن الأشـخاص الذين يقفـون وراء تيار البـذاءة قال «إنّهم مدعومـون من القوى المعادية للأمة الإسلامية».

وتابع «القوى المعادية للأمة هي من ترعاهم وتدعمهم؛ لأنّ هذا يخدم مخططاتها وأهدافهـا»، مسـتدركًا «هـذا التيار يحظـى كذلك بدعم بعـض الحمقـى والموتورين الباحثين عن موطئ قدم وزيادة الاتّباع في أوساط الشيعة عبر دغدغة المشاعر المذهبية والطائفية المتنامية في ظروف الفتن والنزاعات».

وجـدّد الصفـار دعوتـه إلـى العلمـاء والباحثيـن لتنقية التـراث الإسـلامي، قائلاً: «نحتـاج إلى تنقية التـراث وتعطيل الألغام الموجـودة فيه وإلّا سـتنفجر بواقع الأمة»، معربًا عن الأمل في «تكثيف المراجع الدينية والعلماء والدعاة أدوارهم في توعية الأمة وتحذيرها من الانخداع والانسياق خلف تيار التكفير والإرهاب من جهة وتيار البذاءة والإساءة من الجهة المقابلة».

٧

«شيعة» يهاجمون «المسيئين للصحابة» ويطالبون بمحاسبة «الطائفيين»*

محمد الرويشد

عبّرت شخصيات شيعية سعودية، عن استنكارها لـ «الإساءات الطائفية» الصادرة من أشخاص محسوبين على المذهب الشيعي في العراق، نحو رموز إسلامية.

واعتبروها «أصواتًا شاذة ومنكرة»، لافتين إلى أن هذه التصرفات «تبرر أعمال القتل والإرهاب التي يرتكبها التيار التكفيري ضد الشيعة».

وهاجم الشيخ حسن الصفار، بشدّة من وصفهم بتيار «البذاءة والإساءة» إلى رموز أهل السنّة، قائلاً: «إنهم يقومون بدور مشبوه لتبرير أعمال القتل والإرهاب التي يرتكبها التيار التكفيري».

مؤكّداً في تصريح إلى «الحياة»، أن «الأصوات الشاذة المنكرة التي بدأت نهج الإساءة لرموز أهل السنة كما حصل في الأعظمية في بغداد، يجب أن تُدان وتحاصر، فهي تسيء لمذهب أهل البيت، ولا تعبّر عن رأي مرجعيات الشيعة التي أعلنت استنكارها وإدانتها الفورية لما حصل».

بدوره، أكّد المستشار القانوني الدكتور صادق الجبران، أهمية «تجريم استغلال

---

* جريدة الحياة ١٤ / ١٠ / ٢٠١٣م.

الدين ضدّ الآخر المخالف، أو المختلف معه، والتحريض ضدّ الكراهية باسم الدين، ويجب ألّا يختص بطرف، ومحاربة الحضّ على الكراهية لدواعي دينية للمذاهب والطوائف، من أيّ جهة أو مصدر جاءت، والتمسك بالوحدة الإسلامية التي تنبذ التطرف والمساس بالرموز الدينية لأيّ طائفة أو مذهب».

واقترح الجبران، في تصريح إلى «الحياة»، «إصدار قانون إعلامي متطور، يجرم الإساءة إلى الرموز الدينية، إلى جانب ميثاق شرف إعلامي تلتزم به وسائل الإعلام كافة، حتى الإعلام الحديث على شبكة الإنترنت»، مضيفًا أن هذا الميثاق «ينصّ على احترام المذاهب والطوائف كافة، ويشجّع على التنوع، والحوار في إطار عقلاني بعيدًا عن التشنج والعصبية والإساءة».

وطالب بـ«الالتفات إلى مشروع الملك عبدالله لحوار المذاهب، وتفعيل محتواه، والأخذ به بجدية بالغة؛ لكونه مشروعًا رائدًا متى ما فُعّلت أدواته وآلياته وأهدافه»، مشدّدًا على أن «المرجعيات الدينية في مختلف الطوائف والمذاهب يجب أن تدين التطرف بجميع أنواعه ومنه المساس بالرموز الدينية والإساءة إليها، ويتم هذا من طريق اتّباع تلك المرجعيات، والحثّ على الالتزام الصادق بتعاليم الدين الإسلامي التي ترفض مثل هذه الممارسات، ويجب أن تعلن موقفها الصريح في رفض الإساءة للآخرين على أساس ديني، فهذا أمر مرفوض، جملة وتفصيلًا».

٧

الخلل السياسي والثقافة التعصبية وراء الفتن والنزاعات*

قال الشيخ حسن الصفار في تصريح لجريدة الحياة من لندن ما يلي:

إنّ وراء هذا الواقع المؤلم الذي تعيشه معظم بلادنا العربية والإسلامية، من حالات النزاع والاحتراب، عاملين رئيسين:

الأول هو الخلل السياسي، لغياب التوافق والإجماع الوطني، في أكثر هذه البلدان، على إدارة السلطة، وأحجام مشاركة المكونات الشعبية فيها.

أما العامل الثاني: فيتمثل في الخلل الثقافي، حيث تسود في كثير من أوساط مجتمعاتنا العربية والإسلامية، تيارات فكرية وثقافية تبعث على التعصب، وتحرّض على الكراهية، وخاصة ما يكون منها باسم الدين، إن التنوع المذهبي واقع تعيشه الأمة منذ القرن الإسلامي الأول، كما هو واقع كلّ الأمم التي تتنوع مذاهبها داخل الديانة الواحدة، وهو نتاج طبيعي لتعدد الاجتهادات في فهم المقولات الدينية، داخل كلّ الأديان، ومنها الإسلام.

لكننا نشهد اليوم تصعيدًا غير طبيعي، في إثارة النزاعات والخلافات المذهبية، وخاصة بين المكونين الرئيسين للأمة: السنة والشيعة.

* تصريح لجريدة الحياة ـ لندن بتاريخ الاثنين ٩ ذو الحجة ١٤٣٤هـ الموافق ١٤ أكتوبر ٢٠١٣م

وواضـح أن هناك جهات سياسـية في داخل هـذه المجتمعات، تعـزف على الوتر المذهبـي، لكسـب الأصـوات والتأييد الشـعبي، كمـا أن هناك جهـات إقليمية ودولية تستفيد من إثارة هذه الصراعات الطائفية، لخدمة أهدافها ومخططاتها.

إنـه ليـس مطلوبًـا من أيّ طرف سـني أو شـيعي أن يتنازل عن شـيء مـن معتقداته وقناعاتـه وممارسـاته الدينية، لكن ما يجـب أن يلتزمه الجميع هـو الاحترام المتبادل، وهـذا مـا يدفعنا إلـى إدانـة نهج التكفيـر والإرهـاب، الذي يقوم بسـفك الدمـاء، عبر التفجيرات والعلميات الانتحارية، في أوسـاط المدنيين الأبرياء، تحت شـعار طائفي، لخدمة أغراض سياسية.

كما ندين نهج الإساءة إلى الرموز المحترمة عند المسلمين، كأهل البيت، وأمهات المؤمنين، والصحابة الكرام.

إنّ ما يشـهده العراق من نزف للدماء يوميًّا، عبر التفجيرات والعلميات الانتحارية، أمـر مرعب وخطيـر، ينبغي للعلماء والدعـاة واصحاب الرأي والفكـر أن يدينوه، وأن يدعموا الأطراف السّياسـية في العـراق لمحاصرته، وعلاج أسـبابه، ولا يصح أبدًا أن نتكيّف مع هذه الفظائع كأخبار يومية نألفها، ولا تحرك فينا ساكنًا.

كما أن الأصوات الشـاذة المنكرة التي بدأت نهج الإسـاءة لرموز أهل السـنة، كما حصل في الأعظمية ببغداد، يجب أن تدان وتحاصر، فهي تسـيء لمذهب أهل البيت، ولا تعبّر عن رأي مرجعيات الشيعة التي أعلنت استنكارها وإدانتها الفورية لما حصل.

إنّ في تراث الشـيعة كما في تراث السـنة الكثير مما يثيـر الضغائن والأحقاد، وهو نتـاج بيئته وعصره، ولا يصحّ أن تكون الأمة أسـيرة لهذا الجانب المظلم المخجل من تراثها.

إننـي أتطلّع إلى دور نقوم به من المملكة العربية السـعودية، لمحاصرة هذا التوجه الخطير في العراق.

٧

الشيخ الصفار يهاجم بشدّة المسيئين إلى رموز أهل السنة*

الشيخ الصفار يدعو العلماء والباحثين إلى تنقية التراث الإسلامي وتعطيل الألغام الموجودة فيه، ويؤكّد أن تيار الإساءة لرموز أهل السنّة هو الوجه الآخر لخطّ التعصب السّلفي.

خلال خطبة الجمعة في مدينة القطيف السعودية ذات الأغلبية الشيعية، هاجم أبرز علماء الشيعة في السعودية الشيخ حسن الصفار المسيئين إلى رموز أهل السنة، ووصفهم بتيار البذاءة والإساءة، معتبرًا أنّ هذه الإساءات تبرّر الأعمال الإجرامية للتيار التكفيري.

وقال الشيخ الصفار إنّ «الأمة باتت تعاني من وجود تيارين خطرين على وحدتها، تيار التكفير والإرهاب الذي نشأ وسط أهل السنة.. وتيار البذاءة والإساءة الى رموز أهل السنّة الذي تشكل حديثًا وسط الشيعة».

ووصف سماحته تيار الإساءة لرموز أهل السنّة بأنه «الوجه الآخر لخطّ التعصّب السلفي».

وقال سماحته: إنّ الأمة أحوج ما تكون للوحدة والتقارب، سيّما في موسم الحج، وفي هذا الظرف الحسّاس الذي تعيش فيه مرحلة انتقالية، تأمل أن تتجاوز معها واقع

* وكالة أنباء التقريب ١٤ / ١٠ / ٢٠١٣م

الاستبداد والهيمنة الأجنبية، والعبور نحو الحكم الرشيد.

وأضاف: إنّ كبار المرجعيات والرموز الشيعية أدانت بشدة ممارسات هذا التيار، واعتبروه مخالفًا لمدرسة أهل البيت، وخارجًا على توصيات الأئمة في العلاقة مع أطياف الأمة، في إشارته إلى الفتوى الأخيرة التي صدرت من المرجع الديني آية الله السيستاني، والتي حرّم بها الإساءة إلى رموز أهل السنة.

وشدّد سماحته على أنّ هذه الإساءات تخدم أعداء أهل البيت وأعداء الشيعة، وتعطي تبريرًا للإجرام التكفيري، مؤكّدًا إلى أنّ الهدف من هذه الإساءات المشينة هو تأجيج الفتنة الطائفية، مشكّكًا في نفس الوقت بنزاهة هؤلاء الأفراد، وارتباطهم المشبوه بأعداء الأمة الإسلامية.

وأضاف «إنّ القوى المعادية للأمة هي من ترعاهم وتدعمهم؛ لأنّ هذا يخدم مخطّطاتها وأهدافها».

ومضى الشيخ الصفار يقول: إنّ الغرض الأخير هو إفشال المساعي، المتعثرة أساسًا، للتقريب والوحدة بين أطياف الأمة، التي يقف خلفها العقلاء والمعتدلون السنّة والشيعة.

واستدرك بأن هذا التيار يحظى كذلك بدعم بعض «الحمقى والموتورين» الباحثين عن موطئ قدم، وزيادة الأتباع في أوساط الشيعة، عبر «دغدغة» المشاعر المذهبية والطائفية المتنامية في ظروف الفتن والنزاعات.

وجدّد الشيخ الصفار دعواته إلى العلماء والباحثين لتنقية التراث الإسلامي، قائلًا: «نحتاج إلى تنقية التراث وتعطيل الألغام الموجودة فيه وإلّا ستنفجر بواقع الأمة».

كما أعرب سماحته عن الأمل في تكثيف المراجع الدينية والعلماء والدعاة أدوارهم في توعية الأمة، وتحذيرها من الانخداع والانسياق خلف تيار التكفير والإرهاب من جهة، وتيار البذاءة والإساءة على الجهة المقابلة.

٧

الصفار: القيادات السنية والشيعية مطالبة بالتصدّي للفتنة الطائفية*

طالب الشيخ حسن الصفار المراجع والقيادات الدينية السنية والشيعية بأن تتحمّل مسؤوليتها أمام الله والأمة والتاريخ، وأن تتصدّى لهذا الإجرام والفتنة الطائفية.

وقال الصفار في تصريح صحافي أنّ «شعوب الأمة اليوم في مرحلة انتقالية، لتجاوز الاستبداد الداخلي والهيمنة الأجنبية».

وأضاف الصفار أنه «يُراد للفتنة الطائفية أن تشكّل حالة إرباك في مسيرة شعوب الأمة، وأن تستنزف جهودها وإمكاناتها في هذا المستنقع القذر».

وأكّد الصفار «ولأن محرك هذه الفتنة مقولات وشعارات تنتسب إلى الدين، فإن المراجع الدينية هي المعنية والمسؤولة عن إبطال هذه المقولات، وتبيين زيف هذه الشعارات، إنّه لا يصح السكوت أبدًا عن التفجيرات وأعمال العنف وممارسات الإرهاب الطائفي، كما يحدث في العراق الآن يوميًّا، من استهداف مساجد وحسينيات وأسواق وتجمعات شعبية، ولا يصحّ السكوت عن فتاوى التكفير واتّهام اتباع المذهب الآخر بالشرك والمروق من الدين».

وأشار الصفار «لا يمكن القبول بالإساءة إلى رموز تحترمها أكثرية الأمّة. إنّ الإساءة إلى أهل البيت أو أمهات المؤمنين أو الصحابة، عمل محرّم، ومنكر فظيع،

* جريدة العراق تايمز ١٤ / ١٠ / ٢٠١٣م

يتنافى مع واجب الاحترام المتبادل للرموز والمقدّسات والأحاسيس والمشاعر، ويؤجّج الفتنة ويثير الضغائن».

وتابع أنه «ليس مقبولًا أبدًا أن تفكر بعض القيادات الدينية في مراعاة مشاعر المتحمّسين والمتعصبين من حولها، على حساب تبيين حقائق الدين، وحفظ مصالح الأمة».

وبين أنه «قد يتعرّض من يدعو إلى الوحدة والتقارب والتسامح إلى مختلف الاتّهامات من قبل المتشدّدين في طائفته، بأنه يجامل على حساب المذهب، أو يتنازل عن المعتقدات، أو يتجاوز حدود الولاء والبراء، لكن المخلص لدينه ومجتمعه، يجب أن يتحمّل دفع هذا الثمن لتبرئ ذمته أمام الله تعالى وأمام التاريخ».



أكّدوا دعم مسيرة خادم الحرمين المعزّزة للتسامح

٧

علماء ووجهاء من قبيلة شمر يحتفون بعائلتي التريك والبندري لتنازلهما عن ابنيهما*

منير النمر

دعا المفكر الإسـلامي الشيخ حسن الصفار إلى مسـاندة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله بشـكل عملي، في تطبيق القيم التي يدعو لها الدين الإسلامي، ومنها قيم التسامح والاعتدال وعدم التطرف.

وأضاف «يجب أن نصرّ في هذا الوطن على توحّدنا وعلى وحدتنا الوطنية، ونحن نعيش في ظلّ قيادة تدعونا للتوحّد والوحدة وإلى الحوار، وخادم الحرمين الشـريفين أنشـأ مركـز الحوار الوطني، وأمر بإنشـاء مركز الحـوار بين المذاهب الإسـلامية، فإن كانـت القيـادة في الوطن تدعـو بهذا الاتجـاه، ونحن كمسـلمين ديننا يأمرنـا بالتوحّد والتلاحم والتكافل والتماسك».

وشـدّد الصفار أمام حشـدٍ كبير حضر حفل التنازل الذي أقامته مساء أول من أمس قبيلـة شـمر في محافظة الجبيل، لعائلتـي التريك والبندري اللتيـن تقطنان بلدة القديح بمحافظة القطيف: على أهمية خطوة العائلتين اللتين تنازلتا عن دم ابنيهما اللذين توفيا في حادث سير سببه ابن من قبيلة شمر، وأشاد بموقف العائلتين اللتين تنازلتا لوجه الله تعالى، وأضاف «كثيرًا ما نسمع عن عوائل تتنازل مقابل الملايين في الدم، وهذا إسراف

* نشر بجريدة الرياض يوم السبت ٧ ذو الحجة ١٤٣٤ هـ - ١٢ اكتوبر ٢٠١٣م - العدد ١٦٥٤٦.

في طلب الدية، وبعيد كليًّا عن الشرع، فيما تُصرّ العائلتان مشكورتين على التنازل من دون أن تأخذا المال بما في ذلك الدية الشرعية، وأصرّتا على أن يكون تنازلهما لوجه الله تعالى بشكل خالص». وتابع: «إنّ السرور والمحبة تنعشان مشاعرنا ونحن نرى أبناء المجتمع يتواصلون فيما بينهم، ويجسّدون قيم الأخلاق ومبادئ الدين التي أمر الله بها، وهي العفو والتسامح والتواصل، وحفظ حقوق الجوار، وما أحوجنا لمثل هذه القيم ونحن نعيش في عصر اشتدّ فيه توجه الناس نحو المادة.

وبلادنا تقوم على أساس مبادئ الدين، وأساس مفاهيم الكتاب والسنة، والناس يتجهون فيها إلى الخير، ولكن النفوس البشرية في كثير من الأحيان تغفل بعض هذه المبادئ، ونرى أصوات العلماء والموجهين وهي تدعو الناس لعدم المغالاة في الديات، فحينما نجد أن هناك سعيًا للصلح نجد من يبالغون بطلب عشرات الملايين، وهذا يخالف ما توجّهنا له الشريعة، وما يأمرنا به الدين، ويجب ألّا تنتشر هذه الظاهرة، ومن هنا نقدّر هذه الروح التي تحلت بها العائلتان».

وتابع «إنّ تنازل العائلتين من دون أخذ المال يدلّ على تشبعهما بالقيم الإسلامية الأصيلة، فجزاهم الله خيرًا، ونأمل أن تنتشر هذه الحالة في المجتمع وألّا تنمو المغالاة في الديات التي أصبحت الناس تئنّ منها».

من جانبه ألقى الشيخ مخلف دهام الشمري كلمة أهالي قبيلة شمر، إذ شكر العائلتين على تنازلهما، وأضاف «إننا نشكر الأخوة محمد منصور التريك، ومحمد حسن البندري، فهما رمز التسامح والكرم والوفاء السّاعيان إلى الثواب والخير فجزاكم الله وأسكن المتوفين جنة الفردوس الأعلى»، مشيرًا إلى أن ما نشاهده اليوم يجسّد الوحدة الوطنية ويشدّ من توجّهات خادم الحرمين الشريفين الداعية للتسامح.

٧

تيار البذاءة.. والوعي السني - الشيعي*

يؤشِّر الوعي الذي أظهره المرجع الشيعي في العراق علي السيستاني، والشيخ حسن الصفار في القطيف، وقبلهما خامنئي وفضل الله والشيرازي، ورجال دين شيعة آخرون، إلى أهمية الدور الذي ينبغي أن يلعبه الواعون من أئمة الشيعة ورجالاتهم لوأد الفتنة، التي يحاول بعض المهووسين دفع الأمة إليها دفعًا، بترويج الإساءات لرموزٍ إسلامية تبقى خالدةً ومصونة، ويبقي المسُّ بها خطّاً أحمر لا يُقبَل تعدّيه بأيّ حالٍ وتحت أيّ ظرف.

سئل السيستاني عن فعلةٍ شنعاء منكرة أتاها مجموعة متطرفين شيعة في العراق قبل أيام، وتجاوزوا بها الخطوط الحمراء، فسقطوا وكادوا أن يسقطوا عراقهم في المحظور.

كان ردّ المرجع واضحًا لا يقبل اللبس، وهو أن «هذا التصرف مدانٌ ومستنكرٌ جدًّا».. هذا ردٌّ يعكس القناعة بأهمية التصدّي لهذه الحماقات، تكريسًا لما اتفقت عليه الأمة، من توقير الرموز الدينية، ودرءًا لفتنٍ قد تحرق الأخضر واليابس إن اشتعلت.

وعلى نفس النهج، سار الشيخ حسن الصفار في خطبة الجمعة الفائتة في مدينة القطيف، حينما حذّر من تيار البذاءة والإساءة إلى رموز أهل السنة، ووصفه بالـ «التيار المتعصب»، مشيرًا بوضوح إلى تشكُّلِهِ حديثًا وسط بعض الشيعة، فهو لم يكن يومًا

* صحيفة الشرق ١٤ / ١٠ / ٢٠١٣م

تيّارًا تاريخيًّا ولا جذور ولا رجال له.

إنّ هذا التيار أشبه بلغمٍ قابل للانفجار، لذا وجب تعطيله والتصدّي له بقوة، وهذه مهمة أئمة الشيعة في كلّ البلدان الإسلامية، لتفويت الفرصة على مَنْ يقومون بهذه الأدوار المشبوهة، وقد بات الكلّ على علمٍ بما تعيشه أمتنا من واقعٍ ملتهب، ما يستلزم توعية الناس وتبصيرهم بحقائق التاريخ، وبالصحيح من الفتوى حتى لا ينخدعوا بزيف كلّ ناعق.



«شيوخ» و«مراجع» يتخبطهم الشيطان!*

أحمد هاشم

الراديـو، التلفاز، تعليم البنات، التصوير، أطباق البثّ الفضائي، جوالات الكاميرا، «البلوتـوث»، لبـس «الجينز»، إنّ الرابـط الذي يجمع بين تلك الكلمـات «المتقاطعة» أنها ذات يوم كانت من المحرّمات التي أفتى «بعضهم» بحرمتها، لتصبح بعد أن «دار» الزمن حلّاً للمحرّمين ذاتهم، فهم أول من استمعوا لإذاعة لندن، وأكثرهم ظهورًا على شاشـات التلفاز، والشـاجبون لمن يتوانى عن تعليم بناتـه والحاملون للهواتف الذكية ذات الكامرتين.

تلك الفتاوى التي كان الزمن كفيلًا بكشـف عورتها لمعارضتها قانون التطور، ظلّ غيرهـا كثيـر بابًا للفتنة والتأجيـج خاصة تلك التي ترتبط بالنـزاع الفكري المذهبي بين السنة والشيعة.

فذلك «شـيخ» يفتي بعد أن تخبّطه الشـيطان بكفر المختلف معه، وآخر يحلّ إقامة موالد الشتم والدعاء على الأموات، وثالث يحلف الأيمان الغلاظ بكفر هذا وذاك البين الذي لا مكان للشك فيه لمجرد مذهبه، ورابع يتعدّى بالقول والفعل على رموز الآخر، حتـى أصبحت أجيال «تويتـر» و«يوتيوب» و«واتسـاب» يتفنون في بث سـموم أولئك «الشيوخ» و«المراجع»، دعاة الفتنة دون وعي أو وجود جهة رقابية تحدّ من ذلك.

---

* صحيفة الشرق ١٩ / ١٠ / ٢٠١٣م.

إنّ بعض قادة الفكر الديني في هذين المذهبين، أصبحوا كملقنيهم حبساء لنظرية الصراع والفرقة الناجية، دون وعي بأهمية الوطن وتجانس فئاته، أما القلة منهم كما فعل بعض علماء السنة الداعين بأهمية التقارب وكذلك علماء الشيعة المؤثرين التي نشرت الشرق في عددها ٦٧٩ تقريرًا مطوّلًا ـ يحسب إيجابًا لهذه الصحيفة المتزنة ـ بعنوان مرجعيات شيعية تتحد ضدّ الطائفية والإساءة إلى الصحابة، فلا شك أن التاريخ سيذكرهم يومًا ما إيجابًا، وسيتندر على أولئك المخالفين للفطرة الإنسانية التي تؤكّد اجتماعية البشر واختلافهم، كما حدث من «طيبي الذكر» المحرمين لـ «البيكمون» ولبس «الكبك».

إنّنا بحاجة في هذه الأمة إلى قادة فكر ديني حقيقيين، يعون المتغيرات الحالية، ويدركون أن وحدة الوطن وأمنه أهم من تلك «السفسطة»، لا يخشون شيخًا ما أو مرجعية أو غوغاء في قول الحقّ الذي يثبته العقل والمنطق، كما فعل المرجع الشيعي السيد علي السيستاني عندما وقف ضد من ينتمون لمذهبه مستنكرًا من يؤجّج روح الطائفية بين السنة والشيعة ومؤكّدًا أن من يقوم بذلك الفعل مدان وعلى خلاف ما أمر به أئمة أهل البيت، أو كما حدث مع الشيخ حسن الصفار عندما أعلنها صريحة بأن الإساءة إلى أهل البيت أو أمهات المؤمنين أو الصحابة، عمل محرّم، ومنكر فظيع، يتنافى مع واجب الاحترام المتبادل للرموز والمقدّسات والأحاسيس والمشاعر، ويؤجج الفتنة ويثير الضغائن، وهو ما أعلنه السيد علي الخامنئي الذي أفتى بحرمة الإساءة لزوج النبي الأكرم أم المؤمنين السيدة عائشة أو النيل من الرموز الإسلامية لأهل السنة والجماعة.

ولم يكن الشيخ السنّي علي الطنطاوي ـ رحمه الله ـ ببعيد عن إدراكه بأهمية التقارب بين السنة والشيعة، لمعرفته بأهمية الوطن، وإيمانه بسنية الاختلاف، عندما دون في كتابه ذكريات «٧/ ١٣٢» أنه زار «القمي» الإيراني الذي أسس دار التقريب، بل زاد الدكتور محمد سيّد طنطاوي ـ شيخ الأزهر السابق ـ أنه لا فرق بين السنة والشيعة وأن كل من يشهد أن لا إله إلّا الله فهو مسلم، وأن الخلاف، إن وُجد، فهو خلاف في الفروع وليس

في الثوابت والأصول، والخلاف موجود في الفروع بين السنة أنفسهم والشيعة أنفسهم، وقال إنّ كلّ من يحاول إشاعة الخلاف بين السنة والشيعة محاسب، فالأمر الأهمّ هو ضرورة الاعتصام بحبل الله، إن لم يكن من أجل الدين، فعلى الأقل من أجل الدنيا التي يلتقي فيها الجميع، وهو ما يؤكّده كذلك الشيخ سلمان العودة في حواراته.

لقد حان الوقت لنتجاوز الهاجس «العرقي»، فالإسلام يقرّر أنّ الانتماء إلى الأمة الإسلامية لا يلغي انتماءهم إلى الأرض «الوطن»، كما أن الإسلام يقوم على الجمع بين الوحدة والتعدد على المستويين التكليفي والتكويني، استنادًا إلى مفهوم الوسطية، وطبقًا لهذا أقرّ بالتعددية على المستوى التكويني بإقراره التعدد كسنة إلهية، كما أقرّ بالتعددية على المستوى التكليفي بإقراره تعدّد الشرائع والمذاهب، ولذلك فإنّ فرض طائفة ما سننها على طائفة أخرى، أو الاستهزاء بها ونقد مقدّساتها، لا يعدَ نمطًا صحيًّا في المواطنة.

أما أولئك المتربعون على المنابر، الذين يكيلون الكره والبغض للآخر، فالسّلطة الأمنية والسياسية عليها أن تقوم بدورها في نصحهم واستتابتهم، كما حدث مع «حمزة» وغيره، حتى لا يصل الخلاف بيننا إلى درجة الكراهية والحروب «الافتراضية» التي نشهد بوادرها على مواقع التواصل الاجتماعي.

إنّنا في حاجة إلى أن يعيَ صناع القرار أهمية التقارب بين المذاهب، وأن الجميع على حقّ فيما يعتنقه، وإلى إعلام مستنير وواعٍ يسهم في تغيير الموقف، والاتجاه نحو المفهوم الحقيقي للمواطنة، بعيدًا عن مسّ «المقدسات»، ومناهج تعليمية تؤصّل مبدأ الاختلاف وسنيته، وقبل كلّ ذلك نحتاج «علماء» ربانيين حقيقيين يدركون أن مثيري الفتنة والباحثين في زوايا التراث، ومتتبعي الشّبهات عن كلّ ما من شأنه أن يشقّ عصا المسلمين، يثيرون الفتن ويستغلون البسطاء من الناس لإثارتهم، لا عن قوة أو حجة، وإنما يعكسون حالة من الخوف والفزع تنتابهم، خوفًا من انفراط سبحة السّلطة من أيديهم.



٧

الشيخ حسن الصفار.. استنارة عقل*

دحام العنزي

يُراهن كثير من أعداء الوطن على الطائفية والاحتقان كأحد الأسلحة المستخدمة من أجل وَهْمِ أذهانهم بالنيل من الوطن، دائمًا ما تتحطّم أمنياتهم على صخرة الوعي الجمعي، وصدق التعايش السلمي بين الطيف المذهبي والفكري السعودي.

كما تراهن المجموعة المستنيرة على المحبة الحقيقية ومشاعر الود المتبادل دون تصنع وزيف، ولذلك ينجح الوطن دائمًا ويفشل دعاة التشدّد والتشنج والخطاب الطائفي.

المملكة العربية السعودية جغرافيًّا متباعدة، كبيرة جدًّا قياسًا على عدد السكان، كما تتنوع فيها ألوان الطيف الفكري. كما يعلم الفاعلون في تشكيل المشهد الثقافي وصنّاع الرأي وعشاق الحوار الشّفاف، إن الرموز المستنيرة هي رهان المستقبل من أجل مجتمع متصالح بين رموزه وطوائفه.

إنّ الحوار النخبوي يساعد في فهم الآخر أو طريقة التفكير، لكن حين نتحدث عن حوار حقيقي نابع من الداخل، حوار تصالحي توافقي، عندئذٍ تميل الكفّة لصالح العيش المشترك وتبادل الآراء، ذهبت بي الذاكرة لسنوات الجامعة في منتصف التسعينيات الميلادية، وصورة شيخ من رموز الطائفة الشيعية كان يتردّد اسمه كثيرًا

---

* صحيفة الشرق ٢٥ / ١٠ / ٢٠١٣م

في كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود، تلك كانت المرة الأولى التي أسمع فيها اسم الشيخ حسن الصفار. وكنت أرى دائمًا أن الشيخ الصفار يقف مواقف حازمة تجاه شيوخ الفتنة، وآخرها خطبة الجمعة التي جرّم من خلالها المتطرفين الذين يسبّون الصحابة.

لقد شجّعت الحكومة على الحوار بين جميع الطوائف، وأنشأت لذلك مركزًا متخصّصًا (مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني)، الذي يجمع دائمًا المختلفين ليكون مقرّبًا بين الجميع، مثبتًا أن جميع المتحاورين يجتمعون في حبّ الوطن، حتى أصبح هذا المركز يُحتذَى بتجربته في الحوار الوطني.

ويحاول مثيرو الفتنة دائمًا النيل من وطنية الشيخ حسن الصفار، الذي استطاع خلال العشرين سنة الماضية أن يكون أحد رموز الحوار الوطني، وصاحب الآراء التوافقية والبعيدة عن الفتنة، رغم محاولة التيار المعادي لتوجّهات الصفار النيل من شخصيته، بزجّ اسمه ضمن افتراءات يحاول من خلالها مروجو الإشاعات النيل من شخصيته الوطنية، وتضليل الإعلام وتأليب الرأي العام ضده، بينما تكشفت الحقائق دائمًا عن شخصية سمحة، يتميز من خلالها الشيخ الصفار ويتضح بأنه رجل توافقي، ولهذا كلّما أساء له المتطرفون من الفئتين زادوه عظمة وإصرارًا على المضيّ في دروبه الوطنية والتوافقية.

كما نلاحظ أن كلّ مرة يشهد فيها الشارع موضوعًا له خصوصية معينة ما، يبدأ أعداء التقارب والتعايش المذهبي ببث الأكاذيب عن الرموز المعتدلة وأهمها الشيخ الصفار، لعلمهم أنه يحظى بقبول ومصداقية لدى الطوائف الأخرى. في حديث لطيف في منزل أصدقائي من آل عيد الكرام وهم عائلة من القطيف، يعيش بعض أفرادها هنا في الرياض، تحدّثنا عن هذا مطوّلًا، وكنّا نقدّر للشيخ دوره. الاسترسال في النقاش جعلني أفكر بدعوة الشيخ الصفار لعدة أسباب، تدور حول المحافظة على العلاقات الودّية البينية ولأمر آخر بدأ نفس أصحاب الأكاذيب يروجون له، وهو أن

كلّ المشـهد التقاربي تديره وتنظمه الجهات الرسمية، لذا أحببت أن تكون دعوة أهلية يجتمـع فيهـا أصحاب الفكر والرأي، كي يلتقي الصفـار معهم ويلتقون به، ومن خلال هـذا اللقـاء نبعث برسـالة خاصة، نقول فيها إننا نشـجع حكومتنا الرشـيدة في دعواتها الدائمة للحوار، وهذا ما لمسته أيضًا من خلال موافقة الشيخ الصفار لهذه الدعوة غير الرسمية، للقاء مع رموز فاعلة في المشهد السعودي.

المجتمع السعودي يعيش حالة من التناغم الداخلي يحسدوننا عليها.

ويبقى السـؤال: هل سيفهم البعض أن وحدتنا الوطنية حقيقية ومتينة، وأن علاقاتنا البينية ليست زيفًا وادّعاءً، أو بناءً على توجيهات رسمية في حوار النخب؟



في حفل حاشد بمناسبة الغدير

٧

الشيخ الصفار: الدعوة إلى نهج عليّ

قال الشيخ حسن الصفار في كلمة ألقاها في حفلٍ حاشدٍ بمناسبة عيد الغدير، مساء يوم الأربعاء ليلة الخميس ١٨/ ١٢/ ١٤٣٤هـ الموافق ٢٤/ ١٠/ ٢٠١٣م في جامع الإمام الحسين بمدينة المبرز في الأحساء: إنّ القضية التي يجب التركيز عليها في هذا العصر هي أولوية نهج الإمام علي في السلطة والحكم؛ لأنّ ذلك هو ما تتطلّع إليه الأمة الآن، حيث امتاز النهج العلوي بالإقرار بأنّ الأمة هي مصدر السيادة، فهو لم يتولَّ الخلافة إلّا بمبايعة جماهير الأمة، وقال: (إن بيعتي لا تكون إلّا عن رضا المسلمين).

كما امتاز نهج الإمام عليّ باعتماد سياسة المساواة بين المواطنين، وحماية حقوقهم، وحفظ كرامتهم، على اختلاف أديانهم وتوجّهاتهم، حيث قال في عهده لواليه على مصر مالك الأشتر: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين وإمّا نظيرٌ لك في الخلق).

ويقرّر نهج الإمام عليّ أن وظيفة الدولة هي إقامة العدل، وتوفير الرفاه ومتطلبات الحياة الكريمة للمواطنين، حيث خاطب أهل الكوفة قائلًا: (ما أصبح في الكوفة أحدٌ إلا ناعمًا ـ أي مرفّهًا ـ وإنّ أدناهم ليأكل البر، ويجلس في الظلّ ـ له مسكن ـ ويشرب من ماء الفرات).

وقال الشيخ الصفار: إنّ الجدل المذهبي بين السنة والشيعة حول الخلافة والإمامة، قد تحوّل من مسار البحث الموضوعي العلمي، إلى حالة من التهريج والجدال العقيم الذي يشغل الأمة عن مصالحها الحاضرة، ومواجهة التحدّيات الخطيرة، ويدفع باتجاه الخصومة والنزاع والاحتراب. وهذا ما يجب أن يقف أمام استمراره المخلصون الواعون من السنة والشيعة.

المشاركة في عزاء الدوغان:

قدّم الشيخ حسن الصفار تعازيه لأسرة شيخ المذهب الشافعي في الأحساء الشيخ أحمد بن عبدالله الدوغان، حيث حضر إلى مجلس العزاء في الهفوف مساء يوم الأربعاء ١٨ ذو الحجة ١٤٣٤هـ واستقبله أبناء الفقيد وتلامذته ومحبّوه، وقدم الدكتور الشيخ عبد الإله العرفج، والدكتور الشيخ لؤي الهاشم للشيخ الصفار بالغ الشكر والامتنان لمشاركته في عزاء الشيخ الفقيد رحمه الله.

زيارات ولقاءات

وقد لبّى الشيخ الصفار دعوة أهالي قرية الفضول الكرام، وأقام صلاة الجماعة ظهر يوم الأربعاء في مسجد الرسول الأعظم ﷺ وألقى كلمة توجيهية بمناسبة يوم الغدير، تحدث فيها عمّا يقتضيه الولاء للإمام عليّ من الاقتداء به والاستضاءة بنور علمه.

وأقام فضيلة الشيخ سعيد الكاظم مأدبة غذاء على شرف الشيخ الصفار، حضرها عدد من العلماء ورجالات المجتمع.

وفي مساء يوم الأربعاء لبّى الشيخ الصفار دعوة رجل الأعمال من قرية المنيزلة الحاج يوسف العيد حيث حضر عدد من العلماء والشخصيات الاجتماعية.

وزار الشيخ الصفار فضيلة الشيخ نجيب الحرز، وفضيلة الشيخ عبد الجليل البن سعد، وفضيلة الشيخ عادل أبو خمسين.



الصفّار لـ الشرق: نعاني سنواتٍ من الفكر المتزمّت.. وآمالنا معقودة على الحوار*

نايف الحمري

قال رجل الدين الشيعي حسن الصفار، إنّ الحوار الوطني الذي تشهد أنشطته تفاعلًا في المملكة، يعتبر منعطفًا جديدًا تنعقد عليه الآمال، مؤكّدًا أنّ أيّ توجّه جديد يحتاج إلى مدى زمني، حتى يتبلور وينتشر بين كافة أوساط المجتمع.

وأضاف الصفار لـ «الشرق»، على هامش لقاء جمع مثقفين وأعضاء في مجلس الشورى، انعقد في ديوانية الكاتب دحام العنزي في الرياض أمس الأول، «أعتقد أن مصطلح الحوار لم يكن منتشرًا في مجتمعنا في السابق مثل انتشاره الآن، حيث أصبح أكثر تداولًا وانتشارًا، لكنه بحاجة إلى الترشيد والتوجيه، ونأمل أن يكون هناك مزيد من الحوارات بين مختلف الشرائح، وفي مختلف الأوساط، التي من شأنها إلى جانب تفعيل المبادرات الأهلية أن تنضج توجّهات هذا الحوار».

مجتمع بشري

وأوضح الصفار أن الخلافات التي تحدث بين المذاهب الشيعية تأتي تأكيدًا

---

* نشرت هذه المادة في صحيفة الشرق المطبوعة العدد رقم (٦٩٥) صفحة (١٩) بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ٢٠١٣م الموافق ٢٤ ذو الحجة ١٤٣٤هـ.

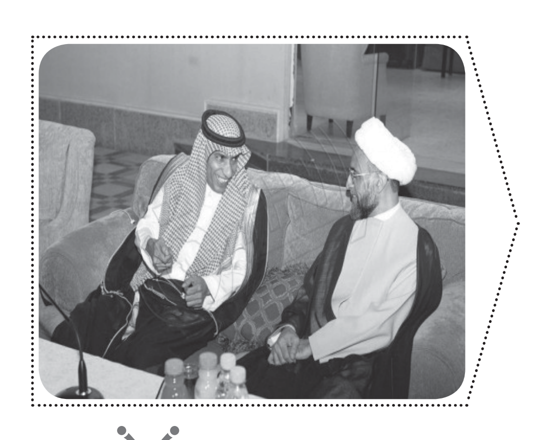
لكونهـم مجتمعًـا طبيعيًّـا، مثـل بقيـة المجتمعات البشـرية، التي تضـمّ داخلهـا تنوّعًا واختلافًـا في الرأي وتضاربًا في المصلحة، وقال «لا يوجد قالب واحد يجتمع فيه كلّ الشـيعة في المملكة، غير أنهم جزء من المجتمع الوطني العام، وليسـوا جماعة خاصة لهم مشـروعهم الخاص، وإنما هم فئة ضمن المشروع الوطني العام، ولذلك أدعوهم للاندماج مع بقية المواطنين بغض النظر عن مذاهبهم وقبائلهم المختلفة».

تبادل اتّهامات

وأكّـد الصفـار، أن اتّهام الطائفة الشـيعية فـي المملكة بالـولاء الخارجي، يأتي في سياق تبادل الاتّهامات والتخوين بين الفئات المتطرفة، لافتًا إلى أنّ الحكم على أرض الواقـع، من خلال إثبات الشـيعة علـى أرض المملكة أن ولاءهـم لوطنهم، وذلك من خلال عملهم وتفانيهم في خدمته، والحفاظ على أمنه واستقراره، وقال «الواقع هو ما يقرّر من الموالي لوطنه حقيقة ومن المخلص في خدمته».

وحدة وطنية

وكان الحاضرون في اللقاء قد تبادلوا في أحاديث ودّية جمعت مثقفين من المذهب السـني وآخرين من المذهب الشيعي، أهمية التوافق الفكري بين المذهبين، وتأكيدهم ضـرورة نـزع الخلافـات الطائفية، والتركيـز على خدمـة الوطن، في ظـلّ الصراعات الإقليميـة الجاريـة، فيما تحدث عدد من الحضور عن تجاربهم الشـخصية وعلاقاتهم الودّية والأخوية التي ربطتهم بآخرين من المذهب الآخر، مشدّدين على ضرورة إجراء مزيـدٍ من الحـوارات والنقاشـات بين أبنـاء المذهبين، لترسـيخ معاني الخيـر والألفة والأخوة الدينية والوحدة الوطنية.



٧

الشيخ الصفار: نريد لبلادنا وهي تدعو لحوار الأديان أن تكون أنموذجًا في التعايش والتآلف الداخلي

قال الشيخ حسن الصفار في لقاء جمعه مع أكاديميين ومثقفين في الرياض: نريد لبلادنا وهي مهبط الوحي، وأرض الحرمين الشريفين، وقيادتها تتبنّى مشروع حوار الأديان والحضارات، أن تكون أنموذجًا في التعايش والتآلف بين أبنائها ومكوناتها الوطنية، بعيدًا عن التصنيفات المذهبية والفكرية والقبلية، عبر تجسيد مفهوم المواطنة، والالتزام بقيم الاسلام الداعية إلى المحبة والتسامح والاحترام.

وقال الشيخ الصفار في الاحتفاء التكريمي الذي أقامه الكاتب الإعلامي دحّام العنزي على شرفه، مساء يوم الأحد ٢٢/ ١٢/ ١٤٣٤هـ الموافق ٢٧/ ١٢/ ٢٠١٣م، في استراحة المحمدية بالرياض: إنّ معظم شعوب العالم تعيش استقرارًا سياسيًّا واجتماعيًّا، يمكنها من التقدم والإنجاز العلمي والتكنولوجي والاقتصادي، بينما تعاني معظم شعوبنا العربية والإسلامية من الاضطرابات والنزاعات والاحتراب الداخلي، الذي عطّل التنمية في أوطانها وهدر طاقاتها، وجعلها مسرحًا للنفوذ الأجنبي والأطماع الخارجية.

وأشار الشيخ الصفار: إلى أنّ من أهم أسباب الاضطرابات الداخلية، غياب التوافق الوطني، على نظام يحفظ حقوق ومصالح كلّ الأطراف، ويؤمن تمثيلها ومشاركتها في السلطة وصناعة القرار.

إلـى جانب انتشـار الأفـكار التعصبية المتطرفـة، التي تعبّئ جماهيـر كلّ جهة ضد الأخرى، باسم الدين أو المذهب، أو الانتماء القومي والقبلي.

ودعـا الشـيخ الصفار إلى تضافر الجهود الرسـمية والشـعبية لحماية الأوطان، من توجّهات الفرقة والنزاع، بتحقيق الشراكة الوطنية، وتعزيز الوحدة، ونشر ثقافة التسامح والتعايش، وقبول الآخر المختلف في انتمائه وتوجّهه.

وقـد ألقـى راعـي الحفل الأسـتاذ دحام العنـزي كلمة رحـب فيها بضيفـه الصفار وجميع الحاضرين، مشـدّدًا على أهمية المبادرات الأهلية في تعزيز التآلف والتقارب، وأنه قام بدعوة الشيخ الصفار من هذا المنطلق، وتقديرًا منه لأفكاره ومواقفه الوطنية.

وتحدّث عريف الحفل الأسـتاذ عويّد العنزي عن شـيءٍ من السـيرة الذاتية للشيخ الصفار، داعيًا إلى تكثيف اللقاءات بين النخب المثقفة والفاعلة من جميع الأطياف.

وبعد كلمة الشيخ الصفار كانت هناك مداخلات من عدد من الحاضرين، من بينهم عضو مجلس الشورى اللواء المهندس ناصر بن غازي الشيباني العتيبي، الذي تحدث عن مؤتمر شارك فيه مؤخّرًا في بروكسل عن أوضاع دول الربيع العربي، وما كشفته من هشاشـة العلاقـة بين مكونات مجتمعات تلك الدول، داعيًا إلـى أخذ العبرة والتجربة، لتجنـب وطننـا الوقوع فـي مزالق الخلافـات والاحترابات، بتوثيق عُـرى الوحدة فيما بيننا، وخدمة مصالح الوطن العليا.

وكانـت مداخلـة أخـرى للدكتـور عبد الرحمـن الوابلي، دعـا فيها إلـى وضع حدٍّ للأصوات المتطرفة التي تثير النعرات الطائفية، وتشكك حتى في أعراض من يخالفها في معتقداتها المتشـدّدة، مستشـهدًا ببعض التصريحات الطائفية السيئة، التي لا يجوز تركها والسكوت عليها، والسماح لها باستغلال المنابر العامة.

وداخل الأستاذ رياض الودعان المذيع في قناة الدانة، محذّرًا من بعض الدول التي تريد إثارة المشاكل الطائفية، مشيدًا بمظاهر التعايش والتآلف التي يحتضنها الوطن.

إلى مداخلات عديدة من المشاركين كالأستاذ منسي الحسون، وأشرف العيد، وفوزي الدهان، وممن حضر اللقاء الدكتور عبدالله بن عبد الرحمن الحيدري رئيس مجلس إدارة النادي الأدبي بالرياض، والدكتور بسّام صالح، الاستشاري في مستشفى الملك فيصل التخصصي، والدكتور محمد الغبين الاستشاري في مستشفى الحرس الوطني، والدكتور محمد الخنيزي عضو مجلس الشورى، والمقدم أحمد الزير، ورجل الأعمال خالد الباعود، والعميد المتقاعد أحمد الخضير، ورجل الأعمال خالد الغبين، والإعلامي عبدالهادي القرني، والدكتور خلف الطليب.



الشيخ الصفار: لم تكتشف بعد كلّ أسرار شخصية الإمام علي عليه السلام

أقامت لجان الولاية الإسلامية ببلدة أمّ الحمام بالتعاون مع لجنة التمثيل وستّ فرق من المنطقة، مهرجان «الولاية الإنشادي» الأول بصالة الكعيبي، احتفاءً بذكرى عيد الغدير، مساء الجمعة ٢٠ ذو الحجة ١٤٣٤هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ٢٠١٣م.

وألقى سماحة الشيخ حسن الصفار خلال المهرجان كلمة أكّد من خلالها بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يتحدّث للأمة عن كلّ جوانب خصائص الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مراعاةً للظروف التي كانت تعيشها الأمة آنذاك.

وأشار إلى أن الإمام عليّ بن أبي طالب لم يستطع أن يتحدث للأمة بكلّ ما ينطوي عليه فكره وقلبه.

وأشار الشيخ الصفار بأنّ أبعاد شخصية الإمام عليّ لم تكتشف جميعها، وأنّ في شخصيته أسرارًا ومعارف وأبعادًا لم تكتشف، مثلما للكون أسراره التي لم يكتشفها الإنسان بعد، ومع تقدّم الزمن سيتم اكتشافها.

وأوضح بأنّ في شخصية الإمام عليّ وفي عطائه عدة إشراقات، روحية، علمية معرفية، وقلبية عاطفية.

وبيّن بأن العرفاء والعباد استلهموا من إشراقات الإمام الروحية معاني الزهد والقرب من الله سبحانه وتعالى، وبأنّ إشراقاته العلمية والمعرفية فجرت العلوم

والمعارف والفكر في أذهان الأجيال التي اغترفت من نمير علمه.

وذكر بأن الإشـراقات القلبية العاطفية للإمام هي التي سـاعدت في تنمية مشـاعر النبل وأحاسيس الحبّ في نفوس بني البشر.

وأشـار إلى أن الأجواء التـي تميز بها الحفل تُعَدّ من الإشـراقات القلبية والعاطفية الصادقة، التي تنمّ عن الأحاسيس النبيلة والمشاعر العظيمة في شخصية الإمام.

وأبدى شـكره للشباب والفتيان المنظمين للحفل، معبّرًا عن ثقته في أن هذا الحب الذي تمّ التعبير عنه بالأناشـيد الولائية، سـيترجم بالسـلوك والعطاء، من أجل كسـب العلم والمعرفة، وتنمية الطاقات والمواهب.

وتمنّـى أن يكـون ذلـك في خدمـة المجتمع من خلال نشـر قيم الخير فـي الناس، والالتزام بالسلوك القويم الذي تمثل فيه أمير المؤمنين ﷺ.

وقدم شكره وثناءه وتقدير للقائمين على عقد المهرجان الولائي الأول، مبديًا أمله في تجدّد اللقاءات في مهرجانات أخرى، داعيًا المجتمع أن يساهم في الدعم والتأييد والحفاوة بالجهد الكبير الذي تقوم به هذه الفرق الولائية.



٧

الصفار يدعو لترك اللغة الطائفية وبناء الأوطان والتعايش السلمي*

منير النمر

قال المفكّر الإسلامي الشيخ حسن الصفار أمام حشدٍ أكاديميّ وثقافيّ في العاصمة الرياض: «نريد لبلادنا وهي مهبط الوحي، وأرض الحرمين الشريفين أن تكون أنموذجًا في التعايش والتآلف بين أبنائها ومكوناتها الوطنية، بعيدًا عن التصنيفات المذهبية والفكرية والقبلية، عبر تجسيد مفهوم المواطنة، والالتزام بقيم الإسلام الداعية إلى المحبة والتسامح والاحترام».

وأشار الصفار في حفل أقامه الكاتب الإعلامي دحام العنزي تكريمًا له، إلى أن معظم شعوب العالم تعيش استقرارًا سياسيًّا واجتماعيًّا يمكنها من التقدم والإنجاز العلمي والتكنولوجي والاقتصادي، بينما تعاني معظم شعوبنا العربية والإسلامية من الاضطرابات والنزاعات والاحتراب الداخلي، الذي عطّل التنمية في أوطانها وهدر طاقاتها، وجعلها مسرحًا للنفوذ الأجنبي والأطماع الخارجية، مضيفًا: من أهمّ أسباب الاضطرابات الداخلية غياب التوافق الوطني على نظام يحفظ حقوق ومصالح كلّ الأطراف، ويؤمن تمثيلها ومشاركتها في السلطة وصناعة القرار، مشيرًا إلى جانب انتشار الأفكار التعصبية المتطرفة التي تعبّىء جماهير كلّ جهة ضدّ الأخرى، باسم

* جريدة الرياض ٣٠/ ١٠/ ٢٠١٣م

الدين أو المذهب، أو الانتماء القومي والقبلي.

ودعا الشيخ الصفار إلى تضافر الجهود الرسمية والشعبية لحماية الأوطان من توجّهات الفرقة والنزاع، بتحقيق الشراكة الوطنية، وتعزيز الوحدة، ونشر ثقافة التسامح والتعايش، وقبول الآخر المختلف في انتمائه وتوجّهه، فيما ألقى راعي الحفل الكاتب دحام العنزي كلمة رحّب فيها بضيفه وجميع الحاضرين، مشدّدًا على أهمية المبادرات الأهلية في تعزيز التآلف والتقارب، وقال إنه قام بدعوة الشيخ الصفار من هذا المنطلق، وتقديرًا منه لأفكاره ومواقفه الوطنية.

وشهدت الندوة مداخلات وصفت بـ «النوعية والمهمة»، وتحدّث عضو مجلس الشورى اللواء المهندس ناصر الشيباني العتيبي، عن مؤتمر شارك فيه مؤخّرًا في بروكسل عن أوضاع دول الربيع العربي، وما كشفته من هشاشة العلاقة بين مكونات مجتمعات تلك الدول، داعيًا إلى أخذ العبرة والتجربة، لتجنّب وطننا الوقوع في مزالق الخلافات والاحترابات، بتوثيق عرى الوحدة فيما بيننا، وخدمة مصالح الوطن العليا، فيما دعا الدكتور عبد الرحمن الوابلي إلى وضع حدٍّ للأصوات المتطرفة التي تثير النعرات الطائفية، وتشكك حتى في أعراض من يخالفها في معتقداتها المتشددة، مستشهدًا ببعض التصريحات الطائفية السيئة التي لا يجوز تركها والسكوت عليها، والسّماح لها باستغلال المنابر العامة.



الشيخ الصفار يلتقي أبطال العرب في نادي النور

زار سماحة الشيخ حسن الصفار نادي النور بسنابس في جزيرة تاروت والتقى لاعبي فريق كرة اليد، وهنأهم على تحقيقهم البطولة العربية، متمنيًا لهم دوام التوفيق، وتحقيق إنجاز جديد في البطولة الخليجية القادمة.

وقال سماحته: إنني أتابع بفخر إنجازكم الكبير الذي حققتموه، وحينما أقول بفخر واعتزاز فليس ذلك مجاملة لكم، وإنما لأنّ الله أودع في أعماق كلّ إنسان الميل نحو البروز والتفوق، هذا الشعور يكون في البداية على مستوى الفرد، لكنه بعد ذلك يتمظهر على شكل اجتماعي، كلّ مجتمع له هوية وكيان، له ميل أن يكون متفوقًا وبارزًا أمام المجتمعات الأخرى.

وأضاف خلال لقائه باللّاعبين والإداريين يوم الثلاثاء ٢٤/ ١٢/ ١٤٣٤هـ الموافق ٢٩/ ١٠/ ٢٠١٣م: نحن كمجتمع ينبغي أن يكون لدينا هذا الشعور، وبالتوكّل على الله نريد أن نفرض احترامنا بكفاءاتنا وقدراتنا.

وتابع سماحته: حينما تحققون هذه البطولة، وهذا الإنجاز على المستوى الدولي، أنا كفرد من أفراد المجتمع، وكإنسان يعيش تحدّي المنافسة الذي يعيشه مجتمعه، لا شك أنني سأشعر بالفخر والاعتزاز.

وأبان أنكم كفريق تستحقون التهنئة والتقدير؛ لأنكم لم تحققوا الفوز لأشخاصكم

ولا لناديكم، وإنما قدمتموه للمجتمع والوطن الذي تنتمون اليه.

وأشـار إلى أننـا كما يجب أن نفـرح بالبطولات والإنجازات والمكاسـب في هذه الحيـاة الدنيا، سـواء كان إنجازًا علميًّـا، أو نموًّا اقتصاديًّا، أو بطولـة رياضية، أو منصبًّا متقدّمًا، كذلك يجب علينا أن نسعى للفوز برضا الله سبحانه.

وقال: حقّ للإنسـان أن يفرح، فإنّ الله يريد منه أن يرغب في التقدم في هذه الحياة ﴿رَبَّنَـا آتِنَـا فِي الدُّنْيَا حَسَـنَةً﴾، بل إنّ مهمة الإنسـان المؤمن أن يكـون متقدّمًا ومتفوّقًا ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

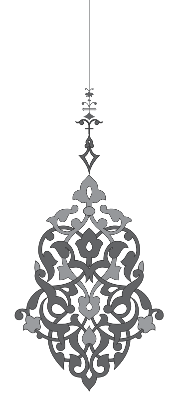
واسـتدرك سـماحة الشـيخ الصفـار بـأن ذلـك مشـروط بالالتـزام بمبـادئ الدين وواجباته، والإخلاص لله سبحانه وتعالى.

وخاطب اللاعبين: نريدكم أبطالاً في الآخرة، نأمل أن تحققوا البطولة مع أنفسكم فـي المجال القيمي، فالإمام عليّ يقول: (ميدانكم الأول أنفسـكم، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر، وإن خذلتم فيها كنتم على غيرها أعجز).

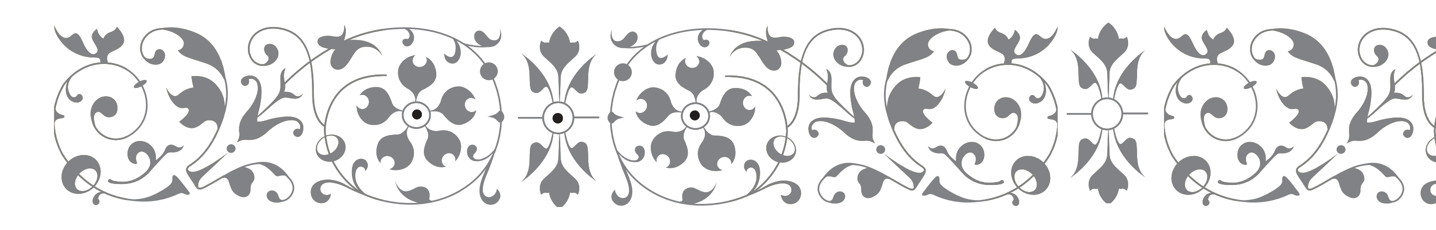
وقـال: آمـل أن يكـون كلّ فـرد منكـم بطلًا في مجـال التزامـه ومكافحتـه لأهوائه وشهواته، يقارع شهواته وينتصر عليها.

وأضـاف: أنتـم فـي مجالكـم الرياضـي تحتكـون بالنـاس علـى مسـتوى الـدول والمجتمعات، لذلك فإنّ أخلاقكم في التعامل مع الآخرين مهمّة جدًّا، فكلّما استطعتم أن تقدّمـوا أنموذجًا في حسـن التعامل مـع الآخرين، وفي الانفتـاح عليهم، والتعاطي معهم، فإنكم تخدمون المجتمع الذي تنتمون إليه.

وختم الشـيخ الصفار كلمتـه: إنني آمل أن تكونوا فـي علاقاتكم مع بعضكم، ومع فريـق التدريب، ومع الإدارة، ومـع الآخرين الذين تلتقون معهـم مصداقًا لقول الإمام الصادق عليه السلام: (كونوا لنا زينًا ولا تكونوا شينًا علينا).



ندوات ومحاضرات



٧

القرآن شفاء[1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية: ٥٧]

وصف القرآن نفسه بأنه شفاء لما في الصدور، وعندما يذكر الشفاء يتبادر إلى الذهن موضوع المرض؛ لأنّ الشفاء إنما يعني تجاوز حالة المرض والألم، فعندما يقال شُفِيَ فلان من مرضه فهذا يعني أنه كان مريضًا.

وإذا كان القرآن الكريم يعتبر نفسه شفاءً، فهذا يعني أنه ينبئ عن افتراض إصابة نفوس أبناء البشر بالأمراض، كما الجسم يصاب بالمرض. إنّ مرض الجسم يعني وجود خلل في جهاز أو عضو من أعضائه، فيمنع هذا العضو من أداء دوره بشكل طبيعي، ينتج عن ذلك مضاعفات وآلام وتعويق، وحينما يحصل المرض في جسم الإنسان فإنه يندفع لمعالجته؛ لأن بقاءه يسبب له مشاكل، كما أنّ إبقاءه دون علاج يرشح المرض للتطور والزيادة.

ومثل هذا تصاب به النفس، فالنفس هي: مجموعة المشاعر والعواطف والغرائز الموجودة عند الإنسان، وطريقة تعامله معها، وإشباعه لها، فلكلّ غريزة من غرائز الإنسان، وكلّ عاطفة من عواطفه، وكلّ جانب من جوانبه، يؤدي دوره المهم في

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلسه بتاريخ ١٠ / ١ / ٢٠٠٢م.

تكوين نفسيته، وما انتظام حياة الإنسان إلّا بانتظام هذه الغرائز، وأداء كلّ واحدة دورها الطبيعي الذي خلقت من أجله.

والمشكلة في الجانب الروحي أن كثيرًا من أعراض أمراضه يصعب استشعارها، لدرجة أن الإنسان يمارس حياته وكأنه إنسان طبيعي سوي، وهو يحمل في طوايا تلك النفس أخبث الأمراض وأخطرها على نفسه وعلى الإنسانية أجمع.

المرض النفسي ربما يبدأ بسيطًا، لكنه يتضخم حتى يفقد الإنسان توازنه، ويسبب له التعويق في تعاطيه مع ربه، ومع نفسه ومع الناس، وعلى هذا ينبغي علاج النفس، كما نعالج خلل البدن، لئلا يزداد ويستفحل، ومن ثم يعيق مسيرة حياة الإنسان السّوي على هذه الأرض.

وربما كان هذا الأمر بيّنًا واضحًا لدى بني البشر، لكن السؤال المحيِّر: كيف نعالج هذه الأمراض النفسية؟

لقد قدّم الإنسان كثيرًا من الضحايا والتجارب حتى وصل إلى ما هو عليه الآن من تكنولوجيا الطب وتقنيته، وصار له في المجال الجسمي أطباؤه وصيادلته ومستشفياته ومصحّاته.. وتمكّن من معالجة كثير من الأمراض التي كانت تخفى على الأطباء بالأمس.

وكذلك الأمراض النفسية تحتاج للعلاج، ولو ترك الإنسان وعقله وفطرته، فإنه قد يصل إلى الحلّ، لكنه سيدفع من أجل ذلك الكثير الكثير من المعاناة، ويسير التخبّط لزمن طويل.

وما يزيد الأمر خطورة أن الأمراض الجسمية ليس هناك مراكز قوى ومصالح ـ في الغالب ـ تسعى للإطاحة بجسم الإنسان وتعويقه، كما في مراكز القوى التي تكرس جهودها لتخدير الشعوب، والعبث بنفوسهم وعقولهم، فاختصر الله الخالق سبحانه للإنسانية العلاج، للخلاص من أمراضهم النفسية والروحية، بهذا الهدي الإلهي،

الذي جاء في آخر صورة منه بعد سلسلة الأنبياء والمرسلين، متمثلًا في القرآن الكريم.

ولهذا جاء التعبير القرآني ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ليكون خطابًا لكلّ البشر الذين يتعرضون للمرض ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ﴾ تقصدكم وتتعرض لكم أنتم.. ثم جاءت الآية الشريفة تحكي مراحل التربية والتزكية[1].

المرحلة (١): مرحلة الموعظة الحسنة والنصيحة ﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

المرحلة (٢): تطهير الروح من الرذائل والنقائص ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾

والمرحلة (٣): الهداية إلى المعارف الحقّة والأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة ﴿وَهُدىً﴾

المرحلة (٤) والأخيرة: هي مرحلة الاستقرار في الرحمة والنعمة والسعادة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

وفي الحديث عن النبي: «القرآن هو الدواء»[2] دواء لأمراض النفس والمجتمعات ومشاكل الحياة.

والإمام عليّ يقول في خطبته عن القرآن: «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحدٍ بعد القرآن من فاقة، ولا لأحدٍ بعد القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإنه فيه شفاء من أكبر الداء»[3].

---

(١) راجع تفسير الأمثل، ٦/ ٣٥٣.

(٢) كنز العمال. ج١، ص٥١٧، حديث ٢٣١٠، وأيضًا بحار الأنوار، ج٨٩، ص٦٧، حديث٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٧

القرآن موعظة[1]

﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٣٨]

الموعظة من الوعظ، والوعظ كلمة تدلّ على التخويف، وقيل هو تذكيرك للإنسان بالخير ونحوه مما يرقّ له قلبه.

ومن خلال التتبع لموارد لفظ الموعظة في القرآن الكريم، نلاحظ أنها استعملت في مخاطبة وجدان الإنسان وأحاسيسه ومشاعره.

والخطابات التي توجّه للإنسان عادة ثلاثة أنواع:

١. خطاب للعقل، وهو الكلام العلمي المنطقي.

٢. وخطاب للغرائز والشهوات، لإثارتها كما في الأغاني الهابطة والأفلام الخليعة.

٣. وخطاب للوجدان والأحاسيس الخيرة، وهذه هي الموعظة.

الموعظة

والموعظة وإن استعانت بالخطاب العلمي، لكنها أقرب إلى النفس والوجدان؛

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلسه بتاريخ ١٧ / ١ / ٢٠٠٢م .

لأنّ الناس في أغلبهم تُحرّكهم عواطفهم وشهواتهم، رغم معارفهم العلمية، لكن القليل من الناس من يمتلك الإرادة لتطبيق ما يعرف.

ومن هنا تلعب الموعظة في المجال الديني دورًا كبيرًا، والقرآن الكريم يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[سورة النحل، الآية: ١٢٥] فبينما تشير الحكمة إلى التعقل، واستخدام الدليل المناسب للإثبات والنفي، ووضع الشيء في موضعه، تخاطب الموعظة الحسنة الوجدان والضمير بالطريقة المؤثرة الجذابة.

ونقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[سورة لقمان، الآية: ١٣] فهو يستثير أحاسيسه الخيرة ويُوقظها.

وفي العلاقات العائلية يقول القرآن: ﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾[سورة النساء، الآية: ٣٤]، أي خاطبوهن بالوجدان والضمير إذا استحال التفاهم العقلي الصرف.

والله سبحانه يأمر نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بالتخاطب مع المنافقين وغير الصالحين، يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾[سورة النساء، الآية: ٦٣] فأولئك ما كانت تنقصهم المعرفة بحقيقة الدين وموقعية النبي صلى الله عليه وآله، لكن الغلبة عندهم للتوجّهات المصلحية، وما يحتاجونه هو تحذيرهم من مغبّة الانحراف وسوء العواقب.

ونحن في حياتنا العامة بحاجة إلى موعظة، ونذكّر هنا بأن الخطاب الديني لا ينبغي أن يتمحّض للجانب العلمي ـ كما يطلبه بعض الناس من الخطباء، أو كما هو الحال في المجال الأكاديمي الجامعي ـ في المجال الديني ينبغي أن يُذكَّر فيه بتقوى الله، وبالواجبات الدينية، وبالمسؤوليات الخاصة والعامة، عبر الحقائق العلمية والمعلومات، وعبر مخاطبة الوجدان والأحاسيس النبيلة الخيّرة لدى الإنسان، بدون إفراط ولا تفريط، لهذا يقول الإمام عليّ عليه السلام لولده الإمام الحسن عليهما

السلام: «أحِيي قلبك بالموعظة»(١).

ولو راجعنا تراجم رجالات الدين وكبار العلماء في النجف الأشرف وقمّ المقدسة، وفي غيرهما من البقاع الطاهرة، لوجدنا كثيرًا من الفقهاء يطلبون من الخطباء والأولياء أن يعظوهم ويستثيروا أحاسيسهم، فهل هذا الخطيب يضيف إلى معلومات الفقيه والمرجع شيئًا؟! لكنه حينما يذكر لهم كلمات رسول الله ﷺ، وخطب أمير المؤمنين عليه السلام، ومواقف أهل البيت عليهم السلام، يذكّرهم بمسؤولياتهم، وبحساب الله ومراقبته لهم، فهذه موعظة ينبغي أن يستفيد منها الإنسان، وينبغي ألّا تخلو حياتنا منها على كلّ حال.

والقرآن الكريم: «أبلغ الموعظة» كما يقول الإمام الحسين عليه السلام، فهو وإن احتوى حقائق علمية في مختلف المجالات، لكنه في جانبه الأكبر موعظة تخاطب الوجدان والضمير، ويذكّر الإنسان بضعفه وحاجته إلى الله سبحانه وتعالى، ويذكّر الإنسان بمصيره، وأنه سوف يموت ويفنى، ويذكّره بالمسؤولية التي يحملها على عاتقه، وأن كل أعماله وتصرّفاته محسوبة عليه، وأنه محاسب عليها يوم القيامة، ويذكره بالمصير الأخروي والجنة والنار والثواب والعقاب.. هذا التذكير الدائم المتواصل ينبغي لقارئ القرآن أن يتفاعل معه، وألّا يمرّ عليه مرورًا سريعًا، ولا يقرأ آيات العذاب مثلًا وهو منصرف عنها بوجدانه وأحاسيسه، فيضحك ويهزأ وكأنّها لا تعنيه، بل ينبغي لنا أن نتأمل القرآن بوجداننا ومشاعرنا، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[سورة الزمر، الآية: ٢٣].

حينما تمرّ على أيّ آية من آيات القرآن انفتح عليها نفسيًّا، فهي تخاطب ضميرك ووجدانك، لا تقرأ القرآن كما تقرأ كتابًا علميًّا يضيف إلى معلوماتك معلومة جديدة، وإنما تقرؤه ككتاب موعظة يخاطب وجدانك وضميرك، ويرجعك إلى حقيقتك،

(١) نهج البلاغة، خطبة ٣١.

ويضعك أمام مسؤوليتك، هذا ما يجب أن ننتبه إليه في قراءتنا للقرآن الكريم، وهذا ما يجب أن يحافظ عليه الخطاب الديني بشكل عام؛ لأنّ الخطاب الديني لا يتخاطب مع الجانب العقلي فقط، وإنما يمزجه مع الخطاب الوجداني لدى الناس، ومن يراجع القرآن الكريم يجده يصوغ خطاباته العلمية بطريقة وجدانية فطرية،وما على الإنسان إلّا أن يفسح لها المجال لتلج إلى نفسه وتتغلغل فيها.

٧

هجر القرآن[1]

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[سورة الفرقان، الآية:٣٠]

الهجر في اللغة: هو ترك ما من شأنه أن يوصل.

فأيّ جهة كان ينبغي أن تكون على صلة معها ثم تتركها يقال لك بأنك هجرتها، ولا يقال لمن لم تعرفه أنك هجرته.

وفي هذه الآية يشكو الرسول ﷺ إلى الله تعالى من هجر قومه للقرآن العظيم، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، وقوم محمد هم أمّته وأتباعه ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾، وإنما قال سبحانه ﴿اتَّخَذُوا﴾ ولم يقل (هجروا) ليدلّل على أن الهجر صار ديدنهم ومنهجهم وطريقتهم في التعاطي مع القرآن العظيم.

وقد اختلف المفسرون في المدلول الزمني لهذه الآية، فهل حدثت هذه الشكوى في زمن النبي ﷺ أم أنه سيرفعها إلى الله في يوم القيامة؟

فبعض المفسّرين قالوا بأنها حصلت عندما كان الرسول ﷺ يقرأ على قومه القرآن

---

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلسه بتاريخ ٣١/ ١/ ٢٠٠٢م.

وهم يستنكفون عن الاستماع إليه، كما يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[سورة فصلت، الآية: ٢٦].

لكن عددًا من المفسّرين يُرجّحون أن تكون هذه الشكوى يوم القيامة، وأن الفعل (وقال) فعل ماضٍ، لكنه يدلّ على تحقق ما سيقع في المستقبل، إنزالًا لمنزلة ما سيقع حتمًا بمنزلة ما وقع فعلًا، وهذا ما يستفاد من السياق العام للآية إذ يقول سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلانسَانِ خَذُولا * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[سورة الفرقان، الآيات: ٢٨ – ٣٠].

والروايات تؤكّد مثل ذلك أيضًا، وتُندّد بأولئك الذين يهجرون القرآن..

فقد ورد عن الفضل بن شاذان أنه سمع الإمام الرضا عليه السلام يقول مرّة بعد مرّة: «فإن قال: فَلِمَ أمِرُوا بالقراءة في الصلاة؟ قيل: لئلّا يكون القرآن مهجورًا مضيّعًا وليكون محفوظًا فلا يضمحلّ ولا يُجهل»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: أَنَا أَوَّلُ وَافِدٍ عَلَى الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ كِتَابُهُ وَ أَهْلُ بَيْتِي ثُمَّ أُمَّتِي ثُمَّ أَسْأَلُهُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَ بِأَهْلِ بَيْتِي»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «السُّورَةُ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ قَدْ قَرَأَهَا ثُمَّ تَرَكَهَا فَتَأْتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَ تُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ مَنْ أَنْتِ فَتَقُولُ أَنَا سُورَةُ كَذَا وَ كَذَا فَلَوْ أَنَّكَ تَمَسَّكْتَ بِي وَ أَخَذْتَ بِي لَأَنْزَلْتُكَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ»[٣].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «الْقُرْآنُ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ فَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ

(١) عيون أخبار الرضا، ج١، ص١١٣.
(٢) الكافي، ج٢، ص٦٠٠، حديث٤.
(٣) وسائل الشيعة، ج٦، ص١٩٣، حديث ٧٧٠٨.

يَنْظُرَ فِي عَهْدِهِ وَ أَنْ يَقْرَأَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسِينَ آيَةً»[١].

وهجر القرآن يقابله الاهتمام بالقرآن، ويمكن ملاحظة الأمر في اتجاهين:

هجر التلاوة والحفظ

هناك فئة من الناس تقبل على القرآن باحترام شديد فتقرأه في كل حين وتحاول حفظه ونشره بين الناس... وهذا مصداق واضح على الاهتمام بالقرآن، على العكس من ذلك الذي لا يحترم القرآن ولا يقرؤه ولا ينظر فيه، ولا يحفظ منه شيئًا، وعلى هذا ينبغي أن يكون لدى المسلم برنامج يومي لقراءة القرآن الكريم، وهذا ما كان عليه آباؤنا وما ينبغي أن نربي عليه أولادنا، وفي الرواية عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «مَا يَمْنَعُ التَّاجِرَ مِنْكُمُ الْمَشْغُولَ فِي سُوقِهِ إِذَا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ أَنْ لا يَنَامَ حَتَّى يَقْرَأَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ فَتُكْتَبَ لَهُ مَكَانَ كُلِّ آيَةٍ يَقْرَؤُهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَ يُمْحَى عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ»[٢] وهكذا ينام الإنسان وهو مشغول بذكر الله، كما أن تلك القراءة تساعده على فهم وتدبّر ما عاشه اليوم وما يرجوه غدًا، والإنسان الذي يمرّ عليه اليوم والأسبوع دون أن يفتح القرآن أو يستمع له، يعتبر هاجرًا للقرآن، والنبي صلى الله عليه وآله يقف في وجهه يوم القيامة قائلًا، لماذا رتبت أولوياتك اليومية من نوم وغذاء وجلسات ومشاهدة وسماع.. ولم تخصّص للقرآن حصّة من وقتك! لماذا لم تقرأ !! لم تسمع !!

على أن بعض الناس يدّعي أن القراءة دون التدبر لا تفيد شيئًا، فبإمكان هؤلاء أن تكون لهم قراءتان للقرآن قراءة طولية، وقراءة معمّقة، ويستحق القرآن أنْ نقرأه لأكثر من هدف..

الهجر المعنوي

يحمل القرآن في طياته القيم والمفاهيم والبرامج التي يحتاجها الإنسان في حياته،

(١) الكافي، ج٢، ص٦٠٩، حديث١.
(٢) الكافي، ج٢، ص٦١١، حديث٢.

والقرآن مشروع تحرير وتنوير، يقول تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٥٧].

وعلى الرغم من أننا نقرأ هذه الآية وأمثالها ولكنها لا تحرّك فينا ساكنًا، ذلك لأننا نعيش حالة الهجر مع القرآن، كالولد الذي يسمع كلمات أبيه دون أن يعمل على تطبيقها استهانة واستخفافًا.

إنّ أمتنا الإسلامية تمتلك أفضل البرامج وأفضل القيم لإدارة حياتها؛ وأول برنامج يراه القرآن الحكيم هو العلم والتعلم، يقول تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[سورة العلق، الآية: ١] فماهي مدى استجابتنا للقراءة والمطالعة وهي أول آية ينزل بها كتابنا؟

وأين نحن من الشورى؟ أين التعاون والوحدة؟ أين النظام؟ أين وصلنا بمستوانا السياسي والاجتماعي والديني المعيش؟.. إنّ تخلّفنا في كل ذلك مؤشّر واضح على داء الهجر الذي انتابنا فصار القرآن لا يتجاوز تراقينا.

ينبغي لنا أن نراجع أنفسنا «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» على الصّعيدين الظاهري والعملي، ماذا تركنا؟ وماذا ينبغي لنا أن نصل؟ وماذا نترك حتى يصدق علينا أننا متمسكون بالقرآن، بعيدون ممن يقف الرسول الأعظم في قبالهم وهو ينادي ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾؟

٧

أفلا يتدبرون القرآن[1]

تدبُّر الأمر: تأمُّله، والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كلّ تأمل؛ فمعنى تدبر القرآن: تأمّل معانيه وتبصّر ما فيه والتدبر: التفهم في دبر الأمر، أي ما يخفى منه، وهو مشتق من دبر الشيء، أي خلفه.

والأقفال، جمع قفل، وهي في الأصل من مادة القفل، أي الرجوع، أو من القفيل، أي الأشياء اليابسة، ولما كان المتعارف أنهم إذا أغلقوا الباب قفلوها بقفل، فكلّ من يأتي يقفل راجعًا، ولما كان ما يقفل به موجود صلب لا ينفذ فيه شيء، وهو ما يوصد به الباب ليمنع الآخرين عن دخوله واجتيازه، وهذه استعارة لقلب الإنسان الذي انصرف عن حقيقة المعرفة، حتى ختم الله على قلبه وجعله مقفلًا لا يستقبل معنى القرآن وعظمته.

وقفيل، ما يبس من الزرع فما عاد ينتفع بأشعة الشمس ولا بالهواء، وعلى هذا تكون الاستعارة على معنى أن القلب إذا أهمل كتاب ربه، فلم يتدبّر معانيه، وأغراض آياته، فكأنه الشجرة اليابسة التي افتقدت نضارتها وقوتها، فما عادت تنتفع بما حولها من تربة وماء وضياء.

وهذه الآية (٢٤) من سورة محمد ﷺ جاءت في سياق الحديث عن المنافقين،

---

(١) ألقيت المحاضرة ضمن برنامج الدرس الأسبوعي من نور القرآن لسماحة الشيخ حسن الصفار، في مجلسه بتاريخ ٤ / ١ / ٢٠٠٢م.

الذين يستمعون آيات القرآن ويتلونها لكنهم لا يتفاعلون مع مراميها ومقاصدها.

وشبيه بهذا السياق جاءت الآية الأخرى في سورة النساء ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[سورة النساء، الآية:٨٢].

أما الآيات التي أشارت إلى ضرورة تدبر القرآن الكريم، ولزوم الأخذ به، فقد احتلّت حيّزًا واسعًا من القرآن، يعرفها من تلا وتدبر، كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[سورة صّ، الآية:٢٩].

ونحن نقرأ القرآن، ونرى كافّة المسلمين يقرؤون القرآن، لكن من المؤسف جدًّا أن هذه القراءة تبقى قراءة سطحية قشرية ظاهرية، لا ننفذ من خلالها إلى معاني القرآن و مضامينه، من هنا تجد أن حياة المسلمين في غالبهم تصطدم اصطدامًا واضحًا وظاهرًا مع آيات القرآن التي يقرؤونها، يقرؤون القرآن لكن ليس هناك تفاعل مع القرآن، لأن أول مرحلة من مراحل التفاعل مع القرآن فهم ما تريده الآية، فهم معنى الآية، أن يتدبر في الآية ليعرف النتيجة التي تريد الآية أن توصله إليها؛ لأنّ التدبر من دبر الشيء ومن خلفيته، لكن عامة الناس لا يكلفون أنفسهم جهدًا من أجل أن يفهموا معاني الآيات، فيقرأ القرآن في الفواتح، في الصلاة، في المناسبات.. ولكن لا يكاد يكون هناك تأثير لهذه القراءة على واقع هؤلاء القارئين، ومن أهم الأسباب أنهم يقرؤون ولا يفهمون، أشبه شيء بإنسان يقرأ كلمات من لغة أخرى تعبّدًا، كما يقرؤه غير العربي للتعبّد وإن كان لا يعرف معناه..

وهناك ثقافة كرّست هذه الحالة، وهي القول بأن الإنسان العادي لا يستطيع أن يفهم معاني القرآن، والعلماء والمفسرون هم فقط من يعلم معاني القرآن، هذه الثقافة هي التي باعدت بين الناس وبين التدبّر في القرآن الكريم، وهي ثقافة خاطئة، القرآن الكريم يدعو الناس ـ كلّ الناس ـ إلى تدبّره والتأمّل فيه، فالله سبحانه يقول: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[سورة صّ، الآية:٢٩]. فإنما أنزل القرآن لا لتقرأ آياته فقط، ولكي يتبرك بآياته فقط، وإنما ليدّبروا آياته، ليفهموا معاني

هذه الآيات، وخلفيات هذه الكلمات.

قد يقول البعض إن آيات القرآن غامضة لا نستطيع نحن أن نفهمها، هناك شيء من الصحة النسبية في هذه المقولة، بسبب المشكلة اللغوية التي أبعدت بيننا وبين لغتنا، لغة القرآن الكريم، وظهرت لدينا اللهجات المحلية، تبدلت على إثرها معاني بعض الكلمات، لكن هذا قد يصدق على بعض الكلمات وبعض الآيات، ولا يصدق على الأكثر منها، والقرآن الكريم يردّ هذا المعنى بكلّ قوة وهو يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [سورة القمر، الآيات:١٧ ـ ٢٢ ـ ٣٢ ـ ٤٠] فالقرآن ليس غامضًا وليس معقّدًا وليس صعباً، وهذه الآية الكريمة في سورة القمر تكرّرت أربع مرات، وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٣٨] فهو لكلّ الناس وليس لنخبة من الناس وهم العلماء، ومن ذلك قول الإمام زين العابدين عليه السلام: «آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها»[١].

نعم آيات الأحكام قد يحتاج الإنسان إلى مقدرة معينة وخبرة حتى يتمكّن من استنباط الحكم الشرعي منها، ولكن حتى بعض آيات الأحكام يمكن أن يفهمها الإنسان العادي لأنها واضحة، وفي رواية جميلة أن عبد الأعلى مولى آل سام قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري، فجعلت على إصبعي مرارة ـ دواء، جبيرة ـ فكيف أصنع بالوضوء؟ فقال عليه السلام: «يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عزّ وجلّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ امسح عليه»[٢].

فالإمام يعلمه كيف يستنبط الحكم الشرعي هنا ـ وليس هذا الحكم فقط، بل (هذا وأشباهه) ـ فبإمكان كل مسلم أن يأخذ بهذه القاعدة العامة ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وأيّ حكم ديني يكون في تطبيقه حرج على الإنسان فإن الله تعالى لا يأمره أن يطبقه بتلك الصورة الحرجية، وإنما ينتقل تكليفه إلى الصورة التي لا تسبب

(١) الكافي، ج٢، ص٦٠٩، حديث٢.
(٢) تهذيب الأحكام، ج١، ص٣٦٣، حديث ١٠٩٧.

له حرجاً، وقد نقل صاحب الميزان رضوان الله تعالى عليه عن مجمع البيان قوله: «وفي هذا ـ إشارة إلى آية التدبّر ـ دلالة على بطلان قول من قال لا يجوز تفسير شيءٍ من ظاهر القرآن، إلا بخبر وسمع»[1].

إنّ القرآن الكريم يؤكّد أنه نزل للتطبيق لا للتنظير، نزل لإسعاد البشرية واستنقاذها من براثن الشيطان الرجيم، وأغلال التراب..، من التكبر في الأرض من استنزاف قوى الضعفاء بل من الضعف والدعة، من الجهل والتخلف والهوى..

والآية الشريفة ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ إذ تأمرنا بالتدبر في كتاب الله لم تحدّد فئة المتدبرين، معلنة بذلك أن القرآن شرعة لجميع البشر، والواجب عليهم ـ جميعهم ـ أن يتدبروا فيه ويستخرجوا كنوزه، ويستظلّوا بظله. ولو رجعنا إلى واقعنا العملي اليوم لوجدنا حظّنا من تدبر القرآن ضئيلًا جدًّا، بقدر ضآلة حظّنا من الحضارة، وهذا من سنن الله سبحانه ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[سورة الأعراف، الآية:٩٦].

ولو قارنّا أوضاعنا بأوضاع الأمم الأخرى لوجدنا أنفسنا في جوانب كثيرة مسلمين بلا إسلام، بينما يتمتع غيرنا بتطبيق كثير من السنن التي أكّدها الإسلام، و يعيش غيرنا حالة الإسلام ولا مسلمين، ذلك لأننا نجد عندهم روح التدبر والتأمل في كلّ شأنٍ من شؤون الحياة، يتأملون في الذرة كما يتأملون في المجرّة، ويكتشفون السنن الكونية التي أمرنا القرآن بالتدبر فيها، ويطبقون السلوك القرآني الذي نادى به القرآن، من التنظيم والاحترام وتحمل المسؤوليات.. وهذا ليس مدحًا فيهم على إطلاقه، وإنما نحتاج لأن ننظر إلى العالم بنظرة واقعية، لنأخذ الجيّد ونترك الخبيث كما يأمرنا القرآن الحكيم.

إننا بحاجة إلى الاقتراب من آيات القرآن الكريم، وأن تكون لدينا ثقة بأنفسنا أننا

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص٢٦١.

قادرون على تفهّم آيات القرآن، وأن نطبّقها على أرض واقعنا، والله يحثنا على ذلك ويعيننا عليه ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [سورة القمر، الآية:١٧].

ويمكننا أن نشير في نقاط موجزة إلى ما يمكننا أن نصل إليه عبر التدبر والتفكر في مضامين القرآن الكريم:

١. التدبر في القرآن يعني الاستفادة من آياته والتأثر بها ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[سورة المائدة، الآية:٨٣].

٢. التدبر في القرآن يعني فهم قيمه وأفكاره ومبادئه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[سورة المائدة، الآيتان:١٥-١٦].

٣. التدبر في القرآن يعني معالجة المشاكل الإنسانية بطريقة قرآنية ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾[سورة الإسراء، الآية:٨٢].

٤. التدبر في القرآن يعني العمل بما فيه ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[سورة ص، الآية:٢٩].

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

المحتويات